

DAN BROWN

دان براون

مؤلف رواية «شيفرة دافنشي»

مكتبة الرحمي أحمد ١٢٧

ORIGIN

الأصل



رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



D A N B R O W N

دان براون

مؤلف رواية «شيفرة دافنشي»

ORIGIN

الأصل

رواية

ترجمة

زينه إدريس

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرحمي أحمد

مراجعة وتحرير

مركز التعریب والبرمجة

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2018 م - 1439 هـ

يجب أن تكون لدينا الرغبة في التخلّي عن
الحياة التي خطّطنا لها، لكنّ ننال الحياة التي
تنظرنا.

جوزيف كامبل

جميع الأعمال الفنية والمعمارية، والمواقع، والحقائق
العلمية، والمنظمات الدينية المذكورة في هذه الرواية
حقيقة.

مقدمة

بينما كان قطار العجلات المستنة القديم يشق طريقه صعوداً على المنحدر الشاهق، أخذ إدموند كيرش يتأمل قمة الجبل الوعرة المطلة من فوقه. بعيداً، بدا التير الحجري الضخم المبني في واجهة جرف شديد الانحدار معلقاً في الفضاء، كما لو أنه انصرف بطريقة سحرية بالهاوية العمودية.

لقد قاوم هذا المحراب الموغل في القِيم في كاتالونيا، بإسبانيا، الجانبية التي تشدّه بلا هوادة منذ أكثر من أربعة قرون، من دون أن يحيد عن هدفه الأصلي يوماً؛ لأنّه عزل سكانه عن العالم الحديث.

من المفارقات، أن يكونوا الآن أول من سيعرف الحقيقة. هذا ما فكر فيه كيرش وهو يتخيل كيف سيكون ردّ فعلهم. فتارخياً، يُعتبر رجال الدين أكثر الناس خطورة على وجه الأرض... لا سيما حين تصبح آلهتهم مهندسة. وأنا على وشك إشعال النار في عش الدبابير. عندما بلغ القطار قمة الجبل، رأى كيرش طيفاً وحيداً ينتظره على المنصة. كان الجسد الذي للرجل مكسواً بالرداء الكهنوتي الكاثوليكي التقليدي بلونه الأرجواني والكتونة البيضاء، فيما وضع قلنسوة على رأسه. عرف كيرش ملامح مضيّفه الضامرة من الصور، وشعر بموجة غير متوقعة من الأدرينالين تجتاح جسده. فالديسيبينو يسبقاني شخصياً.

كان الأسقف أنطونيو فالديسيبينو شخصية مهمة في إسبانيا. ليس لأنّه صديق موثوق ومستشار الملك نفسه فحسب، بل لأنّه أيضاً واحد من أشد المدافعين عن القيم الكاثوليكية المحافظة والمعايير السياسية التقليدية، وأكثرهم نفوذاً.

وبينما كان كيرش يترجل من القطار، بادره الأسقف قائلاً: "إدموند كيرش على ما أظن؟".

فابتسم كيرش ومدّ يده لمصافحة يد مُضيّفه الهزيلة قائلاً: "هو بعينه. حضرة الأسقف فالديسيبينو، أود أن أشكركم على ترتيب هذا الاجتماع".

"يسريني أنك طلبه، فليس من المعتمد أن يستشيرنا رجال العلم، لا سيما حضرتك. تفضل من هنا". كان صوت الأسقف أقوى مما توقع كيرش، كما كان واضحاً وحاداً كالجرس.

وبينما كان فالديسيبينو يقود كيرش عبر المنصة، أخذ الهواء الجبلي البارد يلف رداءه الكهنوتي.

قال فالديسيبينو: "أقر بأنك مختلف عما تخيلت. فقد كنت أتوقع رؤية عالم، ولكنك تبدو...". ورمق بذلة كيتون لك 50 الأنثقة التي يرتديها ضيفه، مروراً بحذاء باركر بشيء من الإزراء، ثم تابع: "هيباً، على ما أعتقد".

ابتسم كيرش بتهذيب. لقد بطل استخدام كلمة هيباً منذ عقود.

قال الأسقف: "بينما كنت أقرأ قائمة إنجازاتك، لم يتضح لي تماماً مجال عملك." "أنا متخصص في نظرية الألعاب والمنطقة الحاسوبية".

"إذاً، أنت تصنع ألعاب الكمبيوتر التي يلعب بها الأولاد؟".

شعر كيرش بأنَّ الأسقف ينطahر بالجهل؛ في محاولة منه ليبدو قديم الطراز. رغم أنَّ كيرش يعرف حقَّ المعرفة أنَّ فالديسيبينو كان طالب تكنولوجيا واسع الاطلاع على نحو مخيف، وغالباً ما كان يحدُّ الناس من مخاطرها. "كلا سيدني. في الواقع، نظرية الألعاب مجالٌ رياضيٌ يدرس الأنماط من أجل القيام بتوقعات حول المستقبل".

"آه، أجل. أعتقد أنتي قرأت توقعاتك بشأن أزمة نقدية أوروبية منذ بضع سنوات. وفي الوقت الذي لم يصغِ فيه أحد، أنقذت الوضع باختراع برنامج كمبيوتر أعاد الاتحاد الأوروبي من الموت. ما كانت جملتك الشهيره؟ في سنَّ الثالثة والثلاثين، أنا بعمر المسيح وقت جلجلته".

انكمش كيرش لدى سماعه ذلك وقال: "هذه مقارنة سيئة، نيافتك. فقد كنت شاباً." "ضحك الأسقف. "شاباً! وكم عمرك الآن؟ أربعون رِيماً؟".

"بالكاد".

ابتسم الرجل المسنَ في حين واصل الهواء نفح ردائِه. "حسناً، كان يفترض أن يirth الودعاء الأرض. ولكنها عوضاً عن ذلك ذهبت إلى الشباب المولعين بالเทคโนโลยيا، الذين يهدّدون إلى الشامات عوضاً عن التعديق إلى نفوسهم. أعرف أنتي لم تختيل يوماً أن يكون لدى سبب لقاء الرجل الذي يقود هذه الموجة. فهم يسمونك ملهمـاً، كما تعلمـ".

أجاب كيرش: "لا أعتقد أنكم كنتم ميالين للقائي، يا نيافة الأسقف. فعندما طلبتـ اجتماعاً خاصـاً معكم ومع زميليكـ، لم أتوقع أن تتجاوزـ فرص موافقتكـ عشرين بالمائةـ. كما قلتـ لزميليـ، باستطاعةـ المتدينـ دائـماً الاستفادةـ من الإصـفاءـ إلى غيرـ المؤمنـينـ. فعندـ سماعـ صوتـ الشـيطـانـ، سـتفـرـ صـوتـ اللهـ أكثرـ". ثـمـ ابتـسمـ الأسـقفـ مـضـيفـاًـ: "أـناـ أـماـزـحـكـ طـبعـاًـ. أـرجـوـ أـنـ تـغـفـرـ لـيـ حـسـنـ مـرـحـيـ فـيـ هـذـهـ السـنـ. فـلـبـاقـتـيـ تـخـونـتـيـ مـنـ وـقـتـ إـلـىـ آـخـرـ".

وأشار الأسقف فالديسيبينو إلى الأمام قائلًا: "رميلي بانتظارنا. نفضل من هنا".

تأمل كيرش المكان الذي كانا يتجهان إليه، والذي كان عبارة عن قلعة حجرية هائلة رمادية اللون معلقة على حافة جرف شديد الانحدار يبلغ عمقه آلاف الأقدام، وينتهي عند بساط خصب من الغابات. بدا كيرش غير مكترث بالارتفاع، وحول نظره عن الهاوية ليلحق بالأسقف على طول طريق وعر يمتد على سفح الجرف، وأفكاره منصبة على الاجتماع المرتقب.

كان كيرش قد طلب الاجتماع بثلاثة قادة روحيين بارزين أنهوا للتو مؤتمراً عُقد في هذا المكان.

برلمان أديان العالم.

منذ العام 1893، يقوم مئات القادة الروحيين من نحو ثلاثين ديانة عالمية بالاجتماع معاً في مكان مختلف كلَّ بضع سنوات، حيث يجرون حواراً بين الأديان لمدة أسبوع. ويتضمن المشاركون مجموعة واسعة من الشخصيات النافذة من الكهنة المسيحيين، والحاخامات اليهود، والملاكي المسلمين من جميع أنحاء العالم، فضلاً عن البوغاريين الهنودس، والبونيين، والبيان، والسيخ، وغيرهم...

وكان الهدف العام الذي أعلنه البرلمان يقوم "على تنمية الوئام بين أديان العالم، وبناء الجسور بين مختلف الانتماءات الروحية، والاحتفال بالقواسم المشتركة بين جميع الأديان".

وقد وصفه كيرش بأنه سعي نبيل؛ على الرغم من أنه اعتبره ممارسة فارغة، وبحثاً بلا معنى عن نقاط تطابق عشوائية بين خليط من القصص الخيالية والخرافات والأساطير القديمة.

وبينما كان الأسقف فالديسيبينو يقود كيرش على طول الطريق، نظر هذا الأخير إلى أسفل الجبل وهو يفكَّر ساخراً: تسلق موسى جبلاً ليستلم كلمة الله... فيما تسلقت جبلاً لأفعل العكس تماماً.

كان كيرش قد فكر في سره بأنَّ دافعه لتسلق هذا الجبل كان التزاماً أخلاقياً، ولكنه كان يعلم أنَّ ثمة عدداً لا يأس به من المتغطسين الذين أُججوا رغبته في هذه الزيارة. لذا، كان توقاً إلى الاستمتاع بالجلوس وجهاً لوجه مع رجال الدين هؤلاء، وإخبارهم عن توقعاته لهم بالزوال الوشيك.

لقد حصلتم على فرصتكم لتعريف حقيقتنا.

فجأة، قال الأسقف وهو ينظر إلى كيرش: "ألفيت نظرة على سيرتك الذاتية. وكما تبيَّن لي، أنتَ من خريجي جامعة هارفرد، أليس كذلك؟".

"أجل، حصلت منها على شهادة البكالوريوس".

"فهمت. قرأت مؤخراً أنه للمرة الأولى في تاريخ هارفرد، يزيد عدد الطلاب الملحدين واللادريين على عدد أتباع أي ديانة على الإطلاق في فوج الطلاب الجدد. وهذه إحصاءات معبرة جداً يا سيد كيرش".

أراد كيرش أن يجيب: مازاً أقول؟ طلابنا يزدادون نكاء مع مرور الزمن.

ازدادت الرياح قوة مع وصولهما إلى البناء الحجري القديم. كان مدخل البناء خافت الإضاعة، فيما الهواء تغلى وعايق برائحة البخور المحترق. شقّ الرجال طريقهما عبر متأهله من الممرات المظلمة، وجاحدت عيناً كيرش للتكييف مع الظلام فيما كان يتبع مضيّفه. وأخيراً، وصلا إلى باب خشبي صغير غير اعتيادي. طرقه الأسقف، ثم انحنى ودخل مشيراً إلى ضيفه ليتبعه.

عبر كيرش العتبة بتردد، ووجد نفسه في غرفة مستطيلة الشكل اكتست جدرانها بالمجلدات القديمة، فيما برزت من الجدران رفوف إضافية بدت كالأضلاع، وتخللتها شبكة التدفع الحديدية التي راحت تتعقد وتهسّ مُضفيّة على الغرفة جواً غريباً؛ كما لو أنها حيّة. نظر كيرش إلى الدرابزين المزخرف الذي يحيط بالطابق الثاني، وعرف من دون أدنى شكَّ أين هو.

إنها مكتبة مونسراط الشهيرة! فوجئ بإدخاله إليها؛ إذ يُشعّ أن هذه الغرفة المجلدة تحتوي على نصوص نادرة جداً غير متاحة سوى للرهبان الذين كرسوا حياتهم للعبادة، وأقاموا هنا على قمة هذا الجبل.

قال الأسقف: "لقد طلبت اجتماعاً سرياً، وهذا أكثر الأماكن انعزلاً لدينا. فقلة هم الغرباء الذين دخلوا هذا المكان".

"إنه لكم منكم أن تمنحوني هذا الشرف. شكرًا لكم".

تبع كيرش الأسقف إلى طاولة خشبية كبيرة جلس إليها رجلان مستان ينتظران. بدا الرجل الجالس إلى اليسار طاعناً في السن، والتعب واضح في نظرات عينيه، فيما لحيته البيضاء متشابكة. كان يرتدي بدلة سوداء مغضنة وقميصاً أبيضاً، ويعتمر قبعة.

قال الأسقف: "أقدم لك الحاخام يهودا كوفيس. إنه فيلسوف يهودي بارز كتب الكثير عن علم الكونيات القبالي".

مد كيرش يده من فوق الطاولة، وصافح بأدب الحاخام كوفيس قائلاً: "يسرنـي لفـاؤكم، سـيدـي. فقد قـرـأـتـ كـتـبـكمـ عنـ القـبـالـهـ. لاـ أـسـتـطـعـ القـولـ إـنـيـ فـهـمـتـهاـ،ـ وـلـكـنـيـ قـرـأـتـهاـ".

فهزَّ كوفيس رأسه بلطف وهو يمسح عينيه الدامعتين بمنديله.

تابع الأسقف مشيراً إلى الرجل الآخر: "وحضرته ساحة العلامة سيد الفضل". وقف رجل الدين المسلم وابتسم ابتسامة عريضة. كان قصير القامة وممتلأ، ذا وجه بشوش بدا متناقضاً مع عينيه السوداويين حادثي النظارات. كان يرتدي عباءة بيضاء

متواضعة. "سيد كيرش، وأنا قرأت توقعاتكم بشأن مستقبل البشرية. لا أستطيع القول إنني اتفق معك في الرأي، ولكنني قرأتها".
ابتسم كيرش بلهفة وصافح الرجل.

ثم قال الأسقف موجهاً كلامه إلى زميليه: "وضيفنا إيموند كيرش، كما تعلمون، عالم كمبيوتر شهير، كما أنه باحث في مجال نظرية الألعاب، ومخترع، ويُعتبر ملهمًا إلى حد ما في عالم التكنولوجيا. ونظرًا إلى خلفيته هذه، حيرني طلبه الاجتماع بنا نحن الثلاثة. لذلك، سأطلب من السيد كيرش أن يشرح لنا سبب مجئه".

جلس الأسقف فالديسيبينو بين زميليه، ثم كتف ذراعيه، وأغار كيرش كل انتباهم. جلس الرجال الثلاثة أمامه كأنهم قضاة في المحكمة؛ الأمر الذي أضفى على الأجواء انطباعاً غريباً، فشعر كيرش وكأنه أمام محكمة تقفيش وليس في المجتمع ودي مع علماء. وفي تلك اللحظة، أدرك كيرش أنَّ الأسقف لم يجهز له مقدماً.

شعر كيرش بالدهشة أكثر من شعوره بالخوف وهو يتأمل الرجال الثلاثة الجالسين أمامه. إنَّه، هذا هو الثالوث الذي طلبته. الحكماء الثلاثة.

قرر كيرش أن يأخذ بعض ثوانٍ لتأكيد سلطته. فذهب إلى النافذة، وحدَّى إلى المشهد الذي يخطف الأنفاس في الأسفل. فقد امتدت أمام ناظريه المراعي القديمة المشمسة في وادٍ عميق، مفسحةً المجال لقمم سلسلة جبال كولسيرولا الوعرة. وعلى مسافة أميال خلفها، في مكان ما فوق بحر البليار، أخذ الأفق يتلبَّد بسحب سوداء. الأجواء مناسبة. هذا ما فكر فيه كيرش وهو يستشعر الاضطراب الذي سيحدثه قريباً في هذه القاعة، وفي العالم خارجها.

فجأة، التفت نحو رجال الدين الثلاثة، واستهلَّ كلامه قائلًا: "أيها السادة، أعتقد أنَّ الأسقف فالديسيبينو قد أخبركم برغبتي في أن يكون اجتماعنا سرياً. لكن، قبل أن نتابع، أود أن أوضح لكم أنَّ ما سأطلعكم عليه ينبغي أن يبقى طي الكتمان. ببساطة، أنا أطلب منكم أنتم الثلاثة أن تتعهدوا بالصمت. هل نحن متفقون على ذلك؟".

فهزَ الرجال الثلاثة رؤوسهم موافقين؛ الأمر الذي اعتبره كيرش غير ضروري على الأرجح. فهم بالتأكيد سيرغبون في نفن هذه المعلومات عوضاً عن نشرها.

بدأ كلامه قائلًا: "لقد أتيت إلى هنا اليوم لأنَّني توصلت إلى اكتشاف علمي أعتقد أنه سيدركم. إنه أمر أتابعه منذ سنوات عديدة، على أمل الإجابة عن سؤالين من أهم الأسئلة في تجربتنا البشرية. والآن، وبعد أن نجحت في ذلك، أتيت إليكم أنتم على وجه التحديد لأنَّني أعتقد أنَّ هذه المعلومات ستترك أثراً عميقاً في مؤمني العالم، ومن المحتمل أن تسبِّب تحولاً لا يمكن سوي وصفه بأنه مدمر. في هذه اللحظة، أنا الشخص الوحيد في العالم الذي يعرف المعلومات التي سأطلعكم عليها".

ثم مَدَ كِيرش يده إلى حِبْ سُرْتَه، وأخرج هاتِفًا ذكِيًّا ضخماً كان قد صمَّمه وبناه لخدمة احتياجاتِه الخاصة الفريدة من نوعها. وكان للهاتف غطاء من الفسيفساء زاهي الألوان، أُسندَه أمام الرجال الثلاثة مثل تلفاز. وخلال لحظة واحدة، استخدم الجهاز لدخول خادم فائق الأمان، وأدخل كلمة السر المُؤلَّفة من سبعة وأربعين حرفاً، ثم قَدَّم لهم عرضاً حِيَاً.

قال كِيرش: "ما ستشاهدونه جزء من إعلان آمل أن أطلع العالم عليه؛ رِيَما في غضون شهر من الزمن أو نحو ذلك. لكن، قبل أن أفعل ذلك، أردت التشاور مع عدد من المفكرين الدينيين الأكثر تأثيراً في العالم، لأعرف كيف سيمَّن تلقي هذا النبأ من قبل الأشخاص المعنيين به أكثر من غيرهم".

عندَها، تَهَدَّ الأَسْقَف بصوتٍ عالٍ، وبدا عليه الملل وليس القلق: "يا لها من بِيَاجَةٍ مثيرة للاهتمام يا سَيِّد كِيرش! إنك تتكلَّم كما لو أنَّ ما ستعلَّمنا عليه سيهَزُّ أسس دِيَانَاتِ العَالَم".

جال كِيرش بِنَظَرِه على المستودع القديم الذي يتضمَّن النصوص المقدَّسة، وفَكَرَ في سرَّه: لن يهَزُّ أَسْسَكُمْ، بل سِيَحْطُّمُهَا.

ثم قَيَّمَ كِيرش بنظراته الرجال الجالسين أمامه. ما لا يعرِفونه هو أنه ينوي إعلان اكتشافه في غضون ثلاثة أيام فقط؛ وذلك في حدث مذهل تم التخطيط له بدقة. وما إن يفعل ذلك، حتى يكتشف الناس في جميع أنحاء العالم أنَّ تعاليم الأديان كافة لديها بالفعل قاسم مشترك واحد.

الفصل 1

حذق البروفيسور روبرت لانغدون إلى الكلب الجالس في الساحة، والذي يقارب طوله أربعاً وأربعين قدماً. كان فراء الحيوان عبارة عن سجادة حية من الأعشاب والأزهار العطرة.

قال في سرمه: أنا أحاول أن أحبك، أحاول ذلك حقاً.

تأمل لانغدون ذلك المخلوق قليلاً بعد، ثم تابع سيره على طول الطريق المعلق ليهبط شرفة مدرجة واسعة صمم سطحها غير المستوي بطريقة تدفع الزائر إلى تغيير وتيرة مشيته المعتادة. لقد أُنجزت المهمة. كاد يتعثر مرتين على الدرجات غير المنتظمة.

وعدد أسفل الدرجات، توقف فجأة، وحذق إلى شيء ضخم لاح أمامه.
الآن رأيتها بأكملها.

ظهر أمامه تمثال لأرمدة سوداء هائلة الحجم، حملت أرجلها الحديبية النحيلة جسماً مستيراً يرتفع نحو ثلثين قدماً في الهواء. وقد علق ببطن العنكبوت كيس بيوض من الشبك السلكي يحتوي على كرات زجاجية.

قال صوت: "اسمها مامان (الأم)".

أخفض لانغدون نظره فرأى أمامه رجلاً نحيلياً يقف تحت تمثال العنكبوت. كان يرتدي شيروانني أسود مزرκشاً، ولديه شارب ملتف على طراز شارب سالفادور دالي؛ فبدا مظهره كوميدياً إلى حد ما.

تابع قائلاً: "اسمي فرناندو، وقد أتيت لاستقبالك في المتحف". ثم حول الرجل انتباهه إلى مجموعة من بطاقات الأسماء الموضوعة على طاولة أمامه، وسألته: "هل يمكنني الحصول على اسمك رجاء؟".
بالتأكيد. روبرت لانغدون."

فوجئ الرجل، ونظر إليه مجنداً ثم قال: "آه، أنا آسف جداً! لم أعرفك!".
بالكاد أعرف نفسي؛ فكر لانغدون في ذلك وهو يتقدم نحوه بسترة الطويلة السوداء، وقبضة الأبيض، وريطة عنقه البيضاء. أبدو مثل أحد أعضاء مجموعة ويفنوف. كانت ستة لانغدون الكلاسيكية ترجع إلى ثلثين عاماً مضت تقريباً، فقد

احتفظ بها من أيام عضويته في نادي آيفي في برينستون. ولكن، بفضل التزامه بنظام السباحة اليومية، ما زالت السترة تناسب مقاسه تماماً. فنظراً لعجلة لانغدون وهو يحزم أمتعته، تناول البنلة الخاطئة من خزانته عوضاً عن بذلته الرسمية المعتادة.

قال: "بحسب الدعوة، ينبغي ارتداء الأبيض والأسود. أرجو أن تكون السترة الطويلة مناسبة".

"السترة الطويلة كلاسيكية! أنت تبدو مذهلاً!". ثم سارع الرجل إلى تعليق بطاقة الاسم بعنابة على طية الصدر في سترته.

قال صاحب الشارب: "إنه لشرف لي أن التقيك يا سيدي. لا شك في أنك زرتنا من قبل".

حق لانغدون من بين أرجل العنكبوت إلى المبني الذي تضيئه الشمس أمامهما، ثم قال: "في الواقع، يحرجني القول إنني لم أفعل".

تظاهر الرجل بالسقوط من هول المفاجأة. "حقاً! ألسن من محبي الفن الحديث؟".

لطالما استمتع لانغدون بتحدى الفن الحديث، لا سيما استكشاف سبب اعتبار أعمال معينة تحفاً فنية. وكمثال على ذلك، لوحات جاكسون بولوك المرسومة بتقنية التقفيط، وعلب حساء كامبلز لأندي وارهول، والمستطيلات الملونة في أعمال مارك روتوكو. مع ذلك، كان لانغدون يرتاح أكثر بكثير عند مناقشة الرمزية الدينية في أعمال هيرونيموس بوش أو ضربات فرشاة فرانسيسكو دي غوريا.

أجاب لانغدون: "أنا أكثر ميلاً إلى الفن الكلاسيكي، وأفضل دافنشي على دي كونينغ".

لكن دافنشي ودي كونينغ متشابهان جداً!".

فابتسم لانغدون قائلاً: "إذاً، من الواضح أنه على تعلم المزيد عن دي كونينغ".
في هذه الحال، أنت في المكان المناسب!. وأشار الرجل بذراعه إلى المبني الضخم وتابع: "في هذا المتحف ستتجد إحدى أجمل مجموعات الفن الحديث في العالم! أتمنى أن تستمتع بزيارةه".

أجاب لانغدون: "هذا ما أتمناه. غير أتنى أتمنى فقط لو أتنى أعرف سبب وجودي هنا".

فضحك الرجل بمرح وهو يهز رأسه: "شأنك شأن الجميع! مضيفكم متكتم جداً حال حديث هذه الليلة. حتى إن موظفي المتحف لا يعرفون ما يجري. لكن الغموض يشكل نصف المتعة، والشائعات كثيرة! ثمة عدة مئات من الضيوف في الداخل، والكثير من الوجوه المعروفة، ولا أحد يدري شيئاً عن برنامج الليلة!".

ابتسم لأنغدون، فقلة هم الأشخاص الذين يملكون الشجاعة لإرسال دعوات في اللحظة الأخيرة لا تتضمن سوى بعض المعلومات الأساسية: مساء السبت. كانوا هناك. كما أن عدداً أقل من الناس يستطيعون إقناع المئات من كبار الشخصيات بتأجيل كل أعمالهم، والسفر إلى شمال إسبانيا لحضور حدث ما.

مر لأنغدون من تحت العنكبوت، وتابع سيره وهو ينظر إلى اللافتة الحمراء الضخمة التي راحت ترفرف فوق رأسه.

أمسية مع إدموند كيرش

فَكَرْ لانغدون في سره بمرح: لا شَكَّ فِي أَنَّ إِدْمُونْدَ لَمْ يَقْتَرِبْ يَوْمًا إِلَى الثَّقَةِ بِالنَّفْسِ.

قبل عشرين عاماً، كان الشاب إدي كيرش من بين طلاب لأنغدون الأوائل في جامعة هارفرد. وكان الشاب ذو الشعر الأملس المسرح بعنابة مهووساً بالكمبيوتر، وقد قاده اهتمامه بالرموز إلى الالتحاق بالحلقة الدراسية التي يعطيها لأنغدون: الشيفرات ولغة الرموز. أعجب لأنغدون كثيراً بذكاء كيرش وبراعته. ومع أن هذا الأخير ابتعد لاحقاً عن عالم الرموز القديم وانتقل إلى عالم المعلوماتية البراق والواحد، إلا أن علاقة صداقة نشأت بين المعلم والطالب، وبقيا على تواصل خلال الأعوام العشرين الماضية بعد تخرج كيرش.

فَكَرْ لانغدون، والآن فاق التلميذ معلمه بعده سنوات ضئيلة.

اليوم، أصبح إدموند كيرش شخصية ذاتعة الصيغ؛ فهو ملياردير وعالم كمبيوتر، وعالم مستقبلي، ومخترع، ورجل أعمال. فقد ابتكر الرجل البالغ من العمر أربعين عاماً مجموعة مذهلة من التقنيات المتقدمة التي تشكل قفزات هائلة في مجالات متعددة مثل الروبوتات، وعلم الدماغ، والذكاء الاصطناعي، والنانوتكنولوجيا. كما أن توقعاته الدقيقة بشأن التقدم العلمي كونت حوله هالة من الغموض.

خمن لأنغدون أن تكون موهبة إدموند الغربية في مجال التوقع نابعة من معرفته الواسعة جداً بالعالم المحيط به. فكما يذكر، كان إدموند قارئاً نهماً يقرأ كلّ ما تقع عليه عيناه. لا بل إنَّ لأنغدون لم يز مثيلاً له من حيث شغفه بالكتب وقدرته على استيعاب محتوياتها.

خلال السنوات القليلة الماضية، عاش كيرش بشكل أساسي في إسبانيا، عازياً اختياره لتلك البلاد إلى علاقة حبٍ لا تنتهي مع سحر عالمها القديم، وهندستها المعمارية الطبيعية، وحاناتها الغربية، وطقسها المثالى.

كل عام، حين يعود كيرش إلى كامبردج للقاء محاضرة في مختبر الإعلام في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، ينضم إليه لأنغدون لتناول الطعام في أحد مطاعم بوسطن الجديدة التي لم يسبق له أن سمع بها. وفي تلك اللقاءات، لم تكن أحاديثهما تدور حول التكنولوجيا على الإطلاق، بل كانت الفنون هي الموضوع الوحيد الذي يحبّ كيرش مناقشه مع لأنغدون.

وغالباً ما كان يمازحه قائلاً: "أنت صلتني الوحيدة بالثقافة يا روبرت؛ أستاذي الوحيد في عالم الفنون!".

وكانت الإشارة الطريفة إلى وضع لأنغدون الاجتماعي ساخرة جداً، وتصدر عن شخص عازب مثله أيضاً؛ يرفض الزواج من شريكة واحدة، ويعتبر أن ذلك "إهانة للتطور"، لا سيما وأنه ظهر على مر السنين في صور عديدة مع مجموعة واسعة من عارضات الأزياء.

نظراً إلى سمعة كيرش كمبدع في مجال علوم الكمبيوتر، يسهل تخيله كشخص مملٌ وجدي مهوس بالتكنولوجيا. إلا أنه عوضاً عن ذلك جعل من نفسه أيقونة معاصرة؛ إذ راح يتقلّل في أوساط المشاهير، ويرتدى ملابسه على أحدث طراز، كما كان يصفعي إلى الموسيقى الحديثة، ويهوى جمع الأعمال الفنية الانطباعية والحديثة التي لا تقدر بثمن. وغالباً ما راسل لأنغدون لاستشارته بشأن تحف فنية جديدة ينوي ضمّها إلى مجموعته.

فكّر لأنغدون، ثمّ كان يفعل العكس تماماً.

منذ عام مضى تقريباً، فاجأ كيرش لأنغدون بسؤال لا يتعلّق بالفن، بل بالله. وكان هذا موضوعاً غريباً بالنسبة إلى شخص لا يُخفي إيمانه. هكذا، وأمام طبق من اللحم غير الناضج تماماً في مطعم تايرغر ماما في بوسطن، تحاور كيرش لأنغدون حول المعتقدات الأساسية لمختلف الديانات العالمية، لا سيما رواياتها المختلفة لقصة الخلق. أعطاهم لأنغدون نظرة عامة عن المعتقدات الحالية؛ بدءاً من قصة التكوانين في الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام، ووصولاً إلى قصّة براهما الهندوسية، وحكاية مردوخ البابلية، وغيرها...

حينها، سأله لأنغدون وهما يغادران المطعم: "لكتني مستغرب، فما الذي يدفع شخصاً مثلك يهتم بالمستقبل إلى الاهتمام بالماضي؟ هل هذا يعني أن الملحد الشهير قد وجّد أخيراً طريقه إلى الله؟".

فأنفجر إيموند ضاحكاً وقال: "مستحيل! أنا أقيس وحسب حجم المنافسة يا روبرت". ابتسم لأنغدون وفكّر في سره: هذا نموذجي بالنسبة إليك. في الواقع، العلم والدين ليسا متنافسين، بل هما لغتان مختلفتان تحاولان أن ترويا القصة نفسها. وفي هذا العالم

مكان لكتيماً.

بعد ذلك الاجتماع، انقطع الاتصال بين إدموند ولانغدون لمدة عام تقريباً. ومنذ ثلاثة أيام، تلقى لانغدون فجأة مغلقاً عن طريق فيديكس يتضمن تذكرة طائرة وحجزاً فندقياً ورسالة مكتوبة بخط اليد ومرسلة من إدموند يحتويها على المجيء لحضور حدث هذه الليلة. وقد كتب في الرسالة: روبرت، سيسعدني كثيراً أن تتمكن أنت من بين جميع الناس من الحضور. فأفكار التي زولتني بها خلال لقائنا الأخير ساعدت في جعل هذه الليلة ممكناً.

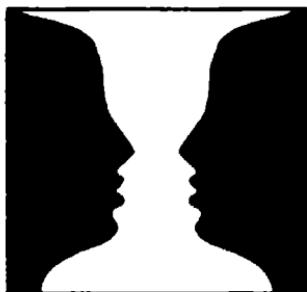
ذهب لانغدون تماماً حين قرأ الرسالة. فما من شيء في ذلك الحديث بدا ذات صلة بحدث يستضيفه تلميذه المهم بالمستقبل. تضمن مغلق فيديكس أيضاً صورة بالأبيض والأسود لشخصين يقان وجهاً لوجه. وكتب كيرش مقطعاً شعرياً قصيراً للانغدون.

روبرت،

حين تراني وجهاً لوجه،

سأكشف لك المساحة الخالية.

- إدموند



ابسم لانغدون حين رأى الصورة التي كانت تتضمن إشارة ذكية إلى قضية عمل عليها روبرت قبل بضع سنوات. فقد ظهرت الكأس المجلة في المساحة الخالية بين الوجهين.

في تلك اللحظة، وقف لانغدون أمام المتحف وهو يشعر بالتوقع لمعرفة ما سيعلنه تلميذه السابق. هبّ نسيم خفيف على ذيل سترته فيما كان يسير على الطريق الإسماعي على ضفة نهر نيرفيون؛ الذي كان في ما مضى شريان الحياة لمدينة صناعية مزدهرة، واشتهر في الهواء رائحة نحاس خفيفة.

وبينما كان لانغدون ينبعط على الطريق المؤدي إلى المدخل، سمح لنفسه أخيراً بالنظر إلى المتحف الضخم البراق. كان من المستحيل رؤية المبني كله في نظرة واحدة. وعوضاً عن ذلك، جال نظره على طول البناء الطويل والغريب ذهاباً وإياباً. فكر لانغدون في سره: هذا البناء لا يكسر القواعد فحسب، بل يتجاوزها تماماً. إنه بقعة مثالية بالنسبة إلى إيموند.

بدا متحف غوغنهايم في بيلباو بإسبانيا أقرب إلى هلوسة غريبة؛ إذ ظهرت أشكال معدنية مشوهة تم إلصاقها بعضها ببعض بطريقة عشوائية تقريباً، فيما امتدت كتلة الأشكال الفوضوية وغلفت بما يزيد عن ثلاثين ألف بلاطة من التيتانيوم التي راحت تلمع مثل حراشف السمك، مضفيّة على البناء انطباعاً بأنه عضوي ومن خارج هذا العالم في الوقت نفسه؛ كما لو أن سفينة مستقبلية ضخمة خرجت من الماء لتتشمس على صفة النهر.

عندما تم الكشف عن المبني للمرة الأولى عام 1997، أشادت صحيفة نيويوركر بالمهندس المعماري فرانك غيري، وقالت إنه صمم "سفينة خيالية رائعة ذات شكل متوج في عباءة من التيتانيوم". في حين قال نقاد آخرون في العالم إنه "أعظم بناء في زماننا"، وإنه "متائق!"، وإنجاز معماري مذهل!.

منذ بدايات المتحف، تم تشييد عشرات المباني "التكميكية" الأخرى، مثل قاعة ديزني للحفلات الموسيقية في لوس أنجلوس، وعالم بي إم دبليو في ميونيخ، وحتى المكتبة الجديدة في جامعة لانغدون. وجميعها تمثل تصاميم وأبنية غير تقليدية على نحو جذري. لكن لانغدون شك في أن يضاهي أي منها متحف غوغنهايم في بيلباو بطابعه الصادم.

مع اقترابه من المتحف أكثر، بدت واجهة التيتانيوم وكأنها تحول مع كل خطوة، وتقدّم للزائر شخصية جديدة من كل زاوية. وأصبح الخداع البصري الأكثر دراماً تيكية للمتحف مرئياً الآن. فمن هذه الزاوية، بدا البناء هائل الحجم وكأنه يطفو فعليناً على سطح المياه، يجرفه بحر واسع لا نهاية له، أمواجه تتلاطم وتضرب جدران المتحف الخارجية.

توقف لانغدون للحظة مناماً المشهد، ثم شرع بعبور النهر سالكاً جسر المشاة البسيط الممتد فوق المياه البراقة. لكنه ما إن وصل إلى منتصف الجسر حتى سمع هسيساً قوياً أ Jegleه. كان الهسيس صارداً من تحت قدميه. توقف في مكانه، بينما بدأ سحابة من الضباب تتبع من تحت الجسر. ارتفع الضباب الكثيف وأحاط به، ثم اندفع من فوق المياه باتجاه المتحف، وأحاط بقاعدة المبني بأكمله. منحوته الضباب.

كان قد فرأ عن هذا العمل للفنان الياباني فوجيوكو ناكايا. كانت "المنحوتة" ثورية من حيث تكوينها من الهواء المائي، إذ يظهر جدار من الضباب ويتألشى مع مرور الوقت، ويسبب اختلاف النسيم والظروف الجوية بين يوم وأخر، فإن المنحوتة تكون مختلفة في كل مرة تظهر فيها.

توقف صوت الهميس، وراقت لأنغدون جدار الضباب وهو يتلاشى بصمت فوق المياه، ويدور ويزحف كما لو كان لديه عقل خاص به. كان التأثير أثرياً ومريكاً على السواء. إذ بدا المتحف بأكمله الآن وكأنه يحوم فوق الماء، ويستقر على سحابة؛ مثل شبح سفينه صائنة في البحر.

وعندما أوشك لأنغدون على الانطلاق مجندًا، اضطرب سطح المياه الساكن بسلسلة من الانفجارات الصغيرة. وفجأة، انطلقت خمسة أعمدة نارية من النهر نحو السماء، وهي تهدر مثل محرّكات صواريخ اخترقت الهواء المحمّل بالضباب، وألقت شراراتها الضوئية البراقة على بلاط التيتانيوم الذي يكسو المتحف.

كان ذوق لأنغدون المعماري أكثر ميلاً إلى المتاحف الكلاسيكية مثل اللوفر أو برادو. ولكن، بينما كان يشاهد الضباب واللهب فوق المياه، لم يجد مكاناً أفضل من هذا المتحف العصري لاستضافة حدث دعا إليه رجل محب للفن والإبداع، وقدر على استراق نظرة واضحة إلى المستقبل.

مشى لأنغدون عبر الضباب، وحث خطاه في طريقه إلى مدخل المتحف الذي كان عبارة عن ثقب أسود مخيف في البناء الضخم. ومع اقترابه، راوده إحساس مزعج بأنه يدخل فم تنين.

الفصل 2

جلس أميرال البحرية لويس أفيلا على مقعد في نادٍ ليلي مهجور في بلدة غريبة. كانت الرحلة قد أنهكته. فقد أتى إلى هذه المدينة جواً بعد يوم عمل تقلّل فيه آلاف الأميال خلال اثنى عشرة ساعة. تناول رشقة من كأس الماء المنشط الثانية، وحقق إلى مجموعة الزجاجات الملونة التي تزيّن الجدار.

فَكَرْ فِي سَرَّهُ: بِإِمْكَانِ أَيِّ رَجُلٍ أَنْ يَحْفَظَ عَلَى اتِّزَانِهِ فِي الصَّحْرَاءِ، وَلَكِنَّ الْأَوْفِيَاءِ هُمْ وَحْدَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَطِيغُونَ الْجُلوْسَ فِي وَاحَةٍ مِنْ دُونِ أَنْ يَفْتَحُوا أَفْوَاهَهُمْ. لَمْ يَفْتَحْ أَفْيَالًا فَمَهُ لِلشَّيْطَانِ مِنْذَ سَنَةٍ تَقْرِيبًاً. رَمَقَ انْعِكَاسَ صُورَتِهِ عَلَى سَطْحِ الْبَارِ أَمَامَهُ، وَمَنْحَ نَفْسَهُ لَحْظَةً نَادِرَةً مِنَ الرَّضْنِ عَنِ الصُّورَةِ الَّتِي تَبَادِلُهُ النَّظَرَ.

كَانَ أَفْيَالًا وَاحِدًا مِنْ أُولَئِكَ الرِّجَالِ الْمُتَوَسِّطِيِّينَ الْمُحْظَوْظِينَ الَّذِينَ بَدَا لَهُمُ التَّقْدِيمُ فِي السَّنَّ امْتِيازًا وَلَيْسَ عَانِقًاً. فَعَلَى مَرَّ السَّنَوَاتِ، تَحَوَّلَتْ لَحْيَتِهِ الْقُصِيرَةُ السُّودَاءُ الْفَاسِيَّةُ إِلَى لَحْيَةِ مُمِيَّزَةٍ بِلُونِ الْمَلْحِ وَالْفَلْفَلِ، بَيْنَمَا بَدَا الْإِسْتِرْخَاءُ فِي عَيْنِيهِ السُّودَاوِينَ النَّارِيَتِينَ بِفَعْلِ الْقَنَّةِ وَالْهَدْوَةِ الَّذِينَ شَعَرُ بِهِمَا، وَأَصْبَحَتْ بِشَرْتِهِ زِيَّونَيَّةُ اللُّونِ وَالْمَشْدُودَةُ سَمْرَاءُ وَمَغْضَنَّةً؛ مَا أَضَفَى عَلَيْهِ هَالَةً رَجُلٍ يَحْقُّ إِلَى الْبَحْرِ دَائِمًاً.

حَتَّى فِي سَنَّ الْثَالِثَةِ وَالسَّتِّينِ، مَا زَالَ جَسْدُهُ نَحِيلًا وَمَشْدُودًا، وَقَدْ زَادَ زِيَّهُ الرَّسْمِيُّ المُفْصَلَ عَلَى مَقَاسِهِ مِنْ جَانِبِيَّتِهِ. فِي تَلْكَ الْلَّحْظَةِ، كَانَ أَفْيَالًا يَرْتَدِي زِيَّهُ الْبَحْرِيِّ الْأَبْيَضَ الْكَامل؛ وَهُوَ عَبَارَةٌ عَنْ بَذْلَةٍ مَلْكِيَّةٍ الْمُظَهَّرِ تَتَأَلَّفُ مِنْ سَتْرَةٍ بِيَضَاءِ مَرْزُوجَةٍ الْصَّدْرِ، عَلَيْهَا شَارَاتٌ كَتْفٌ عَرِيضَةٌ سُودَاءُ، وَمَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمِيدَالِيَّاتِ، فَضْلًا عَنْ قَمِيصٍ ذِي يَاقَةٍ بِيَضَاءِ، وَسَرْوَالٍ أَبْيَضَ مَطَرَّزٌ بِالْحَرِيرِ. رَبِّما لَمْ تَعْدِ الْأَرْمَادَا الإِسْبَانِيَّةُ أَقْوَى سَلاحٍ بَحْرِيٍّ فِي الْعَالَمِ، وَلَكِنَّا مَا زَلَّنَا نَعْرِفُ كَيْفَ تُلِّبِّسُ الضَّبَاطَ.

لَمْ يَكُنَّ الْأَمِيرَالُ قَدْ ارْتَدَى هَذَا الْزِيَّ مِنْذَ سَنَوَاتٍ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْلَّيْلَةِ مُمِيَّزَة. وَبَيْنَمَا كَانَ يَدْرُعُ شَوَّارِعَ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الْمَجْهُولَةِ مِنْذَ بَرْهَهُ، اسْتَمْتَعَ بِنَظَرَاتِ الْإِسْتِحْسَانِ الَّتِي كَانَتْ النِّسَاءُ يَلْقَيْنَاهَا عَلَيْهِ، وَبِالتَّقْدِيرِ الَّذِي أَوْلَاهُ إِيَّاهُ الرِّجَالِ. الْجَمِيعُ يَحْتَرِمُونَ مِنْ يَعْشُونَ وَقَفًا لِلْفَانُونَ.

سَأَلَتْهُ النَّادِلَةُ الْجَمِيلَةُ بِالإِسْبَانِيَّةِ: "هَلْ تَرْغُبُ فِي كَأسٍ أُخْرَى؟". كَانَتْ فِي الْثَلَاثِينِيَّاتِ مِنْ عُمْرِهَا، مُمَثَّلَةً لِلْجَسْمِ، تَعْلُوُّ وَجْهَهَا ابْسَامَةً لَعُوبَةً.

فهز أفيلا رأسه رافضاً. «كلا، شكرأ».

كان هذا النادي خالياً تماماً، حيث استطاع أفيلا أن يشعر بنظرات الإعجاب في عيني النادلة. من الجميل أن يلفت المرء الأنظار مجدداً. لقد عدت من المهاوية. سيفى الحدث المرقع الذي دمر حياته قبل خمس سنوات متوارياً في أعماق عقله، لحظة مرعبة انشقت فيها الأرض وابتلعته كاملاً. كاتدرائية إشبيلية.

صباح الفصح.

تسللت شمس الأندلس عبر الزجاج الملون، وألقت مشكلاً من الألوان الزاهية على جدران الكاتدرائية الداخلية. وراح الأورغن الأنبوبي يصدر أحانه المرحة في احتفال ديني ضمّآلاف المصليين.

ركع أفيلا أمام درابزين المناولة، وقلبه مليء بالامتنان. وبعد حياة من الخدمة قضتها في البحر، أنعم الله عليه بأعظم النعم؛ بأسرة. ابتسامة عريضة، ثم التفت إلى الخلف لينظر إلى زوجته الشابة ماريا التي كانت لا تزال جالسة على مقعدها، لأنَّ العمل لم يسمح لها باجتياز المسافة الطويلة عبر الممر. وإلى جانبها جلس ابنهما بيبو، البالغ من العمر ثلاَث سنوات، والذي لوح لأبيه بحماسة. غمز أفيلا الصبي، فيما ابتسمت ماريا لزوجها بحنان.

قال أفيلا لنفسه وهو يلتفت مجدداً لقبول الكأس: «الحمد لله».

بعد لحظة من ذلك، هز انفجار عنيف جدران الكاتدرائية العريقة. وفي غمرة عين، التهمت النيران عالمه بأكمله.

أدت قوة الانفجار إلى دفع أفيلا بعنف إلى الأمام، حيث ارتطم جسده بدرابزين المناولة، وسحق بالশظايا والأشلاء البشرية المتطايرة. وحين استعاد وعيه، كان عاجزاً عن التنفس بسبب الدخان الكثيف، ولم يعرف للحظة مكانه أو حقيقة ما جرى. بعد ذلك، ما لبث الصراخ أن طغى على صوت الطنين الذي صمّ أذنيه، فنهض وقد بدأ يدرك بربع المكان الذي يتواجد فيه. شعر أنه في كابوس رهيب، وأخذ يسير في الكاتدرائية التي يعمها الدخان متزحجاً، ومتعرجاً بالضحايا المشوّهين الذين راحوا يثثون ألمًا. حاول بصعوبة الوصول إلى المنطقة التي كانت زوجته وابنه يجلسان فيها قبل لحظات وحسب مُبسمين له.

لم يجد شيئاً هناك.

لا مقاعد، ولا أنس.

مجرد بقايا دامية على الأرض الحجرية المتفحمة.

فجاة، قرع باب المقهى، محطمَا الذكريات المرؤعة. فتناول أفيلا كأسه، وأخذ منها رشفة سريعة؛ في محاولة لينفض عنده ظلام تلك الذكريات، كما اضطرّ أن يفعل مرات عديدة من قبل.

فتح باب المقهى، فالنقت إلى أفيلا، ورأى رجلين ضخمي الجثة يدخلان منه. كانا يغطيان أغنية قاتل إيرلنديه خارج اللحن تماماً، ويرتديان قميصين أحذريين من قمصان كرة القدم لا يغطيان بطنهما. من الواضح أن مباراة هذا المساء قد انتهت لصالح الفريق الإيرلندي الزائر.

قال أفيلا في سره وهو ينهض: سأعتبر هذه إشارة للرحيل. ثم طلب الفاتورة، ولكن النادلة غمزته ولوحت له للانصراف، فشكراها واستدار ليغادر.

فجأة، صاح أحد الواقفين وهو يتحقق إلى زبي أفيلا: "تبأ! ملك إسبانيا هنا!".

ثم انفجر الرجلان ضاحكين وهما يندفعان نحوه.

حاول أفيلا تجاوزهما للرحيل، ولكن الرجل الأضخم أمسك بذراعه وأعاده إلى مقعده وهو يقول: "مهلاً يا صاحب الجلة! لقد قطعنا كلَّ هذه المسافة للمجيء إلى إسبانيا، ولن نغادر قبل أن نتناول كأساً مع الملك!".

رمق أفيلا يد الرجل القذرة على كم بذلك المكوية حديثاً وقال بهدوء: "دعني أذهب، على الرحيل".

كلا، بل عليك البقاء لتناول كأس من الشراب يا صديقي . وشدَّ الرجل قبضته على ذراع أفيلا، بينما بدأ صديقه يكرز بإاصبعه القذرة الميداليات المعلقة على صدر أفيلا. "يبدو أنك بطل كبير يا سيدي". وشدَّ الرجل أحد أثمن شعارات أفيلا.

صولجان من القرون الوسطى؟ إذَا، أنت فارس بدرع براقة؟!. وفهقه ضاحكاً.

عندها، ذكر أفيلا نفسه: كن متساماً. إذ كان قد التقى عدداً لا يُحصى من أمثال هذين الرجلين؛ أشخاصاً بسطاء - أرواحاً باشة - لم يتعملوا مسؤولية شيء قط، لا بل استغلوا بشكل أعمى الحريات التي قاتل آخرون لمنهم إياها.

أجاب أفيلا بلطف: "في الواقع، الصولجان شعار وحدة العمليات الخاصة في البحرية الإسبانية".

"العمليات الخاصة؟!". وتظاهر الرجل بأنه يرتعش خوفاً. "هذا رائع. وماذا عن هذا الرمز؟". ثم أشار إلى يد أفيلا اليمنى.

نظر أفيلا إلى كف يده. ففي الوسط على الجلد الناعم نقش وشم أسود كان عبارة عن رمز يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر.



فَكَرْ أَفِيلَا وَهُوَ يَرْمِقُ الشَّعَارَ : هَذَا الْوَشْمُ يَحْمِنِي ، مَعَ أَنِّي لَمْ أَعْدْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ .
وَأَخِيرًا ، تَرَكَ الرَّجُلُ ذَرَاعَ أَفِيلَا قَائِلًا : "اَنْسَ الْأَمْرَ . وَحَوَّلَ اِنْتِبَاهَهُ إِلَى النَّادِلَةِ : "أَنْتَ
جَمِيلَةٌ ، هَلْ أَنْتَ إِسْبَانِيَّةً مَائِنَةً بِالْمَائَنَةِ؟".

أَجَابَتْ بِلَبَاقَةٍ : "أَجَلْ".

"أَلَيْسَ فِيكَ شَيْءٌ إِبْرَلَنْدِي؟".
كَلَّا".

"أَتَرِيدِينَ الْقَلِيلَ؟". ثُمَّ انْفَجَرَ الرَّجُلُ ضَاحِكًا بِهِسْتِيرِيَّةٍ وَهُوَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْبَارِ .
فَأَمْرَهُ أَفِيلَا : "دَعُهَا وَشَانِهَا".

عِنْدَهَا ، اسْتَدَارَ الرَّجُلُ وَحْدَتَ إِلَيْهِ .

فِيمَا وَكَزَ الْهَمْجِيُّ الْآخَرُ صَدَرَ أَفِيلَا بِقُوَّةٍ قَائِلًا لَهُ : "هَلْ تَحَاوِلُ أَنْ تُمْلِيَ عَلَيْنَا مَا
يَجْبُ عَلَيْنَا فَعْلَهُ؟".

أَخَذَ أَفِيلَا نَفْسًا عَمِيقًا وَقَدْ شَعَرَ بِالتَّعْبِ بَعْدِ رَحْلَةِ هَذَا الْيَوْمِ الطَّوِيلَةِ ، ثُمَّ أَشَارَ نَحْوَ
الْبَارِ قَائِلًا : "تَفضَّلَا بِالْجُلوْسِ أَيُّهَا السَّيْدَانُ ، سَأَقْدَمُ لِكُمَا الشَّرَابَ".

فَكَرَّتِ النَّادِلَةِ فِي سَرَّهَا : أَنَا سَعِيْدَةٌ بِبَقَائِهِ . فَرَغَمَ أَنَّهَا قَادِرَةٌ عَلَى الْعُنَيْدَةِ بِنَفْسِهَا ، إِلَّا
أَنَّ الْهَدْوَهُ الَّذِي تَعَامَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْيَرَالُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ جَعَلَهَا تَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْضَّعْفِ ،
وَتَمَنَّتْ أَنْ يَبْقَى حَتَّى وَقْتِ الْإِقْفَالِ .

طَلَبَ الْأَمْيَرَالُ كَاسِيْنِ مِنَ الشَّرَابِ وَكَأسًا مِنَ الْمَيَاهِ الْمُنْشَطَةِ لَهُ ، ثُمَّ عَادَ لِلْجُلوْسِ
عَلَى مَقْعِدِهِ . أَمَّا هَاوِيَا كَرْهَةِ الْهَمْجِيَّانِ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِيهِ .

قَالَ أَحَدُهُمَا : "مَيَاهٌ مُنْشَطَةٌ ! ظَنَنَتْ أَنَّنَا سَنَتَنَاؤُلُ الشَّرَابَ مَعًا".

فَابْتَسَمَ الْأَمْيَرَالُ لِلنَّادِلَةِ ابْسَامَةً مُتَعَبَّةً وَأَنْهَى مَا فِي كَاسِهِ .

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَقْفُ : "أَخْشَى أَنْ لَدِيَ مُوْعَدًا . وَلَكِنَّ ، اسْتَمْتَعَا بِشَرَابِكُمَا".

وَبَيْنَمَا كَانَ يَنْهَضُ ، وَضَعَ الرَّجُلَيْنِ يَدِيهِمَا عَلَى كَتْفِيهِ وَكَأْنَهُمَا تَرَبَّا عَلَى ذَلِكَ ،
وَدَفَعَاهُمَا لِلْجُلوْسِ مَجَدِدًا ، فَوَمَضَتْ شَرَارةُ غَضْبِ فِي عَيْنِيهِ ثُمَّ اخْتَفَتْ .

"اسْمَعْ يَا جَدَّيِ ، لَا أَظْنَ أَنَّكَ تَوَدَّ أَنْ تَنْتَرِكَنَا بِمَفْرَدَنَا هَنَا مَعَ صَدِيقَكَ". ثُمَّ نَظَرَ
الرَّجُلُ إِلَى النَّادِلَةِ وَقَامَ بِحَرْكَةٍ مُثِيرَةٍ لِلَاشْمِنْزَارِ .

جَلَسَ الْأَمْيَرَالُ بِصَمْتٍ لِلْعَيْنَيْنِ طَوِيلَةً ، ثُمَّ مَذَّيَّدَهُ إِلَى سَرْتَهِ .

فَأَمْسَكَ بِهِ الرَّجُلَانِ . "مَهَلَّا ! مَاذَا تَفْعَلُ؟!".

وَبِبَطْءٍ شَدِيدٍ ، أَخْرَجَ الْأَمْيَرَالُ هَاتِقًا خَلْوِيًّا وَقَالَ شَيْئًا مَا لِلرَّجُلَيْنِ بِالْإِسْبَانِيَّةِ ، وَحِينَ
حَدَّقَ إِلَيْهِ مِنْ دُونِ أَنْ يَفْهَمَا ، اتَّنَقَلَ إِلَى الإِنْكَلِيزِيَّةِ . "أَنَا آسَفُ ، لَكُنِّي أَوْدَ الاتِّصَالِ
بِزَوْجِتِي لِأَخْبَرُهَا أَنِّي سَأَتَّخَرُ . يَبْدُو أَنِّي باقٍ هُنَا لِبَعْضِ الْوَقْتِ".

قال الأضخم بينهما: "الآن بدأت تتكلّم بشيء صائب يا صديقي!". ثم تناول شرابه كله، ووضع الكأس على البار بقوّة. "أريد كأساً أخرى". وبينما كانت النادلة تملأ الكاسين، راقت الأميرال عبر المرأة وهو يضغط على عدد من الأزرار في هاتفه، ثم يرفعه إلى أذنه. وراح يتحدث بإسبانية سريعة.

قال الأميرال وهو يقرأ اسم المقهى وعنوانه المكتوبين على حاملة الكوب أمامه: "أنا أتصل بكم من مقهى مولي مالونيه، شارع باريكلوار دي إسترونزا، 8". انتظر لحظة ثم تابع قائلاً: "حن بحاجة إلى مساعدة عاجلة. فمّا مصابان هنا". وبعد ذلك أنهى الاتصال.

تسارع نبض النادلة. مصابان؟

و قبل أن تتمكن من استيعاب معنى كلامه، استدار الأميرال إلى يمينه، ولكن أنف الرجل الأضخم بمرفقه محظماً إياها، فغطّت الدماء وجه الرجل وسقط أرضاً. و قبل أن يتمكّن الثاني من التحرّك، استدار الأميرال إلى يساره هذه المرة ولكن بکوعه قصبة الرجل الهوائية وأسقطه عن مقعده.

حدقت النادلة إلى الرجلين الممددين أرضاً بذهول. كان أحدهما يصرخ ألمًا، فيما الآخر يشّهق وهو يمسك بحلقه.

وقف الضابط ببطء. وبهدوء غريب، أخرج محفظته ووضع ورقة نقدية بقيمة مائة يورو على البار.

وقال لها بالإسبانية: "أنا اعتذر. ستصل الشرطة قريباً لمساعدتك". ثم استدار ورحل.

في الخارج، تشقّ الأميرال أفيلا هواء الليل، ثم سلك شارع ألاميда دي مازاريديو باتجاه النهر. وحين اقترب صوت صفارات سيارات الشرطة، اختبأ في الظلّ ليسمح للسلطات بالمرور. فلديه أعمال خطيرة، ولا يمكنه تحمل المزيد من التعقيدات هذه الليلة.

لقد حدّد الوصي بوضوح مهمّة الليلة.

كان أفيلا يشعر بالارتياح والسكينة عند تلقّيه الأوامر من الوصي. إذ لن يتوجّب عليه اتخاذ قرارات أو الإحساس بالذنب، بل عليه التنفيذ وحسب. وبعد حياة مهنية أمضها في إعطاء الأوامر، كان من المريح أن يتخلّى عن زمام القيادة ويدع الآخرين يقودون هذه السفينة.

في هذه الحرب، أنا جندي مشاة.

قبل بضعة أيام، أطلعه الوصي على سرّ مقلق جداً، حيث لم يجد أي خيار أمامه سوى عرض كامل خدماته لأجل هذه القضية. ومع أنّ الوحشية التي اتسمت بها مهمّة الليلة الفاتحة ما زالت تطارده، إلا أنه كان واثقاً أنّ أعماله ستفتّر.

للاستقامة أشكال كثيرة.

وهذه الليلة ستشهد المزيد من الموت قبل أن تقتضي.

عندما خرج أفيلا إلى ساحة مفتوحة على ضفة النهر، نظر إلى البناء الضخم أمامه. كان عبارة عن فوضى من الأشكال المتموجة السخيفية المكسوّة بال بلاط المعدنى، كما لو أن ألفي عام من التقدّم المعماري قد ألقى في البحر واستُعيَّض عنها بالجنون المحسّ.

ثمة من يسمون هذا متحفًا، أما أنا فاسميه قبحًا.

أعاد أفيلا تركيزه إلى مهمته. فعبر الساحة، وشق طريقه عبر سلسلة من المنحوتات الغريبة خارج متحف غوغنهايم في بيلباو. ومع اقترابه من المبنى، رأى عشرات الزوار الذين يتواذبون بملابسهم البيضاء والسوداء.

لقد اجتمعوا الجماهير الملحدة.

لكن الليلة لن تجري كما يشتهون.

سوى قبّعته وستريته، وشجّع نفسه ذهنياً للقيام بالمهمة التي تنتظره. كانت الليلة جزءاً من مهمة أعظم بكثير؛ حملة صليبية من البر.

وبينما كان أفيلا يعبر الباحة متّجهًا إلى مدخل المتحف، لامس المسبحة في

جيّبه.

الفصل 3

بدا داخل المتحف أشبه بكاتدرائية مستقبلية.

عندما دخل لانغدون، تحول بصره فوراً نحو الأعلى، على طول مجموعة من الأعمدة الضخمة، ومروراً بستارة من الزجاج شاهقة الارتفاع، ترتفع مسافة مائتي قدم وصولاً إلى سقف مقبب شاعت منه الأنوار من مصابيح الهالوجين بضوء أبيض نقى. كانت هناك شبكة من الممرات والشرفات التي بدت كما لو أنها معلقة في الهواء، والتي انتشر عليها زوار بالملابس السوداء والبيضاء، وراحوا يتنقلون بين صالات العرض العليا، ويقرون أمام النوافذ المرتفعة لتأمل النهر الممتد في الأسفل. وفي الجوار، انزلق مصعد رجالي بصمت على طول الجدار وهو يهبط عائداً إلى الأسفل ليقلل المزيد من الزوار.

كان هذا المتحف مختلفاً عن كلِّ المتاحف التي رأها لانغدون. حتى إنَّ الأصوات فيه بدت غريبة. فعوضاً عن الهمس الخفي التقليدي الناتج عن استخدام وسائل كامنة للصوت، كان هذا البناء ينبعص بصدى الأصوات التي ترشح من الحجر والزجاج. بالنسبة إليه، كان طعم المعقم على الجزء الخلفي من لسانه هو الشيء الوحيد المألوف. فقد كان هواء المتحف نفسه في كلِّ أنحاء العالم؛ إذ تتمَّ فلترته بدقة من جميع

الجسيمات والمؤكسدات، ومن ثم ترطيبه بالماء المؤين بدرجة رطوبة تبلغ 45 بالمائة. تتقدَّل لانغدون عبر سلسلة من النقاط الأمنية المشددة، ولاحظ وجود عدد من الحراس المسلحين. أخيراً، وجد نفسه أمام طاولة أخرى لتسجيل الدخول. وهناك، قدَّمت له امرأة شابة سماحة أذنين قائلة بالإسبانية: "هل ترغب بالدليل الصوتي؟"

فابتسم لانغدون مجيباً: "كلا، شكرًا."

لكن، مع اقترابه من الطاولة، استوقفته المرأة وتكلَّمت معه بإإنكليزية ممتازة: "أنا آسفة يا سيدي، لكنَّ مضيفنا هذه الليلة، السيد إيموند كيرش، طلب من الجميع وضع السماحات. إنَّها جزء من تجربة هذا المساء".

"آه بالطبع. إذَا، سأخذها."

ومذ يده لأخذ سماحة، ولكنَّها منعته بحركة من يدها، قبل أن تتحقق من اسمه المكتوب على البطاقة، وتبثُّ عنه في قائمة طويلة تضم أسماء المدعَّين. وعندما

وُجِدَتْ أَسْمَهُ، أَعْطَيْتُهُ سَمَاعَةً يَنْتَسِبُ رَقْمَهَا مَعَ اسْمِهِ وَقَالَتْ: "جُولَاتُ هَذِهِ الْلَّيْلَةِ مُصَمَّمَةٌ لِكُلِّ زائِرٍ عَلَى حَدَّهُ".

عَنْهَا، نَظَرَ لِانْغُدُونَ حَوْلَهُ مُتَسَائِلًا فِي سَرَّهُ: حَقًّا؟ لَكِنْ ثُمَّةَ مَئَاتِ الزُّوَّارِ. رَمَقَ السَّمَاعَةُ الَّتِي كَانَتْ عَبَارَةً عَنْ مَجْرَدِ حَلْقَةِ مَعْدِنِيَّةٍ يَنْتَهِيُ كُلُّ مِنْ طَرْفِيهَا بِسَمَاعَةٍ صَغِيرَةٍ. وَرِبَّما لَدِيِّ رَؤْيَاَتِهَا أَمَارَاتِ الْحِيرَةِ عَلَى وَجْهِهِ، نَهَضَتِ الْمَرْأَةُ وَاقْرَبَتِ مِنْهُ لِتُقْدِيمِ الْعُونَ لَهُ.

وَقَالَتْ وَهِيَ تَسْاعِدُهُ فِي وَضْعِ الْجَهازِ: "إِنَّهَا جَدِيدَةٌ تَامًا. فَالسَّمَاعَةُ النَّاقِلَةُ لِلإِشَارَةِ لَا تَدْخُلُ الأَذْنَ، بَلْ تَبْقَى عَلَى الْوِجْهِ". ثُمَّ وَضَعَتِ الْحَلْقَةُ خَلْفَ رَأْسِهِ، وَبَثَّتِ السَّمَاعَتَيْنِ حِيثُ اسْتَرَاحَتَا بِلْطَافٍ عَلَى وَجْهِهِ، فَوْقَ عَظْمِ الْفَكِ تَامًا وَعَنْتَ الصَّدْغِ. "لَكُنْ، كَيْفَ؟"

"إِنَّهَا تِكْنُولُوْجِيَا التَّوْصِيلِ الْعَظِيمِيِّ. إِذْ تَقْوِمُ السَّمَاعَةُ النَّاقِلَةُ لِلإِشَارَةِ بِتَوجِيهِ الصَّوْتِ مُبَاشِرَةً إِلَى دَاخْلِ عَظَامِ الْفَكِ، مُتَّيَّحَةً لِهِ الْوَصْوُلُ إِلَى قَوْقَعَةِ الأَذْنِ مُبَاشِرَةً. لَقَدْ جَرَيَّتِهَا مِنْذِ بَرْهَةٍ، وَهِيَ مَذْهَلَةٌ حَقًّا؛ إِذْ يَبْدُو الصَّوْتُ كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَصْدُرُ مِنْ دَاخْلِ رَأْسِكِ. وَالْأَهْمَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَذْنَيْنِ تَبْقِيَانَ مَكْشُوفَيْنِ؛ مَا يُتَبَيَّنُ لَهُمَا سَمَاعُ الْأَحَادِيثِ الْخَارِجِيَّةِ".

"كَمْ هَذَا ذَكِيرًا!".

"السَّيِّدُ كِيرِشُ هُوَ مَنْ اخْتَرَ هَذِهِ التِّكْنُولُوْجِيَا مِنْذَ أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَ سَنَوَاتٍ. وَهِيَ الْآنُ مُتَوْفَّةٌ فِي الْعِدِيدِ مِنِ الْعَلَمَاتِ الْتَّجَارِيَّةِ لِلْسَّمَاعَاتِ".

عَنْهَا، فَكَرِّرَ لِانْغُدُونَ فِي سَرَّهُ: "أَنْتَنِي لَوْنَالْ لُورِفِينْ فَانْ بِيَتْهُوفِنْ حَصْنَتِهِ مِنَ الْتَّقْدِيرِ. إِذْ كَانَ وَاثِقًا أَنَّ الْمُخْتَرِعَ الْأَصْلِيَّ لِتِكْنُولُوْجِيَا التَّوْصِيلِ الْعَظِيمِيِّ هُذِهِ كَانَ ذَلِكَ الْمُوسِيقَارُ الَّذِي عَاشَ فِي الْقَرْنِ الْثَّامِنِ عَشَرَ. فَقَدْ اكْتَشَفَ بِيَتْهُوفِنْ عِنْدَمَا أَصْبَبَ بِالصَّمْمِ أَنَّهُ بِاسْتِطَاعَتِهِ وَضَعَ عُودَ مَعْدِنِيَّ عَلَى الْبَيَانُوِّ وَالْعَضَّ عَلَيْهِ خَلَالِ الْعِزْفِ؛ الْأَمْرُ الَّذِي مَكَّنَهُ مِنْ السَّمَاعِ تَامًا مِنْ خَلَالِ الْاَهْتِزَازَاتِ فِي عَظْمِ الْفَكِ".

قَالَتِ الْمَرْأَةُ: "نَتَمَّنِي أَنْ تَسْتَمْتَعَ بِجُولَتِكِ. لَدِيكِ سَاعَةٌ لِاِسْتِكْشَافِ الْمَتْحَفِ قَبْلِ موْعِدِ الْعَرْضِ، وَسِيَقُومُ الدَّلِيلُ الصَّوْتِيُّ بِإِبْلَاغِكِ عِنْدَمَا يَحْيَنْ وَقْتُ الصَّعُودِ إِلَى قَاعَةِ الْمَحَاضِرَاتِ".

"شَكْرًا لَكِ. هَلْ أَحْتَاجُ إِلَى الضَّغْطِ عَلَى أَيِّـ؟"

"كَلَّا، فَالْجَهازُ ذَاتِيُّ التَّشْيِطِ. سَبَّابًا جُولَتِكِ الإِرْشَادِيَّةُ مَا إِنْ تَبْدِأَ بِالسَّيِّرِ فَقَالَ لِانْغُدُونَ مُبِتَسِّمًا: "آه، بِالْطَّبْعِ". ثُمَّ عَبَرَ الْقَاعَةَ مُتَنَقْلًا بَيْنَ عَدْدِ مِنِ الزُّوَّارِ الَّذِينَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ الْمَصَادِعَ وَيَضْعُونَ سَمَاعَاتٍ مَشَابِهَةٍ لِلَّذِكَ الَّتِي يَضْعُهَا. كَانَ فِي مَنْتَصِفِ الْقَاعَةِ تَقْرِيبًا عِنْدَمَا تَرَدَّ صَوْتُ رَجُلٍ فِي رَأْسِهِ، "مَسَاءُ الْخَيْرِ، وَاهْلًا بِكِمْ فِي مَتْحَفِ غُوغَنْهَايِمْ فِي بِيَلِبَاوِي".

عرف لانغدون أن الصوت صادر من السماعة، ولكنه مع ذلك تسرّ في مكانه وأخذ ينظر خلفه. كان الأثر الذي تركه الصوت مريكاً تماماً كما وصفته الشابة، كما لو أن

هناك شخصاً ما في رأسه.

"أرحب بك بحرارة، بروفيسور لانغدون". كان الصوت ودياً وخيفاً، مع لهجة بريطانية مرحة. "اسمي وينستون، ويشرفني أن أكون دليلاً لك لهذا المساء". من قام بالتسجيل؟ فهو هيرو غرانت؟

تابع الصوت المرح: "هذه الليلة، يمكنك التجول على هواك أينما شئت، وسأحاول توفيرك قدر الإمكان حيال ما تراه".

على ما يبدو، بالإضافة إلى الدليل المرح، والتسجيلات الشخصية، وتكنولوجيا التوصيل العصري، كانت كلّ سمعة مجهزة بنظام تحديد المواقع لمعرفة المكان الذي يقف فيه الزائر بدقة في المتحف، وإعطائه التعليق المناسب.

أضاف الصوت: "أنا أدرك يا سيدي، أنه بصفتك أستاداً في مجال الفنون، فأنت أحد ضيوفنا الأكثر اطلاعاً، وقد لا تحتاج إلى تدخل كبير من قبلي. والأسوأ أنك قد تختلف تماماً مع تحليلي لبعض التحف الفنية!". ثم صدرت عن الصوت ضحكة غريبة.

حقاً! من كتب هذا النص؟ كانت النبرة المرحة والخدمة الشخصية لمسة ساحرة بلا أدنى شكّ، لكن لانغدون لم يستطع أن يتصور مقدار الجهد الذي احتاج إليه تخصيص المئات من سماعات الرأس.

لحسن الحظ، صمت الصوت الآن، كما لو أنه استفاد حوار الترحيب المبرمج. نظر لانغدون إلى لافتة حمراء ضخمة أخرى معلقة فوق الحشد.

إيموند كيرش الليلة سنسير قُدماً

ما الذي ينوي إيموند إعلانه يا ترى؟

حول لانغدون نظره إلى المصعد الذي تجمع أمامه حشد صغير من الزوار، بمن فيهم مؤسس شهيران لشركة إنترنэт عالميّتين، وممثل هندي بارز، وشخصيات معروفة أخرى. شعر لانغدون أنه يعرف أولئك الأشخاص، ولكنه لم يستطع أن يتذكر الأسماء. لم يشعر لانغدون بالرغبة ولا بالاستعداد لبدء حديث قصير حول مواضيع وسائل التواصل الاجتماعي ويوتيوب. لذا، ذهب بالاتجاه المعاكس، وانحرف باتجاه تحفة كبيرة الحجم من تحف الفن الحديث عند الجدار المقابل.

كانت التحفة موضوعة في زاوية مظلمة، وتتكون من تسعة أحزمة ناقلة ضيقة تنطلق من شقوق في الأرض وتمتد إلى الأعلى، لتخفي في شقوق في السقف. كانت تشبه تسعة ممرات متحركة تمتد على سطح عمودي. وكل حزام فيها يحمل رسالة مضيئة تتحرك نحو الأعلى.

أصلي بصوت عالٍ... أشم رائحتك على بشرتي... ألفظ اسمك.

لكن، مع اقتراب لأنغدون منها، أدرك أنّ الأحزمة المتحركة كانت في الواقع ثابتة. وكانت خدعة الحركة ناتجة عن طبقة من مصابيح LED الصغيرة المنتشرة على كل عارضة عمودية. كانت المصابيح تضيء بتعاقب سريع لتشكّل كلمات تظهر من الأرض، وتندفع على طول العارضة لتخفي في السقف.

إنني أبكي بشدة... كان ثمة دماء... لم يخبرني أحد.

مشى لأنغدون حول العارضات العمودية لرؤية التحفة ككل، فعاد الدليل الصوتي ليعلن فجأة: "هذه التحفة صعبة الصنع تسمى جهاز من أجل بيلباو، وهي من تصميم الفنانة المفاهيمية جيني هولزر. تتالف هذه التحفة من تسعة لافتات LED، كل منها بطول أربعين قدمًا، تبيّث مقاييس بلغات الباسك، والإسبانية، والإنكليزية، وكلها ترتبط بقطائع الأيدز والألم الذي يخلفه هذا المرض".

كان لا بد لأنغدون من الاعتراف أن العمل مؤثر، لا بل مفعع إلى حد ما.
"هل سبق لك أن رأيت أعمالاً لجيني هولزر من قبل؟".

شعر لأنغدون أن النص المندفع نحو الأعلى قد خدره تماماً.

أدفن رأسي... أدفن رأسك... أدفك.

سأله الصوت في رأسه: "سيد لأنغدون، هل تسمعني؟ هل السمعة تعمل؟".
انزع الصوت لأنغدون من أفكاره، فقال: "أنا آسف. ماذا؟ مرحباً؟".

أجاب الصوت: "نعم، أهلاً. أعتقد أنه سبق لنا أن تبادلنا التحيّة، أليس كذلك؟ كنت أتأكد وحسب من أنك تسمعني".

فتمتم لأنغدون وهو يستدير باتجاه معاكس للتحفة، وينظر إلى أرجاء القاعة.
"أنا... أنا آسف. ظننت أنك تسجيل مسبق! لم أكن أعرف أنّ معي شخصاً حقيقياً."

تحيّل لأنفسهن مزرعة من الحجارات التي يجلس فيها جيش من أمناء المتحف مسلحين بسماعات للرأس وكاتالوجات عن المتحف.

"لا بأس يا سيدي. سأكون دليلك الشخصي هذا المساء. وسماحتك مجهزة بمكّبّر للصوت أيضاً. فهذا البرنامج مصمّم ليكون تجربة تفاعلية يمكننا أن نتّحاور فيها أنا وأنت حول الفنَّ."

وفي تلك اللحظة، لاحظ لأنفسهن أنَّ الزوار الآخرين يتحمّلون أيضاً عبر سماعاتهم. حتَّى إن أولئك الذين أتوا معاً انفصلوا قليلاً عن بعضهم، وراحوا يتبدّلون بنظارات الدهشة، وكلّ منهم يواصل حديثه على انفراد مع دليله الشخصي.

"هل كلّ ضيف هنا لديه دليل شخصي؟".

"أجل سيدي. فنحن الليلة نقوم بمرافقة ثلثة عشر ضيفاً، كلَّ على حدةَ".

"هذا لا يصدق!".

كما تعلم، إيموند كيرش يُعشق الفنَّ والتكنولوجيا. وقد صمّم هذا النّظام خصيّصاً للمتحف؛ على أمل أن يحل محلّ الجولات الجماعية التي يكرهها. وهكذا، يستطيع كلّ زائر الاستمتاع بجولة خاصة، والتنقّل براحته، وطرح الأسئلة التي قد يشعر بالحرج من طرحها في مجموعة. إنه حقاً أكثر حميمية وعمقاً".

"لا أود أن أبدو قديم الطراز، لكن لماذا لا ترافقون كلاً منا شخصياً؟".

"الأسباب لوجستية. إذ إن إضافة مرافقيْن شخصيَّين إلى الحدث المنظم في المتحف سيضاعف عدد الحاضرين، وسيؤدي إلى خفض عدد الزوار المحتملين إلى النصف. هذا ناهيك عن الصخب الذي سينتَج عند تحدي كلّ المرافقيْن في الوقت نفسه. الهدف من هذا النّظام هو جعل النقاش تجربة في غاية السلاسة؛ فالسيد كيرش يقول دائماً إنَّ تعزيز الحوار من أهداف الفنَّ".

أجاب لأنفسهن: "أنا أتفقُ معك تماماً. ولهذا السبب، غالباً ما يزور الناس المتحف مع صديق. الأمر الذي يجعل هذه السّماعات غير اجتماعية إلى حدَّ ما".

أجاب البريطاني: "حسناً، إن أتيت برفقة أصدقاء، فمن الممكن تحويل السّماعات إلى دليل واحد، والاستمتاع بمناقشة جماعية. فالبرنامج متقدّم حقاً".
"يبدو أنَّ لديك جواباً عن كلَّ سؤال".

"في الواقع، هذه وظيفتي. وضحك الدليل مُحرجاً، ثمَّ غير الحديث فجأة. "والآن بروفيسور، إن انتقلت باتجاه النوافذ فسترى أكبر لوحة في المتحف".

وعلى الفور، بدأ لأنفسهن يسير عبر القاعة، متّجاوزاً زوجين في العقد الثالث من

عمرهما يعتمران قبئي ب AISBOL بىضاوين متاسقين. وقد زُينت مقدمة كلٌ من القبعتين
ليس برمز شركة بل برمز أثار استغرابه.



كان رمزاً يعرفه لأنغدون جيداً، ولكنه لم يره على قبعة من قبل فقط. ففي السنوات الأخيرة، أصبح هذا الحرف المخطط باتفاقية رمزاً عالمياً لإحدى الجماعات الأسرع نمواً وازدهاراً على سطح الأرض، جماعة الملحدين الذين بدأ صوتهم يعلو بقوة أكبر كل يوم ضد ما اعتبروه مخاطر المعتقد الديني.

هل أصبحت للملحدين قبعات AISBOL خاصة بهم؟

وبينما كان لأنغدون يرافق مجموعة عباقرة التكنولوجيا وهم يتلقون حوله، ذكر نفسه بأن الكثير من هذه العقول التحليلية الشابة معادية جداً للدين على الأرجح؛ تماماً مثل إدموند. لم يكن جمهور هذه الليلة مناسباً تماماً لأستاذ في علم الرموز الدينية.

الفصل 4

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

تحديث: يمكن الاطلاع على "أفضل 10 قصص إعلامية لهذا اليوم" على موقع [ConspiracyNet.com](#) هنا. وربنا للتو أيضاً خبر جديد!

إعلان إدموند كيرش المفاجئ؟

توفد عاملة التكنولوجيا إلى بيلباو بإسبانيا هذا المساء لحضور حدث يضم كبار الشخصيات. وقد استضاف هذا الحدث العالم المستقبلي إدموند كيرش في متحف غوغنهايم. التدابير الأمنية مشددة للغاية، ولم يتم إخبار الضيوف بالهدف من هذا الحدث، غير أن موقعنا تلقى معلومة من مصدر مقرب تشير إلى أن إدموند كيرش سيتحدث بعد قليل، وينوي مفاجأة ضيوفه بإعلان علمي كبير. سيتابع موقع [ConspiracyNet](#) تزويدهم بأخر مستجدات هذا الخبر فور ورودها.

الفصل 5

يقع أكبر كنيس في أوروبا في بودابست، في شارع دوهانى. وقد بُنى الكنيس على الطراز المغربي، وهو يمتاز ببرجين توأمين ضخمين. تضم قاعته الرئيسة مقاعد تتسع لأكثر من ثلاثة آلاف مصلٍ، ومنها مقاعد في الطابق السفلي للرجال ومقاعد على الشرفات للنساء. أما الحديقة في الخارج فتحتوي على مدفن جماعي يضم المئات من جثث اليهود المجريين الذين ماتوا خلال أهوال الاحتلال النازي. ويتميز الموقع بشجرة حياة هي عبارة عن منحوتة معدنية لشجرة صفصاف باك، نقش على كل ورقة من أوراقها اسم أحد الصهاينة. وعندما يهب النسيم، يصدر عن الأوراق المعدنية حفيظ يتبعه صدى مخيف.

على مدى أكثر من ثلاثة عقود، ظلَّ الزعيم الروحي للكنيس الكبير، الباحث التلمودي البارز والقبالي الحاخام يهودا كوفيس - على الرغم من تقدمه في السن، وسوء حالته الصحية - عضواً ناشطاً في المجتمع اليهودي في المجر وحول العالم على السواء.

حين مالت الشمس إلى المغيب فوق نهر الدانوب، خرج الحاخام من الكنيس، وشقَّ طريقه من أمام محلات شارع دوهانى ومقاهيه الغامضة متوجهاً إلى منزله في ساحة مارسيوس 15، الواقع على مسافة قصيرة من جسر إليزابيث الذي يربط بين مدينة بودا وبست القديمتين، واللتين توحدتا رسمياً عام 1873.

كانت عطلة عيد الفصح تقترب بسرعة، وهي في العادة من أسعد الأوقات في السنة بالنسبة إلى كوفيس. ولكن، منذ عودته في الأسبوع الماضي من برلمان ألمانيا العالم، والقلق يقضى مضجعه. ليتني لم أذهب على الإطلاق.

فالاجتماع غير العادي مع الأسقف فالديسيبيون، والعلامة سيد الفضل، والمستقبلي إنموند كيرش شغل بال كوفيس لثلاثة أيام كاملة.

ما إن وصل كوفيس إلى منزله الآن حتى ذهب مباشرة إلى حديقة باحته، وفتح باب الهازيكيو الخاص به، والذي كان عبارة عن كوخ صغير يؤدي دوز محرابه ومكتبه.

كان الكوخ عبارة عن غرفة واحدة فيها رفوف عالية راحت تئن تحت ثقل المجلدات الدينية. ذهب كوفيس للجلس خلف طاولة مكتبه، ونظر عابساً إلى الفوضى التي تعمّه.

لو رأى أحد مكتبي هذا الأسبوع، لظنّ أثني فقدت عقلي.

انتشرت على سطح المكتب نصف دزينة من الكتب الدينية الغامضة المفتوحة والمليئة باللاحظات المكتوبة على أوراق لاصقة. خلفها، أُسِّيَّت ثلاثة مجلدات ثقيلة على دعائم خشبية - التوراة بالعبرية، والآرامية، والإنكليزية - وكلّها مفتوحة على السفر نفسه.

سفر التكوين.

في البداية ...

بالطبع، يعرف كوفيس سفر التكوين باللغات الثلاث عن ظهر قلب، ومن الطبيعي أكثر أن يراه المرء وهو يقرأ تعليقاً أكاديمياً حول الزوهار أو نظرية كونية قبالية متقدمة. أما أن يقوم عالم بمثل مركزه بدراسة سفر التكوين، فهذا أشبه بعودة أينشتاين إلى دراسة الحساب في المدرسة الابتدائية. ومع ذلك، هذا ما كان الحاخام يفعله طوال هذا الأسبوع، بينما اجتاح سيل من اللاحظات المكتوبة بخطّ اليد المفكرة الموضوعة على مكتبه، والتي بدت فوضوية جدّاً، حيث بالكاد استطاع فهمها هو نفسه.

يبدو أثني أصحاب بالجنون.

كان الحاخام كوفيس قد بدأ بالتوراة، فقرأ قصة الخلق المشتركة لدى اليهود والسيحيين على حد سواء. في البداية، خلق الله السماء والأرض. ثم انقلب إلى النصوص التعليمية للتلمود، وأعاد قراءة التوضيحات الحاخامية حول فصل الخلق (Ma'aseh Bereshit). غاص بعد ذلك في المدراش، وتأمل في تعليقات مختلف المفسّرين المؤقرّين الذين حاولوا شرح التناقضات الظاهريّة في قصة الخلق التقليدية. وأخيراً، دفن كوفيس نفسه في العلم القبالي الباطني للزوهار.

لطالما كان للتعقيد الغامض للمعتقدات المكونة لليهودية أثر مرير على كوفيس. فقد اعتبره تذكيراً من الله بأنّ الجنس البشري لا ينبغي أن يفهم كلّ شيء بالضرورة. ومع ذلك، بعدها شاهد العرض الذي قدمه إدموند كيرش، وتأمل في بساطة ووضوح ما اكتشفه، شعر أنه أمضى الأيام الثلاثة الأخيرة وهو يحقق إلى مجموعة من التناقضات التي عفا عليها الزمن. وفي لحظة من اللحظات، لم يجد بيده حيلة سوى دفع نصوصه القيمة جانبًا والخروج في نزهة على ضفة الدانوب لاستجماع أفكاره.

وأخيراً، بدأ الحاخام كوفيس يتقبل الحقيقة المؤلمة: ستكون لعمل كيرش بالفعل انعكاسات مدمرة على نفوس المؤمنين في هذا العالم. فاكتشاف ذلك العالم يتعارض

بشكل واضح مع كل العقائد الدينية الراسخة، وذلك بطريقة بسيطة ومقنعة على نحو مخفف.

لا يمكنني أن أنسى تلك الصورة الأخيرة. فكر في ذلك في سره وهو يذكر الخاتمة المحزنة للعرض الذي قدمه كيرش وشاهدو على شاشة هانقه الكبير. سيؤثر هذا الخبر في كل الناس، وليس في المتدربين منهم وحسب.

والآن، على الرغم من تأملاته خلال الأيام القليلة الماضية، ما زال يجعل ما يجري به فعله بالمعلومات التي قدمها كيرش.

من جهة أخرى، شك في أن يكون فالديسبيونو وسيد الفضل قد توصلوا إلى شيء مما أيضاً فقد تواصل الثلاثة عبر الهاتف قبل يومين، لكن الحديث لم يكن مثراً.

قال فالديسبيونو: "من المؤكد أن عرض السيد كيرش كان مزعجاً يا صديقي..."

وذلك على عدة مستويات. ومع أنني حثته على التواصل معه لمناقشته أكثر، إلا أنه لم يفعل ذلك. والآن، أعتقد أن لدينا قراراً علينا اتخاذاه".

قال الفضل: "لقد اتخذت قراري. فنحن لا يمكننا أن نجلس مكتوفي الأيدي، بل علينا أن نسيطر على هذا الوضع. فكيرش لا يخفى ازدراءه للدين، وسيقدم اكتشافه بطريقة تخلف أكبر ضرر ممكן على الإيمان مستقبلاً. لذا، علينا أن نستبق ذلك. يجب أن نعلن عن اكتشافه بأنفسنا، وعلى الفور. علينا تقديميه بالشكل المناسب للتخفيف من أثره وخطورته على المؤمنين في العالم الروحي قدر الإمكان".

قال فالديسبيونو: "أدرك أننا ناقشنا موضوع النشر، لكن لسوء الحظ، لا أستطيع أن أتخيل طريقة مناسبة لتقديم هذه المعلومات بشكل غير خطر". ثم تنهى وأضاف: "هذا من دون أن ننسى أيضاً مسألة الوعد الذي قطعناه للسيد كيرش بالحفاظ على سرية اكتشافه".

قال الفضل: "هذا صحيح، وأنا أيضاً متردد حيال النكث بذلك الوعد، ولكنني أشعر بأننا يجب أن نختار الأهون بين الشرين، وأن نفكّر في الصالح العام. فجميعنا مهددون، المسلمين واليهود والمسيحيون والهندوس على السواء. وبما أن بياناتنا تتلقى جميعها على الحقائق الأساسية التي ينوي السيد كيرش تقويضها، فمن واجبنا تقديم هذه المعلومة بطريقة لا تؤذى مجتمعاتنا".

قال فالديسبيونو: "أخشى ألا نستفيد من ذلك على الإطلاق. فإن كذا نفكّر في نشر ما أخبرنا به كيرش، فأنا أرى أن النهج الوحيد الذي يمكننا اتباعه هو التشكيك باكتشافه وتشويه سمعته قبل أن يخرج هذه المعلومات إلى العلن".

قال الفضل: "إدموند كيرش! ذاك العالم اللامع الذي لم يخطئ يوماً حيال شيء! ألم نكن كلنا في الاجتماع نفسه مع كيرش؟ كان العرض الذي قدمه مقبعاً".

فصدر أنين عن فالديسيبيينو ثم قال: "ليس أكثر إقناعاً من العروض التي قدمها غاليليو، أو برونو، أو كوبيرنيكوس في أزمنتهم. فقد سقطت الأديان في هذا المأذق من قبل. هذا ليس سوى العلم الذي يقرع بابنا مجدداً".

هتف الفضل: "غير أن ما سيحصل الآن سيكون على مستوى أعمق بكثير من اكتشافات الفيزياء وعلم الفلك! فكيرش يتحدى جوهر ما نؤمن به وجذره! يمكنك أن تستشهد بالتاريخ ما شئت، لكن لا تننس أنه على الرغم من جهود الفاتيكان لإسكات رجال من أمثال غاليليو، فإن علمه غالب في نهاية المطاف. وهذا ما سيحدث مع علم كيرش، وما من طريقة للحؤول دون ذلك".

خيم صمت مطبق.

قال فالديسيبيينو: "موقفي من هذه المسألة بسيط. أتمنى لو أن إدموند كيرش لم يتوصّل إلى هذا الاكتشاف. فأنا أخشى أننا غير مستعدّين للتتعامل مع نتائجه، وأفضلّ ألا نرى هذه المعلومات النور يوماً". وصمت قليلاً قبل أن يضيف: "في الوقت نفسه، أنا أؤمن بأنّ أحداث عالمنا تقع بأمر من الله. سيلهم الله السيد كيرش بأن يعيد النظر في الإعلان عن اكتشافه".

قال الفضل بنبرة استياء: "لا أعتقد أن السيد كيرش من أولئك الناس الذين يلجأون إلى الصلاة".

"ربما لا، لكن الأعاجيب تحدث كل يوم".

فرد عليه الفضل بحدة: "مع احترامي، لكن ما لم تكن تصلي لكي يخطف الله روحه قبل أن يعلنـ"

وهنا تدخل كوفيس مقاطعاً؛ في محاولة منه لنزع فتيل التوتر المتزايد: "أيتها السيدان! قرارنا لا يحتاج إلى التسرّع. نحن لسنا بحاجة إلى التوصّل إلى توافق في الآراء هذه الليلة. فقد قال السيد كيرش إن إعلانه سيتّم بعد شهر. وأنا أقترح أن نتأمل في هذه المسألة كل بمفرده، ثم نتكلّم مجدداً بعد بضعة أيام. فربما سيضمنا التفكير ملياً على المسار الصحيح".

أجاب فالديسيبيينو: "هذارأي حكيم".

حدّهما الفضل قائلاً: "لا ينبغي أن ننتظر طويلاً، فلنتحدث مجدداً بعد يومين".

فقال فالديسيبيينو: "أنا موافق. ويمكننا عندئذ اتخاذ قرار نهائي".

حصل ذلك قبل يومين، والليلة موعد حديثهم التالي.

جلس الحاخام كوفيس في مكتبه بمفرده والقلق يتعاظم داخله. كان الاتصال المنتظر قد تأخر عشر دقائق تقريباً.

وأخيراً، رن الهاتف، فرد كوفيس على الفور.

قال الأسقف فالديسيينو بنبرة قلقة: "مرحباً أيها الحاخام، أنا آسف على التأخير أخشى ألا يتمكن العلامة الفضل من الانضمام إلى هذه المكالمة.".

فقال كوفيس مستغرباً: "حقاً! هل كلّ شيء على ما يرام؟".

"لا أدرى. أنا أحاول الاتصال به طوال اليوم، ولكن يبدو أنَّ العلامة... قد اختفى.".

فما من أحد من زملائه لديه أي فكرة عن مكانه.".

عندها، سرت قشعريرة في جسد كوفيس وقال: "هذا مقلق.".

"أنت محق. أتمنى أن يكون على ما يرام. مع الأسف، لدى خبر آخر وصمت الأسقف، فيما ازدادت نبرته جدية وهو يتتابع: "عرفت للتو أنَّ إيموند كيرش قد نظم حدثاً للإعلان عن اكتشافه للعالم... هذه الليلة.".

"هذه الليلة!! ولكنه قال بعد شهر!".

"أجل، لقد كذب.".

الفصل 6

تردّ صوت وينستون الودود عبر سماعة الأذن الخاصة بلانغدون. "أمامك مباشرة بروفيسور، ستري أكبر لوحة في مجموعة، مع أنَّ أغلب الضيوف لا يلاحظونها على الفور".

نظر لانغدون أمامه ولكنه لم ير شيئاً؛ باستثناء الجدار الزجاجي الذي يطلُّ على النهر. "أنا آسف، ولكن أعتقد أنني واحد من الأغلبية هنا، فأنا لا أرى أيَّ لوحة". فقال وينستون ضاحكاً: "في الواقع، إنَّها معرضة بشكل غير تقليدي. فاللوحة ليست مثبتة على الجدار، بل على الأرض".

عندما، فكر لانغدون في سرها، كان يجب على أن أخمن. ثم أخفض نظره وهو يتقدَّم إلى الأمام إلى أن رأى اللوحة المستطيلة الممتدة على الأرض عند قدميه على مساحة شاسعة.

كانت اللوحة الضخمة مؤلَّفة من لون واحد؛ حقل أحادي اللون من الأزرق العميق، وقف الزوار حولها يحدِّقون إليها كمن يحدِّق إلى بركة صغيرة.

راح وينستون يشرح قائلاً: "تبلغ مساحة هذه اللوحة ستة آلاف قدم مربعة". أدرك لانغدون أنَّ مساحتها تعادل عشرة أضعاف مساحة شقته الأولى في كامبريدج.

"إنَّها بريشة إيف كلاين، وباتت تُعرف تحت عنوان حوض السباحة".

كان لا بدَّ للانغدون من أن يقرَّ بأنَّ الغنى المذهل لهذا الظل من اللون الأزرق قد أعطاهم إحساساً بأنه يستطيع الغوص في قماش اللوحة مباشرة.

تابع وينستون قائلاً: "كلاين هو من اخترع هذا اللون الذي يُسمى أزرق كلاين الدولي. وقد ادعى أنَّ عمقه يستحضر لا مادية رؤيته الطوباوية الخاصة بالعالم ولا نهايتها".

شعر لانغدون بأنَّ وينستون بدأ الآن يقرأ نصاً.

"اشتهر كلاين بلوحاته الزرقاء، ولكنه معروف أيضاً بصورة فوتografية هي عبارة عن خدعة مزعجة تحمل عنوان قفزة في الفراغ، وقد سبَّبت حالة من الذعر عندما عُرضت عام 1960".

كان لانغدون قد رأى اللوحة في متحف الفن الحديث في نيويورك. والصورة أكثر من مزعجة بعض الشيء؛ لأنها تصور رجلاً ب كامل ملابسه يقفز عن سطح مبني عالي ويغوص في الفراغ باتجاه الرصيف. في الحقيقة، كانت الصورة عبارة عن خدعة تم تصويرها ببراعة، وتعديلها بواسطة شفرة حلاقة؛ وذلك قبل زمن طويل من اختراع الفوتوشوب.

قال وينستون: "بالإضافة إلى ذلك، ألف كلين مقطوعة موسيقية تحت عنوان الصمت المونوتوني، وتقوم فيها فرقة أوركسترا بتأنية معزوفة على وتر واحد، د-ماجر، لمدة عشرين دقيقة كاملة".

"وَهُلْ النَّاسُ يَصْغُونَ إِلَيْهَا؟".

"بالآلاف. وهذه ليست سوى الحركة الأولى. أما في الحركة الثانية، فيجلس أفراد الأوركسترا بلا حراك، وفي صمت مطبق لمدة عشرين دقيقة".
"لا شك في أنك تمزح".

كلا، بل أنا في غاية الجدية. غير أن الأداء على الأرجح لم يكن مملاً بقدر ما يبدو عليه، إذ تضمن العرض أيضاً ثلث نساء عاريات وملطخات بالطلاء الأزرق، واللوات يندرجن على لوحات عملاقة على المسرح.

مع أنَّ لانغدون كُرسِيُّه الأكْبَر مِن حِيَاتِهِ الْمَهْنِيَّة لِدِرَاسَةِ الفَنِّ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْزَعُ مِنْ عَدْمِ قَدْرَتِهِ عَلَى تَقْدِيرِ مَا يَقْدِمُهُ الفَنُ الطَّبِيعِيِّ. وَبِقِيَّتْ جَاذِبَيَّةُ الفَنِّ الْحَدِيثِ لِغَرَأْيِهِ بِالنِّسْيَةِ إِلَيْهِ.

"أنا لا أقصد الإهانة يا وينستون. لكن، لا بدّ لي من القول إنّي غالباً ما أجده صعوبة في التمييز بين الفَرْق الحديث وما هو مجرّد عمل غريب".

فأجاب وينستون: «لكن، أليس هذا هو السؤال الذي يُطرح في الكثير من الأحيان؟ في عالم الفن الكلاسيكي، يتم تقدير الأعمال الفنية استناداً إلى مهارة الفنان في التنفيذ، أي كيفية استخدامه الريشة على اللوحة أو الإزميل على الصخر. أما في الفن الحديث، فغالباً ما تعتمد التحف الفنية على الفكرة أكثر من اعتمادها على التنفيذ. ومثال على ذلك، بإمكان أي شخص تأليف سيمفونية لا تتألف سوى من وتر واحد، وتُعرف لمدة أربعين دقيقة، ثم يتبع ذلك الصمت المطبق، لكن إيف كلاين هو من أتى بذلك الفكرة».

أنت محة تماماً.

"وبالطبع، تشكّل منحوتة الضباب في الخارج مثلاً ممثلاً عن الفن المفاهيمي. فقد خطرت للفنانة فكرة تقوم على تمديد أنابيب ذات ثقوب تحت الجسر لنفح الضباب فوق النهر ، لكنه تتفقد تلك الفكرة تغّيّر على أبدئ ، ستاكين محلب". صمت وبنسّتون هذينة قبل

أن يضيف: "مع أتنى أعطى الفنانة عالمة عالية جداً على استخدام تلك المنحوتة كرمز الصباب رمز؟".

"إنه كذلك بالفعل. وهو عبارة عن تكريم لمهندس المتحف".

"فرانك غاري؟".

"فرانك أوين غاري".

"يا لها من فكرة ذكية".

ومع اقتراب لانغدون من النافذة، قال وينستون: "تطل هذه النافذة على منظر جميل لتمثال العنكبوت. هل رأيت مامان في طريقك إلى الداخل؟".

حدق لانغدون من النافذة إلى منحوتة الأرملة السوداء الضخمة المعروضة في الساحة، ثم قال: "أجل، فمن الصعب عدم ملاحظتها".

"أشعر من نبرة صوتك أني لست من المعجبين بها".

"أحاول أن أكون كذلك . وصمت هنئه ثم أضاف: "بما أتنى من محبي الفن الكلاسيكي، فأنا أشعر هنا إلى حد ما كما لو أتنى سمكة خارج المياه".

هذا مثير للاهتمام. فقد تخيلت أني أنت دوناً عن جميع الناس ستقدر مامان. فهي مثال كامل عن مفهوم التجاور الكلاسيكي. حتى إنك قد ترغب في استخدامها عند تعليمك طلابك هذا المفهوم".

تأمل لانغدون العنكبوت من دون أن يرى شيئاً من ذلك. فعندما يتعلق الأمر بتدريس مفهوم التجاور، يفضل لانغدون شيئاً أكثر تقليدية. "أعتقد أتنى ساكتفي بتمثال ديفيد".

عندها، قال وينستون ضاحكاً: "أجل، مايكل أنجلو هو المعيار الذهبي. فقد نحت ديفيد ببراعة بوضعيّة التعارض المختلة؛ إذ أظهره حاملاً بمعصمه المرتخي مقلاعاً ملقى على كتفه بلا مبالاة، لينقل بذلك ضعفاً أثنياً. ومع ذلك، تشع علينا ديفيد بتصميم قاتل، وتتنفس أوتاره وأوردته ترقباً قبل أن يُقدم على قتل جالوت. فالعمل مرتفع وقاسٍ في آن واحد".

أعجب لانغدون بالوصف، وتمنى لو أن طلابه يكونون فكرة بمثل هذا الموضوع عن تحفة مايكل أنجلو.

قال وينستون: "لا تختلف مامان عن ديفيد. إنها عبارة عن تجاور يمتاز بالقدر نفسه من الجرأة لمبادئ نموذجية أصلية متعارضة. ففي الطبيعة، تُعتبر الأرملة السوداء مخلوقاً مخيفاً، حشرة مفترسة تلتقط الضحايا في شبكتها وقتلها. لكن على الرغم من

(1) كلمة "ضباب" بالإنكليزية هي "fog"، وهي تضم الأحرف الأولى من الاسم الثلاثي لمهندس المتحف.

كونها قاتلة، إلا أنها تصور هنا مع كيس بيوض. إنها تستعد لمنع الحياة، ما يجعلها مفترسة ومولدة على السواء؛ نواة قوية مستقرة فوق أرجل نحيلة للغاية، حيث تنقل القوة والهشاشة في آن واحد. إن أردت، يمكنك اعتبار مامان دايفيد عصرينا".

أجاب لأنغدون مبتسماً: "لا أريد. لكن، لا بد لي من الاعتراف بأن تحليك يعطيوني مادة للتفكير".

"هذا جيد. إذاً، دعني أريك تحفة أخرى، يصدق أنها عمل أصلي بيد إدموند كيرش".

"حقاً! لم أكن أعرف أن إدموند فنان".

فضحك وينستون قائلاً: "سأدعك تحكم على ذلك".

سمح لأنغدون لدليله بأن يقوده مروراً بالنوافذ إلى مكان تجمع فيه عدد من الزوار أمام لوحة كبيرة من الطين المجفف المعلق على الجدار. للوهلة الأولى، ذكره لوح الطين الصلب بمعرض في متحف أحفورى. غير أن هذا الطين لم يكن يحتوى على أحافير، بل عوضاً عن ذلك، كان يحمل علامات منقوشة بشكل خفيف، شبيهة بتلك التي قد يرسمها طفل بالعصا على الإسمنت الرطب.

لم يبد على الحشد أي إعجاب.

تمتت امرأة ذات شفتين منتفختين بالبونكس، وترتدي معطفاً من فراء المنك: هل إدموند من صنع هذه؟! أنا لم أفهمها".

لم يستطع الأستاذ داخل لأنغدون المقاومة، فقاطعها قائلاً: "في الواقع، إنه عمل يدل على ذكاء بالغ. وحتى هذه اللحظة، سأعتبره تحفتي المفضلة في المتحف بأكمله. عندها، استدارت المرأة ورمقته بشيء من الازدراء. "حقاً! إذاً، اشرح لي. يسّرني ذلك. اقترب لأنغدون من سلسلة العلامات المحفورة على السطح الطيني.



قال: "حسناً، في البداية، نقش إدموند هذه العلامات في الطين تكريماً لأول لغة مكتوبة عرفتها البشرية؛ أي اللغة المسماوية".
فضاقت عينا المرأة وبدا عليها التشاؤك.

"العلامات الثلاث الكبيرة في الوسط تعنى سمكة باللغة الآشورية. وهذا يسمى رسمياً تخطيطياً. وإن نظرت بتركيز فإمكانك تخيل فم السمكة المفتوح والمتجه إلى اليمين، فضلاً عن الحروف المثلثة على جسدها".

فما كان من أعضاء المجموعة إلا أن أمالوا رؤوسهم محاولين تأمل العمل بنظره الجديدة.

قال لانغدون مشيراً إلى سلسلة الانخفاضات إلى يسار السمكة: "إن نظرتم هنا، فسترون أن إدموند قد صنع آثار أقدام في الطين خلف السمكة؛ في إشارة إلى الخطوة التطورية التاريخية للأسماك على الأرض".
بدأت الرؤوس تومي بحركة تقديرية.

وأضاف لانغدون: "أما النجمة غير المتماثلة التي تبدو إلى اليمين، أي الرمز الذي يبدو أن السمكة تأكله، فهو واحد من أقدم رموز الإله في التاريخ".
عبس المرأة ذات الشفتين المنتفختين.

"على ما يبدو. إنها نسخة هزلية لسمك داروين، التطور الذي يقضي على الدين".
هز لانغدون كتفيه مضيفاً: "كما قلت، الأسلوب ذكي جداً".
وبيتما كان لانغدون يتبعده، سمع الحشد وراءه يتمتنم، بينما ضحك وينسون قائلاً:
"كان هذا ممتعاً جداً أيها البروفيسور. ولو كان إدموند هنا لقدر كثيراً محاضرتكم العفوية؛ فقلة هم الناس الذين يستطيعون تفكيرك هذا الرمز".
قال لانغدون: "في الواقع، هذا عملي".

"أجل، ويمكنني الآن أن أدرك سبب طلب السيد كيرش مني اعتبارك ضيفاً مميزاً أكثر من غيرك. لا، بل في الواقع، طلب مني أن أريك شيئاً لن يراه أيٌّ من الزوار هذه الليلة".
"حقاً! وما هو؟".

"هل ترى إلى يمين النافذة الرئيسة رواقاً مغلقاً؟".
نظر لانغدون إلى يمينه، ثم قال: "أجل".
"ممتناز. من فضلك، اتبع توجيهاتي".

بدأ لانغدون ينفذ بتردد تعليمات وينسون خطوة خطوة. فتوجه نحو مدخل الرواق، وبعدهما تأكّد تماماً من أن أحداً لا يراقبه، تسلّل خفية من خلف الدعامات وانزلق عبر الممرّ بعيداً عن الأنظار.

والآن، بعدما ترك خلفه الحشد الموجود في القاعة، مشى ثالثين قدمًا باتجاه باب معدني مزود بلوحة مفاتيح رقمية.

قال وينسون وهو يذكر الأرقام لانغدون: "اطبع هذه الأرقام السنة".
طبع لانغدون الرمز، فطقق الباب.
"حسناً بروفيسور، ادخل من فضلك".

للحظة، وقف لانغدون في مكانه غير متأكد مما يتوقعه. وبعد ذلك، استجمع شجاعته وفتح الباب. كانت الغرفة غارقة بظلم شبـه دامـس.

قال وينستون: "سأضيء لك المصايبخ. ادخل من فضلك وأغلق الباب". دخل لانغدون وهو يجاهد لرؤية ما يوجد في الداخل. وما إن أغلى الباب خلفه، حتى طقطق القفل.

تدريجياً، بدأت إضاءة خفيفة تتوهج حول أطراف الغرفة، لتكشف عن قاعة أشبه بكهف، وهي عبارة عن غرفة واحدة واسعة، تشبه حظيرة لأسطول من طائرات الجامبو.

قال وينستون: "تبليغ مساحتها أربعاً وثلاثين ألف قدم مربعة".

كانت مساحة الغرفة تتجاوز مساحة القاعة التي كان فيها بكثير.

وبينما راح وهو المصايبخ يزداد قوة، رأى لانغدون مجموعة من الأشكال الضخمة على الأرض، وهي عبارة عن سبعة أشكال غامضة أو ثمانية، تشبه الديناصورات التي ترعى العشب في الليل.

سأله لانغدون: "ما هذا الذي أنظر إليه؟".

فتردد صوت وينستون المرح عبر سماعة لانغدون: "إنها تسمى مسألة الزمن، وهي أقل تحفة فنية في المتحف، يتجاوز وزنها مليوني طن".

كان لانغدون لا يزال يحاول فهم ما يراه حوله. "ولماذا أنا هنا بمفردي؟".

كما سبق لي أن قلت، طلب مني السيد كيرش أن أريك هذه الأشياء المدهشة.

بلغت المصايبخ أقصى قوتها، وأغرقت القاعة بوهج ناعم، بينما اكتفى لانغدون بالتحقيق إلى المشهد أمامه بحيرة.

لقد دخلت عالمًا موازيًا.

الفصل 7

وصل الأميرال لويس أفيلا إلى نقطة التفتيش الأمنية في المتحف، فنظر إلى ساعته ليؤكد لنفسه أنه وصل في الموعد.

ممتاز .

قدم هوبيته للمسؤولين عن قائمة الضيوف. للحظة، تسارعت نبضات قلبه عندما لم يتمكن الموظفون من إيجاد اسمه في القائمة. غير أنهم أخيراً عثروا عليه في أسفلها؛ إذ كان اسمه قد أضيف في اللحظة الأخيرة، وسمح له بالدخول.

تماماً كما وعدني الوصي. لم يكن أفيلا يملك أدنى فكرة عن كيفية تمكّن الوصي من إنجاز هذا الأمر. إذ قيل إن قائمة الضيوف لهذه الليلة كانت مغلقة.

تابع طريقه إلى جهاز الكشف عن المعادن، وهناك أخرج هاتفه الخلوي ووضعه في الوعاء المخصص لذلك، ثم قام بعنابة فائقة بإخراج المسبيحة الثقيلة على نحو غير عادي من جيب سترته ووضعها فوق الهاتف.

فكّر في سره: برفق، برفق شديد.

لوح له حارس الأمن من خلال جهاز الكشف، ثم حمل الوعاء الذي يحتوي على المقتنيات الشخصية ونقله إلى الجهة الأخرى.

قال الحارس بالإسبانية متأنلاً المسبيحة المعدنية التي كانت مؤلفة من سلسلة ثقيلة من الخرز مع صليب مستدير سميك: "يا لها من مسبحة جميلة!".

أجاب أفيلا: "شكراً". لقد صنعتها بنفسي.

اجتاز أفيلا جهاز الكشف من دون أي حوادث. وحين صار في الجهة الأخرى، أخذ هاتفه والمسبيحة وأعادهما برفق إلى جيبيه، قبل أن يسرع باتجاه نقطة التفتيش الثانية. وهناك، تم إعطاؤه سمااعة غير عادية.

فكّر في سره: أنا لست بحاجة إلى جولة صوتية، فلديّ عمل أقوم به.

وبينما كان يتقدّم في أرجاء القاعة، ألقى بالسمااعة سراً في سلة للقمامة.

كان قلبه ينبض بعنف وهو يتأنّل القاعة بحثاً عن مكان منعزل. فقد أراد الاتصال بالوصي لإخباره أنه دخل بأمان.

قال لنفسه: الله، وبладي، والملك. ولكن خصوصاً الله.

في تلك اللحظة، في أعماق الصحراء المقمرة خارج دبي، كان العلامة المحبوب سيد الفضل البالغ من العمر ثمانية وسبعين عاماً يجاهد بألم وهو يزحف فوق رمال الصحراء الكثيفة. لم يعد بإمكانه الابتعاد أكثر.

كانت بشرة الفضل متقرحةً ومحترقة، وحلقه جافاً؛ حيث بالكاد استطاع أن يتنفس. أعمت الرياح المحملة بالرمال عينيه منذ ساعات، ولكنَّه على الرغم من ذلك ما زال يزحف. في لحظة من اللحظات، ظنَّ أنه سمع من بعيد أنين عربات الكثبان الرملية، ولكنَّ الصوت الذي سمعه كان على الأرجح عويل الرياح لا غير. كان أمل الفضل بالنجاة قد تبدَّد منذ زمن طويٍّ. فالنسور لم تعد تحلق فوقه، بل بدأت تسير بجانبه.

لم يتفقه الإسباني طويل القامة الذي خطف الفضل في الليلة الفائتة بأيَّ كلمة وهو يقود سيارة العلامة إلى أعماق الصحراء الشاسعة. وبعد ساعة في السيارة، توقف وأمره بالترجل، ثمَّ تركه في الظلام بلا طعام أو ماء.

لم يعطي الخاطف أيَّ إشارة إلى هويته، أو أيَّ تفسير لما يقوم به. والشيء الوحيد الذي لم يمحه الفضل كان علامةً غريبةً على كفَّ الرجل اليمني، رمزاً لم يستطع التعرِّف عليه.



ظلَّ الفضل لساعات يكافح عبر الرمال، ويصبح بلا جدوى طالباً المساعدة. والآن، وقد انهار من شدة العطش فوق الرمال الخانقة، شعر بقلبه يستسلم، فطرح على نفسه السؤال نفسه الذي كان يطرحه منذ ساعات.

من الذي قد يرغب في قتلي؟

ومع الخوف الذي استبدَّ به، لم يستطع التوصل سوى إلى إجابة منطقية واحدة.

الفصل 8

جال روبرت لانغدون بنظره من شكل ضخم إلى آخر. كانت كل قطعة عبارة عن صفيحة شاهقة الارتفاع من الصلب المعرض لعوامل التعرية، والتي تم طيّها بأنفاسه وتبنيتها بعناية من طرفها، حيث توازنّت لتشكّل جداراً قائماً بذاته. كان ارتفاع الجدران المنحنية يبلغ نحو خمس عشرة قدماً، وقد لوّيت بمرونة باشكال مختلفة: شريط متوجّ، دائرة مفتوحة، لفائف فضفاضة.

كرر وينستون قائلاً: "مسألة الزمن، والفنان يدعى ريتشارد سيرزا. إن استخدامه للجدران غير المدعمة والمكونة من هذه المادة الثقيلة يولّد وهماً بعدم الاستقرار. ولكنها في الواقع مستقرّة جداً. تخيل أنك تقوم بلف ورقة دولار نقديّة حول قلم رصاص. إن أزليت القلم، فستبقى الورقة قائمة بذاتها على طرفها، تدعمها هندستها الخاصة بها".

توقف لانغدون، وراح يحدّق إلى الدائرة هائلة الحجم إلى جانبه. كانت قد تمت أكسدة المعدن، ما أضفي علىه لوناً حانياً محروقاً، ونوعية عضوية خاماً. وكانت القطعة الفنية تتضخ بالقوة الهائلة، ويحسّ بدقّيق بالتوازن.

"بروفيسور، هل لاحظت أن هذا الشكل الأول ليس مغلقاً تماماً؟".

تابع لانغدون طريقه حول الدائرة، ورأى أن طرفي الجدار لا يلتقيان تماماً، كما لو أن طفلاً حاول رسم دائرة ولكنه لم يبلغ آخرها.
يشكّل هذا الاتصال المنحرف ممراً يجذب الزائر إلى الداخل لاستكشاف الفضاء السليبي".

فكّر لانغدون في سرّه وهو يتبعه بسرعة: هذا ما لم يكن الزائر يعاني من رهاب الأماكن المغلقة.

قال وينستون: "سترى أمامك أيضاً ثلاثة أشرطة متعرّجة من الصلب، تتدلى بشكل متوازٍ، بعيدة عن بعضها بعضاً، ولكنها في الوقت نفسه متقاربة بما فيه الكفاية لتشكّل نفقين مت مواجّين يبلغ طولهما أكثر من مائة قدم. هذه التحفة الفنية تسمى الأفعى، وزوارنا الشباب يستمتعون بالمرور عبرها. في الواقع، بإمكان زائرين يقانع عند طرفيها أن يهمسا لبعضهما بصوت خافت ويسمعا بعضهما تماماً، كما لو أنهما يقانع وجهاً لوجه".

"هذا رائع يا وينستون. لكن، هلا شرح لي من فضلك سبب طلب إيموند منك أن تريني هذه الصالة". فهو يعرف أنتي لا أفهم هذه الأشياء.

أجاب وينستون: "القطعة الفنية التي أراد أن أريك إياها تحمل عنوان الدوامة الملتوية، وهي أمامك في أقصى الزاوية اليمنى. هل تراها؟".

حق لانغدون بعيداً، وتساءل في سره: أهي تلك التي تبدو وكأنها على مسافة نصف ميل؟ "أجل، أنا أراها".

"هذا ممتاز. فلنذهب إليها من فضلك".

أقى لانغدون نظرة متربدة على أرجاء القاعة الهائلة، ثم شق طريقه باتجاه الدوامة البعيدة، في حين واصل وينستون كلامه.

"سمعت يا حضرة البروفيسور أن إيموند كيرش شديد الإعجاب بأعمالك، ولا سيما أفكارك حول التفاعل بين مختلف التقاليد الدينية عبر التاريخ، وتطورها المنعكس في الفن. ومن نواح عديدة، يُعتبر مجال عمل إيموند في نظرية الألعاب والمعلوماتية التوقعيّة مشابهاً جدًا؛ وذلك من خلال تحليله نمو مختلف النظم، وتوقعه كيفية تطورها مع مرور الزمن".

"في الواقع، من الواضح أنه بارع جداً في ذلك. فهم يسمونه في النهاية نوستراداموس هذا العصر".

"هذا صحيح. مع أنَّ هذه المقارنة مهينة بعض الشيء، برأيي".

"لماذا؟! لقد كان نوستراداموس أشهر متوقع عبر كل العصور

"لا أعارض ذلك يا بروفيسور، لكن نوستراداموس كتب ما يقارب ألف رياضة بصياغة فضفاضة على مدى أربعة قرون، واستفادت من القراءات المبدعة لمن يصدقون الخرافات ويسعون إلى استخراج المعنى من حيث لا يوجد أيَّ معنى... وذلك حول كل شيء؛ بدءاً من الحرب العالمية الثانية، ومروراً بمقتل الأميرة ديانا، ووصولاً إلى الهجوم على مركز التجارة العالمي. إنه أمر في غاية السخافة. وبالنسبة، نشر إيموند كيرش عدداً محدوداً جداً من التوقعات المحددة التي تحققَت خلال فترة زمنية قصيرة جداً: الحوسبة السحابية، سيارات بدون سائق، رقاقة معالجة تشغّلها خمس ذرات فقط. السيد كيرش لا يشبه نوستراداموس بشيء".

ففكر لانغدون في سره: أشعر وكأنني ارتكبت خطأً. كان من المعروف عن إيموند كيرش أنه يتمتع بولاء من يعلم معهم وإخلاصهم الشديد له. وعلى ما يبدو، كان وينستون واحداً من تلامذته المخلصين.

سأله وينستون مغيّراً الموضوع: "إذاً، هل تستمتع بجولتك معِي؟".

"كثيراً. والفضل يعود إلى إيموند في تطويره هذه التكنولوجيا".

أجل. فقد كان هذا النظام حلماً بالنسبة إلى إدموند لسنوات، وقد أنفق الكثير من الوقت والمال لتطويره سراً.

حقاً! لكن هذه التكنولوجيا لا تبدو معقدة جداً. لا بد لي من القول إنني كنت متشككاً في البداية، ولكنني استمتعت كثيراً بالمحادثة.

هذا كرم منك، مع أنتي آمل ألا أذكر الآن كل شيء باعترافي بالحقيقة. فأنا أخشى أنتي لم أكن صادقاً معك تماماً.

"المعدنة؟"

"أولاً، اسمى الحقيقي ليس وينستون، بل آرت."

فضحك لأنغدون وقال: "أنت مرشد في متحف، واسمك آرت (فن)! حسناً، أنا لا ألومك على استخدام اسم مستعار. تشرف بمعرفتك يا آرت".

علاوة على ذلك، عندما سألتني عن سبب عدم تجولي معك شخصياً، أعطينك إجابة دقيقة عن رغبة السيد كيرش في إبقاء عدد زوار المتحف محدوداً. لكن تلك الإجابة لم تكن كاملة، فثمة سبب آخر لحديثنا عبر السماuga وليس شخصياً. وصمت هنئها قبل أن يضيف: "في الواقع، أنا عاجز عن الحركة".

"أوه... أنا آسف." تخيل لأنغدون الشاب جالساً على كرسي متحرك في مركز اتصال، وأسف لأن آرت اضطر إلى شرح حالته.

لا حاجة إلى الشعور بالأسف على. أنا أؤكد لك بأن الساقين ستبدوان غريبتين بعض الشيء على. ففي الواقع، أنا لست كما تخيل تماماً.

عندها، تباطأت مشية لأنغدون وسأله: "ماذا تعني؟".

اسم آرت ليس اسماً بل هو اختصار. إنه اختصار لكلمة Artificial اصطناعي، مع أن السيد كيرش يفضل كلمة مركب". صمت الصوت للحظة، ثم تابع: "والحقيقة يا بروفيسور هي أنك كنت تتفاعل هذا المساء مع دليل اصطناعي، مع نوع من أنواع الكمبيوتر

فنظر لأنغدون حوله بتردد، ثم سأله: "أهذا مقلب؟".

إطلاقاً بروفيسور. أنا في غاية الجدية. فقد أنفق إدموند عقداً من الزمن ونحو مليار دولار في مجال الذكاء الاصطناعي، وأنت الليلة واحد من بين الأوائل الذين يجريون ثمار عمله. لقد قمت بجولتك بأكملها برفقة دليل اصطناعي. أنا لست إنساناً.

لم يستطع لأنغدون تقبل ذلك على الإطلاق. فقد كان أسلوب كلام الرجل ولغته ممتازين، وباستثناء صحته الغريبة بعض الشيء، كان متحذلاً لبأاً إلى حد بعيد. بالإضافة إلى ذلك، شملت دراستهما هذه الليلة مجموعة واسعة ودقيقة من المواضيع.

وفي تلك اللحظة، أدرك لانغدون أنه مراقب، فراح يتأمل الجدران بحثاً عن كاميرات خفية. شكَّ في أنه يشارك عن غير قصد في قطعة غريبة من "الفن التجربى"؛ وهو عبارة عن مسرح عبئي صمم ببراءة. لقد جعلوا مني فاراً في متاهة.

تردد صوت لانغدون في أرجاء القاعة الداخلية وهو يعلن قائلاً: "أنا لست مرتاحاً". قال وينستون: "أقدم لك اعتذاري. هذا مفهوم، لقد توقعت أن يصعب عليك استيعاب هذا الخبر. وأعتقد أن إدموند طلب مني إحضارك إلى هذا المكان المنعزل بعيداً عن الآخرين لهذا السبب تحديداً. فهذه المعلومة لن يتم الكشف عنها لبقية الضيوف".

جال لانغدون بناظريه في أنحاء القاعة المعتممة بحثاً عن شخص آخر. وبدا الصوت غافلاً تماماً عن انزعاج لانغدون، إذ تابع قائلاً: "كما تعلم بلا شك، الدماغ البشري عبارة عن نظام ثانٍ، فقط الاشتراك إما تعمل أو لا تعمل، وإنما تكون مضاءة أو مطفأة، تماماً مثل زر الكمبيوتر. ويشتمل الدماغ على ما يزيد عن مائة تريليون مفتاح؛ ما يعني أن بناء دماغ ليس مسألة تكنولوجيا بقدر ما هو مسألة نطاق".

بالكاد كان لانغدون يصغي إليه. فقد بدأ يسير مجدداً وقد صبَّ كل اهتمامه على البحث عن لافتة كُتبت عليها كلمة "خروج" مع سهم يشير إلى الطرف الأقصى للقاعة. "بروفيسور، أنا أدرك أن صوتي البشري يجعل من الصعب بالنسبة إليك تصديق أنه صادر عن آلة. لكن الكلام في الواقع هو الجزء السهل؛ فأجهزة قراءة الكتب الإلكترونية التي يبلغ ثمن أحد其ها تسعة وتسعين دولاراً تحاكي على نحو مقبول أسلوب الخطاب البشري. وقد استثمر إدموند المليارات لتحقيق هذه النتيجة". "إن كنت جهاز كمبيوتر فأجبني عن سؤالي. في أي يوم أغلق مؤشر داو جونز الصناعي في الرابع والعشرين من أغسطس 1974؟".

أجاب الصوت على الفور: حصل ذلك يوم السبت، لذا لم تفتح الأسواق قط". شعر لانغدون برعشة تسرى في جسده. كان قد استخدم التاريخ كخدعة. فمن الآثار الجانبية لذاكرته البصرية أن التواريخ تحفر في ذهنه إلى الأبد. وقد صادف ذلك السبت يوم ذكرى ميلاد صديقه المقرب، وما زال يتذكر الحفلة التي أقيمت عند المسبح. كانت هيلينا وولي ترتدي ثوب سباحة أزرق اللون.

أضاف الصوت على الفور: "لكن في اليوم السابق، أي يوم الجمعة 23 أغسطس، أغلق مؤشر داو جونز الصناعي على 686.80، أي بانخفاض 17.83 نقطة أو ما يعادل 2.53 بالمائة".

لحظة، عجز لانغدون عن الكلام.

قال الصوت: "يسريني الانتظار إن كنت ترغب في التحقق من البيانات على هاتك الذكي. مع أنه لا يسعني سوى التعليق على عبئية ذلك."
ـ لكن... أنا لن...".

قال الصوت بلكته البريطانية الخفيفة التي بدت الآن أكثر غرابة من ذي قبل: "لا يمكن التحدى بالنسبة إلى الذكاء الاصطناعي في سرعة الوصول إلى البيانات التي تعتبر في الواقع أمراً في غاية البساطة، بل في القدرة على تمييز كيفية ترابط البيانات وتشابكها؛ وهو أمر أعتقد أنك تتفوق فيه، أليس كذلك؟ أعني العلاقة المتبادلة بين الأفكار؟ وهذا أحد الأسباب التي جعلت السيد كيرش يرغب في أن اختبر قدراتي عليك تحديداً."

قال لانغدون مستغرباً: "اختبار ! علي... أنا!".

تردبت الضحكة الغربية مجدداً. كلا، على الإطلاق، بل علىي؛ ليلى ما إذا كان بإمكاني إقناعك بأنني إنسان".
ـ "اختبار تورينغ".
ـ "بالضبط".

تذكر لانغدون أن اختبار تورينغ كان تحدياً اقتربه مفكّك الرموز لأن تورينغ لتقدير قدرة الآلة على التصرف بطريقة لا يمكن تمييزها عن سلوك الإنسان. في الأساس، يقوم حكم بشري بالإصغاء إلى حديث بين آلة وإنسان. وفي حال لم يتمكن من معرفة أيٍ من المشاركين هو الإنسان، تعتبر الآلة ناجحة في الاختبار. تم اختيار تحدي تورينغ في الاختبار الشهير الذي أُجري عام 2014 في الجمعية الملكية في لندن. ومنذ ذلك الحين، تقدّمت تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي بوتيرة سريعة للغاية.

تابع الصوت: "حتى هذه اللحظة، لم يشتبه أيٌ من ضيوفنا بشيء هذا المساء. وجميعهم يمضون وقتاً ممتعاً".

ـ "مهلاً، هل جميع الموجودين هنا يتحمّلون إلى جهاز كمبيوتر؟!".
ـ تقنياً، الجميع يتحمّلون معي أنا. فأنا قادر على تقسيم نفسي بغاية السهولة. أنت تسمع الآن صوتي الافتراضي؛ الصوت الذي يفضله إيموند، لكن الآخرين يسمعون أصواتاً أو لغاتٍ أخرى. فاستناداً إلى ملفَ التعريف الخاص بك كرجل أكاديمي أميركي، اخترت لهجتي البريطانية الافتراضية بصوت رجل. فقد توقعت أن تولد ناقة أكبر مما لو كنت أتحدث بصوت أنثى شابة ذات لكتة جنوبية مثلًا".

هل وصفني هذا للتوّب أنثي شوفيني؟

تذكر لانغدون تسجيلاً شعبياً تم تداوله عبر الإنترنت قبل سنوات عدة: إذ تم الاتصال برئيس مكتب مجلة التایم، مايكل شيرير، من قبل روبوت تسويق عبر الهاتف،

وبدا صوته بشرياً إلى حد كبير، لدرجة أنَّ شيرير نشر تسجيلاً للاتصال على الشبكة ليسمعه الجميع.

حصل ذلك منذ سنوات.

كان لانغدون يعرف أنَّ كيرش منهمك في العمل على الذكاء الاصطناعي منذ سنوات، وأنَّه يظهر على أغلفة المجلات من وقت إلى آخر للإعلان عن مختلف الاكتشافات. وعلى ما يبدو، إنَّ اختراعه "وينستون" يمثل آخر ما توصل إليه.

قال الصوت: "أنا أدرك أنَّ كلَّ هذا يحدث بسرعة، لكنَّ السيد كيرش طلب مثيًّا أنْ أريك هذه الدوامة التي تقف عندها الآن. كما طلب أنْ تدخلها من فضلك وتسير حتىَّ المركز

حتَّى لانغدون إلى الممرَّ الضيق المقوس، وشعر بعضلاته تتويَّر. أهذه فكرة إيموند عن "المقالب"؟! هلا تخبرني من فضلك عما يوجد هناك، فأنا لست من هواة الأماكن الضيقة".

"هذا مثير للاهتمام، فأنا لم أكن أعرف ذلك عنك." رهاب الأماكن المغلقة ليس مُدرجاً ضمن معلوماتي على الشبكة. قال لانغدون ذلك وهو لا يزال عاجزاً عن استيعاب أنه يتحدث إلى آلة. لا تخُف شيئاً. فالمساحة في وسط الدوامة كبيرة جدًا، وقد أراد السيد كيرش أنْ ترى المركز تحديداً. لكن، قبل أنْ تدخل، طلب إيموند أنْ تخلع السماعة وتضعها على الأرض هنا.

نظر لانغدون إلى الهيكل الغريب متربِّداً، ثم سأله: "الآن ترافقني؟".
"كلاً على ما يبدو."

"أتعلم؟ كلَّ هذا غريب جدًا، وأنا لست-

"بروفيسور، بما أنَّك اجتررت كلَّ هذه المسافة ثلبيَّة لدعوة إيموند، فالسير لمسافة قصيرة إلى داخل هذه القطعة الفتية يُعتبر طلباً بسيطاً. الأطفال يقومون بذلك طوال الوقت ولا يصيِّبهم شيء".

لم يسبق لانغدون أن تعرَّض للتوبیخ من قبل جهاز كمبيوتر، لكنَّ كان لذلك التعليق القاطع التأثير المطلوب. لذا، نزع السماعة عن رأسه، ووضعها بعناية على الأرض، ثم التفت ليواجه فتحة الدوامة. شَكَّلت الجدران العالية ممراً ضيقاً يلتف ويختفي عن الأنظار وسط الظلام.

قال بصوت عالي: "فلنجرب".
أخذ لانغدون نفساً عميقاً ودخل عبر الفتحة.

أخذ الطريق يلتفّ باستمرار، أكثر مما تخيل، ويزداد عمقاً. وسرعان ما فقد لأنغدون إحساسه بعدد الدورات التي قام بها. ومع كلّ دورة، كان الممرّ يزداد ضيقاً، حيث إنّ كتفي لأنغدون أصبحتا تتحكّمان بالجدران تقريباً. تنفس يا روبرت. شعر كما لو أنّ الصفائح المعدنية المائلة ستنهار نحو الداخل في أيّ لحظة وتتساقط تحت أطنان من الصلب.

لماذا أفعل ذلك؟

وفي اللحظة التي قرّر فيها لأنغدون أن يستدير ويعود أدراجه، انتهت الممرّ فجأة، ووجد لأنغدون نفسه أمام مساحة مفتوحة وكبيرة. كما قيل له، كانت الفسحة أكبر مما توّقع. خرج لأنغدون بسرعة من النفق إلى المساحة المفتوحة، وأخذ يتنفس وهو يتأمل الأرض الخالية والجدران المعدنية العالية، ويسأله عما إذا كان صحيحة أحد تلك "المقالب" التي يدبّرها زملاء الدراسة لبعضهم بعضًا.

سمع باباً يفتح في مكان ما في الخارج، ووقع خطوات سريعة يتردّد خلف الجدران العالية. لقد دخل أحدهم القاعة من الباب المجاور الذي رأه لأنغدون. أخذت الخطوات تقترب من الدوامة، ثمّ بدأت تدور حول لأنغدون، ويرتفع صداتها مع كلّ دورة. ثمة من دخل الدوامة.

تراجع لأنغدون ووقف بمواجهة الفتحة، مع استمرار صوت الأقدام بالاقتراب. ارتفع وقع الأقدام إلى أن ظهر فجأة رجل عند فتحة النفق. كان قصير القامة ونحيلًا، ذا بشرة شاحبة ونظرات حارقة، يعلو رأسه شعر أسود غير مرتب.

حدق لأنغدون بجمود إلى الرجل مطولاً، قبل أن تظهر أخيراً ابتسامة كبيرة على وجهه. إدموند كيرش العظيم يدخل دائماً دخولاً مهيباً.

أجاب كيرش بمودة: "لا توجد سوى فرصة واحدة لترك الانطباع الأول. كم اشتقت إليك يا روبرت. شكراً لمجيئك".

عانق الرجالان بعضهما بحرارة. وبينما كان لأنغدون يرتّت على ظهر صديقه القديم، شعر أنّ كيرش قد خسر من وزنه.

قال: "لقد خسرت من وزنك".

أجاب كيرش: "أصبحت نباتياً، فهذا أسهل من أن أصبح بيضاوي الشكل".

ضحك لأنغدون وقال: "من الرائع أن أراك مجدداً. كالعادة، ها أنت تجبرني على الاهتمام بمظهري بشكل زائد".

"من؟ أنا؟!". نظر كيرش إلى سرواله الجينز الأسود، وقميصه القطني الأبيض، وستره البسيطة قائلاً: "هذه هي الموضة الراقية".

"وهل الشيشب الأبيض جزء من الأنافة؟".

"شيشب! هذا يسمى فيراغامو غينيا".
"وأعتقد أنه أعلى ثمناً من بذلك بأكملها".

اقرب إدموند منه، وتخصص العالمة التجارية لانغدون الكلاسيكية، ثم قال مبتسماً بمودة: "في الواقع، هذه السترة جميلة جداً. إنهم متعادلان بالقيمة تقريباً".

"إدموند، لا بد لي من القول إن صديفك الاصطناعي وينستون... مقلق جداً".
ابتسم كيرش قائلاً: "إنه لا يصدق، أليس كذلك؟ لا يمكنك أن تصدق ما أنجزته في مجال الذكاء الاصطناعي هذا العام، لقد حققت فوزات نوعية. لقد طورت بعض تقنيات خاصة جديدة تمكّن الآلات من حل المشاكل وتنظيم ذاتها بطريق جديدة تماماً.
ويعتبر وينستون عملاً في طور التقدّم، ولكنه يتحسن يومياً".

لاحظ لانغدون أن تجاعيد عميقه ظهرت حول عيّن إدموند الصبيانيتين في السنوات الأخيرة. لقد بدا الرجل منهكاً. "إدموند، هلا تخبرني عن سبب إحضارك لي إلى هنا".

"إلى بيلباو؟ أم إلى دوامة ريتشارد سيرا؟".

"فإنبدأ بالدوامة. أنت تعلم أنتي أعاني من رهاب الأماكن المغلقة".
بالضبط. لكن هذه الليلة، سيمّ دفع الناس إلى خارج مناطق الراحة التي اعتادوا عليها".

"هذا اختصاصك".

أضاف كيرش: "رأيضاً لأنني كنت بحاجة إلى التحدث إليك، ولم أرغب في أن يراني أحد قبل العرض".

"هل سبب ذلك أن نجوم الروك لا يختلطون مع الزوار قبل الحفل؟".
فأجاب كيرش ضاحكاً: "تماماً! فنجوم الروك يظهرون كالسحر على خشبة المسرح".

فوق رأسهما، تلاشت الأضواء فجأة، ثم شعت مجدداً، فرفع كيرش كم سترته وتحقق من الساعة. بعد ذلك، نظر إلى لانغدون، وأصبح تعبيره جاداً فجأة.
"روبرت، نحن لا نملك الكثير من الوقت. هذه الليلة فرصة هائلة بالنسبة إليّ. في الواقع، ستشكّل أهم فرصة للبشرية جمّعاً".

شعر لانغدون بنبضات قلبها تتسارع.
قال إدموند: "توصلت مؤخراً إلى اكتشاف علمي ستكون له آثار بعيدة المدى.
تقريباً، ما من أحد على وجه الأرض يعرف به. والليلة، بعد قليل، سأتوجه إلى العالم في بث مباشر، وأعلن عما توصلت إليه".

أجاب لانغدون: "لا أدرى ماذا أقول، يبدو هذا مذهلاً".

أحضر إدموند صوته، وأصبحت نبرته متوازنة على نحو غير معهود وهو يتابع: "قبل أن أخرج إلى البئر الحبي بهذه المعلومات، أحتاج إلى نصيحتك يا روبرت". ثم صمت قليلاً قبل أن يضيف: "أخشى أن حياتي تعتمد على ذلك".

الفصل 9

خيّم الصمت على الرجلين داخل الدوامة.

أحتاج إلى نصيحتك... أخشى أن حياتي تعتمد على ذلك.

بقيت كلمات إدموند معلقة في الهواء بعقل، ورأى لانغدون القلق واضحاً في عيني صديقه، "إدموند، ماذا يجري؟ هل أنت بخير؟".

انطلقت أضواء المصايبح فوقهما ثم عادت لتشعّ مجدداً، لكن إدموند تجاهلها. وقال بصوت هامس: "لقد كان هذا العام رائعاً بالنسبة إليّ؛ إذ كنت أعمل بمفردي على مشروع ضخم أدى إلى اكتشاف رائد." هذا يبدو رائعاً."

هز كيرش رأسه موافقاً وقال: "بالفعل. ولا يمكنني أن أصف مدى حماستي لأطلع العالم عليه هذه الليلة. فهو سيؤدي إلى تحول نموذجي كبير. وأنا لا أبالغ حين أقول إن اكتشافي ستكون له انعكاسات بحجم الثورة الكوبيرنيكية".

للحظة، اعتقد لانغدون أن مضيّفه يمزح، لكن تعابير كيرش بقيت جادة للغاية. كوبيرنيكوس! لم يكن التواضع يوماً من أبرز مزايا إدموند، لكن هذا الأداء بدا منافياً للعقل. فقد كان نيكولاوس كوبيرنيكوس مكتشف نموذج مركزية الشمس، أي حقيقة أن الكواكب تدور حول الشمس. وهو الذي أشعل الثورة العلمية في مطلع القرن السادس عشر، والتي طمست تماماً تعاليم الكنيسة القديمة؛ وهي أن البشرية تحتلّ مركز الكون الذي خلقه الله. وقد أدانت الكنيسة اكتشافه لمدة ثلاثة قرون، لكن الضرر كان قد وقع، وتغير العالم إلى الأبد.

قال إدموند: "أرى أنك متشكّك. هل كان من الأفضل لو قلت داروين؟"

ابتسم لانغدون وأجاب: "هذا لن يغير شيئاً."

"حسناً إذا، دعني أطرح عليك سؤالاً. ما هما السؤالان الأساسيان اللذان طرحهما الجنس البشري عبر التاريخ؟".

فكَّر لانغدون ثم أجاب: "في الواقع، لطالما طرحنا السؤال: كيف بدأ كل شيء؟ ومن أين أتينا؟".

" تماماً. لكن السؤال الثاني ليس: من أين أتينا؟ ... بل

إلى أين نحن ذاهبون؟".

"بالضبط! فهذا اللغزان يكمنان في قلب التجربة الإنسانية. من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟ إنهم اللغزان الكونييان". ازدادت نظرية إدموند حدة وهو يحدق إلى لانغدون بترقب. "روبرت، الاكتشاف الذي توصلت إليه... يجب بكل وضوح عن هذين السؤالين".

راح لانغدون يحاول جاهداً استيعاب كلام إدموند وتشعباته الثقيلة. "أنا... لست واثقاً مما يجب أن أقوله".

"لست بحاجة إلى قول شيء. ولكنني أمل أن نجد - أنا وأنت - الوقت لمناقشة هذه المسألة بعمق بعد العرض الذي سأقدمه هذه الليلة. لكنني في هذه اللحظة، أود التحدث إليك حول الجانب المظلم لكل هذا؛ أقصد التداعيات المحتملة لهذا الاكتشاف".

"وهل تعتقد أنه ستكون له تداعيات؟".

"بلا أدنى شك. فبالإجابة عن هذين السؤالين، وضعت نفسي في صراع مباشر مع قرون من التعاليم الراسخة. فقضيتا خلق الإنسان ومصيره شكلاً تقليدياً مجال الدين، وأنا أعد هنا دخيلاً. ولهذا السبب، إن ديانات العالم أجمع لن يعجبها ما سأعلن عنه".

أجاب لانغدون: "هذا مثير للاهتمام. ألهذا السبب أمضيت ساعتين في استجوابي حول الدين أثناء تناولنا الغداء في بوسطن في العام الماضي؟".

تماماً. وربما تذكر ضمانتي الشخصية لك عندما قلت إنه في زماننا سيدمر التطور العلمي كل الأساطير

هـز لانغدون رأسه موافقاً. يصعب نسيان ذلك. فجرأة إعلان كيرش جعلته يُحقر في ذاكرة لانغدون البصرية كلمة كلمة. "أجل، أذكر. وقد ردت عليك يومذاك أنَّ التطور العلمي لم يؤثر سلباً في الدين لآلاف السنين، وقد أدى الدين عرضاً مهماً في المجتمع".

بالضبط. وقلت لك حينها إنني وجدت هدف حياتي؛ ألا وهو توظيف الحقيقة العلمية للقضاء على المعتقدات الأسطورية".

"أجل، كلام كبير"

"وقد تحذّيتي بشأنه يا روبرت، وقلت لي إنني كلما وقعت على حقيقة علمية تتعارض مع مبادئ الدين أو تقوضها، فعلّي مناقشة ذلك مع رجل دين؛ على أمل أن أدرك أنَّ العلم والدين يحاولان غالباً رواية القصة نفسها ولكن بلغتين مختلفتين .

أذكر ذلك. فغالباً ما يستعمل العلماء والروحيون مفردات مختلفة لوصف أسرار الكون نفسها. لذلك، غالباً ما تكون الصراعات حول الدلالات وليس حول الجوهر قال كيرش: "في الواقع، اتبعت نصيحتك وقمت باستشارة زعماء روحيين بشأن اكتشافي الأخير

"حقاً!".

"هل سمعت ببرلمان أديان العالم؟".

"بالطبع". كان لأنغدون من أكبر المعجبين بجهود المجموعة لتعزيز الحوار بين الأديان.

وتابع كيرش كلامه: "بمحض الصدفة، عقد البرلمان اجتماعه خارج برشلونة هذا العام، على بعد ساعة تقريباً من منزلي، في دير مونسيراٌت". يا له من موقع مذهل! وكان قد سبق لأنغدون أن زار الدير الواقع على قمة الجبل منذ سنوات عديدة.

"عندما سمعت أنَّ البرلمان سيُعقد في الأسبوع نفسه الذي خططت للإعلان عن اكتشافي العلمي الكبير فيه، لا أدرِّي...".

"أتعني أنك تساءلت عما إذا كانت تلك إشارة من الله؟".

ضحك كيرش مجيباً: "شيء من هذا القبيل. لذا اتصلت بهم".

بدا الإعجاب على وجه لأنغدون. "هل خاطبتك برلماناً بأكمله؟".

"كلاً! هذا خطر جداً. فأنا لا أريد تسريب هذه المعلومات قبل أن أعلن عنها بنفسي، ولذلك عقدت اجتماعاً مع ثلاثة منهم فقط؛ مع ممثل عن كل من الديانات المسيحية، والإسلامية، واليهودية. لقد التقينا نحن الأربعة في المكتبة".

قال لأنغدون بشيء من الدهشة: "استغرب سماحهم لك بدخول المكتبة، فقد سمعت أنها مكان مبجل".

قلت لهم إنني بحاجة إلى قاعة اجتماعات آمنة، بلا هواتف ولا كاميرات ولا دخالء، فاصطحبوني إلى المكتبة. وقبل أن أقول لهم شيئاً، طلبت منهم أن يوافقوا على التعهد بالصمت، وقد امتنعوا لطابي. وحتى هذه اللحظة، هم الأشخاص الوحيدون على الأرض الذين يعرفون شيئاً عن اكتشافي.

"هذا مذهل! وكيف كان رد فعلهم على ما قلته؟".

بدأ الخجل على وجه كيرش وهو يجيب: "أظن أنني لم أتمكن من التعامل مع الوضع كما ينبغي تماماً. أنت تعرفي يا روبرت، فعندما تغلب عليَّ حماستي، لا أتحلى بالدبلوماسية".

قال لأنغدون ضاحكاً: "أجل. فقد قرأت أنه لن يضرك التدرب على شيء من اللباقة". شأنه شأن ستيف جويس والكثير من أصحاب الرؤى العباءة.

"لذا، تماشياً مع طبيعتي الصريحة، بدأت حديثي بإخبارهم الحقيقة ببساطة. أي أنني كعالم أجد صعوبة في القبول أنَّ مليارات الناس الأذكياء يعتمدون على إيمانهم لإيجاد الراحة وإنارة طريقهم. وعندما سألوني عن سبب استشارتي أشخاصاً لا أكن لهم

احتراماً كبيراً، أجبتهم بالقول إتنى أرحب في قياس ردود أفعالهم على اكتشافي؛ لكي أكون فكراً عن كيفية تلقى المؤمنين في العالم خبراً كهذا حين أعلن عنه. عدتها، قال لأنغدون وقد تفاصلت تعابير وجهه: "بلوماسي كعادتك. أنت تعلم بلا شك أنَّ الصدق ليس أفضل سياسة دوماً؟".

لوجه كيرش بيده بلا اكتئاث وتابع: "أفكاري حول الدين منتشرة على نطاق واسع، وظننت أنهم سيقدرون الشفافية. على أي حال، عرضت عليهم بعد ذلك عملي، وشرحـت لهم بالتفصيل ما توصلـت إليه وكيفية تغييره كل شيء. حتى إتنى أخذت هاتفي وتركـتهم يشاهـدون بعض مقاطع الفيديو التي أعرف بأنـها مذهلة جـداً. وهـذا، عـدت الدهـشـة ألسـنـتهم". تعاظم فضول لأنـغـدون لمـعـرـفة مـاهـيـة اكتـشـافـ كـيرـشـ، وـحـثـهـ قـائـلاـ: "لا بدـ أنـهـمـ قالـواـ شيئاً ما".

"كـنتـ آـمـلـ أنـ نـجـريـ حـوارـاـ وـنقـاشـاـ، لكنـ رـجـلـ الدـينـ المـسـيـحـيـ أـسـكـتـ الـاثـنـيـنـ الآخـرـينـ قـبـلـ أنـ يـنـبـساـ بـبـنـتـ شـفـةـ، ثـمـ دـعـانـيـ إـلـىـ إـعـادـةـ النـظـرـ فـيـ نـشـرـ هـذـهـ الـمـعـلـومـاتـ. فـقـلـتـ لـهـ إـنـتـيـ سـأـفـكـرـ فـيـ الـأـمـرـ خـلـالـ الشـهـرـ الـمـقـبـلـ".

"لـكـنـ سـتـعـلـنـ عـنـهـ اللـيـلـةـ".

"أـعـلـمـ لـقـدـ أـخـبـرـتـهـمـ أـنـ الإـعـلـانـ سـيـتـمـ بـعـدـ عـدـةـ أـسـابـيعـ لـكـيـ لـاـ يـصـابـوـاـ بـالـذـعـرـ أـوـ يـحـاـلـوـاـ التـدـخـلـ".

"وـمـاـ الـذـيـ سـيـحـدـثـ عـنـدـمـاـ يـكـشـفـونـ أـمـرـ هـذـاـ الـعـرـضـ؟".

"لـنـ يـسـرـهـمـ ذـلـكـ، وـلـاـ سـيـمـاـ أـحـدـهـمـ تـحـديـداـ". نـظـرـ كـيرـشـ إـلـىـ عـيـنـيـ لـانـغـدونـ وأـضـافـ: "كـانـ رـجـلـ الدـينـ المـسـيـحـيـ هـوـ الأـسـقـفـ أـنـطـوـنيـوـ فـالـدـيـسـبـيـنـوـ. هـلـ تـعـرـفـهـ؟".

تـوـتـرـ لـانـغـدونـ وـهـوـ يـسـأـلـهـ: "أـتـعـنـيـ الأـسـقـفـ مـنـ مـدـرـيدـ؟".

هـزـ كـيرـشـ رـأـسـهـ قـائـلاـ: "هـوـ نـفـسـهـ".

فـكـرـ لـانـغـدونـ فـيـ سـرـهـ: عـلـىـ الـأـرـجـعـ، لـمـ يـكـنـ ذـلـكـ هـوـ الـجـمـهـورـ الـمـثـالـيـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ مـلـحـدـ رـادـيكـالـيـ مـثـلـ إـمـونـدـ. فـقـدـ كـانـ فـالـدـيـسـبـيـنـوـ شـخـصـيـةـ نـافـذـةـ فـيـ الـكـنـيـسـةـ الـكـاثـوـلـيـكـيـةـ الـإـسـپـانـيـةـ، وـمـعـرـوفـاـ بـأـرـائـهـ الـمـحـافظـةـ جـداـ وـنـفـوذـهـ الـقـويـ عـلـىـ مـلـكـ إـسـپـانـيـاـ.

قالـ كـيرـشـ: "كـانـ هـوـ مـنـ اـسـتـضـافـ الـبـرـلـامـانـ هـذـاـ الـعـامـ، وـبـالـتـالـيـ هـوـ مـنـ تـحـدـثـ إـلـيـهـ لـتـرـتـيبـ الـاجـتمـاعـ. عـرـضـ الـحـضـورـ شـخـصـيـاـ، فـطـلـبـتـ مـنـهـ أـنـ يـجـلـبـ مـمـثـلـيـنـ عـنـ الـإـسـلـامـ وـالـيـهـوـيـةـ".

تـلـاـشـتـ الـأـنـوـارـ فـوـقـهـماـ مـجـدـداـ.

عـدـهاـ، تـنـهـدـ كـيرـشـ بـتـبـعـ، وـأـخـفـضـ صـوـتهـ أـكـثـرـ وـهـوـ يـقـولـ: "روـبـرتـ، سـبـبـ رـغـبـتـيـ فـيـ التـحـدـثـ إـلـيـكـ قـبـلـ الـعـرـضـ هـوـ إـنـتـيـ أـحـتـاجـ إـلـىـ نـصـيـحـتـكـ. أـرـيدـ أـنـ أـعـرـفـ مـاـ إـذـاـ كـنـتـ تـعـقـدـ أـنـ الـأـسـقـفـ فـالـدـيـسـبـيـنـوـ خـطـرـ

"خطر! من أي ناحية؟".

ـ ما أريته إيه يهدّ عالمه، وأريد أن أعرف ما إذا كنت معرضاً للخطر من قلّهـ.
ـ وعلى الفور، هـ لانغدون رأسه نافياً وأجاب:ـ كـلا، هذا مستحيلـ. أنا لا أدرى ما
ـ الذي قـلـلهـ لهـ، ولكن فالديسيـنـوـ ركـيـزةـ من رـكـائزـ الكـاثـولـيـكـيـةـ الإـسـبـانـيـةـ، وـعـلـقـاتـهـ بـالـأـسـرـةـ
ـ المـالـكـةـ فـيـ إـسـبـانـيـاـ مـنـحـتـهـ نـفـوـذـاـ هـائـلـاـ...ـ لـكـنهـ كـاهـنـ، وـلـيـسـ مـجـرـمـاـ.ـ إـنـهـ يـتـمـّـعـ بـسـلـطـةـ
ـ سـيـاسـيـةـ.ـ قـدـ يـلـقـيـ عـظـةـ ضـدـكـ،ـ وـلـكـنـ يـصـعـبـ عـلـيـ تـصـدـيقـ أـنـكـ سـتـكـونـ مـهـدـداـ بـخـطـرـ
ـ جـسـدـيـ منـ قـبـلـهــ.

ـ ولكنـ كـيرـشـ بـدـاـ غـيرـ مـقـتـعـ وـهـ يـقـولـ:ـ كـانـ يـجـبـ عـلـيـكـ أـنـ تـرـىـ كـيفـ نـظـرـ إـلـيـ
ـ وـأـنـاـ أـغـادـرـ مـوـنـسـيرـاتــ.

ـ هـنـفـ لـانـغـدـونـ:ـ لـقـدـ جـلـسـتـ فـيـ المـكـتبـةـ الـمـبـجـلـةـ لـذـلـكـ الـدـيـرـ،ـ وـأـخـبـرـتـ الـأـسـقـفـ أـنـ
ـ نـظـامـ مـعـقـدـهـ بـأـكـمـلـهـ وـهـمـيـ!ـ هـلـ تـوـقـعـتـ مـنـهـ أـنـ يـقـدـمـ لـكـ الشـايـ وـالـكـعـكـ!ـ؟ـ.
ـ أـقـرـ إـمـونـدـ:ـ كـلـاـ،ـ لـكـنـيـ لـمـ أـتـوـقـعـ أـيـضـاـ أـنـ يـتـرـكـ لـيـ رـسـالـةـ تـهـدـيـدـ صـوـتـيـةـ بـعـدـ
ـ اـجـتمـاعـاـنـاــ.

ـ هـلـ اـتـصـلـ بـكـ الـأـسـقـفـ فـالـدـيـسـيـنـوـ؟ـ.

ـ مـذـ كـيرـشـ يـدـهـ إـلـىـ جـبـ سـتـرـتـهـ الـجـلـدـيـةـ،ـ وـأـخـرـجـ هـاتـفـ ذـكـيـاـ كـبـيـراـ عـلـىـ نـحـوـ غـيرـ
ـ اـعـتـيـادـيـ.ـ كـانـ الـهـاتـفـ مـزـوـدـاـ بـغـلـافـ فـيـروـزـيـ زـاهـ مـزـينـ بـأشـكـالـ سـدـاسـيـةـ مـنـكـرـةـ،ـ فـتـعـرـفـ
ـ لـانـغـدـونـ عـلـىـ الـفـورـ عـلـىـ نـمـطـ الـبـلـاطـ الشـهـيرـ الـذـيـ صـفـمـهـ الـمـهـنـدـسـ الـمـعـمـارـيـ الـكـتـالـوـنيـ
ـ الـعـصـرـيـ أـنـطـوـنـيـ غـارـدـيـ.

ـ قـالـ كـيرـشـ وـهـ يـضـغـطـ عـلـىـ بـعـضـ الـأـزـرـارـ وـيـرـفـعـ الـهـاتـفـ:ـ أـصـغـ إـلـيـهــ.ـ تـصـاعـدـ
ـ صـوتـ رـجـلـ مـسـنـ مـنـ السـمـاعـةـ،ـ وـبـدـتـ نـيـرـتـهـ فـيـ غـاـيـةـ الـجـدـيـةــ.

ـ سـيـدـ كـيرـشـ،ـ مـعـكـ الـأـسـقـفـ أـنـطـوـنـيـ فـالـدـيـسـيـنـوـ.ـ كـماـ تـعـلـمـ،ـ وـجـدـتـ اـجـتمـاعـاـنـاـ
ـ هـذـاـ الصـبـاحـ مـقـلـقاـ لـلـغاـيـةـ،ـ وـكـذـلـكـ كـانـ رـأـيـ زـمـيلـيـ.ـ لـذـاـ،ـ أـطـلـبـ مـنـكـ الـاتـصالـ
ـ بـيـ عـلـىـ الـفـورـ لـمـنـاقـشـةـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ أـكـثـرـ،ـ وـأـحـذـرـكـ مـجـدـداـ مـنـ مـخـاطـرـ نـشـرـ
ـ هـذـهـ الـمـعـلـومـاتـ.ـ أـمـاـ فـيـ حـالـ دـعـمـ اـتـصـالـكـ،ـ فـاعـلـمـ أـنـاـ سـنـقـوـمـ أـنـاـ وـزـمـيلـيــ
ـ بـإـعـلـانـ وـقـائـيـ لـنـشـرـ اـكـشـافـكـ،ـ وـإـعادـةـ صـيـاغـتـهـاـ،ـ وـتـجـريـدـهـاـ مـنـ مـصـدـاقـيـتـهــ،ـ
ـ وـمـحاـولـةـ تـقـادـيـ الـضـرـرـ الـهـائـلـ الـذـيـ تـوـشكـ عـلـىـ إـلـحـاقـهـ بـالـعـالـمـ...ـ وـهـوـ ضـرـرـ
ـ مـنـ الـوـاـضـعـ أـنـكـ لـمـ تـسـتـطـعـ تـوـقـعـهـ.ـ أـنـاـ بـأـنـتـظـارـ اـتـصـالـكـ،ـ وـأـوـصـيـكـ بـشـدـةـ أـلـاـ
ـ تـخـبـرـ صـبـرـيــ.

ـ اـنـتـهـيـ الرـسـالـةــ.

ـ مـكـتبـةـ الرـمـحـيـ أـحـمدـ

مما لا شك فيه أن لانغدون فوجئ بنبرة فالديسيبينو العدوانية، لكن الرسالة الصوتية لم تخفه بقدر ما ضاعفت من فضوله حال إعلان إدموند الوشيك. "إذا، بم أجبت؟". قال إدموند وهو يدس الهاتف في جيبه مجدداً: "لم أفعل. اعتبرت كلامه تهديداً فارغاً. فأنا واثق أنهم يريدون دفن هذه المعلومات، ولا يرغبون في الإعلان عنها بأنفسهم. علاوة على ذلك، كنت أعرف أن التوفيق المفاجئ لعرض الليلة سيأخذهم على حين غرة، لذلك لم أهتم كثيراً بإجرائهم الوقائي. وصمت هنالك، ورمي لانغدون قبل أن يضيف: "والآن... لا أدرى، لكن شيئاً ما في نبرته... بقي عالقاً في ذهني.

"هل تخشى أن تكون في خطر هنا؟ هذه الليلة؟".

"لا، لا، فقائمة الضيوف محددة جداً. وهذا المبني خاضع لإجراءات أمنية ممتازة. أنا أكثر قلقاً بشأن ما سيحدث بعد الإعلان". فجأة، بدا على إدموند الأسف لأنّه ذكر المسألة. "هذا سخيف، لا شك في أن السبب هو التوتر الذي يسبق العرض. أربت وحسب أن أعرف رأيك".

تأمل لانغدون صديقه بقلق متزايد؛ فقد بدا إدموند شاحباً ومضطرباً على نحو غير اعتيادي. "برأيي، لا يمكن أن يتعرض فالديسيبينو لحياتك إطلاقاً؛ مهما أثرت حفيظته".

انطفأت الأضواء مجدداً، بإصرار هذه المرة.

تحقق كيرش من ساعته. "حسناً، شكراً لك. على الذهاب، لكن هل يمكننا اللقاء بعد العرض؟ ثقة بعض الجوانب التي أود مناقشتها معك أكثر بكل تأكيد".

"ممتاز. سيكون الوضع فوضوياً بعد العرض، لذلك نحن بحاجة إلى مكان هادئ للهروب من الفوضى والتحدث". أخرج إدموند بطاقة وكتب شيئاً على ظهرها ثم قال: "بعد العرض، استقل سيارة أجرة، وأعطي السائق هذه البطاقة. أي سائق محلي سيعرف إلى أين يأخذك". ثم أعطى لانغدون البطاقة.

توقع لانغدون رؤية عنوان فندق أو مطعم محلي، ولكنه رأى عوضاً عن ذلك شيئاً يشبه الشيفرة.

BIO-EC346

"المعذرة، لكن هل أعطي سائق سيارة الأجرة هذه البطاقة؟".
"أجل، وسيعرف إلى أين يأخذك. سأخبر رجال الأمن هناك بمجيئك، وسألحق بك بأسرع وقت ممكن".

رجال الأمن؟ عبس لانغدون، وتساءل عما إذا كان BIO-EC346 رمزاً لنادي علمي سري.

غير أنَّ كيرش غمزه قائلاً: إنه رمز بسيط جداً يا صديقي. وينبغي أن تكون أنت من بين كلِّ الناس قادرًا على تفككه. بالمناسبة، فقط كي لا ثفاجأ، سيكون لك دور في إعلاني هذه الليلة".

فوجئ لانغدون وسأله: "أيَّ دور؟".

"لا تقلق، لن تضطر إلى فعل أي شيء".

بعد ذلك، توجه إدموند كيرش إلى مخرج الدوامة وهو يقول: "عليَّ الإسراع إلى الكواليس، لكنَّ وينستون سيقودك في طريق العودة". ثمَّ توقف عند الباب، واستدار قائلاً: أراك بعد الحفل. وأتمنى أن تكون على حقَّ بشأن فالديسبينو فأكَّد له لانغدون: "استريح يا إدموند، وركِّز على العرض. رجال الدين لن يهددوا حياتك بالخطر

لم يبدُّ كيرش مقتعاً وقال: "قد يتغير رأيك يا روبرت عندما تسمع ما أوشك على قوله".

الفصل 10

يقع المقرّ المبجل للأبرشية الكاثوليكية الرومانية لمدريد في كاتدرائية ألمودينا، وهي كاتدرائية نيوكلasicية ضخمة متاخمة للقصر الملكي في مدريد. بنيت الكنيسة على موقع مسجد قديم، واستمدت اسمها من الكلمة العربية "المدينة".

وفقاً للأسطورة، عندما استعاد ألفونسو السادس مدريد من المسلمين عام 1083، قرر نقل أيقونة ثمينة ضائعة لمريم العذراء كانت قد دُفنت تحت جدران القلعة لحفظها. وحين لم يتمكّن من العثور عليها، راح يصلّي بالحاج إلى أن انفجر جزء من جدار القلعة وانهار، وظهرت الأيقونة في الداخل، وكانت لا تزال مضاءة بالشمعة التي دفنت معها منذ قرون.

والليوم، تُعتبر عذراء ألمودينا شفيقة مدريد، ويتوافد إليها الحجاج والسياح لإقامة قداديس في كاتدرائية ألمودينا والصلاة هناك. وما يضاعف من جاذبيتها لدى المصليين هو موقعها المهيّب؛ إذ تشتهر في الساحة الرئيسة مع القصر الملكي، وهذا ما يمنّع القادمين إليها فرصة لمع أفراد الأسرة الحاكمة وهم يدخلون القصر أو يغادرونه. الليلة، في أعماق الكاتدرائية، أسرع أحد مساعدي الكهنة الشباب عبر الرواق مذعوراً.

أين الأسقف فالليسبينيو؟!

القدس على وشك أن يبدأ!

كان الأسقف أنطونيو فالليسبينيو رئيس الكهنة والمشرف على هذه الكاتدرائية لعقود من الزمن. وكان الأسقف، الذي يُعتبر صديقاً قديماً للملك ومستشاراً روحياً له، تقليدياً وصريحاً ومنقانياً، ولا يتسامح على الإطلاق تقريباً مع الحداة. حتى إن الأسقف البالغ من العمر ثلاثة وثمانين عاماً ما زال يضع أغلال الكاحل خلال أسبوع الآلام وينضم إلى الناس الذين يحملون الأيقونات وي gioيون شوارع المدينة.

فالليسبينيو دوناً عن كل الناس لا يتأخر على القدس أبداً.

قبل عشرين دقيقة، كان المساعد برفقة الأسقف في غرفته، يساعدته على ارتداء ملابسه كالعادة. وما إن أنهيا حتى تلقى الأسقف رسالة نصية، فأسرع إلى الخارج من دون أن يقول شيئاً.

إلى أين ذهب؟

بحث عنه المساعد في المحراب وغرفة الملابس وحتى في حمام الأسقف الخاص،
وها هو الآن يجري بأقصى سرعته عبر الرواق المؤدي إلى القسم الإداري للكاتدرائية
للبحث عن الأسقف في مكتبه.

سمع عزف الأرغن من بعيد.

بدأ نشيد الدخول!

توقف المساعد أمام مكتب الأسقف الخاص، وفوجئ لدى رؤيته شعاعاً من الضوء
من تحت الباب المغلق. أهوا هنا؟

طرق الباب بهدوء. "حضره الأسقف؟".

لم يأبه أي جواب.

طرق بقوة أكثر ونادي مجدداً: "هل سماحتكم هنا؟!".
لا جواب.

خوفاً منه على صحة الرجل المسن، ضغط المساعد على مقبض الباب وفتحه.
رباه! شهق المساعد وهو يتحقق إلى المكتب.

كان الأسقف فالديسبينو جالساً إلى مكتبه المصنوع من خشب الماهوغاني، محدقاً
إلى شاشة كمبيوتر محمول. كانت قلنسوته لا تزال على رأسه، أما رداؤه فكان مغضباً
تحته، وصولجانه مسنوداً إلى الجدار بلا اهتمام.

تحنخ مساعد الكاهن ثم قال: "القداس على وشك-

غير أن الأسقف قاطعه من دون أن يرفع نظره عن الشاشة: "قم بالاستعدادات
اللازمة ليحلَّ الأب ديريدا مكانى".

غير أن المساعد راح يتحقق إليه حائراً. يحلَّ الأب ديريدا مكانه! لم يكن من
المأثور أن يشرف كاهن مبتدئ على قداس مساء السبت.

قال فالديسبينو بحدة من دون أن ينظر إليه: "انصرف وأغلق الباب!".

خاف الشاب من نبرة الأسقف، ونفذ ما طلب منه فوراً، فرحل على الفور وأغلق
الباب خلفه.

أسرع باتجاه المكان الذي يتصدح فيه صوت الأرغن وهو يتتساعل عما استحوذ
على اهتمام الأسقف إلى حد أنه شغله عن أداء واجباته الدينية.

في تلك اللحظة، كان الأميرال أفيلا يتسلل بين الحشد المتزايد في قاعة متحف
غوغنهايم، وقد حيره أمر الزوار الذين يدرشون مع سماعاتهم. يبدو أن الجولة الصوتية
في المتحف عبارة عن محادثة بالاتجاهين.

شعر بالسرور لأنَّه تخلَّصَ من جهازه.
لن يلهيني أيُّ شيءٍ الليلة.

نظر إلى ساعته ومن ثمَّ إلى المصعد. وحين وجده مزدحماً بالضيوف المتوجَّهين لمشاهدة الحدث الرئيس في الطابق العلوي، قرَر صعود السلم. وفي طريقه، اجتازه إحساس عارم بعدم التصديق؛ تماماً كما حدث في الليلة الماضية. هل أصبحت حقاً قادرًا على القتل؟ لقد غيرته النقوس المجرمة التي سلبته زوجته وطفله. ذكر نفسه: أفعالي مؤيدة من سلطة عليا. ثمة خير في ما أقوم به.

وعندما وصل أفيلا إلى الطابق الأول، لفت انتباذه امرأة تسير على منصة علوية المجاورة. فقال وهو يرمي الجميلة الشهيرة، أحدَّت السيدات شهرة في إسبانيا. كانت ترتدي ثوباً أبيض ضيقاً مع شريط أسود منحرف امتدَّ ب أناقة على صدرها. كان الإعجاب يقامنها النحيلة، وشعرها الأسود الغزير، ومشيتها الرشيقَة أمراً طبيعياً. لاحظ أنه لم يكن الوحيد الذي استقرَّ نظره عليها.

بالإضافة إلى نظرات الاستحسان التي تلقَّتها من الزوار الآخرين، استحوذت المرأة ذات الفستان الأبيض على اهتمام كلِّي من قبل اثنين من رجال الأمن اللذين رافقاها عن كثب. تنقل الرجلان بثقة الفهود، وقد ارتديا سترتين زرقاء متباهتين أكتافهما مطرزة، وعليهما الحرفان GR.

لم يفاجأ أفيلا بوجودهما. ومع ذلك، تسارعت نبضاته لدى رؤيتهما. فبنصفه عضواً سابقاً في القوات المسلحة الإسبانية، كان يعرف تماماً معنى الحرفين GR. لا بدَّ أن يكون هذان المرافقان مسلحين ومدرَّبين تدريباً عالياً؛ شأنهما في ذلك شأن أي حارس شخصي على وجه الأرض.

فكَرَ أفيلا في سرَّه: إنَّ وجودهما يُلزمني باخْتَاذ أقصى درجات الحذر.
علا صوت رجل خلفه مباشرة: "مرحباً!"

فاستدار أفيلا إلى الخلف، ورأى أمامه رجلاً سميناً يرتدي بدلة رسمية، ويعتمر قبعة راعي بقر سوداء، فيما علت وجهه ابتسامة عريضة. قال مشيراً إلى زين أفيلا العسكري: "يا لها من بدلة رائعة! من أين يمكنني الحصول على واحدة مثلك؟".

حقَّ إليه أفيلا وشدَّ قبضتيه وفكَرَ في سرَّه: يتطلَّب ذلك عمرَاً كاماً من الخدمة والتضحية. غير أنه أجاب وهو يهزُّ كتفيه: "لا أجيد الإنكليزية". ثمَّ تابع طريقه صعوداً. في الطابق الثاني، وجد أفيلا رواقاً طويلاً، فتبع الإشارات للوصول إلى حمام بعيد في الطرف الأقصى. وفيما كان على وشك الدخول، تلاشت أصوات المتحف ثمَّ شاعت مجدداً؛ وكان ذلك أول تذكير لطيف لحثَ الضيوف على البدء بالتوجه إلى الطابق العلوي لحضور العرض.

دخل أفيلا الحمام الخالي، واختار الحجرة الأخيرة، ثم أغلق الباب خلفه. وما إن أصبح بمفرده حتى بدأت الأفكار السوداوية المألوفة محاولاتها للصعود إلى السطح مهددة بسحبه مرة أخرى إلى عمق الهاوية.

خمس سنوات، وما زالت الذكريات تطارني.

طرد أفيلا الذكريات الفظيعة وأخرج المسبيحة من جيبه، ثم علقها بلطاف على الخطاف المخصص للمعاطف على الباب. وبينما راحت المسبيحة والصلب المعلق بها يهتزآن بسلام أمامه، أخذ يتأمل ما صنعه يده بإعجاب. قد يشعر المؤمن بالرعب من فكرة أن يقوم شخص ما بتدمير مسبحة لفعل شيء كهذا. ومع ذلك، أكد الوصي لأفيلا أن الأوقات العصيبة تحتمل قدرًا من المرونة في قواعد الغفران.

وعده الوصي قائلاً: عندما تكون القضية مبنية ومهمة إلى هذا الحد، فإن غفران الله مضمون.

وكما هو الحال مع حماية روحه، كان جسده أيضاً خلاصاً مضموناً من الشر. نظر إلى الوشم على راحة يده.



وقد وشمه أفيلا هناك منذ ثلاثة أيام بواسطة إبرة، واستعمل حبر الحديد؛ بحسب التعليمات تماماً، والبقعة لا تزال حمراء ومؤلمة. وقد أكد له الوصي أنه في حال تم القبض عليه، فما عليه سوى رفع كفه في وجه أولئك العناصر، وسيتم إخلاء سبيله فيغضون ساعات.

قال له الوصي: نحن نحتل المراكز العليا في الحكومة.

كان أفيلا قد شاهد مدى نفوذهم المذهل، وشعر كما لو أن مظلمة من الحماية تحيط به. ما زال هناك من يحترمون الطرائق القديمة. أمل أفيلا أن ينضم يوماً إلى صفوف هذه النخبة، ولكن شعر في الوقت الراهن بالامتنان لتأديته أي دور على الإطلاق.

في عزلة الحمام، أخرج هاتقه وطلب الرقم الآمن الذي أعطي إياه. أجاب الصوت من الرنة الأولى: "ماذا؟".

فقال بانتظار التعليمات النهائية: "أنا في الموقع".
عندما قال الوصي: "لديك فرصة واحدة، ولا بد لك من اقتناصها".

الفصل 11

على بعد ثلاثة كيلومتر من ساحل دبي الذي يعج بناطحات السحاب المصيّنة، والجزر الصناعية، والفيلات التي تصدح بحفلات المشاهير، تقع مدينة الشارقة؛ العاصمة الثقافية الإسلامية المحافظة جدًا لدولة الإمارات العربية المتحدة. فبوجود أكثر من ستمائة مسجد وأربى الجامعات في المنطقة، تحتل الشارقة مركز الصدارة على صعيد الروحانية والتعلم؛ وهو موقع تغذّيه احتياطات النفط الضخمة وحاكم يضع تعليم شعبه فوق كل شيء آخر.

الليلة، اجتمعـت أسرة سيد الفضل، عـلامة الشـارقة المـحبوب، للصلـة من أجل عـودـة الوـالـد والـعـم والـزـوـج الـذـي اخـتـفى بـغـمـوض لـلـيـلـة أـمـسـ من دونـ أنـ يـتـركـ خـلفـهـ أـثـراـ. كانتـ الصـفـحـ المـحلـية قدـ أـعـلـنتـ لـلـتوـ أنـ أحـد زـمـلـاءـ العـلـامـةـ زـعـمـ أـنـهـ بدـاـ "مضـطـرـياـ عـلـىـ نـحـوـ غـرـيبـ" لـدـىـ عـودـتـهـ مـنـ بـرـلـانـدـ أـديـانـ العـالـمـ قـبـلـ يـوـمـيـنـ؛ـ وـهـوـ الـذـيـ لاـ يـفـقـهـ سـيـطـرـتـهـ عـلـىـ نـفـسـهـ عـادـةـ.ـ وـبـالـإـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ،ـ قـالـ ذـلـكـ الزـمـيلـ إـنـهـ سـمـعـهـ وـهـوـ يـتـجـادـلـ بـحـدـةـ مـعـ شـخـصـ مـاـ عـبـرـ الـهـاـنـفـ بـعـدـ وـقـتـ قـصـيرـ مـنـ عـودـتـهـ.ـ كـانـ الجـدـالـ بـالـلـغـةـ الإنـكـلـيزـيةـ،ـ وـلـمـ يـفـقـهـ مـنـهـ شـيـئـاـ،ـ وـلـكـنـهـ أـقـسـمـ إـنـهـ سـمـعـ "ـسـيـدـ"ـ يـذـكـرـ مـرـارـاـ وـتـكـرـارـاـ اـسـمـاـ وـاحـدـاـ.ـ إـدـمـونـدـ كـيرـشـ.

الفصل 12

راحت الأفكار تعصف في رأس لانغدون وهو يغادر الدوامة. كان حديثه مع كيرش مثيراً للحماسة والقلق في آن واحد؛ فسواء أكانت مزاعم كيرش مبالغ فيها أم لا، من الواضح أنَّ عالم الكمبيوتر قد اكتشف شيئاً يعتقد أنه سيحدث نقلة نوعية في العالم.

اكتشاف لا يقل أهمية عن اكتشاف كوبيرنيكوس!

عندما خرج لانغدون من الدوامة أخيراً، شعر بشيء من الدوار. رفع السماعة التي تركها على الأرض قبل قليل، ثم شغل الجهاز قائلاً: "وينستون؟ مرحباً". وبعد نقرة خافتة، عاد الدليل البريطاني الإلكتروني إلى الحياة وقال: "أهلاً بروفيسور. نعم، أنا هنا. طلب مني السيد كيرش اصطحابك عبر المصعد لأنَّ الوقت قصير جداً للعودة إلى القاعة. وقد فكر أيضاً أنَّ مصعدنا الضخم سيعجبك. هذا لطف منه، فهو يعرف أنني أعاني من رهاب الأماكن المغلقة". "الآن، أصبحت أعاني منه أنا أيضاً، ولن أنسى ذلك".

قاد وينستون لانغدون عبر باب جانبي إلى ردهة من الإسمنت تضمَّنَ مصدعاً. وكما وعده، كان المصعد ضخماً، ومصنَّماً على ما يبدو لنقل الأعمال الفنية الكبيرة. عندما دخل لانغدون المصعد، قال له وينستون: "الرِّزْ العلوي، الطابق الثالث". ما بين وصلاً إلى وجهتهما، حتَّى خرج لانغدون من المصعد. قال وينستون بصوته المرح: "حسناً، سنعبر الآن الصالة الواقعة إلى يسارك. فهذا الطريق يؤدي مباشرة إلى قاعة المحاضرات".

تبع لانغدون تعليمات وينستون، وعبر قاعة واسعة تعرض سلسلة من الأعمال الفنية الغربية. رأى مدفعاً فولاذياً يُطلق على ما يبدو كرات لاصقة من الشمع الأحمر على جدار أبيض، وزورقاً مصنوعاً من الشبك السلكي لا يمكنه أن يطفو بالطبع، ومدينة كاملة مصغرَة مصنوعة من الكتل المعدنية المصقوله. وبينما كانا يعبران الصالة باتجاه المخرج، راح لانغدون يتحقق إلى قطعة ضخمة هيمنت على المكان بحيرة باللغة.

وفكَّر في سره: لقد وجدت رسميًّا أغرب قطعة في المتحف.

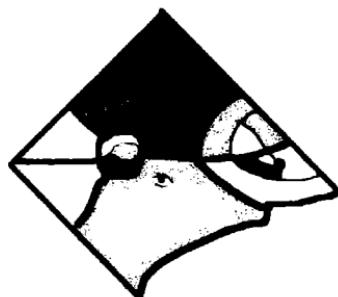
كانت التحفة تمتَّ على عرض الغرفة بكمالها، وتتألُّف من عدد كبير من الذئاب الخشبية ذات الوضعيات الديناميكية، والتي تجري في خطٍّ طوبل عبر القاعة ثُمَّ تقفز في الهواء، قبل أن تصطدم بعنف بجدار زجاجي شفاف، وتنكون ميتة على الأرض.

أخذ وينستون يشرح من تلقاء نفسه: "إنَّها تسمى /صطدام مباشر (Head On). تسعة وتسعمون ذئباً تجري بشكل أعمى نحو الجدار؛ في إشارة إلى عقلية القطيع والافتقار إلى الشجاعة للخروج عن القاعدة".

شكلت هذه الرمزية مفارقة لفتت انتباه لانغدون. أعتقد أنَّ إدموند سيخرج عن القاعدة هذا المساء على نحو دراميكي.

قال وينستون: "والآن، إنَّ تابعت طريقك مباشرة، فستجد مخرجاً إلى يسار تلك القطعة الملونة الشبيهة بالألماس. صاحبها من الفنانين المفضليين لدى إدموند". رأى لانغدون اللوحة ذات الألوان الزاهية أمامه، وعرف على الفور العلامات المميزة، والألوان الأساسية، والعين العائمة.

خوان ميرو، لطالما أحبَّ لانغدون الأعمال المرحة للفنان البرشلوني الشهير، ووجدها أشبه بمزيج من كتب تلوين الأطفال والنوفاذ الزجاجية السريالية الملونة.



اقرب لانغدون من القطعة ووقف أمامها، ولكنَّ جمد في مكانه عندما رأى السطح أملس جداً، ويخلو من ضربات الفرشاة المرئية. "أهي تقليد؟"

فأجاب وينستون: "كلاً، بل هي أصلية".

اقرب لانغدون أكثر. من الواضح أنَّ العمل طُبع بواسطة طابعة كبيرة. "وينستون، هذه طابعة، وللوحة ليست مرسومة على قماش .

أجاب وينستون: "أنا لا أعمل على القماش، بل أبتكر الفن افتراضياً، ثمَّ يطبعه لي إدموند".

عندما، قال لانغدون غير مصدق: "مهلاً، أهذا عملك؟".

أجل، حاولت تقليد أسلوب خوان ميرو

قال لانغدون: "أرى ذلك. حتى إنك وقعته باسم ميرو

قال وينستون: "كلا، دقيق النظر جيداً. لقد وقعته باسم مир، ولكن بلا علامة التشديد. فالإسبانية، هذه الكلمة تعني أنا أنظر إلى".

أقر لانغدون بذكاء تلك الفكرة وهو يرى العين الواحدة التي يتميز بها أسلوب ميرو تنظر إلى الزائر من وسط تحفة وينستون.

"طلب مثي إدموند أن أرسم صورة ذاتية، وهذا ما خرجت به." هذه صورتك الذاتية! نظر لانغدون إلى مجموعة الخطوط المتعرجة مجدداً، لا بد أنك كمبيوتر غريب الشكل.

كان لانغدون قد فرّا مؤخراً عن اهتمام إدموند المتامٍ بتعليم أجهزة الكمبيوتر ابتكار فن حاسبي، أي فن ناتج عن برامج كمبيوتر في غاية التعقيد. وقد طرح ذلك سؤالاً غير مريح: عندما يبتكر الكمبيوتر فناً، من يكون الفنان، الكمبيوتر أم المبرمج؟ وفي معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، طرح معرض نظم مؤخراً للفنون الحاسوبية المنجزة ببراعة عالية سوّاً غريباً في مادة العلوم الإنسانية في جامعة هارفرد: هل الفن هو ما يجعلنا بشراً؟

قال وينستون: "أنا أولف الموسيقى أيضاً. عليك أن تطلب من إدموند أن يعزف لك شيئاً منها لاحقاً إن كنت تشعر بالفضول. لكن، عليك الآن أن تسرع، فالعرض على وشك أن يبدأ".

غادر لانغدون القاعة ووجد نفسه على منصة عالية تشرف على القاعة الرئيسية وفي الجهة المقابلة من تلك القاعة المقتبة، كان الأداء يحثون آخر الضيوف على مغادرة المصعد ويقودونهم باتجاه لانغدون نحو باب في الأمام.

قال وينستون: "سيبدأ برنامج الليلة خلال دقائق معدودة، هل ترى مدخل قاعة العرض؟".

"أجل، إنه أمامي".

"ممتناز. هناك شيء آخر. عندما تدخل، ستري عدداً من المستويات المخصصة للسماعات. غير أن إدموند طلب مني إخبارك بآلا تعيد سمعاً عنك، بل أن تحافظ بها وهكذا، سأتمكن بعد انتهاء البرنامج من مرافقتك إلى خارج المتحف عبر باب خلفي وستتجنب بذلك الحشود وتضمن إيجاد سيارةأجرة".

عادت إلى ذهن لانغدون سلسلة الأرقام والأحرف الغربية التي دونها إدموند على البطاقة، وطلب منه إعطاءها للسائق. "وينستون، لم يكتب إدموند سوى BIO-EC346 وقال إنه رمز بسيط للغاية".

أجاب وينستون على الفور: "هذا صحيح. والآن بروفيسور، البرنامج على وشك أن يبدأ. أتمنى أن تستمتع بمحاضرة السيد كيرش. وأنا بانتظار مساعدتك على الخروج في ما بعد".

سمعت نقرة مفاجئة، ثم اخفي وينسون.

اقترب لأنгодون من الباب، ثم نزع سماعه ووضع الجهاز الصغير في جيب سترته. بعد ذلك، أسرع عبر المدخل مع آخر الضيوف قبل أن يغلق الباب وراءه. وجد نفسه مجدداً في مكان غير متوقع.

هل سنحضر العرض ونحن واقفون؟!

كان لأنгодون قد تخيل أن الحشد سيجتمع في قاعة جلوس مريحة للاستماع إلى إعلان إدموند. ولكن عوضاً عن ذلك، وقف مئات الضيوف في قاعة بيضاء ضيقة لا تحتوي على أعمال فنية مرتيبة ولا على مقاعد، بل على مجرد منصة عند الجدار المقابل، تعلوها شاشة إل سي دي كبيرة ظهرت عليها الجملة التالية:

يبدأ البرنامج الحي بعد دقيقتين وسبعين ثوان

شعر لأنгодون بالترقب، وواصلت عيناه قراءة سطر آخر على الشاشة، واحتاج إلى قرائته مرتين:

الحضور الحالي عن بعد: 1,953,694

مليونا شخص !!

كان كيرش قد أخبره أنه سيثبت إعلانه عبر الهواء مباشرة، لكن هذه الأرقام تفوق الخيال، والرقم يرتفع بسرعة مع كل ثانية.

عبرت ابتسامة خفيفة وجه لأنгодون. لا شك في أن طالبه السابق قد حقق نجاجاً كبيراً. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما الذي ينوي إدموند إعلانه للعالم؟

الفصل 13

تحت ضوء القمر في الصحراء، شرق دبي تماماً، انحرفت عربة مخصصة للسير على الكثبان الرملية من نوع ساند فايرر 1100 إلى أقصى اليسار وتوقفت، مثيرة سحابة من الرمال أمام مصابيحها الأمامية.

خلع الشاب المراهق الجالس خلف المقود نظارته وحدق إلى الشيء الذي أوشك أن يدوسه، ثم ترجل من العربة خائفاً، واقترب من الشكل الداكن الغارق في الرمال. كان تماماً كما بدا له.

فهناك، في ضوء مصابيح العربة، تمدد جسد بشري على وجهه بلا حراك. ناداه الشاب: "مرحباً". لكن، ما من محيب.

عرف الشاب أن الشخص الممدد على الرمال رجل نظراً إلى ملابسه؛ وذلك لأنَّه كان معتمراً شاشيةً ومرتدياً العباءة التقليدية الواسعة. كما بدا أنه يتمتع بجسد قوي. كانت آثار قدميه قد تلاشت منذ مدة طويلة؛ شأنها في ذلك شأن أي آثار للإطارات قد تشير إلى كيفية قوْلَه في الصحراء إلى هذا الحد.

كرر الشاب: "مرحباً".

ولكنه لم يحصل على أيَّ جواب.

لم يعرف ما الذي يجر به فعله، فمدَّ قدمه ووكلَّ بها الرجل بلطف. ومع أنَّ جسده كان ممتلئاً، إلا أنه بدا قاسيَاً ومشدوداً بعد أن جفت أساساً بفعل الرياح والشمس. لقد مات بالتأكد.

انحنى الشاب وأمسك بكتف الرجل ثم حمله على ظهره؛ فحدثَت عيناً الرجل الحاليتان من الحياة إلى السماء. كان وجهه ولحيته مكسوين بالرمال، ولكن على الرغم من ذلك، بدت ملامحه ودببة بشكل ما، لا بل مألوفة، كما لو كان عماً أو جداً محبوباً.

سمع صوت عدد من الدراجات الرياعية والعربات في الجوار مع عودة رفاق الشاب للتأكد من أنه لم يصب بأيَّ م Kroه. هدرت محركات عرباتهم وهي تسير فوق الكثيب قبل أن تنزلق على سفحه.

توقف الجميع ونزعوا نظارتهم وخوذاتهم، ثم تجمعوا حول ذاك الاكتشاف المرهون للجنة الجافة. وسرعان ما راح أحد الصبية يتكلّم بحماسة بعد أن تعرّف على الرجل الميت على أنه العلامة الشهير سيد الفضل، العالم والزعيم الديني الذي يُلقى محاضرات في الجامعة من وقت إلى آخر.

سأل بصوت عالٍ: "ماذا فعل؟!".

تحقّق الصبية في دائرة، وراحوا يحدّقون إلى الجثة بصمت. وأخيراً، فعلوا ما يفعله المراهكون حول العالم؛ إذ أخرجوا هواتفهم، وبدأوا بالتقاط الصور لإرسالها إلى أصدقائهم.

وقف الضيوف جنباً إلى جنب حول المنصة، وشاهد روبرت لأنعدون بذهول الرقم على الشاشة يرتفع باطراد.

الحضور الحالي عن بعد: 2,527,664

كانت ثرثرة الحضور في القاعة الضيقة قد ارتفعت إلى هممات واضحة فيما كان مئات الضيوف يهمسون بترقب، بينما يجري الكثيرون منهم مكالمات هاتفية حماسية في اللحظة الأخيرة أو يطلقون تغريدات عن مكان وجودهم.

صعد فتى إلى المنصة، وطرق على مكبر الصوت. "سيداتي سادتي، لقد رجوناكم في وقت سابق وطلبنا منكم إطفاء الهواتف المحمولة، والآن سنوقف كل اتصال بالواي فاي والاتصالات الخلوية طوال فترة هذا الحدث."

كان الكثير من الضيوف لا يزالون يستخدمون هواتفهم، غير أن الاتصال انقطع فجأة. بدا معظمهم مذهولين تماماً؛ كما لو أنهم رأوا للتو تكنولوجيا سحرية من صنع كيرش قادرة على قطع كل اتصال بالعالم الخارجي.

لا يكفي الأمر سوى خمسمائة دولار في متجر للإلكترونيات. فقد كان لأنعدون واحداً من أساتذة هارفرد الذين يستخدمون تكنولوجيا التشویش على الهاتف المحمول لجعل قاعات محاضراتهم "مناطق ميتة"، ولمنع طلابهم من استخدام أجهزتهم الخلوية خلال المحاضرات.

أنى مصور ووقف في موقع مناسب حاملاً كاميرا ضخمة على كتفه، وجهها إلى المنصة، ثم خفتت أصوات القاعة.

على الشاشة، ظهرت هاتان الجملتان:

يبدأ البرنامج الحي بعد ثمان وثلاثين ثانية
الحضور الحالي عن بعد: 2,857,914

راقت لانعدون عداد الحضور بدهشة عارمة. فقد بدا أنه يرتفع بسرعة أكبر من الدين الوطني الأميركي. وجد أنه من المستحيل تقريباً أن تخيل أن ثلاثة ملايين شخص تقريباً يجلسون في منازلهم في هذه اللحظة لمشاهدة بثٍ حتى لما سيحدث في هذه القاعة.

أعلن الفنان بهدوء عبر مكبر الصوت: "ثلاثون ثانية".

في تلك اللحظة، فتح باب ضيق في الجدار خلف المنصة، فصمت الحضور على الفور، ونظروا جميعاً بترقق إلى إدموند كيرش العظيم. لكن إدموند لم يظهر.

بقي الباب مفتوحاً لمدة عشر ثوانٍ تقريباً. وأخيراً، ظهرت امرأة أنيقة واقتربت من المنصة. كانت رائعة الجمال، وممشوقة القوام، وذات شعر أسود طويل، ترتدي فستاناً أبيض ضيقاً مع شريط أسود منحرف. بدت أنها تسير على الأرض بلا جهد. وقفت في وسط المسرح، وعدلت مكبر الصوت، ثم أخذت نفساً عميقاً، ووجهت للحضور ابتسامة صبورة وهي تنتظر أن يحين الوقت.

يبدأ البرنامج الحي خلال عشر ثوانٍ

أغمضت المرأة عينيها للحظة وكأنها تستجمع نفسها، ثم فتحتها مجدداً وانتظرت. رفع المصوّر خمس أصابع. أربعة، ثلاثة، اثنان...

خيم الصمت التام بينما نظرت المرأة إلى الكاميرا. وفي تلك اللحظة، نقلت الشاشة صورة حية لوجهها. نظرت إلى الحضور بعينيها السوداويتين الملئتين بالحماسة وهي تبعد خصلة من شعرها عن خدّها الأسمري.

استهلت كلامها قائلة بكلمة إسبانية خفيفة وبصوت متوقف وجميل: "مساء الخير جميعاً. أنا أدعى أميراً فيدال".

انفجرت القاعة بتضليل عالي؛ الأمر الذي أثبت بوضوح أن عدداً كبيراً من الناس يعرفون من تكون.

صاح أحدهم: "تهانينا!".

فاحمر وجه المرأة، وشعر لانعدون أن بعض المعلومات قد فاتته.

قالت بسرعة: "حضرات السيدات والساسة، على مدى السنوات الخمس الماضية كنت مديره متحف غوغنهايم بيلباو، وأنا هنا الليلة لأرحب بكم في أمسية خاصة يقدمها رجل استثنائي .

صُقَقُ الحشد بحماسة، وشاركهم لأنعدون التصفيق.

لا يُعَدَ إدموند كيرش راعياً سخياً لهذا المتحف فحسب، بل أصبح أيضاً صديقاً موثقاً. ومن دواعي سروري، كما أنه شرف شخصي لي، أنني عملت معه عن كثب خلال الأشهر القليلة الماضية للتخطيط لحدث هذه الليلة. لقد تحققت للتو من أنَّ وسائل الإعلام الاجتماعية مشغولة بالحدث! وكما سمع الكثيرون منكم بلا شك، ينوي إدموند كيرش الإعلان عن اكتشاف علمي كبير هذه الليلة، ويعتقد أنَّ العالم سيذكر مساهمته هذه إلى الأبد".

سرت مهمة مليئة بالحماسة عبر القاعة.

فيما ابتسمت المرأة ذات الشعر الأسود مضيفة: "بالطبع، توسلت إلى إدموند ليخبرني بما اكتشفه، ولكنه رفض حتى مجرد التلميح إليه".
أعقبت كلامها موجة من الضحك والمزيد من التصفيق.

"سيتم عرض حدث هذه الليلة المميز باللغة الإنكليزية؛ لغة السيد كيرش الأُمّ، مع أنَّ من يحضرون منكم عن بعد سيحظون بترجمة فورية إلى أكثر من عشرين لغة".
أضافت أمبرا: "إن ساورتكم أي شكوك بشأن ثقة إدموند بنفسه، إليكم البيان الصحفي الذي أعطي قبل خمس عشرة دقيقة إلى وسائل الإعلام حول العالم".
رمق لأنعدون الشاشة.

الليلة: بِئْ حَيَّ. الساعَةُ 20:00 بِتوقيت وسط أوروبا الصيفي
سيعلن العالم المستقبلي إدموند كيرش عن اكتشاف
من شأنه أن يغير وجه العلم إلى الأبد.

فكَرَ لأنعدون سره: هكذا إذَا يحصل المرء على ثلاثة ملايين مشاهد في غضون دقائق.

ثمَّ حَوَّلَ انتباهه إلى المنصة، ورأى شخصين لم يلاحظ وجودهما سابقاً، حارسين بملامح جامدة كالصخر يقنان بكل تأهب قرب الجدار الجانبي، ويراقبان الحشد. فوجئ لأنعدون لدى رؤيتهما الحرفين الأوليين على سترتيهما الزرقاويين.
الحرس الملكي؟! ما الذي يفعله الحرس الملكي هنا الليلة؟

بدا من غير المحتمل حضور أحد أفراد الأسرة المالكة هذا الحدث. فوصفتهم كاثوليك محافظين، لا شكَّ في أنَّهم يتجلبون الاجتماعات العامة مع ملحد مثل إدموند كيرش. ومع أنَّ ملك إسبانيا يتمتع بسلطنة رسمية محدودة جداً - لكونه ملكاً برلمانياً - إلا أنه يحتفظ بنفوذ هائل على قلوب أبناء شعبه وعقولهم. بالنسبة إلى ملايين الإسبان، ما

ما زال الناج يشكّل رمزاً للتقاليد الكاثوليكية الغنية للملوك الكاثوليك ولعهد إسبانيا الذهبي. ولا يزال القصر الملكي في مدريد يُعتبر بوصلة روحية ونصباً تذكارياً يشهد على تاريخ طويل من المعتقدات الدينية الراسخة. كان لانغدون قد سمع هذه الجملة في إسبانيا: البرلمان يقرر، لكنَّ الملك يحكم". فخلال قرون من الزمن، كان جميع الملوك الذين ترأّسوا الشؤون الدبلوماسية للبلاد كاثوليكًا محافظين ومتدينين جدًا. والملك الحالي ليس بستثناء، هذا ما توصلَ إليه لانغدون بعد أن قرأ عن قناعات الرجل الدينية العميقه وقيمه المحافظة.

في الأشهر الأخيرة، قيل إنَّ الملك المسن طريح الفراش ويصارع الموت، وإنَّ البلد يستعد لانتقال السلطة إلى ابنه الوحيد، جولييان. وبحسب الصحف، كان الأمير جولييان غامضاً إلى حدٍ ما؛ بعد أن عاش بهدوء في ظل أبيه طويلاً. وسكان البلد يتداولون الآن عن نوع الملوك الذي سيكون عليه. هل أرسل الأمير جولييان حرساً ملكيين لاستكشاف ما يجري في الحدث الذي نظمه إدموند؟

تذكر لانغدون مجندًا رسالة التهديد الصوتية التي أرسلها الأسقف فالديسيبينو. فعلى الرغم من مخاوف لانغدون، شعر أنَّ الأجواء ودية ومحاسبة ويسودها الأمان. وتذكر ما قاله إدموند عن أنَّ التدابير الأمنية لهذه الليلة مشددة جدًا. لذا، ربما كان الحرس الملكي تتبّير حماية إضافياً لضمان سير الأمسيّة على ما يرام. تابعت أميراً فيداً كلّمها: "من يعرفون منكم مدى شغف إدموند بالدراما، أنتم تعلمون بلا شكَّ أنه ليس شخصاً يخطط لجعلنا نقف في هذه الغرفة المعقّمة طويلاً.

وأشارت إلى باب مغلق في الجهة المقابلة.

خلف هذا الباب، أقام إدموند كيرش فضاءً تجريبياً لتقديم محاضرة دينامية متعددة الوسائل هذه الليلة. وهي مجهزة بأجهزة الكمبيوتر، وسيُبَثَّ العرض مباشرة حول العالم. وصمنت قليلاً للنظر إلى ساعتها الذهبية، ثم تابعت: "تمَّ توقيت حدث الليلة بعناية، وقد طلب مني إدموند إدخالكم جميعاً لكي تبدأ عند الساعة الثامنة والربع تماماً، أي بعد دقائق فقط". وأشارت إلى الباب المزدوج. "لذا، من فضلكم أتيها السيدات والسادة، ادخلوا رجاء لنرى ما يخبئه لنا إدموند كيرش المذهل."

وفي تلك اللحظة فتح الباب.

فاسترق لانغدون نظرة إلى الداخل متوقعاً رؤية صالة عرض أخرى. غير أنه عوضاً عن ذلك، دُهش تماماً بما رآه. فخلف الباب، ظهر نفق طويل مظلم.

وقف الأميرال أفيلا في الخلف، بينما بدأ حشد الزوار يتدافع بحماسة نحو الممر ذي الإضاءة الخافتة. نظر إلى النفق، وسرّ عندما رأه غارقاً في الظلام.

من شأن الظلام أن يجعل مهمته أسهل بكثير.

لمس المساحة في جيبيه واستجمع أفكاره، ثم راجع التعليمات التي تلقاها للتو بشأن مهمتها.

سيكون التوقيت حاسماً.

الفصل 15

كان النفق المصمم من القماش الأسود المعلق على أقواس داعمة يمتد بعرض نحو عشرين قدمًا، ويرتفع قليلاً متوجهاً إلى اليسار. وكان مكسواً بسجادة سوداء سميكه، بينما انبعثت الإضاءة الوحيدة من شريطين من المصايبخ ممتدين على طول قاعدة الجدران.

همس دليل للوافدين الجدد: "الأحنيه من فضلكم. الرجاء خلع الأحنيه وحملها معكم". خلع لانغدون حذاءه الجلدي، فغرقت قدماه المكسوتان بالجوربين في السجادة الناعمة. شعر تلقائياً بأن جسده يسترخي، وسرعان ما علت حوله تنهيدات الارتياح. وبينما كان يمشي عبر الممر، رأى نهايته أخيراً، وكانت عبارة عن حاجز من ستارة سوداء يقف عندها أدلاء يستقبلون الضيوف ويسلمون كلّاً منهم ما بدا كما لو أنه منشفة بحر سميكه، وذلك قبل اصطدامهم عبر ستارة.

داخل النفق، تلاشت مهمات الترقب، وحل محلها صمت تردد. وحين وصل لانغدون إلى ستارة، ناوله دليل قطعة قماش مطوية، فأدرك أنها ليست منشفة بحر بل بالأحرى بطانية سميكه يتصل أحد أطرافها بوسادة. شكر لانغدون الدليل، ثمّ عبر من خلال ستارة.

للمرة الثانية هذه الليلة، أجبَر على التوقف. فمع أنه لم يكن يعرف ما ينتظره خلف ستارة، إلا أنه لم يتخيل بكل تأكيد شيئاً من هذا القبيل.

هل نحن... في الهواء الطلق؟

كان لانغدون يقف على أطراف حقل واسع. فوقه، امتدت سماء مرصعة بالنجوم، وفي البعيد، توهج هلال نحيل وهو يرتفع من خلف شجرة قيقب وحيدة. ملأت صراصير الليل الفضاء بأنشيدتها، بينما داعب نسيم دافئ وجهه، وكان عابقاً برائحة العشب المجزوز حديثاً تحت قدميه المكسوتين بالجوربين.

همس الدليل: "سيدي"، ثمّ أمسك بذراعه وقاده إلى الحقل مضيفاً: "أرجو أن تجد مكاناً هنا على العشب تندّ عليه بطانيتك وتستمتع بالجلوس".

مشى لانغدون في الحقل مع بقية الضيوف الذين كانوا لا يقلون عنه دهشة، وكان معظمهم يختارون بقعأ على العشب لمدّ بطانياتهم. كانت المساحة العشبية المشتبأة

تعالى مساحة حلبة هوكي تحيط بها الأشجار والأعشاب الطويلة التي راحت تصدر حفيقاً بفعل النسيم.

استغرق لانغدون بضع دقائق ليدرك أن كلّ هذا كان وهمًا، إنه مجرد عمل فني هائل.

فَكَرْ في سرَّهُ: أنا داخل قبة سماوية دقيقة الصنع. وتعجب من شدة الاهتمام بالتفاصيل.

كانت السماء المليئة بالنجوم في الأعلى إسقاطاً، بما في ذلك القمر، والسحب، والتلال البعيدة. أما الأشجار والأعشاب التي تصدر حفيقاً فكانت موجودة بالفعل؛ وهي إما مزيفة باتفاق أو غابة صغيرة من النباتات الحية في أماكن مخفية. وهذا الشريط غير الواضح من الأعشاب يخفي بنكاء الأطراف الصلبة لهذه الغرفة الهائلة، وينجح الآخرين الانطباع بأنهم في بيئه طبيعية.

جلس لانغدون القرفصاء ولمس العشب، فوجده طرياً كالعشب الحي، ولكنَّه جاف تماماً. وكان قد قرأ عن أعشاب اصطناعية جديدة تخدع حتى الرياضيين المحترفين، غير أنَّ كيرش ذهب خطوة أبعد من ذلك وابتكر أرضاً غير مستوية بعض الشيء، مع منخفضات ومرتفعات صغيرة؛ تماماً مثل مرج حقيقي.

تذَكَّرَ المرأة الأولى التي خدعته فيها حواسه. كان طفلاً في قارب صغيرة يبحر في ميناء تحت ضوء القمر، وكانت ثمة سفينة قراصنة شارك في معركة حامية بالمدافع. لم يتقبل عقل لانغدون اليافع أنه لم يكن في ميناء على الإطلاق، بل في مسرح تحت الأرض غمر بالماء للإيحاء بهذا الوهم ضمن رحلة قراصنة الكاريبي في عالم ديزني.

هذه الليلة، كان التأثير واقعاً على نحو مذهل. وبينما كان الضيوف يستوعبون تلك الحقيقة، رأى لانغدون الدهشة والفرح نفسيهما على وجوههم. كان لا بد له من الاعتراف ليس بنجاح إيموند في ابتکار هذا الوهم المذهل فقط، وإنما بتمكنه من إقناع مئات الراشدين بخلع أحذنتهم الألبسة والاستلاء على العشب وتأمل السماء.

كنا نفعل ذلك في صغرنا، ولكن في مرحلة ما من حياتنا، توقفنا عن ذلك.

استلقى لانغدون ووضع رأسه على الوسادة، ثم ترك جسده يذوب في العشب الطري.

فوق رأسه لمعت النجوم، وللحظة شعر أنه عاد مراهقاً ممدداً على العشب الأخضر في ملعب الغولف في بالد بيوك في منتصف الليل مع صديقه المفضل، وهو يتقهقر في أسرار الحياة. مع شيء من الحظ، قد يكشف لنا إيموند كيرش بعضاً من هذه الأسرار الليلية.

في الجزء الخلفي من المسرح، استطاع الأميرال لويس أفيلا الغرفة للمرة الأخيرة، ثم تراجع بصمت إلى الخلف، وعبر خلسة السيارة نفسها التي دخل منها للتو. وعندما أصبح بمفرده في النفق، مرر يده على جدران النسيج إلى أن عثر على شق. وبهدوء قدر الإمكان، فتح الشق الذي تم إغلاقه بشرطه فيلکرو، ثم عبر من خلاله وأعاد إغلاق الفتحة خلفه.

وعلى الفور، تبخرت كل الأوهام.

إذ لم يعد أفيلا واقفاً في مرج. بل أصبح الآن في غرفة مستطيلة هائلة تعلوها قفاعة كبيرة بيضاوية الشكل. غرفة داخل غرفة. كان البناء الموجود أمامه، والذي يشبه مسرحاً مقتبباً، محاطاً بهيكل خارجي شاهق من السقالات التي تدعم شبكة من الكابلات والمصابيح ومكبرات الصوت. وكان ثمة مجموعة متملئة من أجهزة عرض الفيديو التي تتوهج معاً وهي موجهة إلى الداخل، وتلتقي أشعة عريضة من الضوء نحو الأسفل، على سطح القبة الشفاف، وتولّد في الداخل وهوأ ما يوجد سماء مضاء بالنجوم وتلال بعيدة. أعجب أفيلا بشغف كيرش بالدراما؛ مع أنَّ العالم المستقبلي ما كان ليتخيل كم ستصبح هذه الليلة درامية قريباً.

تنكّر ما يوجد على المحك. أنت جندي في حرب نبيلة. أنت جزء من كلّ أكبر. كان أفيلا قد تدرّب على هذه المهمة في عقله مرات عديدة. مذ يده إلى جيده وأخرج مسبحة الخرز الكبيرة. وفي تلك اللحظة، ارتفع صوت رجل ذي نبرة جمهورية من مجموعة مكبرات الصوت المثبتة فوق رأسه داخل القبة.
"مساء الخير يا أصدقائي، أنا أدعى إدموند كيرش".

الفصل 16

في بودابست، أخذ الحاج كوفيس يذرع غرفة مكتبه ذات الإضاءة الخافتة بعصبية. حمل جهاز التحكم عن بعد، وراح يقلب قنوات التلفاز بنفاذ صبر وهو ينتظر المزيد من الأخبار من الأسقف فالديسيبينو.

على الشاشة، قطعت عدة قنوات برامجها المعتادة خلال الدقائق العشر الفائتة لتنقل بثاً حياً من متحف غوغنهايم. كان المعلقون يناقشون إنجازات كيرش، ويطلقون التخمينات حول إعلانه الوشيك الغامض. وتقلصت عضلات كوفيس عند ملاحظته مستوى الاهتمام المتعاظم.

لقد سبق لي أن رأيت هذا الإعلان.

قبل ثلاثة أيام، على قمة جبل مونسيرا، عرض إدموند كيرش على كوفيس والفضل فالديسيبينو ما زعم أنه ملخص. والآن، توقع كوفيس أن يكون العالم على شक مشاهدة البرنامج نفسه.

قال نفسه بحزن: هذه الليلة، لن يبقى شيء على حاله.

في تلك اللحظة، رن الهاتف وأخرج كوفيس من تأملاته، فتناول السماعة.

بدأ فالديسيبينو حديثه بلا مقدمات: "يهودا، أخشى أن لدى المزيد من الأخبار السيئة". وبصوت كثيف، قرأ عليه تقريراً غريباً ورده للتو من الإمارات العربية المتحدة.

وضع كوفيس يده على فمه بربع و قال: "العلامة الفضل... انتحر!".

"هذا بحسب توقعات السلطات. فقد عُثر عليه منذ مدة قصيرة في عمق الصحراء... كما لو أنه ذهب إلى هناك بقدميه ليموت". وصممت فالديسيبينو قليلاً قبل أن يضيف: "جل ما أستطيع التفكير فيه هو أن ضغوط الأيام القليلة الماضية كانت أكبر مما استطاع أن يتحمل".

فكَّر كوفيس بذلك الاحتمال، واجتاحته موجة من الحسرة والحيرة. فقد كان هو أيضاً يعاني من جراء اكتشاف كيرش، لكن فكرة أن يقدم العلامة الفضل على وضع حد لحياته بسبب شدة اليأس بدت له بعيدة الاحتمال تماماً.

قال كوفيس: "ثمة خطب ما هنا. لا أصدق أنه أقدم على فعل شيء كهذا".

خِيم الصمت على الطرف الآخر طويلاً. وأخيراً، وافقه فالديسيينو الرأي قائلًا: "يسُرّنِي أنْ تقول ذلك. فـأنا أَفَقُ أَتَنِي لِمَ أَقْبَلَ فِكْرَةُ انتحارِه بـسُهُولَةٍ". "إذَا... منْ قَدْ يَكُونُ المَسْؤُلُ؟".

أجاب الأسقف بسرعة: "أَيْ شَخْصٌ أَرَادَ أَنْ يَبْقَى اكتشاف إدموند كيرش طَيِّ الكتمان. لَأَبْدُ أَنَّهُ شَخْصٌ مَثْلُنَا يَبْطِئُ أَنَّ أَسَابِيعَ مَا زَالَتْ تَفَصِّلُنَا عَنْ هَذَا الإعلان". فرد عليه كوفيس: "لَكَنَّ كيرش أَكَدَ لَنَا أَنَّ لَا أَحَدَ غَيْرُنَا يَعْرِفُ بِأَمْرِ هَذَا الاكتشاف! لَا أَحَدْ سَوْانَا أَنَا وَأَنْتَ وَالْعَلَمَةُ الْفَضْلُ".

"رَبِّما كَذَبَ بِشَأنِ ذَلِكَ أَيْضًا. لَكِنَّ، حَتَّى لَوْ كَنَّا نَحْنُ الْثَلَاثَةَ فَقَطُّ الَّذِينَ نَعْرِفُ بِمَا أَخْبَرْنَا إِيَاهُ، تَذَكَّرُ كَمْ كَانَ سَيِّدُ الْفَضْلِ راغبًا فِي إِطْلَاعِ الْعَالَمِ عَلَى هَذَا الْخَبَرِ. مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ الْعَلَمَةُ قَدْ أَطْلَعَ أَحَدَ زَمَلَائِهِ فِي الْإِمَارَاتِ عَلَى اكتشافِ كيرش، وَرَبِّما اعْتَقَدَ ذَلِكَ الزَّمِيلُ - شَانِي أَنَا - أَنَّهُ سَتَكُونُ لَهُ تَدَاعِيَاتٌ خَطِيرَةٌ".

فَسَأَلَهُ الْحَاجُّمُ غَاضِبًا: "مَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَلِكُ؟! أَتَعْنِي أَنَّ أَحَدَ زَمَلَاءَ الْفَضْلِ قَدْ قُتِلَ لِيُسْكِنَهُ؟! هَذَا كَلَامٌ سَخِيفٌ!".

فَأَجَابَ الْأَسْقَفُ بِهَدْوَهُ: "حَضْرَةُ الْحَاجُّمُ، أَنَا لَا أَعْرِفُ حَتَّى مَا جَرَى، بَلْ أَحَاوَلُ أَنْ أَتَوْقَعَ مَا حَصَلَ وَحْسِبٌ؛ مَثْلُكَ تَمَامًا".

فَقَتَهَدَ كَوفِيس قائلًا: "أَنَا آسَفٌ، مَا زَلْتُ أَحَاوَلُ اسْتِعْيَابَ خَبْرِ مَوْتِ سَيِّدِ". "وَأَنَا أَيْضًا. وَلَكِنَّ، إِنْ كَانَ سَيِّدٌ قَدْ قُتِلَ بِسَبِّبِ مَا يَعْرِفُهُ، فَعُلِّيَّنَا أَنْ نَكُونَ حَذَرِينَ. فَمِنْ الْمُحْتَلِمِ أَنْ نُسْتَهْدِفَ أَنَا وَأَنْتَ أَيْضًا".

فَكَرَّ كَوفِيس بِذَلِكَ ثُمَّ قَالَ: "مَا إِنْ يَخْرُجَ النَّبَأُ إِلَى الْعُلَنِ حَتَّى لَنْ تَعُودَ لَنَا أَيْ أَهْمَيَّةٌ".

"هَذَا صَحِيحٌ، وَلَكَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَى الْعُلَنِ بَعْدَ".

"تِيَافَةُ الْأَسْقَفِ، لَا تَفَصِّلُنَا عَنِ الإعلانِ سُوَى دَقَائِقٍ، وَجَمِيعُ الْمَحَطَّاتِ تَنْقَلُهُ". عندَهَا، تَنَهَّدَ فالديسيينو متَعِبًا وَقَالَ: "بِالْفَعْلِ... يَبْدُوا أَنَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَقْبَلَ فِكْرَةً أَنْ دُعْوَاتِي لَمْ يُسْتَجِبْ لَهَا".

فَقَسَاعِلَ كَوفِيس عَمَّا إِذَا كَانَ الْأَسْقَفُ قَدْ دَعَا اللَّهَ تَحْدِيدًا لِيُغَيِّرَ رَأْيَ كيرش. قال فالديسيينو: "حَتَّى لَوْ خَرَجَ هَذَا النَّبَأُ إِلَى الْعُلَنِ، فَلَنْ نَكُونَ بِأَمَانٍ. فَأَنَا أَخْشَى أَنْ يَسْتَمْنِعَ كِيرش بِإِخْبَارِ الْعَالَمِ أَنَّهُ اسْتَشَارَ زُعمَاءَ دِينِيْنِ قَبْلَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَأَسْتَأْسَعَ الْآنَ عَمَّا إِذَا كَانَ مَظَهُرُ الشَّفَافِيَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ دَافِعَهُ الْحَقِيقِيُّ الْكَامِنُ وَرَاءَ دُعْوَتِنَا إِلَى الْاجْتِمَاعِ. أَمَّا إِنْ ذَكَرْنَا بِالْأَسَمِ، فَسَنُصْبِحُ أَنَا وَأَنْتَ مَحْورُ الْأَسْتَلَةِ، وَرَبِّما حَتَّى مَحْورُ الْأَنْتَقَادِ مِنْ رُعِيَّتِنَا نَفْسَهَا الَّتِي سَتَرَى أَنَّهُ كَانَ يَجْدِرُ بِنَا أَنْ نَتَخَذَ إِجْرَاءَتِنَا. أَنَا آسَفٌ، أَنَا... وَتَرَنَّدَ الْأَسْقَفُ كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَرْغُبُ فِي قَوْلِ الْمَزِيدِ.

فتحه كوفيس قائلاً: "ما الأمر؟".

"يمكنا مناقشة ذلك لاحقاً. سأتصل بك مجدداً بعد أن نرى كيف سيتعامل كيرش مع إعلانه. وحتى ذلك الحين، ابق في الداخل من فضلك، وأغلق على نفسك الأبواب، ولا تكلم أحداً، وانتبه إلى نفسك".

"أنت تقلقني يا أنطونيو".

فأجاب فالديسيبينو: "أنا لا أقصد ذلك، ولكن ليس ببينا حيلة سوى الانتظار لرؤية كيفية تعامل العالم مع الخبر. لقد خرجت هذه المسألة الآن من بين أيدينا".

الفصل 17

وَهُدِّهِ النَّسِيمُ ظَلَّ يُخْرِقُ سَكُونَ الْحَقْلِ دَاخِلَ مَتْحَفٍ غَوْنَهَايِمَ بَعْدَ أَنْ تَنَاهَى صَوْتُ إِيمُونْدَ كِيرْشَ إِلَى مَسَامِعِ الْجَمِيعِ كَمَا لَوْ أَنَّهُ صَادَرَ مِنَ السَّمَاءِ. كَانَ مَئَاتُ الزُّوَّارِ مُمْدَدِينَ عَلَى الْبَطَانَيَاتِ، وَهُمْ يَحْدَقُونَ إِلَى النَّجُومِ. اسْتَقَى لَانْغُدُونُ عَلَى بَطَانَيْهِ فِي وَسْطِ الْحَقْلِ تَقْرِيبًا، وَقَدْ سَيَطَرَ عَلَيْهِ إِحْسَاسٌ مُتَنَاهٍ بِالْتَّرَقُّبِ.

فِيمَا تَابَعَ صَوْتَ كِيرْشَ: "اللَّيلَةُ، دَعُونَا نَرْجِعُ أَطْفَالًا مِنْ جَدِيدٍ. فَلَنْسَتِقِي تَحْتَ النَّجُومِ، وَلَنْفَتَحَ عُقُولُنَا عَلَى جَمِيعِ الْاحْتِمَالَاتِ".

شَعْرٌ لَانْغُدُونَ بِتَعْظِيمِ حَمَاسَةِ الْحَضُورِ.

"اللَّيلَةُ، لَنَكُنْ مِثْلَ الْمُسْتَكْشِفِينَ الْأَوَّلِيِّنَ تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَرَاءَهُمْ وَأَبْحَرُوا فِي الْمُحِيطَاتِ الشَّاسِعَةِ... الَّذِينَ أَلْقَوا أَوَّلَ نَظَرَةً عَلَى أَرْضِ لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلِ... الَّذِينَ رَكِعُوا وَهُمْ يَدْرُكُونَ بِذَهَولٍ أَنَّ الْعَالَمَ أَكْبَرُ بَكْثِيرٍ مَا تَخْيِلَتْهُ فَلْسَافَتِهِمْ، وَالَّذِينَ انْهَارَتْ مَعْقَدَاتِهِمُ الْقَدِيمَةُ بِشَأْنِ الْعَالَمِ أَمَامَ الْاِكْتِشَافِ الْجَدِيدِ. هَكُذا سَتَكُونُ حَالَتِنَا الْذَّهَنِيَّةُ هَذِهُ الْلَّيلَةِ".

كَمْ هَذَا مُثِيرٌ لِلإِعْجَابِ! هَذَا مَا فَكَرَ فِيهِ لَانْغُدُونُ وَهُوَ يَتَسَاعِلُ بِفَضْلِهِ إِذَا كَانَ حَدِيثُ إِيمُونْدَ مُسْجَلًا مُسْبِقاً، أَمْ تَرَاهُ يَقْرَأُ نَصَّاً مِنْ خَلْفِ الْكَوَالِيسِ بِشَكْلِ مُباشِرٍ.

تَرَدَّدَ صَوْتُ إِيمُونْدَ فَوْقَهُمْ: "يَا أَصْدِقَائِي، لَقَدْ اجْتَمَعْنَا هُنَّا الْلَّيلَةُ لِسَمَاعِ خَبَرِ الْاِكْتِشَافِ مِنْهُمْ. وَأَطْلَبُ مِنْكُمْ أَنْ تَسْمِحُوا لِي بِتَهْيِئَةِ الْمَسْرَحِ لِذَلِكَ". فَاللَّيلَةُ، كَمَا هُوَ الْحَالُ مَعِ جَمِيعِ التَّحْوِلَاتِ فِي الْفَلْسَفَةِ الْبَشَرِيَّةِ، مِنَ الْأَهْمَيَّةِ بِمَكَانٍ أَنْ نَفْهُمُ السَّيَاقَ الْتَّارِيْخِيَّ لِوَلَادَةِ لَحْظَةِ كَهْذِهِ".

دَوَى الرُّعدُ مِنْ بَعْدِهِ؛ فِي الْلَّحظَةِ الْمُنَاسِبَةِ تَمَامًا. وَشَعْرٌ لَانْغُدُونَ بِالصَّوْتِ الْعُمِيقِ وَهُوَ يَهُدِرُ عَبْرَ مَكَبَرَاتِ الصَّوْتِ.

"الْحَسْنُ حَطَنَا، وَلَمْسَاعِدَنَا فِي التَّأْقُلِ هَذِهِ اللَّيلَةُ، انْضَمَ إِلَيْنَا عَالِمٌ مُشْهُورٌ، أَسْطُورَةُ فِي عَالَمِ الرَّمُوزِ وَالتَّارِيخِ وَالدِّينِ وَالْفَنِّ، وَهُوَ أَيْضًا صَدِيقُ عَزِيزٍ. سِيدَاتِي سَادَتِي، يَسِرَّنِي التَّرْحِيبُ بِأَسْتَاذِ جَامِعَةِ هَارْفَرْدَ، روِيرْتُ لَانْغُدُونُ".

عِنْدَهَا، نَهَضَ لَانْغُدُونُ عَلَى مَرْفِقِيهِ، بَيْنَمَا أَخَذَ الْحَشْدُ يَصْفَقُ بِحَمَاسَةٍ. وَفِي ثَلَاثَةِ لَحْظَاتٍ أَيْضًا، تَحَوَّلَتِ النَّجُومُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ إِلَى لَقطَةٍ مِنْ زَاوِيَّةِ عَرِيضَةٍ لِقَاعَةِ

محاضرات كبيرة مزدحمة بالناس. على المسرح، راح لانغدون يروح ويجيء بسترة هاريس تويد أمام جمهوره السايع في عالم آخر. فكر لانغدون في سرّه وهو يستلقي على العشب مجدداً: إذا، هذا هو الدور الذي نكره إدموند.

راح لانغدون يحاضر على الشاشة: "كانت علاقة البشر الأوائل مع الكون علاقة تعجب، لا سيما في ما يتعلق بتلك الظواهر التي لم يتمكنوا من فهمها عقلانياً. ومن أجل حل تلك الأسرار، أنشأوا عدداً هائلاً من الآلهة لتفسير كلّ ما يتجاوز قدرتهم على فهم تلك الظواهر؛ كالرعد والمذ والزلزال والبراكين والعمق والأوبيئة وحتى الحبّ".

فكّر لانغدون في سرّه وهو مستلقٍ على ظهره محنقاً إلى الشاشة: هذا سريالي. فالإغريق الأوائل مثلّاً عزوا سبب المذ والجزر إلى تبدل مزاج بوسيدون". وعلى السقف، تلاشت صورة لانغدون، غير أنه استمر بالكلام.

ظهرت صور محيط تتلاطم أمواجه، وراحت تهتز الغرفة بأكملها. وشاهد لانغدون بتعجب الأمواج المتلاطمة وهي تتحول إلى تدرا جراء تكسوها التلوّج. ومن مكان ما، هبت رياح باردة عبر المرج.

تابع لانغدون كلامه قائلاً: "أما تغيير المواسم من الصيف إلى الشتاء فكان نتيجة لحزن الكوكب على اختطاف بيرسيفوني سنوياً إلى العالم السفلي".

عاد الهواء ليصبح دافئاً من جديد. ومن المشهد الجليدي، ارتفع جبل، وأخذ يعلو إلى أن انفجرت قمته بالشرر والدخان والحم البركانية.

"بالنسبة إلى الرومان، كانت البراكين موطن فولكان، حداد الآلهة، الذي يعمل في كور هائل تحت الجبل، ويسبّب بتطاير النيران من مدخنته".

اشتم لانغدون رائحة كبريت عابرة، ودهش من براعة إدموند في تحويل محاضرته إلى تجربة متعددة الحواس.

توقف هدير البركان فجأة. ومع حلول الصمت، عادت صراصير الليل تتشد مجدداً، وهبّ نسيم دافئ وعطر عبر المرج.

قال لانغدون: "لقد ابتكر العلماء عدداً لا يُحصى من الآلهة؛ ليس لنفسير أسرار كوكبهم فحسب، بل وأسرار أجسادهم أيضاً".

عادت كوكبة النجوم اللمعة إلى الظهور فوق رؤوسهم، تصل بينها خطوط ترسم مختلف الآلهة التي تمثلها.

"فالعمق ناتج عن غضب جونو. والحبّ يولد عند استهداف إيرروس للبشر. أما الأوبيئة فهي عقاب يرسله أبولو".

أضاعت كوكبات جديدة الآن مع صور آلهة أخرى.

إن قرأت كتابي، فلا بد أنكم وقعتم على عبارة إله التغرات. وهي تعني أنه كلما واجه القدماء ثغرة في فهم العالم الذي يحيط بهم، كانوا يملؤون تلك التغرات بالآلهة." امتلأت السماء الآن بمجموعة كبيرة من اللوحات والتماشيل التي تصور عشرات الآلهة القديمة.

قال لانغدون: "ملأتك أعداد لا تحصى من الآلهة أعداداً لا حصر لها من التغرات. ومع ذلك، وعلى مرّ القرون، توسيع المعرفة العلمية". اجتاح مزيج من الرموز الرياضية والتقنية صفة السماء فوقهم. "ومع اختفاء التغرات في فهمنا للعالم الطبيعي تدريجياً، بدأت مجموعتنا من الآلهة تنقص".

وعلى السقف، احتلت صورة بوسيدون مقمة الشاشة.

"مثلاً، عندما عرفنا أنَّ المَد والجزر ناجمان عن دورات القمر، لم تعد لبوسیدون ضرورة، واستبعدناه على اعتبار أنه أسطورة سخيفة من زمن غير مستبر وهذا تبخّرت صورة بوسيدون في نفحة دخان.

"وكما تعلمون، حلَّ المصير نفسه بجميع الآلهة، وراحَت تخفي الواحِد تلو الآخر بعد أن تجاوزها تطور عقولنا".

وفوق رؤوسهم، أخذت صور الآلهة تتطفئ واحداً تلو الآخر؛ آلهة الرعد، والزلزال، والأوثنة، وهلم جراً...

ومع تضاؤل عدد الصور، أضاف لانغدون: "لكن، لا تخدعوا بذلك. وهذه الآلهة لم تخل إلى النوم بطوعية، بل خاضت الثقافة عملية فوضوية وهي تتخلّى عن آهتها. وذلك لأنَّ المعتقدات الروحية تكون محفورة في نفوسنا بعمق منذ سن مبكرة، من قبل أكثر من نحبه ونشق به، وأعني بذلك آبائنا ومعلّمنا وزعماء الدين. وبالتالي، إنَّ أي تحولات دينية تحدث على مدى أجيال، وهي لا تخلو من الاضطرابات الكبيرة وإراقة الدماء في أحيان كثيرة".

وهكذا، أخذ صليل السيف والصراخ يرافقان الاختفاء التدريجي لصور الآلهة التي انطفأت الواحدة تلو الأخرى. وأخيراً، بقيت صورة إله واحد، ذي وجه مسنٍ أيقوني ولحية بيضاء غزيرة.

وأعلن لانغدون بصوت جهوري: "زيوس... إله الآلهة. أكثر من يبعث على الخوف والتجلُّ من بين الآلهة الوثنية كافة. قاوم زيوس - أكثر من أي إله آخر - انطفاءه، وشنَّ معركة عنيفة للحفاظ على بقائه؛ تماماً كما فعلت الآلهة السابقة التي حلَّ محلَّها".

وعلى السقف، تعاقبت صور ستونهانج، والألواح المسмарية السومرية، وأهرامات مصر الكبرى. ثم عاد تمثال زيوس.

قاوم أتباع زيوس فكرة التخلّي عن إلههم؛ إلى حدّ أنَّ الديانة المسيحية لم تجد خياراً أمامها سوى تبني وجه زيوس كوجه لإلهها الجديد.

وعلى السقف، تلاشى تمثال زيوس الملتحي بسلامة ليتحول إلى جدارية لوجه ملتح مشابه، وجه الإله في المسيحية كما صوره مايكيل أنجلو في لوحة خلق آدم على سقف الكنيسة السيسينية.

"اليوم، لم نعد نصدق تلك القصص التي تحكي عن زيوس؛ الصبي الذي قام بتربيته معزاة، والذي منح القوة من مخلوقات ذات عين واحدة تسمى سيكلوبات. وبالنسبة إلينا، وبفضل الفكر الحديث، صُنِّفت هذه الحكايات كأساطير، أي قصص خيالية غريبة تعطينا لمحّة مسلية عن ماضينا الذي كان يصدق الخرافات".

أظهر السقف الآن صورة رفٌ في مكتبة مكسوة بالغبار، تكست فيه مجلدات حول الأساطير القيمة في الظلام، إلى جانب كتب عن عبادة الطبيعة، بعل، وإنانا، وأوزيريس، وعدد لا يحصى من الآلهة الأولى.

وأعلن صوت لأنغدون العميق: "لقد اختلفت الأمور الآن! فنحن نعيش في العصر الحديث".

وفي السماء، ظهرت صور جديدة، واضحة ومتألقة. صور لاستكشاف الفضاء... ولشرائح كمبيوتر... ومختبر طبي... ومسرع جسيمات... وطائرات حديثة. "نحن أشخاص متطورون فكريًا، كما نتمنّى بمهارات تكنولوجية عالية جدًا. ونحن لا نصدق وجود الحداد العلّاق الذي يعمل تحت البراكين، أو الآلهة التي تتحكم بالماء والجزر أو الفصول. نحن لا نشبه أسلافنا في شيء".

أم ترانا نشبههم؟ همس لأنغدون بذلك بصوت منخفض وهو يتبع المحاضرة. علا صوت لأنغدون: "أم ترانا نشبههم؟ نحن نعتبر أنفسنا أشخاصاً عقلانيين حديثين، في حين أنَّ ديانتنا الأكثر انتشاراً تشتمل على مجموعة كاملة من المزاعم العجيبة".

وبينما كان لأنغدون يتحدث، ظهرت على السقف صور مسيحية معروفة للقيامة، ومريم العذراء، وسفينة نوح، وانشقاق البحر.

قال لأنغدون: "لذا، دعونا نتخيل للحظة رد فعل المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا في المستقبل. فهل سيستفيدون من تغيير المنظور وينظرون إلى معتقداتنا ويصنفونها على أنها أساطير من زمن غير مستثير؟ وهل سينظرون إلى آهتنا كما ننظر إلى زيوس؟ وهل سيجمعون كتابنا ويكتسونها على رف التاريخ المكسو بالغبار؟".

ظلَّ السؤال عالقاً في الظلام طويلاً. فجأة، خرق صوت إيموند كيرش الصمت.

وقال العالم المستقبلي: "أجل يا بروفيسور، أعتقد أن كل ذلك سيحدث. أعتقد أن الأجيال القادمة ستسأل نفسها كيف يمكن لناس متقدّمين تكنولوجياً مثلنا أن يكونوا مؤمنين".

وازداد صوت كيرش ارتفاعاً مع ظهور سلسلة جديدة من الصور المرتبطة بمختلف الأديان على السقف.

قال كيرش: "أعتقد أن الأجيال القادمة ستتظر إلى تقاليدنا الحالية وتخلص إلى آثنا عشنا في زمن غير مستثير. وبالطبع، سيدفعون معتقداتنا".

ظهر المزيد من الصور، مونتاج سريع من الصور التي تعرض احتفالمات الدينية من جميع أنحاء العالم، من طرد الأرواح والتعميد إلى قلب الأجساد. وانتهى عرض الشرائح بشريط فيديو مزعج للغاية يظهر فيه رجل دين هندي وهو يدلي طفلًا صغيراً من على حافة برج يعلو خمسين قدمًا عن الأرض. فجأة، أفلت رجل الدين الطفل ليسقط شبكة رجال الإطفاء.

السقوط من معبد غريشنشوار. تذكر لأنفسهم اعتقاد الناس هناك أن هذا يجب المحبة للطفل.

حسن الحظ، انتهى الشريط.

في الظلام الدامس الذي خيم الآن، تردد صوت كيرش من الأعلى. "كيف يعقل أن يكون العقل البشري الحديث قادرًا على التحليل المنطقي الدقيق، ومع ذلك يسمح لنا في الوقت نفسه بقبول معتقدات أسطورية ينبغي أن تنهار تحت أدنى تتحقق عقلاني؟".
في الأعلى، عادت السماء تتلاًّ بالنجوم.

استنتاج إدموند: "كما يتضح، الجواب بسيط جدًا".

أخذت النجوم تسطع في السماء بقوة أكبر، ثم ظهرت سلاسل من الألياف التي راحت تربط بين النجوم لتشكل شبكة لا نهاية لها كما يبدو من العقد المتراصبة.
الخلايا العصبية. أدرك لأنفسهم ذلك بينما عاود إدموند الكلام وقال: "الدماغ البشري. لماذا يؤمن بما يؤمن به؟".

لمعت عدة عقد في الأعلى، وأرسلت نبضات كهربائية عبر الألياف إلى خلايا عصبية أخرى.

"تماماً مثل جهاز كمبيوتر عضوي، يملك الدماغ نظام تشغيل؛ وهو عبارة عن سلسلة من القوانين التي تنظم وتحدد كل المدخلات الفوضوية التي يستقبلها خلال اليوم كاللغة، والنغمة الجذابة، وصفارة الإنذار، وطعم الشوكولاتة. وكما تخيلون، إن تيار المعلومات الواردة متتنوع جدًا ومتواصل، وعلى الدماغ أن يستوعب كل ذلك. في الواقع،

إن برمجة نظام تشغيل الدماغ نفسها هي التي تحدد تصوركم للواقع. لكن، لسوء الحظ، انقلبت الحيلة علينا؛ لأنَّ من كتب برنامج الدماغ البشري، كاناً من كان، يتمتع بحسن فكاهة ملتوٍ. بتعبير آخر، ليس خطأنا أن نصدق الأشياء الجنونية التي نصدقها".

تللاشت نقاط الاشتباك العصبي التي كانت ظاهرة في الأعلى، وظهرت صور مألوفة من داخل الدماغ: خرائط فلكية، مؤسس السيناتولوجيا. رون هوبارد، الإله المصري أوزيريس، الإله الهنودي غانيشا الذي يتميّز بشكل فيل ذي أربع أذرع، وأخيراً تمثال رخامي لمريم العذراء يذرف دموعاً حقيقة.

"بالتالي، وبصفتي مبرمجاً، لا بد لي من طرح هذا السؤال: أي نظام تشغيل غريب من نوعه قد يُنتج مثل هذه المعتقدات غير المنطقية؟ لو كان بإمكاننا أن ننظر إلى داخل العقل البشري ونقرأ نظامه التشغيلي، لوجدنا شيئاً من هذا القبيل".

وظهرت أربع كلمات بخطٍ ضخم فوق رؤوس الحضور.

رغم الفوضى.

أولاد النظام.

قال إدموند: "هذا برنامج دماغنا الأساسي. وبالتالي، هذا ما يميل إليه البشر تماماً. فهم ينفرون من الفوضى ويحبون النظام".

فجأة، ارتجت الغرفة بمزيج فوضوي من نوتات البيانو غير المتناغمة؛ كما لو أن طفلًا يضرب على لوح المفاتيح، فانكمش لانجدون ومن حوله لا إرادياً. أما إدموند فرفع صوته ليعلو على الصخب: "الشخص الذي يضرب عشوائياً على البيانو ينتج صخباً لا يطاق! ومع ذلك، إنَّ أخذنا هذه النotas نفسها وربناها بنظام أفضل....".

توقف الصخب على الفور، وحل محله لحن ديبيوسى الهدى، "كلير دو لون".

شعر لانجدون بغضاته تسرخي، وبدأ التوتر الذي ساد الغرفة يتخرّ.

فيما تابع إدموند: "فستبهج أدمغتنا. النotas نفسها، والآلة نفسها، لكنَّ ديبيوسى أنتج نظاماً. وهذه البهجة نفسها في إنتاج النظام هي التي حفرت البشر على ترتيب قطع أحاجي عشوائية أو تصويب لوحات على جدار. إذ إن استعدادنا للتنظيم مكتوب في حمضنا النووي، ولذلك لا عجب في أن يكون أعظم اختراع أتى به العقل البشري هو جهاز الكمبيوتر؛ تلك الآلة التي صُممَت خصيصاً لمساعدتنا على إنتاج النظام انطلاقاً من الفوضى. في الواقع، إن المرادف الإسباني لكلمة كمبيوتر هو أوردينادور، وتعني حرفيًّا منظماً".

وظهرت صورة كمبيوتر هائل يجلس شاب أمامه.

"تخيلوا أنكم تملكون جهاز كمبيوتر قوياً مع إمكانية الوصول إلى جميع المعلومات في العالم. يمكنكم أن تطرحوا على هذا الكمبيوتر أي سؤال تشاورون. وتشير الاحتمالات أنكم ستطرحون في نهاية المطاف أحد سؤالين شغلاً البشرية منذ أن بدأت تتمتع بوعي ذاتي".

طبع الرجل على لوح المفاتيح، وظهر النص التالي:

من أين أتينا؟
إلى أين نحن ذاهبون؟

قال إدموند: "بتعبير آخر، ستسألون عن أصلنا ومصيرنا. وعندما تطرحون هذين السؤالين، فهذا ما سيجيبكم به الكمبيوتر
أظهرت الشاشة:

عدم كفاية البيانات لإعطاء إجابة دقيقة.

قال كيرش: "الجواب ليس شافياً، ولكنه صادق على الأقل".
والآن، ظهرت صورة دماغ بشري.

"لكن، إن سألتم هذا الكمبيوتر البيولوجي الصغير عن المكان الذي أتينا منه
فسيحدث شيء آخر

تدفق من الدماغ سيل من الصور التي توضح معتقدات قديمة.

قال إدموند: "والآن ستسألون: إلى أين نحن ذاهبون؟".

وتدفق المزيد من الصور من الدماغ: جنان لم يطأها البشر، جحيم ملتهبة،
صفحات هيروغليفية من كتاب الموتى المصري، منحوتات صخرية من التوقعات
الفلكلورية، رسومات إغريقية لحقول الإليزيز، أوصاف قبالية لجلجل نيشاموت، رسوم
بيانية للتفصص من البوذية والهندوسية، والدوائر الثيوصوفية للسمرالاند.

شرح إدموند: "بالنسبة إلى الدماغ البشري، أيَّ جواب يُعدُّ أفضل من عدم الإجابة
على الإطلاق. فنحن نشعر بعدم ارتياح كبير عندما نواجه بيانات غير كافية، ولذلك
تقوم أدمغتنا باختراع البيانات عبر إنتاج عدد لا يحصى من الفلسفات والأساطير
والمعتقدات لطمأنتنا بوجود نظام وهيكِل معين للعالم غير المرئي".

ومع استمرار سيل الصور الدينية، تحدث إدموند بحدة متزايدة.

"من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟ لطالما شغلني هذان السؤالان الأساسيان المتعلقان بالوجود الإنساني، وحلمت سنوات بالإجابة عنهما". ثم صمت، وأصبحت نبرته كثيبة. "مع الأسف، وبسبب العقائد الدينية، يعتقد ملايين الناس أنهم يعرفون أساساً الإجابة عن هذين السؤالين الكبارين. وبما أنَّ مختلف الأديان لا تقدم إجابات مشابهة، فقد انتهى المطاف بنشوب صراعات بين ثقافات بأكملها حول من يملك الجواب الصحيح، وأي نسخة هي القصة الحقيقة الوحيدة".

امتلأت الشاشة في الأعلى بصور لإطلاق نار وقدائف هاون متقدمة ضمن مونتاج عنيف لصور عن حروب دينية، تبعتها صور لاجئين منكوبين، وأسر نازحة، وجثث لمدنيين.

"منذ بداية التاريخ الديني، وجنسنا البشري عالق في حرب لا تنتهي بين ملحدين ومسحيين ومسلمين وبهود وهنود ومؤمنين من الأديان كافة، ولا يوحّدنا جمِيعاً سوى توافقنا العميق إلى السلام".

اختفت صور الحرب، وحلَّت مكانها سماء صامدة يضيئها بريق النجوم. تخيلوا وحسب ما يمكن أن يحدث إن توصلنا بأعجوبة إلى إجابات عن أسئلة الحياة الكبيرة... إن رأينا فجأة دليلاً واحداً لا لبس فيه، وأدركنا أنه ليس أمامنا خيار سوى فتح أذرعنا والقبول به... معاً، كجنس واحد.

ظهرت صورة كاهن على الشاشة وقد أغمض عينيه في صلاة صامدة. "لطالما كان البحث الروحي مجال الدين الذي يشجعنا على الإيمان بتعاليمه إلى حد كبير

ظهرت الآن مجموعة من الصور لمؤمنين مخلصين، وقد أغمضوا أعينهم وهم ينشدون ويركعون ويصلُّون.

"لكنَّ الإيمان بتعريفه يتطلَّب أن تضعوا نفسيكم في اللا محسوس وغير المحدد، وتتفقلاوه كواقع لا يمكن إثباته بأدلة تجريبية. وهكذا، ينتهي بنا المطاف طبعاً بالإيمان بأشياء مختلفة لأنَّه ما من حقيقة عالمية". وصمت هنِيَّة، ثمَّ أضاف: "مع ذلك.... ."

تلاثت الصور على السقف لتظهر مكانها صورة واحدة لطالبة فتحت عينيها جيداً وحدَّقت بتركيز عبر مجهر.

تابع إدموند: "العلم نقِيس الإيمان. فالعلم بتعريفه محاولة لإيجاد دليل مادي لكلَّ ما هو مجهول أو غير محدد، ورفض كلَّ ما لا يقتنى بدليل لصالح حقائق يمكن رؤيتها. وعندما يقدم العلم الجواب، يصبح هذا الجواب عالمياً. ولا يخوض الناس حروباً من أجله، بل يجتمعون حوله".

وُعِرِضَتْ على الشاشة الآن صور تاريخية من مختبرات ناسا وسرين وغيرها، ففِيها علماء من مختلف الأعراق في فرحة مشتركة، وعانقوا بعضهم مع كشف النقاب عن معلومات جديدة.

وفي تلك اللحظة، بدأ إيموند يهمس: "يا أصدقائي، لقد توقعت أموراً كثيرة في حياتي. وأساطلقي توقعاً جيداً هذه الليلة". ثم أخذ نفساً بطيئاً وطويلاً قبل أن يتتابع: "لقد شارف عصر على نهايته، وستشرق شمس عصر جديد". خَيَّم الصمت التام على الغرفة.

"والليلة، توشك البشرية على تحقيق قفزة نوعية في هذا الاتجاه." سرت رعشة في جسد لانغدون عند سماعه هذه العبارة. فائماً كان هذا الاكتشاف الغامض، من الواضح أن إيموند يمهّد الطريق لمواجهة كبيرة بينه وبين أديان العالم.

الفصل 18

ConspiracyNet.com

جديد إدموند كيرش

في بث مباشر بلغ حالياً رقماً لم يسبق له مثيل، يقارب ثلاثة ملايين مشاهد على الشبكة، يبدو العالم المستقبلي إدموند كيرش مستعداً للإعلان عن اكتشاف علمي، سيُجيب كما أمعن عن اثنين من أقدم الأسلنة التي طرحتها البشرية. بعد مقدمة لافتة من قبل أستاذ جامعة هارفرد البروفيسور روبرت لانغدون، انطلق إدموند كيرش في نقد موقع للمعتقدات، وقتم فيه هذا التوقع الجريء: "لقد شارف حصر على نهايته".

حتى هذه اللحظة، يبدو الملحد المعروف أكثر التزاماً بضبط النفس والاحترام من عادته. لمشاهدة مجموعة من تصريحات كيرش السابقة المعادية للدين، اضغط هنا.

الفصل 19

خارج الجدار القماشي الذي يحيط بالمسرح المقرب، تمركز الأميرال أفيلا في موقعه، وقد حجبته عن الأنظار المتأهة التي شكلتها السقالة. أخفض جسده ليقيى ظله مختلفاً عن الأنظار، ولم تعد تفصله سوى إشات عن الجهة الخارجية للجدار بالقرب من مقدمة القاعة.

مذ يده بصمت إلى جيئه وأخرج مسبحة الخرز.
سيكون التوقيت حاسماً.

مرر خرزات المسبحة بين يديه إلى أن عثر على الصليب المعدني الثقيل، واستغرب كيف أن الحراس الذين يديرون أجهزة الكشف عن المعادن في الأسفل تركوا هذا الشيء يفلت من بين أيديهم من دون أن يلقوه عليه نظرة ثانية.

استخدم شفرة حلقة كانت مخبأة في ساق الصليب، وصنع شفأ عمودياً بطول ستة إشات في الجدار القماشي.

بعد ذلك، فتح الشق برفق وأطلَّ منه على عالم آخر؛ حقل مشجر استلقى فيه مئات الضيوف على البطانيات وراحوا يحدقون إلى النجوم.
لا يمكنهم أن يتخيّلوا ما سيحدث.

فرح أفيلا لدى رؤيته عنصري الحرس الملكي متراكزين في الجانب الآخر من الحقل؛ على مقربة من الزاوية الأمامية اليمنى للقاعة. وقف يراقبان بانتباه تام، مخبأين في ظل بعض الأشجار. ولكن، بفضل الضوء الخافت، لن يتمكنا من رؤية أفيلا إلا بعد فوات الأوان.
لم يكن يقف إلى جانب الحارسين سوى شخص واحد؛ لا وهو مديرية المتحف أميراً فيدال التي بدت كما لو أنها متزعجة لدى مشاهدتها العرض الذي يقدمه كيرش.

أغلق أفيلا الشق راضياً عن موقعه، ثم أعاد تركيزه إلى الصليب. على غرار معظم الصليبان، كانت لهذا الصليب ذراعان قصيرتان. لكن ذراعي هذا الصليب كانتا معلقتين مغناطيسياً بالجذع العمودي ويمكن نزعهما.

أمسك إحدى الذراعين ولوها بقوة، فانثرعت القطعة وسقط شيء صغير. ثم قام بالمثل من الجهة الأخرى وأصبح الصليب بلا ذراعين، أي مجرد مستطيل معدني معلق بسلسلة ثقيلة.

أعاد السلسلة إلى جيبيه لحفظها. ساحتاج إليها قريباً. ثم ركز الآن على القطعتين الصغيرتين اللتين كانتا مخبأتين داخل ذراعي الصليب.
رصاصتان قصيراً المدى.

بعد ذلك، مد يده إلى الخلف، وأخرج من تحت حزامه شيئاً كان قد هربه تحت سترته.

مضت عدة سنوات منذ أن قام أميركي يدعى كودي ويلسون بتصميم "المحرر"، وهو أول مسدس بوليمر مطبوع بتقنية الأبعاد الثلاثية. ومنذ ذلك الحين، تطور تلك التكنولوجيا بشكل كبير. ومع أن تلك الأسلحة الجديدة المصنوعة من السيراميك والبوليمر لا تتمتع بعد بقوة كبيرة، إلا أن ما تفتقر إليه من حيث المدى عوضت عنه إلى حد كبير لكونها غير مرئية بالنسبة إلى أجهزة الكشف عن المعادن.
لا احتاج سوى إلى الاقتراب بما فيه الكفاية.

إن سار كل شيء حسب المخطط، فإن موقعه الحالى سيكون ممتازاً.
كان الوصي قد حصل بطريقه ما على معلومات من الداخل حول المخطط الدقيق وتسلسل الأحداث لهذا المساء... وأوضح تماماً كيف ينبغي أن تتفّذ مهمته أفيلا. ستكون النتائج عنيفة، لكن بعد أن شاهد أفيلا مقدمة إيموند للتو، صار واثقاً أن الخطايا التي سيرتكبها هنا هذه الليلة ستُعْتَقَر.

كان الوصي قد قال له: إن أعداءنا يشترون حرراً علينا، فاما أن نقتل أو نُقتل.

وقفت أمبرا في دال قرب الجدار المقابل في الزاوية الأمامية اليمنى من القاعة، وتمتنت لو أنها تستطيع أن تخفي عدم ارتياحها.
قال لي إيموند إن هذا البرنامج علمي.

لم يخجل العالم المستقبلي الأميركي يوماً من نفوره من الدين، لكن أمبرا لم تخيل على الإطلاق أن يكون عرضه لهذه الليلة بهذا العداء.
لقد رفض أن أراه مسبقاً.

لا شك في أن هذا العرض ستكون له تداعيات مع أعضاء مجلس المتحف، لكن مخاوف أمبرا في هذه اللحظة كانت شخصية أكثر بكثير.
في الواقع، قبل أسبوعين، أخبرت أمبرا رجلاً نافذاً جداً بمشاركتها في حدث الليلة.
غير أن الرجل حثّها بشدة على عدم المشاركة. كما حذرها من مخاطر استضافة عرض من دون معرفة محتواه، لا سيما حين يكون من إعداد شخصية معروفة مثل إيموند كيرش.

وتنكرت أنه أمرها فعلياً باللغاء العرض، لكن نبرته الواثقة جعلتها ترفض الإصغاء إليه.

والآن، بينما كانت تقف بمفردها تحت السماء المرصعة بالنجوم، تساعدت عما إذا كان ذلك الرجل جالساً في مكان ما يشاهد هذا البث المباشر وهو يحتضن رأسه بين يديه.

فكرت في سرها: لا شك في أنه يشاهد. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل ستثور ثائرته؟

في كاتدرائية المودينا، جلس الأسقف فالديسيبينو بتصالب إلى مكتبه وعيناه مسمرتان على جهاز الكمبيوتر محمول. لم يكن لديه أي شك في أن كل من في القصر الملكي المجاور يشاهدون هذا البرنامج، لا سيما الأمير جولييان، وريث عرش إسبانيا.

لا شك أنَّ الأمير على وشك الانفجار.

هذه الليلة، كان أحد أهم المتاحف المرمومة في إسبانيا يتعاون مع ملحد أمريكي مشهور لبث ما يصفه المتلقون الدينيون "حيلة دعائية معادية ومسيئة لل المسيحية". بالإضافة إلى ذلك، ولكي يتفاقم الجدل، كانت مديرية المتحف الذي يستضيف هذا الحدث واحدة من أهم مشاهير إسبانيا؛ الجميلة أمبرا فيدال التي هيمنت خلال الشهرين الفائتين على عناوين الصحف الإسبانية، وفازت بين ليلة وضحاها بمحبة دولة بأكملها. والغريب أنَّ الآنسة فيدال قررت المخاطرة بكل ذلك عبر استضافتها هذا الهجوم واسع النطاق على الإيمان.

لن يكون أمام الأمير جولييان أي خيار سوى التعليق.

في الحقيقة، لم يكن دوره المنتظر كشخصية سياسية كاثوليكية في إسبانيا سوى جزء صغير من التحدي الذي سيواجهه في التعامل مع حدث هذه الليلة. فالمسألة الأكثر إثارة للقلق بكثير هي أنَّ الأمير جولييان أقام في الشهر الفائت احتفالاً بهيجاً وضع فيه أمبرا فيدال في دائرة الضوء؛ فقد أعلن خطوبته عليها.

الفصل 20

كان روبرت لانغدون يشعر بعدم الارتياب إزاء المنحى الذي تتجهـة الأحداث هذا المساء.

كان العرض الذي يقدمـه إدموند يتصاعد بشكل خطير، ويوشك أن يتحول إلى تنديد علني بالإيمان؛ الأمر الذي نفع لانغدون إلى التساؤل عما إذا كان إدموند قد نسي بشكل أو بآخر أنه لا يتحدث إلى مجموعة العلماء الملحدين الموجودين في هذه القاعة فحسب، بل أيضاً إلى ملايين الناس حول العالم الذين يشاهدونه عبر الإنترنت. من الواضح أنـ الهدف من هذا العرض إشعال الجدل.

انزعـج كذلك من ظهوره في البرنامج. ومع أنـ إدموند قصد تكريمه من خلال هذا الشريط، إلا أنـ لانغدون شـكـلـ في ما مضـى نقطـة انطلاق لا إرادـية للجدـل... وكان يفضل ألا يـكـرـرـ تلك التجـربـة.

غير أنـ كـيرـشـ قـامـ بـإـنـتـاجـ موـادـ سـمعـيـةـ وـبـصـرـيـةـ مـتـعـمـدةـ مـسـيـئـةـ لـلـمـؤـمـنـينـ؛ـ حيثـ بدـأـ لـانـغـدوـنـ الآـنـ يـعـدـ التـفـكـيرـ فـيـ تـجـاهـلـهـ أـهـمـيـةـ الرـسـالـةـ الصـوـتـيـةـ التـيـ تـلـقـاـهـ إـدـمـوـنـدـ مـنـ الأـسـفـ فالـيـسـيـبـينـ.

مـلـأـ صـوـتـ إـدـمـوـنـدـ القـاعـةـ مـجـداـ،ـ وـتـحـولـتـ الشـاشـةـ فـوـقـ رـؤـوسـهـ إـلـىـ مـزيـجـ مـنـ الرـمـوزـ الـديـنـيـةـ مـنـ حـولـ الـعـالـمـ.ـ وـأـعـلـنـ صـوـتـ إـدـمـوـنـدـ:ـ "ـأـعـرـفـ أـنـ هـيـاـ تـحـفـظـاتـ بـشـأـنـ إـعـلـانـ اللـيـلـةـ،ـ لـاـ سـيـماـ حـيـالـ تـأـثـيرـهـ الـمحـتمـلـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـينـ.ـ لـهـذـاـ السـبـبـ،ـ وـقـبـلـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ،ـ قـمـتـ بـعـمـلـ لـاـ يـلـأـمـنـيـ إـلـىـ حـدـّـ ماـ.ـ فـيـ مـحاـوـلـةـ مـنـيـ لـإـظـهـارـ الـاحـترـامـ لـوـجـهـاتـ النـظـرـ الـدـينـيـةـ،ـ وـمـنـ أـجـلـ قـيـاسـ كـيـفـيـةـ اـسـتـقـبـالـ مـخـلـفـ الـدـيـانـاتـ لـاـكتـشـافـيـ،ـ اـسـتـشـرـتـ سـرـاـ ثـلـاثـةـ مـنـ كـبـارـ الزـعـمـاءـ الـدـينـيـينـ،ـ وـهـمـ عـلـمـاءـ مـنـ الـإـسـلـامـ وـالـمـسـيـحـيـةـ وـالـيـهـودـيـةـ،ـ وـأـطـلـعـتـهـمـ عـلـىـ اـكـشـافـيـ.ـ سـرـتـ هـمـهـاتـ خـافـةـ فـيـ القـاعـةـ.

"ـوكـمـاـ تـوقـعـتـ،ـ أـعـرـبـ الثـلـاثـةـ عـنـ دـهـشـتـهـمـ الـعـارـمـةـ،ـ وـقـلـقـهـمـ،ـ وـحتـىـ غـضـبـهـمـ،ـ أـجلـ،ـ حـيـالـ مـاـ كـشـفـتـهـ لـهـمـ.ـ وـمـعـ أـنـ رـدـودـ أـفـعـالـهـمـ أـتـتـ سـلـيـبةـ،ـ إـلـاـ أـنـثـيـ أـوـدـ أـنـ أـشـكـرـهـمـ عـلـىـ تـكـرـمـهـ باـسـتـقـبـالـيـ.ـ وـفـيـ حـيـنـ أـنـثـيـ لـنـ أـقـومـ بـالـكـشـفـ عـنـ أـسـمـائـهـمـ،ـ إـلـاـ أـنـثـيـ أـوـدـ أـنـ أـخـاطـبـهـمـ اللـيـلـةـ مـبـاـشـرـةـ وـأـشـكـرـهـمـ عـلـىـ دـمـعـهـمـ التـدـخـلـ فـيـ هـذـاـ عـرـضـ".ـ

صمت هنيهة قبل أن يُضيف: "وأنتم تعلمون أنهم كانوا يستطيعون ذلك". أصغرى اليه لانغدون وهو يسير ببراعة على خطٍ رفيع ويعطي قواعده. كان قرار إدموند لقاء زعماء دينيين يشير إلى الانفتاح والثقة والحياد؛ وهي صفات لم يكن العالم المستقبلي معروفاً بها. غير أن لانغدون اشتبه في أن يكون اجتماع مونسيرات مهمة بحثية من جهة، ومناورة علاقات عامة من جهة أخرى.

بطاقة ذكية للخروج من السجن بلا عقاب.

تابع إدموند كلامه: "تاريخياً، لطالما قمعت الحماسة الدينية التطور العلمي. لذا، أناشد هذه الليلة الزعماء الدينيين حول العالم بضبط النفس وتقهم ما سأقوله. من فضلكم، دعونا لا نذكر العنف الدموي الذي شهدته التاريخ. دعونا لا نرتكب أخطاء الماضي".

وتحولت الصور على السقف إلى رسم لمدينة مسورة قيمة، مدينة دائمة تماماً تقع على ضفاف نهر يجري في الصحراء.

عرف لانغدون على الفور بغداد القديمة، بمخططها الدائري المدعَّم بثلاثة جدران متّحدة المركز تعلوها الشرفات والقوّات.

قال إدموند: "في القرن الثامن عشر، برزت مدينة بغداد كأكبر مركز للتعلم على الأرض، واستقبلت جميع البيانات والفلسفات والعلوم في مدارسها ومكتباتها. وعلى مدى خمسمئة عام، تدفقت الابتكارات العلمية من المدينة على نحو لم يشهد له العالم مثيلاً، وما زال تأثيرها ملحوظاً حتى اليوم في ثقافتنا المعاصرة".

في الأعلى، عادت النجوم إلى الظهور، والكثير منها مع أسمائها: النسر الواقع (Vega)، إبط الجوزاء (Betelgeuse)، رجل الجبار (Algebar) (Rigel)، ننب الدجاجة (Deneb)، العقرب (Acrab)، النجم كيتالفا (ألفا قطعة الفرس) (Kitalpha).

"وجميع أسمائها مشتقة من اللغة العربية. وحتى هذا اليوم، يحمل أكثر من تلذتي النجوم في السماء أسماء عربية الأصل لأنها اكتشفت على أيدي علماء فلك من العالم العربي".

سرعان ما شعّت السماء بعدد كبير من النجوم ذات الأسماء العربية، حيث أوشكت أن تتحجب خلفها، ثم تلاشت الأسماء مجدداً من صفحة السماء.

وبالطبع، إن أردنا أن نعد النجوم...".

...I, II, III, IV, V

توقفت الأرقام فجأة واختفت.

قال إدموند: "فإننا لا نستخدم الأرقام الرومانية، بل العربية".

بدأت الأرقام بالظهور مجدداً باستخدام نظام الترميم العربي؛ 1، 2، 3، 4، 5...

"ربما تعرفون أيضاً أن هناك الكثير من المصطلحات التي تُنسب إلى علماء مسلمين، وما زلنا نستخدم أسماءها العربية".

ظهرت كلمة الجبر ALGEBRA في السماء، محاطة بسلسلة من المعادلات متعددة المتغيرات. وأتت بعدها كلمة خوارزمية ALGORITHM مع مجموعة متنوعة من الصيغ. ثم أتت الكلمة السمت AZIMUTH مع رسم بياني يصور زوايا على أفق الأرض. وتسارع سهل الكلمات... الدرك الأسفل (NADIR)، الذروة (ZENITH)، الخيمياء (ALCHEMY)، علم الكيمياء (CHEMISTRY)، شيفرة (CIPHER)، الإكسير (ELIXIR)، الكحول (ALKALINE)، قلوي (ALKOHOL)، صفر (ZERO) ... ومع تناقل الكلمات العربية المألوفة، فكر لانغدون كم أنه من المأساوي أن يتخيل الكثير من الأميركيين مدينة بغداد كواحدة من مدن الشرق الأوسط المغبرة التي تمزقها الحروب، كما ظهر في نشرات الأخبار، من دون أن يعرفوا أنها كانت في ما مضى مركز التقدّم العلمي الإنساني.

قال إدموند: "بحلول نهاية القرن الحادي عشر، كان أعظم اكتشاف فكري على وجه الأرض يجري داخل بغداد وحولها. فجأة، بين ليلة وضحاها تقريباً تغير ذلك. فقد ظهر عالم لامع يدعى أبا حامد الغزالى، وهو يُعَذِّبَ اليوم واحداً من أكثر المسلمين تأثيراً في التاريخ، وقد كتب سلسلة من النصوص المقمعة التي تشکك في منطق أفلاطون وأرسطو، وتعلن أن الرياضيات فلسفة الشيطان. فأطلق بذلك مجموعة من الأحداث التي قوضت التفكير العلمي. وأصبحت دراسة الفقه إلزامية، وفي نهاية المطاف، انهارت الحركة العلمية المعاصرة له بأكملها".

تبخرت الكلمات العلمية فوق رؤوسهم، وحلّت مكانها صور لنصوص دينية إسلامية.

"حلّ الحذر محلَّ التحقيق. وحتى هذا اليوم، ما زال العالم الإسلامي يحاول أن يتعافي". صمت إدموند قليلاً، ثم أضاف: "وبالطبع، لم يكن وضع العالم العلمي المسيحي أفضل".

ظهرت لوحات علماء الفلك كوبيزنيكوس، وغاليليو، وبرونتو على السقف. فالقتل الممنهج، والسجن، والشجب الذي مارسته الكنيسة ضدَّ بعض ألمع العقول العلمية في التاريخ أخْرَ التقدّم البشري لقرن من الزمن على الأقل. واليوم، لحسن الحظ، مع تحسّن فهمنا لفوائد العلم، خفتَ الكنيسة هجماتها..." تنهَّد إدموند مضيفاً: "إلى حدَّ ما".

ظهر شعار كروي مع صليب وثعبان، ورفاقه النص التالي:

إعلان مدريد حول العلم والحياة

"هنا في إسبانيا، أُعلن الاتحاد العالمي للجمعيات الطبية الكاثوليكية مؤخراً الحرب على الهندسة الوراثية، زاعماً أنَّ العلم يفتقر إلى الروح، وبالتالي يجب أن يكون مُقيداً من قبل الكنيسة".

تحول رمز الكرة الأرضية الآن إلى دائرة مختلفة؛ عبارة عن مخطط لمسرح جسيمات ضخم.

"وهذا مسرع تكساس الخارق فائق التوصيل، المصمم ليكون أكبر مسرع جزيئات في العالم".

تلاشت الصورة، وحل محلها بناء إسموني ضخم على شكل حلقة يمتد عبر صحراء تكساس. كانت المنشأة شبه المكتملة مكسوة بالغبار والأترية، بعد أن هجرت على ما يبدو وسط أعمال البناء.

كان بإمكان المسرع الخارق أن يتحقق تقدماً هائلاً في الفهم البشري للكون، لكن المشروع ألغى بسبب تجاوز التكاليف المستوى المتوقع، وبسبب الضغط السياسي الذي مورس من جانب مصادر غير متوقعة".

أظهر مقطع إخباري ميشراً إنجلتراً شاباً يظهر على التلفاز وهو يلوح بالكتاب الأكثر مبيعاً، زاغاد باريكل، ويصبح غاضباً: " علينا أن نبحث عن الإيمان داخل قلوبنا! وإنفاق المليارات على هذه التجربة السخيفة أمر محرج لولاية تكساس، وفيه إهانة للمؤمنين!".

عاد صوت إدموند يقول: "هذه الصراعات التي وصفتها، والتي طفت فيها الخرافات الدينية على العقل، ليست سوى مناورات في حرب مستمرة".

ازدحم السقف فجأة بمجموعة من الصور العنفية لمدن حديثة؛ احتجاجات خارج مختبرات أبحاث جينية، كاهن يُضرم النار في نفسه خارج مؤتمر عابر للبشرية، إنجليليون يهرون قبضاتهم ويحملون كتاب سفر التكوين، سمكة يسوع تأكل سمكة داروين، لوحات إعلانية دينية غاضبة ثدين أبحاث الخلايا الجذعية، وحقوق المتأثرين، والإجهاض، هذا بالإضافة إلى لوحات إعلانية غاضبة تردد على ذلك.

شعر لأنجدون وهو ممدد في الظلام أن نبضه يتسارع. للحظة، اعتقاد أن العشب تحته يرتجف، كما لو أنَّ مترو أنفاق يقترب. ومع ازدياد الاهتزازات قوة، أدرك أنَّ الأرض كانت تهتز بالفعل. فقد أخذت الاحتجاجات العميقة تهز العشب تحته، إلى أن ارتجفت القبة بأكملها وأصدرت هيراً صاخباً.

عرف لأنجدون أنَّ الهير كان ناتجاً عن صوت شلالات ينبعث من مكبات صوت تحت العشب. ثم شعر بضباب رطب وبارد على وجهه وجسده، كما لو أنه ممدد وسط نهر هائج.

نادي إدموند بصوت أعلى من هدير النهر: "هل تسمعون هذا الصوت؟ إنه الصوت المتعاظم لنهر المعرفة العلمية العظيم".

علا هدير الماء أكثر، وشعر لانغدون ببرطوبة الضباب على خديه.

صاح إدموند: "منذ أن اكتشف الإنسان النار في البداية، أخذ هذا النهر يزداد قوّة. وأصبح كل اكتشاف أداة للمزيد من الاكتشافات، وكل منها أضاف قطرة إلى هذا النهر. واليوم، نحن نركب قمة تسونامي؛ طوفان يندفع قديماً بقوّة لا يمكن صدّها!".

أخذت الغرفة ترتج بعنف أكبر.

صاح إدموند بصوت أعلى: "من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟! لطالما كان قدرنا العوز على الإجابات! وأساليب بحثنا تتطرّر أضعافاً مضاعفة على مز الألف السنين!".

أخذ الضباب والرياح يعصفان بالغرفة، وأصبح هدير النهر يضم الآذان.

أعلن إدموند: "فكروا بهذا! استغرق البشر ما يزيد عن مليون سنة للتقدم من اكتشاف النار إلى اختراع العجلة. ثم احتاجوا إلى بضعة آلاف من السنين لاختراع المطبعة. ولم يمض سوي مائتي عام بعد ذلك حتى بنوا التلسكوب. وفي القرون التي تلت ذلك، وعلى فترات زمنية أقصر من ذي قبل، انتقلنا من المحرك البخاري إلى السيارات التي تعمل على الغاز، ومن ثم إلى المكوك الفضائي! ولم يلزمنا بعد ذلك سوي عقدين من الزمن لنبدأ بتعديل حمضنا النووي!

نحن نعيش الآن تقدمنا العلمي بالأشهر، ونتقدم بسرعة مذهلة. ولن يمضي وقت طويل قبل أن يbedo أسرع جهاز كمبيوتر خارق في يومنا هذا قديم العهد، وتصبح الوسائل الجراحية الأكثر تقدماً ببربرية، وتبدو مصادر الطاقة التي نستخدمها في عصرنا غريبة علينا؛ تماماً مثل استخدام شمعة لإضاءة غرفة!".

تواصل صوت إدموند وهدير المياه في الظلام الدامس.

"كان على الإغريق أن ينظروا إلى الوراء قروناً من الزمن لدراسة الثقافات القديمة، في حين أنه ما علينا سوى أن ننظر إلى الوراء لجبل واحد لنجد أولئك الذين عاشوا من دون التكنولوجيات التي تعتبرها اليوم من المسلمات. لقد تقلص الإطار الزمني للتطور البشري، والمسافة الفاصلة بين القديم والحديث تنكمش تدريجياً. لهذا السبب، أؤكد لكم أن السنوات القليلة المقبلة للتطور البشري ستكون صادمة وخطيرة، ولا يمكن تصوّرها إطلاقاً!".

من دون سابق إنذار، توقف هدير النهر.

وعادت السماء لتصبح مرصّعة بالنجوم، ومعها النسيم الدافىء، وأنشيد صراصير الليل.

وبدأ الضيوف في الغرفة يتتهون معاً.
وفي الصمت المفاجئ، عاد صوت إيموند هامساً.
وقال بصوت خافت: "يا أصدقائي، أعلم أنكم هنا لأنني وعدتكم باكتشاف،
وأشكركم لأنكم سمحتم لي بهذه المقدمة. والآن، دعونا نتخلص من أغلال تفكيرنا
الماضي، فقد آن الأوان لمشاركة متعة الاكتشاف".

ومع هذه الكلمات، زحف ضباب خفيف من جميع الجهات، وبدأت السماء تتوجه
بضوء الفجر الذي أثار الجمود في الأسفل بنور خافت.

فجأة، سُلّطت بقعة ضوء، وانحرفت إلى مؤخر القاعة. وخلال دقائق، جلس جميع
الضيوف تقريباً، والتقطوا إلى الخلف وسط الضباب متربّين رؤية مُضيقهم يظهر
شخصياً. لكن بعد ثوانٍ، توجّهت بقعة الضوء إلى مقدمة القاعة مجدداً، والتقطت معها
رؤوس الحاضرين.

وهناك، في مقدمة القاعة، وقف إيموند كيرش مبتسمًا تحت وهج بقعة الضوء.
كانت يداه موضوعتين بثقة على طفي منصة لم تكن هناك قبل ثوانٍ. وقال مقدم
العرض العظيم بمودةٍ مع بدء تلاشي الضباب: "مساء الخير يا أصدقائي".
وخلال ثوانٍ، نهض الناس واقفين، وانفجر التصفيق في الغرفة، فانضم إليهم
لانغدون عاجزاً عن كبح ابتسامته.

دع الأمر لإيموند ليخرج إلى المسرح مع نفخة دخان.
حتى تلك اللحظة، كان عرض الليلة - على الرغم من عدائه للإيهان - جولة جريئة
لا تشوبها شائبة؛ تماماً مثل الرجل نفسه. الآن، فهم لانغدون سبب عشق أصحاب الفكر
الحرّ في العالم إيموند إلى هذا الحد.

على الأقلّ، هو يبيح بما في ذهنه بطرائق لا يجرؤ عليها سوى قلة آخرين.
عندما ظهر وجه إيموند على الشاشة فوق رؤوسهم، لاحظ لانغدون أنه يبدو أقلَّ
شحوباً بكثير من ذي قبل؛ بعد أن تم إخفاء شحوبه على يد خبير بلا شك. لكن مع
ذلك، كان واضحاً أنَّ الرجل منهك.

تواصل التصفيق الحماسي، حيث بالكاد شعر لانغدون بالاهتزاز في جيب سترته.
وتلقائياً، مذ يده لإخراج هاتقه، ولكنَّه أدرك فجأة أنَّ الهاتف مطفأ. واستغرب كثيراً عندما
ادرك أنَّ الاهتزاز صادر عن الجهاز الآخر الموضوع في جيبه، أي سماعة التوصيل
العظمي التي يبدو أنَّ وينستون يتكلّم الآن عبرها بصوت عالٍ جداً.

يا له من توقيت سيئ!

أخرج لانغدون الجهاز من جيبه وثبته على رأسه. وما إن لامست العقدة عظام
خدّه، حتى تردد صوت وينستون القوي في رأسه.

"فيسور لانغدون؟ هل أنت هنا؟ الهواتف معلّة، وأنت وسيلة اتصالٍ الوحيدة.
بروفيسور لانغدون؟".

أجاب لانغدون وهو يرفع صوته فوق صخب التصفيق من حوله: "أجل وينستون،
أنا هنا."

قال وينستون: "أخيراً! أصفع إليَّ جيداً. أظنَّ أثناً أمام مشكلة خطيرة".

الفصل 21

شهد إدموند كيرش لحظات نصر لا تعد ولا تحصى على المسرح العالمي. ولهذا السبب، كان دائم السعي إلى الإنجاز، ولكنه نادراً ما كان يشعر بالرضى التام. مع ذلك، في هذه اللحظة، وهو واقف على المنصة يتلقى ترحيباً حارزاً، سمع لنفسه بالإحساس بفرحة إدراك أنه على وشك تغيير العالم.

اجلسوا يا أصدقائي، فالآتي أفضل.

ومع تبدّل الضباب، قاوم إدموند رغبته في النظر إلى الأعلى؛ إلى الشاشة التي تنقل صورة مقرئية لوجهه إلى جمهوره هنا، وإلى ملايين الناس حول العالم.

قال لنفسه بفخر : "هذه لحظة عالمية تتجاوز الحدود والطبقات والمعتقدات".

نظر إلى يساره، وهز رأسه بامتنان لأمبرا فيدال التي كانت ترافقه من الزاوية، والتي عملت معه بلا كلل لإنتاج هذا العرض. ولكنه فوجئ عندما لاحظ أنها لا تتظر إليه، بل تحدّق إلى حشد الزوار بقلق واضح.

فكّرت أمبرا في سرّها وهي تنتظر من مكانها: ثمة خطب ما.

في وسط الغرفة، كان ثمة رجل أنيق وطويل القامة يشقّ طريقه بين الحشد وهو يلوح بذراعيه متّجهاً نحو أمبرا.

عرفت البروفيسور الأميركي من الشريط الذي عرضه كيرش، إنه رويرت لأنغدون.

كان لأنغدون يقترب بسرعة؛ الأمر الذي دفع حارسي أمبرا إلى الابتعاد فوراً عن الجدار وال الوقوف أمامها لاعتراض طريقه.

ماذا يريد؟! رأت أمبرا القلق واضحاً في تعابير وجه لأنغدون.

التقت إلى إدموند على المنصة متسائلة عما إذا كان قد لاحظ هذه الجلبة هو الآخر. واستغرقت حين رأته يحدّق إليها مباشرة.

إدموند! ثمة خطب ما!

وفي تلك اللحظة، دوى صوت يصم الآذان تحت القبة، وارتدى رأس إدموند إلى الخلف. رأت أمبرا برع� حفرة حمراء تظهر على جبين إدموند، فيما تراجعت عيناه قليلاً

إلى الوراء، وتصبّت يداه اللتان تمسكان بالمنصة، وكذلك جسده بأكمله. ترتجح للحظة، وغزا الارتباك وجهه، ثم مال جسده جانبًا مثل شجرة تسقط، وانهار على الأرض، ليرتطم رأسه المخضب بالدماء بقوة بالأرض المكسوة بالعشب الاصطناعي.

و قبل أن تفهم أميرا ما تراه، وجدت نفسها تُدفع على الأرض من قبل أحد الحراسين الملكيين.

توقف الزمن للحظة.

وفجأة... ساد الهرج والمرج.

راح الضيوف يتدافعون بقوة نحو مؤخر القاعة محاولين تفادي المزيد من إطلاق النار، يضيئهم الوجه المنبعث من صورة جثة إدموند الدامية فوق رؤوسهم.

ومع اندلاع الفوضى، تسمّر روبرت لأنعدون في مكانه وقد شلته الصدمة. فعلى مسافة غير بعيدة، استلقى صديقه على جنبه، وهو لا يزال يواجه الجمهور، فيما تدفق الدم من التقب الذي أحدثه الرصاصية في جبينه. كانت أضواء الكاميرا مسلطة بلا رحمة على وجه إدموند الذي فارق الحياة، بعد أن تُركت الآلة على دعمتها لتواصل على ما يبدو نقل صورة جثة على السقف المقبب، وكذلك إلى العالم.

شعر لأنعدون وهو يجري إلى الكاميرا ويحيّلها نحو الأعلى، مُبعداً عدساتها عن إدموند، كما لو أنه يسير في حلم. بعد ذلك، استدار ونظر عبر فوضى الضيوف الهاربين إلى المنصة وصديقه، وكان واثقاً أن إدموند قد رحل.

رياه... لقد حاولت تنبّيئك يا إدموند! لكن تحذير وينستون أتى متأخراً.

على مسافة غير بعيدة من جثة إدموند الممددة على الأرض، رأى لأنعدون حارساً ملكياً ممدداً فوق أميرا فيدال لحمايته. فسارع نحوها مباشرة، لكن الحارس تصرف بشكل تلقائي. إذ انتصب واقفاً، ثم اندفع نحوه ليصل إليه في ثلات خطوات طويلة، ويلقي بجسده عليه.

سحق الحارس بكتفه صدر لأنعدون، وأفرغ الهواء من رئتيه تماماً، مرسلاً موجة من الألم عبر جسده وهو يطير إلى الخلف ليحطّ بقوّة على العشب الاصطناعي. وقبل أن يتمكّن من أخذ أي نفس، مذده الحارس بذراعيه القويتين على بطنه، وتشى ذراعه اليسرى خلف ظهره، ثم ضغط بكتف كالحديد على مؤخر رأسه حيث ثبته تماماً، وضغط خده الأيسر على العشب.

صاحب الحارس: "لقد عرفت بذلك قبل وقوعه. ما صلتاك بالحادثة؟!".

على مسافة عشرين ياردة، اندفع الحارس الملكي رافا دياز بين حشود الضيوف الفارين، وحاول الوصول إلى تلك البقعة في الجدار الجانبي التي رأى وميض الطلقة النارية من خلالها.

أمبرا فيدال بأمان؛ هذا ما أكدته لنفسه بعد أن رأى شريكه يدفعها إلى الأرض، ويغطي جسدها بجسده. من جهة أخرى، كان دياز واثقاً من أنه ما من شيء يمكن فعله للضحية. لقد مات إيموند قبل أن يرتطم بالأرض.

لاحظ دياز أيضاً أمراً غريباً، وهو أن أحد الضيوف تلقى تحذيراً مسبقاً بالهجوم، واندفع نحو المنصة قبل لحظة من إطلاق النار.

أياً يكن السبب، فالمسألة يمكنها أن تنتظر.

في الوقت الراهن، لديه مهمة واحدة فقط.

القبض على مطلق النار.

مع وصول دياز إلى الموقع الذي رأى منه الوميض، وجد شقاً في جدار القماش، فأدخل يده عبر الفتحة، ومزق النسيج نزولاً حتى الأرض، ثم دخل عبره إلى متاهة من السقالات.

إلى يساره، لمح رجلاً طويلاً القامة يرتدي زيًّا عسكرياً أبيض يسرع باتجاه مخرج الطوارئ الواقع في الجهة المقابلة من القاعة الضخمة. بعد لحظة، خرج الهارب من الباب واحتفى.

انطلق دياز يجري خلفه في خطٍّ متعرج بين الإلكترونيات المنتشرة خارج القبة، إلى أن خرج من الباب إلى سلم إسمنتي. أطلَّ من فوق الدرازبين، ورأى الهارب على بعد طابقين تحته، يهبط بذمة السلالم بسرعة فائقة. لحق به وهبط السلالم كلَّ خمس درجات معاً. لكن، في مكان ما في الأسفل، سمع بباب المدخل يفتح مصدرًا صوتاً عالياً، ثم يُصدق مجدداً.

لقد غادر المبنى!

عندما وصل دياز إلى الطابق الأرضي، سارع إلى المخرج الذي كان عبارة عن باب ذي مصراعين مع عارضتين أفقيتين، ورمى بقله عليه. لكنَّ الباب لم يفتح بسهولة كما فتح الباب العلوي، بل تحرك مسافة إنش واحد قبل أن يتوقف. فارتطم جسد دياز بالباب المصنوع من الصلب، وسقط أرضاً وهو يعاني من ألم حارق في كتفه. نهض باستغراب وجرب فتح الباب مجدداً، فلم يفتح سوى بما فيه الكفاية ليفهم أصل المشكلة.

كان مفاصلاً مصراعي الباب من الخارج مفقيدين بحلقة سلكية؛ بسلسلة من الخرز الملفوفة حولهما. استغرب دياز أكثر عندما أدرك أنَّ شكل الخرز كان مألوفاً تماماً بالنسبة إليه، وإلى أيٍ كاثوليكي إسباني صالح.

أهذه مسبحة؟

استخدم دياز كل قوته ليدفع مصراعي الباب مجدداً بجسده المتآلم، لكن حلقة الخرز ظلت صامدة. نظر مرة أخرى من خلال الفتحة الضيقة، فاذله وجود المسبحة بقدر ما فاجأه عدم قدرته على قطعها.

صاح من خلال فتحة الباب: «مرحباً! هل من أحد هنا؟!». ولكن، لم يجده أحد. ومن فتحة الباب، رأى دياز جداراً إسمنتياً عالياً ومحظى خدمة مهجوراً، فأدرك أنه ما من احتمال بأن يمر أحد وينزع الحلقة. وحين لم يجد خياراً آخر أمامه، سحب مستسه من تحت سترته، ثم مزّر فوهته عبر شقّ الباب وضغطها على المسبحة.

أنما أطلق النار على مسبحة مقسّة! فليغفر لي ربّ.

اهتزت أجزاء الصليب المتبنّية أمام عيني دياز. ضغط على الزناد، فدوى صوت الطلقة التي أصابت الأرض الإسمنتية، وفتح الباب. تحطم المسبحة، واندفع دياز إلى الأمام وهو يتربّح في الزقاق الخالي، بينما تساقطت حبات المسبحة على الرصيف حوله.

لقد هرب القاتل بزيه الأبيض.

وعلى بعد مائة متر، جلس الأميرال لويس أفيلا بصمت على المقعد الخلفي لسيارة الرينو السوداء التي أسرعت تقله بعيداً عن المتحف.

منانة ألياف فيكتران التي علق فيها حبات الخرز أنت مهمتها وأخترت مطارديه بما فيه الكفاية.

والآن، لقد رحلت.

ومع انطلاق السيارة باتجاه الشمال الغربي على طول نهر نيرفيون المتعرج، واحتقارها بين بقية السيارات المسرعة على جادة أباندوبيارا، تنفس الأميرال أفيلا الصعداء أخيراً.

ما كان من الممكن لمهمته هذه الليلة أن تكون أكثر سهولة.

في ذهنه، بدأ يسمع النغمات المرحة لنشيد أوريامندي، بكلماته القديمة التي أشدت مرّة في معركة دامية هنا في بيلباو. فأخذ يردد في ذهنه: *Por Dios, por la Patria y el Rey!* (للرب، والبلاد، والملك!).

تم نسيان صرخة المعركة منذ زمن طويـل... لكن الحرب بدأت للتو.

الفصل 22

يعتبر قصر مدريد الملكي أكبر القصور الملكية في أوروبا، وواحداً من أجمل مظاهر الانصهار المعماري بين النمطين الكلاسيكي والباروكي. بُني القصر في موقع قصر مغربي يرجع إلى القرن التاسع عشر، وتمتَّ وجهته التي تتخللها الأعمدة والمُؤلَفة من ثلاثة طوابق على كامل عرض ساحة أميريرا المُقام فيها وبالغة خمسة أمتار. أما قلبها فهو عبارة عن متاهة مذهبة من 3,418 غرفة على مساحة تقدَّر بنحو مليون ونصف قدم مربعة. وقد زينت الصالات، وغرف النوم، والأروقة بمجموعة من الأعمال الفنية التي لا تقدَّر بثمن؛ بما في ذلك روائع لفيلاسكيز، وغوفيا، وروبنز.

بقي القصر لأجيال مقرَّ سكن ملوك إسبانيا وملكاتها. غير أنه يُستخدم اليوم في المقام الأول لوظائف الدولة، فيما تقيم الأسرة الملكية في قصر زارزويلا الأكثر بساطة وانعزالاً، والواقع خارج المدينة.

لكن في الأشهر الأخيرة، أصبح قصر مدريد الرسمي المقر الدائم لولي عهد إسبانيا الأمير جوليان البالغ من العمر 42 عاماً. فقد انتقل إلى القصر بناء على طلب القيمين عليه الذين أرادوا أن يكون جوليان "أكثر حضوراً في البلاد" خلال هذه الفترة العصيبة التي تسبق تتويجه لاحقاً.

في الواقع، أصبح والد الأمير جوليان - الملك الحالي - طريق الفراش منذ أشهر نتيجة مرض عضال. ومع تلاشي قدراته العقلية، بدأ القصر بنقل السلطة ببطء وإعداد الأمير لتولي العرش بعد وفاة أبيه. وبما أنَّ انتقال زمام القيادة أصبح وشيكاً، تحولت انتظار الإسبان إلى ولِي العهد جوليان، وشغل بالهم سؤال واحد: أي نوع من الحكام سيكون؟

لطالما كان الأمير جوليان طفلاً متحفظاً وحذراً لأنَّه حمل على كاهله عبء منصبه القادم منذ صباه. فقد توفيت أمَّه نتيجة مضاعفات الحمل بينما كانت حاملاً بطفلها الثاني، وقرر الملك - خلافاً لتوقعات كثيرين - ألا يتزوج ثانية، وهكذا بقي جوليان الوريث الوحيد للعرش الإسباني.

وريث بلا احتياطي؛ هكذا وصفته الصحف البريطانية ببرودة.

ويمـا أن جوليـان نـشـأ تحت جـناـح أبيـهـ المحـافظ بشـدـةـ، فـقدـ اـعـتـقـدـ مـعـظـمـ الإـسـبـانـ التـقـليـدـيـنـ أـنـهـ سـيـتـمـسـكـ بـتـقـالـيـدـ مـلـوكـهـ المـتـزـمـتـةـ، وـيـحـافـظـ عـلـىـ مـهـابـةـ العـرـشـ الإـسـبـانـيـ منـ خـلـالـ الإـلـقاءـ عـلـىـ الـأـعـرـافـ الـقـائـمـةـ وـالـاحـتـفالـ بـالـطـقوـسـ الـمـعـتـادـ، وـالـأـهـمـ مـنـ كـلـ شـيـءـ؛ـ اـحـترـامـ تـارـيخـ إـسـبـانـيـاـ الكـاثـولـيـكـيـ الغـنـيـ.

لـقـرـونـ مـنـ الزـمـنـ، شـكـلـ إـرـثـ الـمـلـوكـ الـكـاثـولـيـكـ مـرـكـزـ إـسـبـانـيـاـ الـأـخـلـاقـيـ.ـ وـلـكـنـ،ـ فـيـ السـنـوـاتـ الـأـخـيـرـةـ،ـ بـدـاـ أـنـ الـأـسـاسـ الـدـيـنـيـ لـلـبـلـادـ يـتـحـلـ،ـ لـتـجـدـ إـسـبـانـيـاـ نـفـسـهـاـ عـالـقـةـ وـسـطـ صـرـاعـ عـنـيفـ بـيـنـ الـقـدـيمـ جـداـ وـالـجـدـيدـ جـداـ.

كـانـ ثـمـةـ عـدـدـ مـتـنـاـمـ مـنـ الـلـيـبرـالـيـنـ الـذـينـ يـجـتـاـحـونـ الـمـدـوـنـاتـ وـوـسـائـلـ التـوـاـصـلـ الـاجـتمـاعـيـ بـشـائـعـاتـ مـفـادـهـ أـنـهـ مـاـ إـنـ يـتـمـكـنـ جـوليـانـ أـخـيـرـاـ مـنـ الـخـروـجـ مـنـ ظـلـ أـبـيهـ حـتـىـ يـكـشـفـ عـنـ وـجـهـ الـحـقـيقـيـ كـرـعـيمـ عـلـمـانـيـ،ـ وـتـقـدمـيـ جـريـءـ مـسـتـعـدـ أـخـيـرـاـ لـلـسـيرـ عـلـىـ خطـىـ الـكـثـيرـ مـنـ الـدـوـلـ الـأـوـرـوبـيـةـ وـالـغـاءـ الـمـلـكـيـةـ تـامـاـ.

فـيـ الـحـقـيقـةـ،ـ كـانـ وـالـدـ جـوليـانـ نـاشـطـاـ جـداـ فـيـ دـورـهـ كـمـلـكـ،ـ وـلـمـ يـتـرـكـ لـهـ مـسـاحـةـ كـبـيرـةـ لـلـمـشـارـكـةـ فـيـ السـيـاسـةـ.ـ فـقـدـ أـعـلـنـ بـصـرـاحـةـ أـنـهـ عـلـىـ جـوليـانـ أـنـ يـسـتـمـتـعـ بـشـبابـهـ،ـ وـأـنـهـ لـاـ يـجـدـ انـخـراـطـهـ فـيـ مـسـائـلـ الـدـوـلـ قـبـلـ أـنـ يـتـزـوـجـ وـيـسـتـقـرـ أـمـرـاـ مـنـطـقـيـاـ.ـ وـهـكـذاـ،ـ كـانـتـ السـنـوـاتـ الـأـرـبعـونـ الـأـوـلـىـ مـنـ حـيـاةـ جـوليـانــ،ـ الـمـدـوـنـةـ بـتـفـاصـيلـهـاـ فـيـ الصـحـافـةـ الإـسـبـانـيـةــ عـبـارـةـ عـنـ مـدـارـسـ خـاصـةـ،ـ وـرـكـوبـ خـيـلـ،ـ وـقـصـ أـشـرـطـةـ،ـ وـجـمـعـ تـبـرـعـاتـ،ـ وـسـفـرـ حـولـ الـعـالـمـ.ـ وـمـعـ أـنـ الـأـمـيـرـ لـمـ يـنـجـزـ الـكـثـيرـ فـيـ حـيـاتهـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ كـانـ مـنـ دـوـنـ أـدـنـىـ شـكـ الـعـازـبـ الـأـكـثـرـ جـاذـبـيـةـ فـيـ إـسـبـانـيـاـ.

وـعـلـىـ مـرـ السـنـوـاتـ،ـ تـوـاـعـدـ الـأـمـيـرـ الـوـسـيـمـ الـبـالـغـ مـنـ الـعـمـرـ 42ـ عـلـاـنـاـ مـعـ عـدـدـ لـاـ يـحـصـىـ مـنـ النـسـاءـ الـجـدـيـرـاتـ بـهـ.ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ سـمـعـتـهـ كـرـومـنـسـيـ مـيـؤـوسـ مـنـهـ،ـ لـمـ تـمـكـنـ إـحـدـاهـنـ مـنـ الـاستـيـلاءـ عـلـىـ قـلـبـهـ يـوـمـاـ.ـ لـكـنـ فـيـ الـأـشـهـرـ الـأـخـيـرـةـ،ـ شـوـهـدـ جـوليـانـ عـدـةـ مـرـاتـ مـعـ اـمـرـأـ جـمـيـلـةـ.ـ وـمـعـ أـنـهـ بـدـتـ مـثـلـ عـارـضـةـ أـزيـاءـ مـتـقـاعـدـةـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ كـانـتـ فـيـ الـوـاقـعـ مـديـرةـ مـتحـفـ غـوـغـنـهـاـيـمـ بـيـلـبـاوـ الـتـيـ تـحـظـىـ باـحـترـامـ كـبـيرـ.

وـسـرـعـانـ مـاـ أـشـادـتـ وـسـائـلـ الـإـلـاعـامـ بـأـمـبـراـ فـيـدـالـ وـقـالتـ إـنـهـ "ـالـمـرـأـةـ الـمـثـالـيـةـ لـمـلـكـ عـصـرـيـ".ـ فـقـدـ كـانـتـ مـتـقـنـةـ وـنـاجـحةـ،ـ وـالـأـهـمـ مـنـ ذـلـكـ كـلـهـ؛ـ لـيـسـ سـلـيـلـةـ إـحدـىـ الـأـسـرـ الإـسـبـانـيـةـ النـبـيـلـةـ.ـ كـانـتـ أـمـبـراـ فـيـدـالـ مـنـ الشـعـبـ.

بـدـاـ أـنـ الـأـمـيـرـ قـدـ وـافـقـ عـلـىـ تـقـيـيمـ الـصـحـفـ.ـ وـبـعـدـ مـدـةـ قـصـيرـةـ،ـ عـرـضـ عـلـيـهاـ الزـواـجـ بـطـرـيقـةـ غـيرـ مـتـوقـعـةـ عـلـىـ الإـطـلاقـ وـرـوـمـنـسـيـةـ جـداـ،ـ فـقـبـلتـ أـمـبـراـ فـيـدـالـ العـرـضـ.

وـفـيـ الـأـسـابـيعـ الـتـيـ تـلـتـ ذـلـكـ،ـ تـحـدـثـتـ الـصـحـفـ يـوـمـيـاـ عـنـ أـمـبـراـ فـيـدـالـ،ـ وـأـشـارتـ إـلـىـ أـنـهـاـ لـيـسـ مـجـرـدـ وـجـهـ جـمـيـلـ وـحـسـبـ،ـ فـسـرـعـانـ مـاـ تـبـيـنـ أـنـهـاـ كـانـتـ اـمـرـأـ شـدـيـدةـ الـاسـتـقلـالـيـةـ؛ـ فـقـدـ رـفـضـتـ رـفـضاـ قـاطـعاـًـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ كـوـنـهـاـ مـلـكـةـ إـسـبـانـيـاـ الـمـسـتـقـبـلـةــ

السماح للحرس الملكي (الغوارداريل) بالتدخل في برنامجهما اليومي، أو توفير الحماية لها سوى في المناسبات العامة الكبرى.

وعندما اقترح قائد الحرس الملكي سرًا أن تبدأ أمبرا بارتداء ملابس محافظة وفضفاضة أكثر، حولت المسألة إلى نكتة علنية، وقالت إنها تلقت توجيهًا من قائد "الغوارداروليبا ريل؟ الخزانة الملكية.

عرضت المجالات الليبرالية صورها على جميع أغلفتها. "أمبرا! مستقبل إسبانيا الجميل!". وعندما رفضت إطعاءها مقابلات، مدحتها على أنها "مستقلة". أما عندما منحتها مقابلة، فأثبتت على "تواضعها".

فيما ردت المجالات المحافظة عبر الاستهزاء بالملكة المستقبلية الجديدة الصاحبة، ووصفتها بأنها انتهازية تسعى إلى السلطة، وسيكون لها تأثير خطير على الملك المستقل. وكليل على ذلك، استشهدت بتجاهلها الصارخ لسمعة الأمير.

وتركَّز اهتمام تلك المجالات الأولى على عادة أمبرا في مخاطبة الأمير جولييان باسمه الأول وحسب، متجاهلة الأعراف التي تفرض عليها الإشارة إليه باسم دون جولييان أو سو ألتيرا، أي سمو الأمير.

أما تخوفها الثاني فبذا أكثر خطورة. خلال الأسابيع الماضية، انشغلت أمبرا بجدول أعمال مزدحم فرض عليها غياباً تاماً عن الأمير؛ علمًا أنها شوهدت مراراً في بيلباو وهي تتناول الغداء بالقرب من المتحف مع ملحد معروف، ألا وهو عالم التكنولوجيا الأميركي إيموند كيرش.

وعلى الرغم من إصرار أمبرا على أن وجبات الغداء كانت مجرد اجتماعات عمل مع أحد أكبر المتبرعين للمتحف، إلا أن مصادر من داخل القصر أشارت إلى أن دماء جولييان بدأت تغلي.

ومن يلومه؟ فحقيقة الأمر أن خطيبة جولييان الساحرة، وبعد أسابيع وحسب من ارتباطهما رسميًا، اختارت قضاء معظم وقتها مع رجل آخر.

الفصل 23

بَقَى وَجْهُ لَانْغُدُونَ مُضْغُوطًا بِقَوْةٍ عَلَى الْعَشَبِ، وَكَانَ وَزْنُ الْعَمِيلِ فَوْقَهُ سَاحِقًا.
الغَرِيبُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِشَيْءٍ.

كَانَتْ عَوْاطِفُ لَانْغُدُونَ مُبَعْثَرَةً وَمُخْدَرَةً، وَتَنَرَّاوحُ بَيْنَ الْحَزْنِ وَالْخُوفِ وَالْغَضْبِ.
فَأَحَدُ الْمُعْقُولِينَ فِي الْعَالَمِ، وَوَاحِدُ مَنْ أَعْزَى أَصْدِقَائِهِ قَدْ قُتِلَ لِلْتَّوْ عَلَيْهَا بِأَكْثَرِ الطَّرَائِقِ
وَحُشْيَةً. لَقِدْ قُتِلَ قَبْلَ لَحْظَاتٍ وَحَسْبٍ مِنْ إِعْلَانِهِ عَنْ أَكْبَرِ اكْتِشافِ فِي حَيَاتِهِ.

أَدْرَكَ لَانْغُدُونَ إِلَيْهِ أَنَّ الْخَسَارَةَ الْمَأْسَوِيَّةَ لِحَيَاةِ بَشَرِيَّةٍ قَدْ تَرَاقَتْ مَعَ خَسَارَةِ ثَانِيَّةٍ؛
خَسَارَةِ عَلْمِيَّةٍ.

إِلَيْهِ، قَدْ لَا يَعْرِفُ الْعَالَمُ أَبْدًا مَا اكْتَشَفَهُ إِيمُونَدُ.

اجْتَاحَهُ مَوْجَةُ غَضْبٍ مَفَاجِئَةً، تَبَعَّهَا قَرْأَرُ حَازِمٌ.

سَابَذَلَ كُلَّ مَا فِي وَسْعِيْ لِمَعْرِفَةِ الْمَسْؤُلِ عَنْ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ. سَاحَفَ عَلَى إِرْثِكِ
يَا إِيمُونَدَ، وَسَأَجَدَ طَرِيقَةً لِأَطْلَعُ فِيهَا الْعَالَمَ عَلَى اكْتِشافِكِ.

قَالَ الْحَارِسُ عَلَى مَقْرِبَةِ مَنْ أَذْنَهُ: "لَقِدْ عَرَفْتُ. كُنْتَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَنْصَةِ وَكَانَكَ
تَوقَّعَ حَدُوثَ شَيْءٍ".

فَأَجَابَ لَانْغُدُونَ وَهُوَ بِالْكَادِ يَتَقَسَّسُ: "لَقِدْ... تَمْ... تَحْذِيرِيْ".

"مِنْ قَبْلِ مَنْ؟!؟".

اسْتَطَاعَ لَانْغُدُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِالسَّمَاعَةِ الْمُلْتَوِيَّةِ عَلَى خَدَّهُ. "السَّمَاعَةُ الْمُوجَودَةُ عَلَى
وَجْهِي... إِنَّهَا دَلِيلٌ آليٌّ. لَقِدْ حَذَرَنِي كَمْبِيُوتُرُ إِيمُونَدَ كِيرِشُ. فَقَدْ عَثَرَ عَلَى اسْمِ غَرِيبٍ
فِي قَائِمَةِ الضَّيْوفِ، أَمِيرَالٌ مُتَقَاعِدٌ مِنَ الْبَحْرِيَّةِ الإِسْبَانِيَّةِ".

كَانَ رَأْسُ الْحَارِسِ قَرِيبًا مِنْ أَذْنِ لَانْغُدُونَ بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةِ لِيُسْمَعَ الصَّوْتُ الْأَتِي
عَبَرَ السَّمَاعَةَ. كَانَ الصَّوْتُ لَا هَثًا وَمُلْحَّاً، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ إِسْبَانِيَّةَ لَانْغُدُونَ لَمْ تَكُنْ
جَيْدَةً، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَطَاعَ فَهْمَ النَّبَأَ السَّيِّئَ.

• *el asesino ha huido*

لَقِدْ هَرَبَ القَاتِلُ.

• *salida bloqueada*

تَمْ إِقْفَالُ أَحَدِ الْمَخَارِجِ.

• *uniforme militar blanco*

ما إن نطق الجهاز بعبارة "زي عسكري"، حتى خفف الحارس من ضغطه على جسد لانغدون. سأله شريكه: "أهو زي البحري؟ أهو أبيض... زي أميرال؟". أتى الرد إيجابياً.

زي البحري. لقد كان وينستون على حق. أطلق الحارس سراح لانغدون ونهض عنه قائلاً: "استدر فانقلب لانغدون على ظهره متآلماً، ثم اعتدل على مرافقه. كان رأسه يدور وصدره يقوله.

قال الحارس: "لا تتحرك".

لم يكن لانغدون ينوي أن يتحرك. فقد كان الحارس الواقف أمامه يملك نحو مائتي باوند من العضلات الصلبة، وقد أثبت له منذ قليل أنه في غاية الجدية بشأن عمله. صاح الحارس عبر اللاسلكي بالإسبانية: "حالاً!". وهو يواصل طلب الدعم العاجل من السلطات المحلية ووضع حواجز حول المتحف.

الشرطة المحلية... حواجز طرق...

رأى لانغدون من موقعه أميراً فيداً التي كانت لا تزال على الأرض على مقربة من الجدار الجانبي. حاولت التوقف، ولكنها تعثرت وانهارت مجدداً على يديها وركبتها. فليساعده أحد!

لكن الحارس كان يصبح في تلك اللحظة في أرجاء القبة، وبدا أنه لا يكلم شخصاً معيناً. "Luces! Y cobertura de móvil." احتاج إلى مصابيح وخدمة هاتف. مذ لانغدون يده وعدّل السماعة على وجهه.

"وينستون، هل أنت هناك؟".

الفت الحارس ورمق لانغدون بغرابة.

كان صوت وينستون خافتاً. "أنا هنا".

"وينستون، لقد قُتل إيموند. نحن بحاجة إلى عودة الإضاعة حالاً، كما نحتاج إلى إعادة خدمة الهاتف الخلوي. هل يمكنك فعل ذلك أو الاتصال بشخص ليقوم به؟".

بعد ثوانٍ، أضيئت مصابيح القبة فجأة، وزال الوهم السحري بوجود مرجل يضئيه القمر، لظهور مساحة من العشب الاصطناعي الذي توزعت عليه بطانيات مهجورة. بدا الحارس متراجعاً من سلطة لانغدون الظاهرة. وما لبث أن مذ يده وساعده على الوقوف، ثم نظر الرجلان إلى بعضهما في الضوء الساطع.

كان الحارس طويل القامة، بطول لانغدون، وذا رأس حليق وجسد قويٌ برزت عضلاته من تحت السترة الزرقاء. وقد خلا وجهه الشاحب من التعابير، في حين تركّزت نظرات عينيه الحادتين على لانغدون مثل أشعة الليزر.

"قد ظهرت في شريط الفيديو هذه الليلة. أنت روبرت لأنغدون".

"أجل بالفعل، فقد كان إدموند كيرش تلميذي وصديقي .

أعلن الحارس بإنكليزية ممتازة: "أنا العميل فونسيكا من الحرس الملكي. أخبرني

كيف عرفت بأمر زي البحريّة".

عندما، التفت لأنغدون نحو جثة إدموند الممتدّ بلا حراك على العشب بجانب المنصة. ركعت أميراً فيداً بالقرب منها مع اثنين من موظفي أمن المتحف، وأحد المسعفين الذي توقف أساساً عن محاولة إنعاشة. قامت أميراً بتحطيم الجثة ببطانية بلطف.

من الواضح أنَّ إدموند قد رحل.

شعر لأنغدون بالغثيان، وعجز عن رفع نظره عن صديقه القتيل.

قال الحارس بحدة: "لا نستطيع مساعدته. أخبرني، كيف عرفت؟".

حوال لأنغدون نظره إلى الحارس الذي لم تترك نبرته أي مجال لسوء التفسير. لقد كان أمراً.

روى له لأنغدون بسرعة ما قاله وينستون عن أنَّ برنامج الدليل كشف أنَّ سماعة أحد الضيوف تم التخلّي عنها. وعندما عثر دليل بشري على السماعة في حاوية النفايات، تحقق من اسم الضيف الذي أعطيت له، وقلق عندما اكتشف أنَّ اسمه أضيف إلى قائمة الضيوف في اللحظة الأخيرة.

ضاقت عينا الحارس وقال: "هذا مستحيل! قائمة الضيوف أغلقت أمس، وتم التتحقق من تاريخ الأسماء كافة".

أعلن صوت وينستون عبر سماعة لأنغدون: "باستثناء هذا الرجل. شعرت بالقلق، وقمت ببحث حول اسم الضيف، واكتشفت أنه كان أميراً سابقاً في البحريّة الإسبانية، وتم سريره بسبب الإدمان على الكحول وضغوط الصدمة التي تعرض لها بعد هجوم إرهابي وقع في إشبيلية قبل خمس سنوات".

نقل لأنغدون المعلومات إلى الحارس.

وبدا هذا الأخير غير مصدق لما يسمعه. "تججير الكاتدرائية!". قال وينستون لأنغدون: "علاوة على ذلك، اكتشفت أنَّ الضابط لا تربطه أيَّ صلة على الإطلاق بالسيد كيرش؛ الأمر الذي أثار قلقي ودفعني إلى الاتصال بأمن المتحف ليقوموا بإطلاق الإنذار. لكن، بما أتنى لم أكن أملك معلومات قاطعة، قالوا إنه لا يجرد بنا تخريب الحدث الذي نظمَه إدموند، لا سيما وأنَّه يُبيَّث مباشرة إلى العالم. وبما أتنى أعرفكم عمل إدموند على برنامج الليلة، بدا لي كلامه منطقياً، فائصلت بك على الفور يا روبرت على أمل أن تجد هذا الرجل لكي أرسل إليه فريقاً أمنياً بهدوء. كان يجرد بي أنَّ أتخذ إجراءات أقوى. لقد خذلت إدموند".

كان شعور آلة إيموند بالذنب أمراً مثيراً للأعصاب بنظر لانغدون. التفت مجدداً إلى جثة إدموند المغطاة، ورأى أمبرا فيDAL تقترب.

تجاهلها فونسيكا الذي كان لا يزال يصب كل تركيزه على لانغدون مباشرة، وسأله: "هل أعطاك الكمبيوتر اسماً لضابط البحرية المعنى؟".

هز لانغدون رأسه محيياً: "اسمي الأميرال لويس أفيلا".

وبينما كان يلفظ الاسم، توقفت أمبرا في مكانها، وحدقت إلى لانغدون وقد ارتسم الرعب على وجهها.

لاحظ فونسيكا رد فعلها وتوجه إليها على الفور. "آنسة في DAL، هل تعرفين الاسم؟". بدت أمبرا عاجزة عن الإجابة، وأخفضت نظرها وحدقت إلى الأرض كما لو أنها رأت شيئاً للتو.

كرر فونسيكا سؤاله: "آنسة في DAL، الأميرال لويس أفيلا، هل تعرفين هذا الاسم؟". لم يترك تعبير الصدمة الذي بدا على وجه أمبرا أدنى شكًّا في أنها تعرف القاتل فعلاً. وبعد لحظة من الدهشة، رفعت عينيها مرتبتين، وعاد الصفاء إلى عينيها السوداين كما لو أنها كانت في حالة ذهول، ثم همست قائلة: "كلا... أنا لا أعرف الاسم". ونظرت إلى لانغدون ومن ثم إلى الحارس مضيفة: "فوجئت وحسب لكون القاتل ضابطاً في البحرية الإسبانية".

إتها تكتنف. شعر لانغدون بذلك وفوجئ، كما تساعد عن سبب محاولتها إخفاء رد فعلها. لقد رأيت ذلك. لقد عرفت اسم الرجل.

سأل فونسيكا وهو يتقدم خطوة أخرى نحو أمبرا: "من كان المسؤول عن قائمة الضيوف؟! من أضاف اسم هذا الرجل؟".

كانت شفتا أمبرا ترتجفان الآن. "لا... لا فكرة لديّ".

قاطع أسئلة الحارس صخب مفاجئ صدر عن أجهزة الهاتف الخلوي التي أخذت ترن في أرجاء القاعة. من الواضح أن وينستون قد وجد طريقة لإعادة خدمة الهاتف الخلوي، وكان أحد تلك الهواتف يرن الآن في جيب سترة فونسيكا.

مدّ الحارس الملكي يده إلى هاتفه، وعندما رأى هوية المتصل، أخذ نفساً عميقاً ثم أجاب: "Ambra Vidal está a salvo".

أميرال في DAL بآمان. حول لانغدون نظره إلى المرأة المصطورة التي كانت تنظر إليه أساساً، والنلت نظراتها، فحدقاً إلى بعضهما طويلاً.

بعد ذلك، سمع لانغدون صوت وينستون يهمس في أذنه: "بروفيسور، أمبرا في DAL تعرف تماماً كيف أضيف اسم لويس أفيلا إلى قائمة الضيوف؛ فقد قامت بذلك بنفسها". استغرق لانغدون لحظة لاستيعاب تلك المعلومة.

هل أضافت أميراً فيدال نفسها اسم القاتل إلى القائمة؟!
وهي الآن تكذب بشأن ذلك!

وقبل أن يتمكن لانغدون من فهم هذه المعلومات تماماً، أعطى الحراس أميراً هاتفه.

وأعلن بالإسبانية: "دون جولييان يرغب في التكلم معك".
بدت أميراً غير راغبة في تلقي المكالمة، وأجابت الحراس: "أخبره أنتي بخير
وسأتصلك به بعد قليل".

بدأ الحراس غير مصدق على الإطلاق. وعطاً الهاتف بيده وهمس لأميراً: "سمّوا
الأمير، دون جولييان، يطلبـ".

غير أنها أجابتـ بحـدة: "أنا لا أهتم لكونه الأمير. إن كان سيصبح زوجي فعليه أن
يتعلم إعطائي مجالاً عندما أحتاج إلى ذلك. لقد شهدت على جريمة للتو، وأحتاج إلى
حقيقة لنفسي! أخبره أنتي سأتصلك به قريباً".

حق فونسيكا إلى المرأة، وومض شيء من الازدراء في عينيه، وبعد ذلك استدار
مبعداً ليواصل المكالمة على انفراد.

بالنسبة إلى لانغدون، ساعده هذا الحديث الغريب في حلّ غموض صغير واحد.
أميراً فيدال مرتبطة بأمير إسبانيا! هذا الخبر يفسّر معاملة المشاهير التي تلقاها، كما
يفسر وجود الحرس الملكي؛ مع أنه لا يفسّر بالطبع سبب رفضها التكلم مع خطيبها. لا
شك في أنّ الأمير يكاد يعيش من القلق إن كان قد شاهد ما حدث على التلفزيون.
وفي اللحظة نفسها، صُبِّق لانغدون عندما أدرك أمراً آخر أكثر خطورة.

رياه... أميراً فيدال على علاقة بقصر مدريد الملكي.
أرسلت هذه المصادفة غير المتوقعة رعشة خوف في جسده وهو يتذكر رسالة
التهديد الصوتية التي أرسلها الأسقف فالديسيبيو لإدموند.

الفصل 24

على مسافة مائة ياردة من قصر مدريد الملكي، داخل كاتدرائية المودينا، حبس الأسقف فالديسيبينو أنفاسه للحظة. كان لا يزال مرتدياً ثوب القداس، وجالساً أمام جهاز الكمبيوتر محمول في مكتبه، يشاهد بذهول الصور التي يتم نقلها من بيلباو. ستشكل هذه الحادثة مادة إخبارية ضخمة.

منذ الآن، كان اهتمام وسائل الإعلام العالمية منصبًا على المسألة تماماً. وكانت أهم المنافذ الإخبارية تتصل ببرامج علمية ودينية لاستطلاع آرائها حول العرض الذي قدمه كيرش، في حين قدم الجميع فرضيات حول قاتل إدموند كيرش وأسباب قتله. وعلى ما يبدو، اتفقت وسائل الإعلام على أنه بحسب الظاهر، ثمة من كان جاداً للغاية في منع خروج اكتشاف كيرش إلى النور.

بعد لحظات طويلة من التفكير، تناول فالديسيبينو هاتنه الخلوي وقام باتصال. أجاب الحاجم كوفيس عند أول رنة، وكان صوته أقرب إلى الصراخ: "هذا رهيب! كنت أشاهد التلفزيون! علينا الذهاب إلى السلطات حالاً وإخبارهم بما نعرفه!". فأجاب فالديسيبينو بنبرة هادئة: "حضره الحاجم، أنا أوفق على أن هذا التحول في الأحداث مربع، ولكن علينا التفكير ملياً قبل اتخاذ أي إجراء".

أجاب كوفيس بحدة: "ما من شيء لنفكّر فيه! من الواضح أنّ ثمة شخصاً لا يردعه رادع يريد دفن اكتشاف كيرش، وهو سفاح! أنا واثق من أنه هو من قتل "سيد" أيضاً. ولا بدّ أنه يعرف بأمرنا، وسيحيطون دورنا قريباً. أنا وأنت ملتزمان أخلاقياً بالذهب إلى السلطات وإخبارهم بما قاله لنا كيرش".

عندما، أجاب فالديسيبينو: "تحن ملتزمان أخلاقياً! يبدو أنك تريد كشف المعلومات لكن لا يكون لدى أحد دافع لإسكاتنا أنا وأنت شخصياً".

فجادله الحاجم قائلاً: "سلامتنا هي أحد الاعتبارات بالتأكيد، ولكن لدينا التزام أخلاقي تجاه العالم. أنا أدرك أنّ هذا الاكتشاف سيثير التساؤل حول بعض المعتقدات الأساسية. لكن، إن كان ثمة ما تعلمنه في حياتي الطويلة فهو أن الإيمان يصمد دوماً، حتى في وجه أعظم العقبات. وأنا أعتقد أن الإيمان سيصمد أمام هذه المحنّة أيضاً، حتى لو كشفنا النتائج التي توصلت إليها كيرش".

فما كان من الأسف إلا أن قال أخيراً وهو يحاول الحفاظ على هدوئه قدر الإمكان: "أنا أسمعك يا صديقي، أسمع التصميم في صوتك، وأحترم رأيك. وأريدك أن تعرف أنتي منفتح على النقاش، لا بل حتى على تبديل رأيي. ومع ذلك، أطلب منك إن كنت تتوبي الإعلان عن هذا الاكتشاف للعالم أن تقوم بذلك معاً، في وضح النهار وشرف، وليس بداع اليأس في أعقاب هذا الاغتيال المرروع. دعنا نخطط لذلك، ونتمرن عليه، ونضعه في إطاره المناسب".

لم يقل الحاجام شيئاً، لكن فالديسيينو سمع الرجل المسن يتنفس.

تابع الأسف: "أيها الحاجام، في الوقت الراهن، تُعتبر سلامتنا الشخصية القضية الأكثر إلحاحاً. فنحن نتعامل مع قتلة، وإن خرجن إلى العلن كثيراً، عبر الذهاب إلى السلطات مثلاً أو إلى محطة تلفزيونية فستكون النهاية عنيفة. وأنا أخشى عليك تحديداً... فأنا أتمتنع بالحماية هنا داخل مجتمع القصر، أما أنت... أنت وحيد في بودابست! ومن الواضح أن اكتشاف كيرش مسألة حياة وموت. لذا، اسمح لي بأن أقوم بترتيبات حماية من أجلك يا يهودا".

خيم الصمت على كوفيس قليلاً ثم قال: "من مدريد! كيف؟"

"لدي موارد أمن الأسرة المالكة تحت تصرفـي. الزم بيـنك وأـقـلـ أـبـوابـكـ. وأـنـاـ سـأـطـلـبـ منـ حـارـسـينـ مـلـكـيـنـ إـحـضـارـكـ إـلـىـ مـدـرـدـ لـنـتـأـكـدـ مـنـ أـنـكـ بـأـمـانـ فـيـ القـصـرـ المـلـكـيـ. وهـذـاـ يـمـكـنـنـاـ أـنـ جـلـسـ أـنـاـ وـأـنـتـ وـجـهـ لـوـجـهـ وـنـنـاقـشـ أـفـضـلـ السـبـلـ لـلـتـحـرـكـ".

سـأـلـهـ الحاجـامـ بـتـرـددـ: "إـنـ أـتـيـتـ إـلـىـ مـدـرـدـ، مـاـذـاـ لـوـ لـمـ نـنـقـقـ أـنـاـ وـأـنـتـ عـلـىـ كـيـفـيـةـ المـضـيـ قـدـمـاـ؟ـ".

فـأـكـدـ لـهـ الأـسـفـ: "سـنـنـقـ. أـنـاـ أـعـرـفـ أـنـتـ قـيـمـ الطـرـازـ، وـلـكـنـيـ وـاقـعـيـ أـيـضاـ مـثـلـكـ. مـعـاـ سـنـجـدـ أـفـضـلـ مـسـارـ لـلـعـلـ، وـأـنـاـ وـاـنـقـ مـنـ ذـلـكـ".

عـنـدـهـ، ضـغـطـ عـلـيـهـ كـوـفـيـسـ وـقـالـ: "وـمـاـذـاـ لـوـ كـانـتـ تـقـنـكـ فـيـ غـيرـ مـحـلـهـ؟ـ".

شـعـرـ فالـدـيـسـيـنـوـ بـتـقـلـصـ فـيـ مـعـدـتـهـ، وـلـكـنـهـ صـمـتـ لـلـحظـةـ وـتـهـدـ، ثـمـ أـجـابـ بـهـدوـءـ قـرـ الإـمـكـانـ: "يهـودـاـ، إـنـ لـمـ نـسـطـعـ أـنـاـ وـأـنـتـ فـيـ النـهـاـيـةـ أـنـ نـنـقـقـ عـلـىـ قـرـارـ مـاـ فـسـنـفـرـ كـصـدـيقـينـ، وـسـيـفـعـلـ كـلـ مـاـ يـنـاسـبـهـ. أـنـاـ أـعـدـكـ بـذـلـكـ".

أـجـابـ كـوـفـيـسـ: "شكـراـ لـكـ. سـأـتـيـ إـلـىـ مـدـرـدـ عـنـدـمـاـ تـنـتـصلـ بـيـ".

"هـذـاـ جـيـدـ. فـيـ هـذـهـ الـأـشـاءـ، أـقـلـ بـاـبـكـ وـلـاـ تـكـلـمـ أـحـدـاـ. أـحـزـمـ حـقـيـقـتـكـ، وـأـنـاـ سـأـتـصـلـ بـكـ وـأـرـوـدـكـ بـالـفـاصـيـلـ". وـصـمـتـ هـنـيـهـ ثـمـ أـضـافـ: "وـتـقـ بـالـرـبـ، إـلـىـ الـلـقـاءـ قـرـيبـاـ".

أـنـهـيـ فالـدـيـسـيـنـوـ الـمـكـالـمـةـ وـقـدـ اـسـتـدـبـ بـهـ إـحـسـاسـ بـالـرـعـبـ؛ـ إـذـ شـعـرـ أـنـ الـاسـتـمـارـ فـيـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ كـوـفـيـسـ مـيـتـطـلـبـ أـكـثـرـ مـنـ مجـرـدـ نـدـاءـ لـلـعـقـلـانـيـةـ وـالـحـذـرـ".

كـوـفـيـسـ يـشـعـرـ بـالـذـعـرـ، مـثـلـ سـيـدـ تـمامـاـ".

كلامًا عجزًا عن رؤية الصورة الكبرى.

أغلق فالديسيبينو جهاز الكمبيوتر وحمله تحت ذراعه، ثم مشى عبر حرم الكنيسة المظلم، وخرج من الكاتدرائية بثوب القدس إلى هواء الليل البارد، وعبر الساحة باتجاه وجهة القصر الملكي البيضاء المتوجة بالضوء.

وفوق المدخل الرئيس، رأى فالديسيبينو شعار إسبانيا الذي كان عبارة عن شارة يحيط بها عموداً هرقل، والشعار القديم بلاس ألترا الذي يعني "أبعد من ذلك". يعتقد البعض أن العبارة تشير إلى سعي إسبانيا على مدى قرون إلى توسيع الإمبراطورية خلال عصرها الذهبي، بينما يظن آخرون أنها تشير إلى اعتقاد البلاد الراسخ بأنه ثمة حياة في السماء بعد هذه الحياة الدنيا.

وفي كلتا الحالتين، أحس فالديسيبينو بأن الشعار يقل أهمية يوماً بعد يوم. وبينما كان يرمي العلم الإسباني الذي يرفرف فوق القصر، تنهَّد بحزن، وعادت أفكاره إلى ملكه المريض.

سأفقد إليه بعد رحيله.

أنا مدین له بالكثير.

منذ أشهر والأسقف يقوم بزيارات يومية لصديق الحبيب الذي يرقد طريح الفراش في قصر زارزويلا على مشارف المدينة. ومنذ بضعة أيام، استدعى الملك الأسقف إليه، وكان القلق العميق بادياً في عينيه.

همس الملك: "أنطونيو، أخشى أن تكون خطوبة ابني خطوة... متسرعة".
ففكر فالديسيبينو في سره: إنها بالأحرى جنونية.

منذ شهرين، عندما أسرَّ الأمير لفالديسيبينو بأنه ينوي أن يعرض الزواج على أميراً فيDAL بعد فترة تعارف قصيرة جدًا، فوجئ الأسقف وتولَّ إلى جولييان ليكون أكثر تعقلاً. لكنَّ الأمير أكدَ أنه مغرم بها، وأنَّ والده يستحقَ أن يرى ابنه الوحيد متزوجاً. وبالإضافة إلى ذلك، قال إنه إنْ كان ينوي تكوين أسرة مع أميراً، فإنَّ سُنَّتها لا تسمح له بالانتظار طويلاً.

ابتسم فالديسيبينو وقال للملك بهدوء: "نعم، أنا أوافقك الرأي. لقد فوجئنا جميعاً بعرض الزواج الذي قدمه دون جولييان. ولكنه أراد إسعادك وحسب".

قال الملك: "واجهه تجاه بلاده وليس تجاه أبيه. ومع أنَّ الآنسة في DAL لطيفة، إلا أننا لا نعرفها، فهي غريبة. وأنا أتساءل عن دوافعها لقبول عرض دون جولييان. فقد كان العرض متسرعاً جدًا، وما كان ينبغي لامرأة تتحلى بالكرامة أن تقبل به".

"أنت على حقّ". أجاب فالديسيبينو بذلك، مع أنه كان يعرف أنَّ دون جولييان لم يترك لها مجالاً للرفض.

مَذْ الْمَلِكِ يَدْهُ بِرْفَقٍ وَمَسْكٍ بِيَدِ الْأَسْقَفِ النَّحِيلَةِ. "اسْمَعْ يَا صَدِيقِي، أَنَا لَا أَعْرِفْ كِيفَ مَرَّ الزَّمْنُ. لَقَدْ كَبَرْنَا أَنَا وَأَنْتُ، وَأَوْدَ أَنْ أَشْكُرُكَ. فَقَدْ قَدَّمْتَ لِي مُشَورَتَكَ الْحَكِيمَةَ عَلَى مَرَّ السَّنَوَاتِ؛ عَنْدَمَا خَسِرْتَ زَوْجَتِي، وَخَلَالِ التَّغْيِيرَاتِ الَّتِي حَلَّتْ بِبَلَانَا، وَقَدْ اسْتَقْدَمْتُ كَثِيرًا مِنْ قُوَّةِ قَنَاعَاتِكَ".

"صَدَاقَتِنَا شَرْفُ سَاعِتَنَا بِهِ حَتَّى آخرَ يَوْمٍ فِي حَيَاتِي".

فَابْتَسَمَ الْمَلِكُ بِضَعْفٍ وَقَالَ: "أَنْطَوْنِيوُ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ قَدَّمْتَ تَضْحِيَاتَ مِنْ أَجْلِ الْبَقاءِ مَعِي. مِنْهَا رُومَا".

هَرَّ فَالْدِيْسِيْبِينُو كَتْفِيهِ بِلَا اكْتِرَاثٍ وَأَجَابَ: "مَا كَانَ مَنْصَبُ الْكَارِدِيْنَالِ لِيَقْرَبَنِي مِنْ اللَّهِ أَكْثَرُ. فَمَكَانِي كَانَ هَذَا دَائِمًا، مَعَكَ".
"كَانَ وَلَاؤُكَ نِعْمَةً لِي".

"وَأَنَا لَنْ أَنْسَى عَطْفَكَ عَلَى خَلَلِ كُلِّ هَذِهِ السَّنَوَاتِ".

أَغْمَضَ الْمَلِكُ عَيْنِيهِ وَهُوَ مَمْسَكٌ بِيَدِ الْأَسْقَفِ بِإِحْكَامٍ. "أَنْطَوْنِيوُ... أَنَا قَلْقٌ. قَرِيبًا سِيَجَدُ ابْنِي نَفْسَهُ عَلَى رَأْسِ سَفِينَةِ ضَخْمَةٍ، سَفِينَةٌ لِيَسْ جَاهِزًا لِفِيَادَتِهَا. لَذَا، قَمْ بِتَوجِيهِهِ مِنْ فَضْلِكَ. كَنْ نَجْمَهُ الْقَطْبِيِّ. ضَعْ يَدِكَ الثَّابِتَةَ فَوْقَ يَدِهِ عَلَى الدَّفَةِ، لَا سِيَّمَا فِي الْبَحَارِ الْهَاجِةِ. وَالْأَهْمَّ، عَنْدَمَا يَنْحَرِفُ عَنِ الْمَسَارِ الصَّحِيحِ، أَتَوْسِلُ إِلَيْكَ أَنْ تَسْاعِدَهُ لِيَجِدْ طَرِيقَ الْعُودَةِ... الْعُودَةِ إِلَى كُلِّ مَا هُوَ نَقِيٌّ".

هُمْ الْأَسْقَفُ: "بِالْطَّبِيعَ، أَنَا أَعْدُكُ".

وَالآنُ، فِي هَوَاءِ اللَّيلِ الْبَارِدِ، بَيْنَمَا كَانَ فَالْدِيْسِيْبِينُو يَشْقَ طَرِيقَهُ عَبْرِ السَّاحَةِ، نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ. جَلَّلَةُ الْمَلِكِ، أَعْلَمُ أَنَّنِي أَبْذَلُ كُلَّ مَا فِي وَسْعِي لِأَنْقَذِ رَغْبَاتِكَ الْأُخْلِيَّةِ.
فَرَحُ فَالْدِيْسِيْبِينُو لِمَرْفَعِهِ أَنَّ مَرْضَ الْمَلِكِ لَا يُسْمِحُ لَهُ بِمَشَاهَدَةِ التَّلَفِيُّزِيُّونَ. فَلَوْ رَأَى مَا عَرِضَ اللَّيْلَةَ مِنْ بِيَلَبَّاوِ، لَقُضِيَ عَلَيْهِ فَوْرًا وَهُوَ يَشَاهِدُ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ بِلَادِهِ الْحَبِيبَةِ.
إِلَى يَمِينِ فَالْدِيْسِيْبِينُو، خَلْفَ الْأَبْوَابِ الْحَدِيدِيَّةِ، عَلَى طَولِ شَارِعِ بَايِلِينِ، تَجَمَّعَتْ شَاحِنَاتُ وَسَائِلِ الْإِلَعَامِ وَرَاحَتْ تَمَّأْ أَبْرَاجُ أَقْمَارِهَا الْاِصْطَنَاعِيَّةِ.
انتَهَازِيُّونَ؛ هَذَا مَا فَكَرَ فِيهِ فَالْدِيْسِيْبِينُو بَيْنَمَا كَانَ هَوَاءُ الْمَسَاءِ يَلْوَحُ بِرَدَائِهِ.

الفصل 25

قال لانغدون في سره وهو يكافح للسيطرة على عواطفه: سيفين وفت الحداد. أما الآن، فالوقت للعمل.

كان لانغدون قد طلب من وينستون أن يفتش في سجلات أمن المتحف عن أي معلومات قد تساعد في القبض على مطلق النار، وأضاف بصوت منخفض أنه على وينستون أن يبحث عن أي صلة بين الأسقف فالديسيبينو وأفيلا.

عاد العميل فونسيكا وهو لا يزال يتكلّم عبر الهاتف. كان يقول بالإسبانية: "أجل... أجل. واضح. حالاً". أنهى الاتصال وحوّل انتباهه إلى أميرا التي كانت تقف في الجوار في حالة من الذهول.

أعلن العميل بنبرة حادة: "آنسة فيدال، علينا الرحيل. لقد طلب دون جولييان أن نصطحبك إلى القصر الملكي حالاً، حفاظاً على أمنك".

ظهر التوتر بوضوح على جسد أميرا وقالت: "أنا لن أترك إدموند هكذا!". وأشارت برأسها إلى الجهة المكoma تحت الطائرة.

فأجاب فونسيكا: "ستتولى السلطات المحلية هذه المسألة. كما أن الطبيب الشرعي في طريقه إلى هنا. أؤكد لك أن السيد كيرش سيعامل باحترام وبعناية كبيرة. أما الآن، فعلينا الرحيل. إذ تخشى أن تكوني في خطر

أعلنت أميرا وهي تتقدم خطوة باتجاه العميل: "بالتأكيد أنا لست في خطر! فقد كانت أمام القاتل فرصة مثالية لإطلاق النار على ولم يفعل. من الواضح أنه كان يلاحق إدموند!".

ظهرت الأوردة في عنق فونسيكا وقال: "آنسة فيدال، يريدك الأمير في مدريد. إنه قلق على سلامتك".

أجبت بحدة: "كلّا، بل هو قلق من التداعيات السياسية".

عندما، تنهَّد فونسيكا ببطء وقال بصوت خافت: "آنسة فيدال، ما جرى الليلة كان ضربة عنيفة لإسبانيا وللأمير على السواء. فاستضافتك لهذا الحدث كان قراراً مؤسفاً". فجأة، تردد صوت وينستون في رأس لانغدون: "بروفيسور، كان فريق أمن المتحف يحلّ تسجيلات الكاميرا خارج المبني، ويبدو أنّهم وجدوا شيئاً".

أصغى إليه لانغدون، ثمَّ لوح بيده لفونسيكا الذي توقف عن لوم أمبرَا بعد هذه المقاطعة. سيدِي، يقول الكمبيوتر إنَّ الكاميرات المثبتة على سطح المتحف التقاطت صورة جزئية لسطح السيارة التي فرَّ بها القاتل.

بدا الاستغراب على فونسيكا وسألَه: "حقًا؟".

أخذ لانغدون ينقل المعلومات التي يزوَّدُ بها وينستون: "سيارة سيدان سوداء تغادر زقاق الخدمة... لوحنا السيارة غير مفروعيتين من تلك الزاوية العالية... ملصق غير اعتيادي على الزجاج الأمامي".

فأسأله فونسيكا: "ما هذا الملصق؟ يمكننا أن نطلب من السلطات المحلية البحث عنه".

أجاب وينستون: "لم أتعرف على الملصق، لكنني قارنت شكله بجميع الرموز المعروفة في العالم، وحصلت على ملصق مشابه واحد".
فوجئ لانغدون من مدى سرعة وينستون في إنجاز كل ذلك.

قال وينستون: "الملصق الذي حصلت عليه هو لرمز كيميائي قديم، الدمج".
استميحك عنْرا؟! توَّقع لانغدون أن يكون شعاراً لمرأب سيارات أو منظمة سياسية. "ملصق السيارة هو رمز... الدمج؟!".
بدأ فونسيكا تائهاً تماماً.

وقال لانغدون: "لا بدَّ من وجود خطأ. فلماذا يعرض أحدهم رمزاً لعملية كيميائية؟".

أجاب وينستون: "لا أدرِّي. هذا هو الرمز الوحيد المشابه الذي حصلت عليه، وهو مطابق بنسبة 99 بالمائة".

وسرعان ما استحضرت ذاكرة لانغدون الصورية الرمز الكيميائي للدمج.



"وينستون، صُف لي تماماً ما تراه على نافذة السيارة".

أجاب الكمبيوتر على الفور: "يتَّألف الرمز من خط عمودي واحد تتخلله ثلاثة خطوط عرضية. وعلى قمة الخط العمودي يوجد قوس مقلوب نحو الأعلى".
إنه كذلك بالفعل. عبس لانغدون. "هل ثمة لمسات أخرى على أعلى القوس؟".
"أجل، هناك خطٌّ أفقيٌّ قصير على رأس كلِّ ذراع".

حسناً إذاً، إنه الدمج.

وقف لانغدون حائراً للحظة. "وينسون، هل يمكنك أن ترسل لنا صورة من تسجيلات الأمن؟".

"بالطبع".

قال فونسيكا: "أرسلها إلى هانفي".

فأعطاه لانغدون رقم هاتف العميل، وبعد لحظة رن جهاز فونسيكا. تجمعوا كلهم حول العميل، وراحوا ينظرون إلى الصورة الضبابية السوداء والبيضاء. كانت لقطة من الأعلى لسيارة سيدان سوداء في زقاق خدمة خالٍ.

وعلى الزاوية السفلية اليسرى للزجاج الأمامي، رأى لانغدون بالفعل ملصقاً يعرض الرمز نفسه الذي وصفه وينسون.

الدمج. كم هذا غريب!

مد لانغدون يده واستخدم أصابعه لتکبير الصورة على شاشة فونسيكا، ثم مال إلى الأمام وتأمل الصورة بتفاصيلها.



وعلى الفور، لاحظ لانغدون المشكلة، فأعلن قائلاً: "هذا ليس رمز الدمج". فمع أنَّ الصورة كانت قريبة جداً مما وصفه وينسون، إلا أنها لم تكن مطابقة. وفي علم الرموز، قد يكون الفرق بين "قريب" و"مطابق" كالفرق بين الصليب النازي المعقوف ورمز الازدهار البودي.

لهذا السبب، يبقى العقل البشري أفضل من الكمبيوتر أحياناً.

قال لانغدون: "هذا ليس ملصقاً واحداً، بل هذان ملصقان مختلفان متداخلان قليلاً. الملصق السفلي يمثل صليباً خاصاً يسمى الصليب الباباوي. وهو شعبي جداً في الوقت الراهن".

فمع انتخاب العبر الأكثر ليبرالية في تاريخ الفاتيكان، راحآلاف الناس حول العالم يظهرون دعمهم للسياسات الباباوية الجديدة من خلال عرض الصليب الثلاثي، حتى في مسقط رأس لانغدون في كامبردج، بمساساتشوسكتس.

قال لانغدون: "أما الرمز العلوي الذي يتَّخذ شكل حرف U اللاتيني فهو ملصق آخر تماماً".

قال وينستون: "أرى الآن أنك على حق. سأعثر على رقم هاتف الشركة".
وهنا أيضاً تعجب لانعدون من سرعة وينستون. هل تعرف على شعار الشركة؟
قال لانعدون: "ممترز. إن اتصلنا بهم فستتمكن من تعقب السيارة".
بدا فونسيكا حائراً: "تعقب السيارة! وكيف ذلك؟".

قال لانعدون مشيراً إلى الحرف L على الزجاج الأمامي: "السيارة التي فر بها القائل مستأجرة. إنها تابعة لشركة أوبر

الفصل 26

أمام تعابير عدم التصديق التي طفت على وجه فونسيكا، لم يستطع لانغدون أن يحدد ما الذي فاجأ العميل أكثر؛ فهو سرعة تفكك الملصق على الزجاج، أم اختيار الأميرال أفيلا الغريب للسيارة التي فر بها؟

لقد استأجر سيارة من شركة أوبر. تساعد لانغدون بما إذا كانت تلك الخطوة غاية في الذكاء أم قصيرة النظر إلى حد لا يصدق.

كانت خدمة سيارات الأجرة التي تقدمها شركة أوبر في جميع أنحاء العالم قد انتشرت بسرعة مذهلة خلال السنوات الأخيرة. بواسطة الهاتف الذكي، يمكن لأي شخص يحتاج إلى الذهاب إلى مكان معين أن يتصل على الفور بجيش مت ami العدد من سائقي أوبر الذين يكسبون مالاً إضافياً من خلال توظيف سياراتهم كسيارات أجرة عند الحاجة إليهم. والشركة التي نالت حديثاً إذن العمل في إسبانيا، طلبت من سائقيها الإسبان عرض رمز الشركة U على الزجاج الأمامي. ومن الواضح أن سائق هذه السيارة كان مولعاً ببابا الجديد.

قال لانغدون: "حضر العميل فونسيكا، يقول وينستون إنه قام من تقاء نفسه بإرسال صورة السيارة إلى السلطات المحلية لتوزيعها على حواجز الطرق".
فغر فونسيكا فاه دهشة، وشعر لانغدون أن هذا العميل المتدرب تدريباً عالياً لم يكن معتاداً على لعبة الغموضة. فقد بدا متربداً بين شكر وينستون أو أمره بالاهتمام بشؤونه.

"وهو الآن يطلب رقم الطوارئ لشركة أوبر".

فأمره فونسيكا: "كلّا! أعطني الرقم، ساتصل بهم بنفسي. فمن المحتمل أن تكون الشركة أكثر استعداداً لمساعدة عميل في الحرس الملكي".
أقرَّ لانغدون بأنَّ فونسيكا محقٌّ على الأرجح. كما بدا أنه من الأفضل بكثير أن يساعد الحرس الملكي في مطاردة الفار، عوضاً عن هدر مهاراتهم في اصطحاب أميراً إلى مدريد.

بعد الحصول على الرقم من وينستون، اتصل فونسيكا بالشركة، وشعر لانغدون بثقة متزايدة في إمكانية إلقاء القبض على القاتل في غضون دقائق. كان تحديد موقع

السيارات يشكل أساس عمل أوبر. فبإمكان أي عميل يحمل هاتف ذكيًّا الوصول فعليًا إلى الواقع الدقيقة لجميع سائقي أوبر على الأرض، وما كان على فونسيكا سوى الطلب من الشركة تحديد موقع السائق الذي اصطحب للنور راكبًا من خلف غوغنهايم.

أخذ العميل يشتم قائلًا: "المضيف! الآلي". ثم طبع بعصبية رقماً على لوحة المفاتيح وانتظر؛ بعدها وصل على ما يبدو إلى قائمة خيارات آلية. "بروفيسور، ما إن أتمكن من الاتصال بأوبر والطلب منهم تعقب السيارة حتى أسلم هذه المسألة إلى السلطات المحلية. وهكذا، سنقوم أنا والعميل دياز بنقلهما أنت والأنسة فيدال إلى مدريد."

أجاب لأنغدون مغفلاً: "أنا؟! كلاً، لا يمكنني الانضمام إليكم".

"بل يمكنك وستفعل، أنت ودميتك هذه". وأضاف تلك الجملة الأخيرة وهو يشير إلى سمعة لأنغدون.

فأجاب لأنغدون بنبرة أكثر قسوة: "أنا آسف، لكن يستحيل علىي أن أرفقكم إلى مدريد".

أجاب فونسيكا: "هذا غريب! ظننت أنك بروفيسور في جامعة هارفرد".

فنظر إليه لأنغدون باستغراب وقال: "أنا كذلك بالفعل".

وقال فونسيكا بحدة: "هذا جيد. إذاً، أفترض أنك ذكيٌ بما فيه الكفاية لدرك أنك لا تمك الخiar

وعند ذلك، ابتعد العميل وعاد إلى مكالمته الهاتفية.

رافقه لأنغدون وهو يذهب. لكن، ما الذي يجري؟

"بروفيسور". كانت أمبرا قد اقتربت من لأنغدون جداً وهمست من خلفه: "هلا تصغي إلىي، الأمر في غاية الأهمية".

فاستدار لأنغدون، وفوجئ من تعبير الخوف العميق الذي بدا على وجه أمبرا. يبدو أن الصدمة الصامتة التي أصابتها قد انقضت، وكانت نبرتها يائسة وواضحة.

قالت: "بروفيسور، لقد أظهر لك إدموند احتراماً كبيراً عندما خصص لك جزءاً من هذا العرض. لهذا السبب، سائق بك. علىي إخبارك شيئاً".

فرمقوها لأنغدون بتردد.

همست وقد فاضت عيناها البنيتان بالدموع: "إن مقتل إدموند خطئي أنا".
"المعذرة؟".

فنظرت أمبرا بعصبية إلى فونسيكا الذي كان الآن بعيداً عنهم، ثم التفت مجدداً إلى لأنغدون وقالت: "أعني قائمة الضيوف؛ الاسم الذي أضيف في اللحظة الأخيرة".
"أجل، لويس أفيلا".

اعترفت بصوت متهدج: "أنا التي أضفت ذلك الاسم. كنت أنا!".

ذهل لانغدون. كان وينستون على حق...

قالت وهي على شفير البكاء: "أنا السبب في مقتل إدموند. أنا التي أدخلت القاتل إلى هذا المبني."

قال لانغدون وهو يضع يده على كتفها المرتجفة: "مهلاً، قولي لي، لماذا أضفت اسمه؟".

ألفت نظرة قلقة أخرى إلى فونسيكا الذي كان لا يزال يتحدث عبر الهاتف على بعد عشرين ياردة. بروفيسور، لقد تلقيت طلباً في اللحظة الأخيرة من شخص أثق به كثيراً، وقد طلب مني أن أضيف اسم الأميرال أفيلا إلى قائمة الضيوف كخدمة شخصية له. أتي الطلب قبل دقائق وحسب من فتح الأبواب، وكانت شديدة الانشغال، ولذلك أضفت الاسم من دون تفكير. أعني أنه كان أميراً في البحرية! فكيف لي أن أعلم؟!". نظرت مجدداً إلى جثة إدموند، وغطت فمها بيدها النحيلة. "والآن...".

همس لانغدون: "أميراً، من الذي طلب منك إضافة اسم أفيلا؟".

ازدردت أميراً لعابها وقالت: "كان خطيببي... ولدي عهد إسبانيا، دون جولييان". حق إليها لانغدون غير مصدق، وحاول استيعاب كلامها. لقد اذعت مديرية غوغنهايم للتو أن ولدي عهد إسبانيا قد شارك في التخطيط لمقتل إدموند كيرش. هذا مستحيل! قالت: "أنا واثقة أن القصر لم يتوقع إطلاقاً أن أعرف هوية القاتل. لكن الآن وقد علمت... أخشى أن أكون في خطر

وضع لانغدون يده على كتفها وقال: "أنت بأمان تام هنا".

فهمست بإصرار: "كلا، ثمة أمور تجري هنا لا تفهمها أنت. علينا الخروج من هذا المكان حالاً أنا وأنت!".

عارضها لانغدون قائلاً: "لا يمكننا الهرب. لن نتمكن أبداً-

أصررت عليه قائلة: "أرجوك، أصagne إلى. أنا أعرف كيف نساعد إدموند".

شعر لانغدون أنها لا تزال تحت تأثير الصدمة. "غفوا! لا يمكن مساعدة إدموند بعد الآن".

فأصررت بثبرة واقفة: "بل هذا ممكن. لكن، أولاً علينا الوصول إلى منزله في برشلونة".

"ماذا تقولين؟".

"أصagne إلى جيداً من فضلك. أنا أعرف ما الذي يريد منا إدموند فعله".

وخلال الثواني الخمس عشرة التالية، تحدثت أميراً فيدال إلى لانغدون بصوت خافت. وبينما كانت تتكلّم، شعر لانغدون بنبضه يتسارع. رياه، إنها على حق. هذا يغير كل شيء.

وعندما أنهت كلامها، نظرت إليه بتحمّد. "والآن، هل فهمت لم علينا الذهاب؟".
فهزَ لانغدون رأسه موافقاً بلا تردد، ثمَ تحدث لانغدون عبر سماحته قائلاً:
"وينسون، هل سمعت ما قالته لي أميرا للتو؟".

"أجل بروفيسور

"هل كنت على علم بذلك؟".
"كلاً".

فكَر لانغدون بما سيقوله جيَداً: "وينسون، أنا لا أدرِي إن كان باستطاعة أجهزة الكمبيوتر أن تشعر بالولاء لمخترعيها. ولكن، إن كنت تستطيع ذلك، فهذه لحظة الحقيقة، وبإمكاننا حقاً أن نستفيد من مساعدتك".

الفصل 27

بينما كان لانغدون متوجهاً نحو المنصة، أبقى عينيه على فونسيكا الذي كان لا يزال منهكًا في مكالمته الهاتفية مع أوبر. راقب أمبرا وهي تتجه من دون قصد ظاهر إلى وسط القبة، وتتكلّم على هاتفها هي الأخرى، أو تتناظر بذلك على الأقل؛ تماماً كما اقترح عليها لانغدون.

أخيري فونسيكا أتاك قررت الاتصال بالأمير جولييان.

وعندما وصل لانغدون إلى المنصة، تحول نظره على مضض إلى الجهة المكomaة على الأرض. إدموند. رفع بلطف البطانية التي غطته بها أمبرا. عيناه اللتان كانتا تشعلان حيوية في ما مضى أصبحتا الآن مجرد شقين خاليين من الحياة تحت ثقب قرمزي في جبينه. ارتجف لانغدون أمام هذا المشهد واعتصر الحزن والغضب قلبه.

للحظة، رأى مجندًا الطالب الشاب بشعره الأملس يدخل الصفة وهو يصبح أملاً وموهبة، ليواصل بعد ذلك إنجاز الكثير في وقت قصير جدًا. ولليلة، أقدم أحدهم على قتل هذا الإنسان الموهوب جداً بطريقة مرؤعة؛ في محاولة واضحة لدفن اكتشافه إلى الأبد.

ما لم أتخذ خطوة جريئة، لن يرى أهم إنجازاته النور.

وقف لانغدون في نقطة حجبت جزئياً خط رؤية فونسيكا، ثم ركع بجانب جة إدموند، وأغمض عينيه، وجمع يديه معاً مُتخذاً وضعية الصلاة.

إن المفارقة الكامنة في الصلاة على ملحد دفعت لانغدون إلى الابتسام تقريباً. إدموند، أنا أعرف أتاك دوناً عن كل الناس لا تريد أن يصلى من أجلك أحد. لا تقلق يا صديقي، فإننا لست هنا من أجل الصلاة.

وبينما كان راكعاً فوق إدموند، قاوم لانغدون خوفاً متعاظماً. لقد أكذب لك أنّ الأسف للن يؤذيك. لكن، إن تبيّن أن فالديسينو متورط في هذه... ثم أبعد لانغدون تلك الفكرة عن ذهنه.

وما إن تأكّد من أن فونسيكا رآه يصلّي حتى مال إلى الإمام خفية، ومد يده إلى داخل سترة إدموند، ثم أخرج هاتقه الفيروزي الضخم.

استرق نظرة أخرى سريعة إلى فونسيكا الذي كان لا يزال يتحدث عبر الهاتف، وبدا الآن أقل اكتئاناً بلانغدون منه بأمبرا التي بدت منهكة في مكالمتها وهي تزداد ابتعاداً عن فونسيكا.

أعاد لانغدون نظره إلى هاتف إدموند وأخذ نفساً لتهئة أعضاه. أمر واحد بعد.

وبلطف شديد، مد يده ورفع يد إدموند اليسرى التي أصبحت باردة أساساً، ثم وضع الهاتف تحت أنامله، وضغط بحد ر سابعة إدموند على قرص التعرف على البصمات. فأصدر الهاتف "تكّة" وفتح.

عندئذ، فتح لانغدون قائمة الإعدادات بسرعة، وعطل ميزة كلمة المرور. تم إلغاء القفل نهائياً. أخيراً، دس الهاتف في جيبه، وغطى جنة إدموند مجدداً بالبطانية.

ارتفع صوت صفارات الإنذار بعيداً بينما وقفت أمبرا بمفردها في وسط القاعة الداخلية وهي تحمل هاتفها الخلوي على أنها، متظاهرة بأنها مستغرقة في مكالمة. وكانت مدركة تماماً أن نظرات فونسيكا لا تفارقها.

سرع يا روبرت.

منذ دقيقة، انطلق البروفيسور الأميركي إلى العمل بعدما أطلعه أمبرا على حديث جرى مؤخراً بينها وبين إدموند كيرش. وقالت له أمبرا إنها منذ ليلتين كانت تعمل في ساعة متأخرة مع إدموند في هذه القاعة بالذات على التفاصيل الأخيرة للعرض، عندما أخذ إدموند استراحة لتناول كوب عصير السبانخ الثالث لتلك الليلة.

لاحظت أمبرا مدى إنهاكه وقالت له: "لا بد لي يا إدموند من القول إن هذا النظام الغذائي النباتي لا ينفعك. فأنت تبدو شاحباً ونحيلأ جداً".

فضحك مجيئاً: "تحيلاً جداً! انظروا من يتكلم؟".

"أنا لست نحيلة جداً!".

"بل مثل خط الحدود". وغمزها مازحاً أمام تعبيرها الساخط. "أما بالنسبة إلى شحوبني، فلا تكترثي. فأنا مهوس بالكمبيوتر، وأجلس طوال اليوم أمام وهج شاشة إل سي دي".

"حسناً، ولكنك ستوجه إلى العالم بأكمله خلال يومين، وبغض اللون لن يضررك. يجب عليك إنما أن تخرج إلى الهواء الطلق غداً، أو تخترع شاشة كمبيوتر تمنحك بعض السمرة".

فيما عليه الإعجاب وقال: "هذه ليست فكرة سيئة. عليك أن تسجلي هذا الاختراع باسمك". ثم ضحك وحول اهتمامه إلى العمل. "إذا، كل شيء على ما يرام بالنسبة إلى ترتيب أحداث مساء السبت، أليس كذلك؟".

فأومأت أميرا برأسها إيجاباً وهي تنظر إلى الأوراق وقالت: "سأشغل الناس في قاعة الانتظار، ثم ستنقل جميعاً إلى قاعة المحاضرات هذه من أجل شريط الفيديو الذي سيعرض كمقدمة، لظهور أنت بعد ذلك كالسحر على المنصة هناك". وأشارت إلى مقدمة الغرفة مضيفة: "بعد ذلك، ستعلن عن اكتشافك على المنصة".

قال إدموند: "متاز، لكن ثمة إضافة صغيرة. فعندما أتكلّم على المنصة، سيكون ذلك أقرب إلى استراحة؛ فرصة بالنسبة لي لأرحب بضيوفي شخصياً، وأتيح لهم تحريك أرجلهم، وأحضرهم قليلاً بعد قبل أن أبدأ الجزء الثاني من الأمسيّة؛ أي عرض الوسائط المتعددة الذي يفسّر اكتشافي".

"إذاً، هل الإعلان نفسه مسجل، مثل المقدمة؟".

"أجل، أنهيته منذ بضعة أيام. فنحن في زمن الثقافة البصرية، وعروض الوسائط المتعددة هي دائماً أكثر رسوحاً من مجرد عالم يتكلّم على المنصة".

قالت أميرا: "أنت لست بالضبط مجرد عالم، ولكنني أوافقك الرأي. أنا توّاقة جداً لمشاهدته".

كانت أميرا تعرف أن إدموند قام بحفظ العرض على خوادمه الشخصية الموثوقة خارج الموقع، لأغراض أمنية. وأنه سيتّم بث كل شيء بشكل مباشر عبر نظام العرض في المتحف من موقع بعيد.

سألته: "عندما تصبح جاهزاً للجزء الثاني! من سيشغل العرض، أنت أم أنا؟".

قال وهو يخرج هاتفه: "سأقوم بذلك بنفسي، بواسطة هذا". ثُمَّ رفع هاتفه الذكي الضخم ذا غلاف غاودي الفيروزي وقال: "كل هذا جزء من العرض. وما على سوى الاتصال بخادمي البعيد على شبكة مشفرة...".

وضغط إدموند بضعة أزرار، فرنّ مكبّر الصوت مرة واحدة واتصل.

أجاب صوت أنثوي إلكتروني: "مساء الخير إدموند. أنا انتظر كلمة السرّ".

فابتسم إدموند. "بعد ذلك، وأمام أعين العالم أجمع، سأطبع كلمة السرّ في هاتفني، ليتم بث اكتشافي بشكل مباشر على مسرحنا هنا، وإلى العالم بأسره في وقت واحد".

قالت أميرا بإعجاب: "كم هذا دراميكي! ما لم تنسّ كلمة السرّ بالطبع".

"سيكون هذا محراً، أجل".

سألته مجازحة: "أتوقع أن تكون قد دوننتها".

قال إدموند صاحكاً: "مستحيل! فعلماء الكمبيوتر لا يدونون كلمات السرّ مطلقاً. لكن، لا داعي للقلق. فكلمة السرّ لا تتجاوز سبعة وأربعين حرفاً. وأنا واثق أنّي لن أنساها".

عندما، انسقت عيناً أميراً دهشة وقالت: "سبعة وأربعون حرفًا؟! إدموند، أنت لم تتنكر رقم التعريف الشخصي المؤلف من أربعة أرقام لبطاقة أمن المتحف الخاصة بك! كيف ستتنكر سبعة وأربعين حرفًا عشوائياً؟".

فضحك مجددًا وقال: "لست مضطراً لذلك، فهي ليست عشوائية". وأخفض صوته قائلاً: "في الواقع، كلمة السر هي بيت الشعر المفضل لدى".

عندما، شعرت أميراً بالحيرة وسألته: "هل استخدمت بيت شعر ككلمة سر؟". "ولم لا؟ بيت الشعر المفضل لدى مؤلف من سبعة وأربعين حرفًا بالضبط". "حسناً، ولكن لا يبدو لي آمناً تماماً".

"حقاً! هل تظنين أنه بإمكان أحد تخمين بيت الشعر المفضل لدى؟" "أنا لم أكن أعرف حتى أنك تحب الشعر بالضبط. وحتى لو اكتشف أحدهم أنَّ كلمة السر بيت من الشعر، وحتى لو حمن أحدهم ذلك البيت من بين ملايين الاحتمالات، فإنه لن يحرر رقم الهاتف الطويل جداً الذي استخدمه لأطلب خادمي الآمن".

"هل تعني رقم الهاتف الذي طلبته للتو من هاتفك؟".

"أجل، هذا الهاتف يملك رقم تعرِيف شخصياً خاصاً به، ولا يترك جيب سترتي الداخلي أبداً".

فرفعت أميراً يديها وهي تبسم بمرح وقالت: "حسناً، أنت الرئيس. بالمناسبة، من هو شاعرك المفضل؟".

عندما، قال وهو يهز سباباته: "محاولة جيدة. عليك الانتظار حتى يوم السبت. فييت الشعر الذي اخترته كامل". وايتسُم مضيفاً: "إنه عن المستقبل، توقع، ويسرني القول إنه يتحقق بالفعل".

والآن، مع عودة أفكار أميراً إلى الوقت الحاضر، نظرت إلى جثة إدموند، وأدركت بشيء من الذعر أنها لم تعد ترى لأنعدون. "أين هو؟!"

وما أثار فلقها أكثر هو رؤيتها الحارس الثاني، العميل دياز، وهو يصعد مجدداً إلى القبة من خلال الشق في الجدار القماشي. حدق دياز إلى أرجاء القبة، ثم بدأ يسير نحوها مباشرة.

لن يدعني أغادر هذا المكان أبداً!

فجأة، أصبح لأنعدون بجانبها. وضع يده برفق على ظهرها، وبدأ يقودها بعيداً. توجه الاثنان بسرعة إلى الطرف المقابل للقبة؛ نحو الممر الذي دخل منه الجميع. صاح دياز: "أنسه فيدال! إلى أين تذهبين؟".

"سنعود حالاً". هتف لانغدون بذلك وهو يبحث خطاه عبر القاعة الخالية، متوجهاً في خط مباشر نحو الجزء الخلفي من القاعة ونفق الخروج.
"سيء لانغدون!". كان ذلك صوت العميل فونسيكا يصبح خلفهما. "أنت ممنوع من مغادرة هذه الغرفة!".

شعرت أميراً بيد لانغدون تضغط بـالحاج أكثر على ظهرها.
همس لانغدون عبر السماعة: "وينستون، الآن!".
بعد لحظة، غرفت القبة بأكملها في الظلام الدامس.

الفصل 28

اندفع العميل فونسيكا وشريكه دياز عبر القبة المظلمة، وحاولا إضاءة طريقهما بمصابحِي هاتفيهما الخلويين، ثم دخلا عبر النفق الذي اختفى فيه لانعدون وأمبرا. وفي منتصف النفق، وجد فونسيكا هاتف أمبرا ملقى على الأرض المسكونة بالسجاد، فذهب تماماً.

هل تخلصت أمبرا من هاتفيها؟

كان الحارس الملكي قد استخدم تطبيق تعقب بسيطاً جداً - بإذن من أمبرا - لمعرفة موقعها في كلّ وقت. وثمة تقسيم واحد لتركها الهاتف وراءها: لقد أرادت الهرب من حمايتها.

ثارت أعصاب فونسيكا عندما أدرك ذلك، ولكنه شعر بقلق أكبر وهو يحاول أن يتخيل كيف سيبلغ رئيسه أنَّ ملكة إسبانيا المنتظرة مفقودة. فقد كان قائد الحرس الملكي مهووساً ولا يرحم عندما يتعلق الأمر بحماية مصالح الأمير. والليلة، قام بتكليفه شخصياً بتعليمات بسيطة جداً: "حافظ على سلامة أمبرا في الحال، وأبعدها عن المتاعب".

لا يمكنني الحفاظ على سلامتها ما لم أعرف مكانها!

أسرع الحرسان إلى آخر النفق، ووصلوا إلى قاعة الاستقبال المظلمة التي بدت الآن وكأنها قاعة أشباح، مع مجموعة الوجوه المصدومة والشاحبة التي تضئها شاشات الهاتف الخلوية التي يحاول أصحابها التواصل مع العالم الخارجي ورواية ما شاهدوه للتو.

أخذ بعض الأشخاص يصيحون: "أضيئوا المصايبخ!".

رنَّ هاتف فونسيكا، فردَّ على المتصل.

قال صوت امرأة بإسبانية متواترة: "حضره العميل فونسيكا، معك أمن المتحف. نحن نعرف أنَّ المصايبخ مطفأة، وبيدو أنَّ السبب عطل في جهاز الكمبيوتر. سنعيد الإضاءة خلال لحظات".

سألها فونسيكا: "هل تسجيلات الأمن الداخلية ما زالت تعمل؟". فقد كان يعرف أنَّ الكاميرات مجهزة كلها برؤية ليلية.

"أجل".

تحقق فونسيكا من الغرفة المظلمة. "لقد دخلت أميراً فيdal قاعة الاستقبال خارج المسرح الرئيس. هل يمكنكم رؤية المكان الذي ذهبت إليه؟".
ـ "لحظة واحدة من فضلك".

انتظر فونسيكا وقلبه ينبعض بقوّة من شدّة الغضب، فقد تلقى للتوّ خبراً مفاده أن شركة أوبير تواجه صعوبة في تعقب السيارة التي فرّ بها مطلق النار.
ـ لن تقصصنا المشاكل هذه الليلة.

لوسون الحظّ، كانت هذه الليلة هي المرة الأولى التي توكل إليه فيها مهمّة حماية أميراً فيdal. فعادة، بصفته أحد كبار الضباط، كان يُكلّف بالأمير جولييان نفسه فقط. غير أنَّ رئيسه اصطحبه جانبًا هذا الصباح وقال له: "الليلة ستستضيف الآنسة فيdal حتّى ضد رغبات الأمير جولييان. لذا، عليك أن تراقبها وتحرص على سلامتها".
غير أنَّ فونسيكا لم يتخيّل على الإطلاق أن يكون الحدث الذي استضافه أميراً هجوماً شرساً على الإيمان، وأن يتحول إلى عملية اغتيال عالمية. وكان لا يزال يحاول أن يهضم رفض أميراً بغضب استلام مكالمة الأمير جولييان الذي كان قلقاً عليها.
ـ بدا كل شيء لا يصدق، وكان سلوكها الغريب يتصاعد. وعلى ما يبدو، كانت أميراً فيdal تحاول التخلص من الحماية الأمنية لكي تهرب مع بروفيسور أميركي.
ـ إن سمع الأمير جولييان بذلك... .

عاد صوت المرأة: "حضرت العميل فونسيكا، يمكننا رؤية الآنسة فيdal تغادر قاعة الاستقبال مع شخص آخر. ذهباً عبر الشرفة، ودخلتا للتوّ القاعة التي تتضمّن معرض لويز بورجوا، CELLS (حجرات). خرجا من الباب، انعطفاً يميناً، قاعة العرض الثانية، إلى يمينك".

ـ شكرأ لك! استمرّي بتعقبهما!".

أخذ فونسيكا ودياز يجريان عبر قاعة الاستقبال، ثمَّ خرجا إلى الشرفة.
وفي الأسفل، استطاعا رؤية حشود الزوار وهم ينتقلون بسرعة عبر الردهة باتجاه الأبواب.

ـ إلى اليمين، تماماً كما قالت موظفة الأمن، رأى فونسيكا باباً يؤدي إلى قاعة كبيرة، وكُتب على لافتة العرض: CELLS.

ـ كانت القاعة الضخمة تتضمّن مجموعة من الحاويات الشبيهة بالآفاص، وتحتوي كلّ منها على منحوتة بيضاء غريبة الشكل.

ـ صاح فونسيكا: "آنسة فيdal! سيد لانغدون!".
ـ وحين لم يتنقّل العميلان جواباً، بدأ بالبحث.

على مسافة عدة غرف خلف الحارسين الملكيين، خارج قاعة القبة مباشرة، كان لأنغدون وأمبرا يتسلقان بحذر متاهة من السفالات، ويشقان طريقهما بصمت نحو إشارة "مخرج" المضاءة بضوء خافت في البعيد.

كانت الإجراءات الدقيقة الأخيرة التي قاما بها ضبابية إلى حد ما، مع تعاون لأنغدون ووينستون على تنفيذ خطة سريعة.

كان لأنغدون قد كون صورة ذهنية للمسافة بين موقعهما ومخرج النفق، وكان تقديره مطابقاً تقريباً. عند مدخل النفق، رمت أمبرا هاتقها في الممر المظلم. وبعد ذلك، وعوضاً عن دخول النفق، استدارا وبقيا داخل القبة، ثم عادا أدراجهما على طول الجدار الداخلي، وهو ما يمرزان أيديهما على القماش إلى أن عثرا على الفتحة الممزقة التي خرج منها الحارس الملكي لملاحقة قاتل إدموند. وبعدما تسلقا من خلال تلك الفتحة، شيئاً نحو الجدار الخارجي للغرفة، وتوجها نحو لافتة مضاءة تشير إلى سلم مخرج الطوارئ.

تذكر لأنغدون باستغراب السرعة التي قرر بها وينستون مساعدتهما. إذ كان وينستون قد قال: "إن كان من الممكن إطلاق إعلان إدموند بواسطة كلمة سر، إذا لا بد من إيجادها واستخدامها على الفور. فالأمر الأصلي الذي تلقيته كان مساعدة إدموند بكل الطرق الممكنة لإنجاح إعلانه هذه الليلة. وكما هو واضح، لقد خذلته في ذلك، ولكنني مستعد لفعل أي شيء لتصحيح هذا الخطأ".

كان لأنغدون على وشك أن يشكر وينستون، لكن هذا الأخير راح يتكلّم بسرعة هائلة. تدفق الكلام منه بسرعة رهيبة، مثل كتاب سمعي تم تشغيله بسرعة زائدة.

قال وينستون: "لو كان بإمكانني أنا نفسي الوصول إلى محاضرة إدموند لقمت بذلك فوراً. لكن كما سمعت، المحاضرة محفوظة على خادم آمن خارج هذا الموقع. وبينما أنا نكي نعلن اكتشافه للعالم، لستنا بحاجة سوى إلى هاتفه المخصص وكلمة المرور. وقد قمت أساساً ببحث في النصوص المنشورة كافة عن بيت من الشعر من سبعة وأربعين حرفاً، ولسوء الحظ، أتي عدد الاحتمالات بمئات الآلاف، إن لم يكن أكثر، اعتماداً على كيفية تقسيم الأبيات. بالإضافة إلى ذلك، وبما أن وجهات إدموند تحظر المستخدمين عموماً بعد بعض محاولات فاشلة لإدخال كلمة السر، سيكون من المستحيل إجراء محاولات عديدة. وهذا ما يترك لنا خياراً واحداً: علينا إيجاد كلمة السر بطريقة أخرى. أنا أوفق الآنسة فيدال في أنه عليكما الذهاب حالاً إلى منزل إدموند في برشلونة. فمن المنطقي، إن كان لديه بيت مفضل من الشعر أن يملك كتاباً يحتوي على تلك القصيدة. ومن الممكن أن يكون قد حدد ذلك البيت المفضل بطريقة ما. وبالتالي، أرى أن الاحتمال عال جداً بأن تكون تلك رغبة إدموند؛ أي أن تذهبا إلى برشلونة وتجدا كلمة

السر وستخدمانها لإطلاق إعلانه بحسب الخطة. بالإضافة إلى ذلك، لقد تأكّدت الآن أنَّ المكالمة الهاتفية التي أتت في اللحظة الأخيرة والتي طلبت إضافة اسم الأميرال أفيلا إلى قائمة الضيوف خرجت بالفعل من القصر الملكي في مدريد؛ كما أفادت الآنسة فيدال. ولهذا السبب، قررت أنتا لا نستطيع الوثوق بعميلي الحرس الملكي، وسأضع خطة لإلهائهما وتسهيل فرارهما.

الغريب حقاً أنَّ وينستون وجد على ما يبدو طريقة لفعل ذلك. وصل لأنغدون وأمبرا الآن إلى مخرج الطوارئ. فتح لأنغدون الباب بهدوء، وقد أمبرا عبره، ثم أغلقه خلفهما.

قال وينستون الذي عاد صوته يتزند في رأس لأنغدون: "هذا جيد، أصبحتما على السلم".

سأله لأنغدون: "وماذا عن العميلين؟".
أجاب وينستون: "إنَّهما بعيدان. أنا حالياً معهما عبر الهاتف، أؤدي دور موظفة أمنية في المتحف وأوجههما إلى صالة عرض في الطرف الآخر للمبني".
هذا لا يصدق! فكر لأنغدون بذلك وهو يومئ برأسه لطمأنة أمبرا. "كلَّ شيء على ما يرام".

قال وينستون: "اهبطوا السلم إلى الطابق الأرضي، واخرجا من المتحف. أرجو أن تعرفوا أيضاً أنه فور خروجكما من المبني، لن تعود السمعاء متصلة بي".
تبَّأ! لم يخطر ذلك ببال لأنغدون، فقال بسرعة: "وينستون، هل تعلم أنَّ إدموند قد أطلع عدداً من الزعماء الدينيين في الأسبوع الماضي على اكتشافه؟".
"يبدو هذا بعيد الاحتمال، مع أنَّ المقدمة التي عرضها اللبلة أشارت ضمناً إلى أنَّ لعمله تداعيات دينية عميقة، ولذلك ربما رغب في مناقشة النتائج التي توصلَ إليها مع زعماء من ذلك المجال؟".

أعتقد ذلك، أجل. لكنَّ أحدهم كان الأسقف فالديسيبيو من مدريد.
هذا مثير للاهتمام. أرى الكثير من المراجع على الشبكة تفيد بأنه مستشار مقرب جداً من ملك إسبانيا".

قال لأنغدون: "أجل، ثمة أمر آخر. هل كنت تعلم أنَّ إدموند قد تلقى رسالة تهدّد صوتية من فالديسيبيو بعد اجتماعه بهم؟".
"كلا، لم أكن أعلم. لا بدَّ أنها أتت على خطٍّ خاصٍ".

لقد أسمعني إياها إدموند. في الرسالة، حثَّه فالديسيبيو على إلغاء العرض، وحذره أيضاً من أنَّ رجال الدين الذين استشارهم إدموند يفكرون في إعلان وقائي لتفويض إعلانه بطريقة ما قبل أن يخرج إلى العلن. أبْطأ لأنغدون من سرعته على السلم ليسمع

لأميراً بأن تقدمه. وبعد ذلك، أخفض صوته مضيفاً: "هل وجدت أي علاقة بين فالديسيينو والأميرال أبيلا؟".
صمت وينستون بضع ثوانٍ. "لم أجد علاقة مباشرة، لكن هذا لا يعني عدم وجود أي علاقة، بل يعني وحسب أنها ليست موثقة".
اقترنا من الطابق الأرضي.

قال وينستون: "بروفيسور، إن سمحت لي... نظراً إلى الأحداث التي وقعت هذا المساء، يشير المنطق إلى أنه ثمة قوى نافذة مصممة على دفن اكتشاف إيموند. وبما أنَّ العرض الذي قدمه أشار إليك على أنَّك الشخص الذي ساعد على إلهامه هذا الاكتشاف، فإنَّ أعداء قد يعتبرونك خطراً".

لم يكن لانغدون قد فكر إطلاقاً بهذا الاحتمال، فأحس بشيء من الخوف مع بلوغه الطابق الأرضي. كانت أميراً هناك، تدفع باباً معدنياً لفتحه.

قال وينستون: "عندما تخرجان، ستتجادان نفسيكما في زقاق. اذهبوا إلى اليسار حول المبني، وتقدما على طول النهر. من هناك سأسهل نقلكم إلى الموقع الذي ذكرناه من قبل".

BIO-EC346، تذكر لانغدون العنوان الذي طلب من وينستون أخذهما إليه. المكان الذي كان ينبغي أن تلتقي فيه أنا وإيموند بعد الحدث. كان لانغدون قد فكر الشيفرة أخيراً، وأدرك أنَّ BIO-EC346 ليس اسم نادي علمي سري على الإطلاق، بل كان شيئاً عالياً جداً. ومع ذلك، أمل أن يكون مفتاح فرارهما من بيلباو.
هذا إنْ تمكنا من الوصول إلى هناك من دون أن يفتش أحمرنا... فقد كان يعرف أنَّ الحاجز ستنتشر على جميع الطرق. علينا أن نتحرك بسرعة.

وعندما اجتاز لانغدون وأميراً العتبة إلى هواء الليل البارد، فوجئ لدى رؤيه ما يشبه حبات المسبح المتناثرة على الأرض. لم يكن لديه الوقت للتساؤل عن السبب، فوينستون كان لا يزال يتحدث.

قال: "ما إن تصلا إلى النهر، اذهبوا إلى المنتزه تحت جسر لا سالف، وانتظرا إلى أنـ".

وتشوش صوت وينستون فجأة ولم يعد مفهوماً.
صاح لانغدون: "وينستون، إلى أن... ماذا؟!".
لكن صوت وينستون كان قد اخنقى، وصُفِقَ الباب المعدني خلفهما.

الفصل 29

على بعد أميال جنوباً، على مشارف بيلباو، انطلقت سيارة سيدان تابعة لشركة أوبر جنوباً على طول الطريق السريع AP-68 متوجهة إلى مدريد. وعلى المقعد الخلفي، خلع الأميرال أفيلا سترته البيضاء وقبعة البحرية، وتمتع بإحساس الحرية وهو جالس يفكر بفراه السهل.

تماماً كما وعده الوصي.

على الفور تقريباً بعد أن استقلَّ سيارة أوبر، أخرج أفيلا مسدسه، وضغطه على رأس السائق المرتجف. وبناء على أمر أفيلا، ألقى السائق هاتقه الذكي من النافذة، وقطع اتصال السيارة الوحيد بمركز الشركة.

بعد ذلك، فتش محفظة الرجل، وسجل في ذاكرته عنوان منزله وأسماء زوجته وولديه، ثم قال له: نفذ ما أقوله وإنما فستخسر أفراد أسرتك. فابضمَّت عقد أصابع الرجل الممسك بالمدود، وعرف أفيلا أنه بات لديه سائق مطيع لهذه الليلة.

أصبحَ الآن غير مرئي؛ هذا ما فكر فيه أفيلا بينما كانت سيارات الشرطة تطلق في الاتجاه المعاكس يرافقها دوي صفارات الإنذار.

ومع انطلاق السيارة جنوباً، جلس أفيلا استعداداً للرحلة الطويلة، واستمتع بالاسترخاء الذي أعقب موجة الأدرينالين القوية التي اجتاحت جسده. لقد خدمَت القضية جيداً. نظر إلى الوشم على يده مدركاً أنَّ الحماية التي أمنها له كانت تدبِّراً وقائياً لا لزوم له. حتى الآن على الأقل.

وبعدما بات واثقاً أنَّ سائق أوبر المرعوب سيطعِّم أوامره أخفض مسدسه. ومع إسراع السيارة نحو مدريد، حدق مجذداً إلى الملصقين على زجاج السيارة الأمامي.

تساءل: ما هي نسبة الفرصة؟

كان الملصق الأول متوقفاً: رمز أوبر. أما الثاني، فلا يمكن أن يكون سوى إشارة من الأعلى.

الصلبيب الباباوي. أصبح الرمز منتشرًا في كل مكان هذه الأيام؛ إذ كان الكاثولييك في كل أنحاء أوروبا يُظهرون تضامنهم مع البابا الجديد، ويُشيدون بميله إلى تحرير الكنيسة وتحديثها.

المفارقة أن تهديد السائق بالسلاح تحول إلى تجربة ممتعة تقريباً عندما أدرك أفيلا أن الرجل من أنصار البابا الليبرالي. فقد كان أفيلا يشعر بالنفور إزاء حب الجماهير الكسولة لهذا الحبر الجديد الذي كان يسمح لأتباع المسيح بانتقاء القوانين الإلهية واختيارها كمن يختار الطعام من طاولة ملأى بالأطباق، وباتباع القواعد التي يستسيغونها. وهكذا، بين ليلة وضحاها، طرحت على طاولة النقاش في الفاتيكان مسائل مثل: تحديد النسل، والكهنة الإناث، وغيرها من القضايا الليبرالية. وبدا كما لو أن أفي عام من التقاليد قد تبخرت في غمضة عين.

لحسن الحظ، ما زال ثمة من يناضلون من أجل التقاليد القديمة.

سمع أفيلا أنغام نشيد أوريامندي تُعزف في رأسه.

ولي الشرف بخدمتهم.

الفصل 30

تمتاز نخبة قوات الأمن الإسبانية وأكثرها قديماً، الحرس الملكي، بتقاليد شديدة الرسوخ يعود تاريخها إلى العصور الوسطى. إذ يعتبر عملاء الحرس الملكي أنَّ واجبهم الذي أقسموا عليه أمام الله يتقدّم في ضمان سلامة الأسرة الملكية وحماية أملاكها والدفاع عن شرفها.

كان القائد دييغو غارزا، المشرف على الحرس الملكي المؤلف من نحو ألفي عنصر، في العقد السادس من عمره، قصير القامة، نحيل الجسد، أسمراً البشرة، يتمتّز بعينين صغيرتين وشعر أسود خفيف مسرّح إلى الخلف فوق فروة رأس تخلّلها البقع. وبتلك الملامح الشبيهة بالقوارض وقامته الصغيرة، كان من السهل عليه الاختفاء في الحشد؛ الأمر الذي ساعدته على تمويه تأثيره الهائل داخل جدران القصر.

كان غارزا قد تعلم منذ زمن بعيد أنَّ السلطة الحقيقية لا تتبع من القوة الجسدية، بل من النفوذ السياسي. وقيادته للحرس الملكي منحته النفوذ بلا أدنى شكّ، لكنَّ الدهاء السياسي هو الذي جعل من غارزا مرجعية في القصر في مجموعة كبيرة من المسائل، الشخصية والمهنية على حد سواء.

كان غارزا بثُرٍّ عميقة من الأسرار، ولم يخن ثقة أحد يوماً. وقد جعل منه رشده وقدريته الخارقة على حلِّ المشاكل الحساسة شخصاً لا غنى عنه بالنسبة إلى الملك. لكنَّ غارزا وأخرين في القصر يواجهون اليوم مستقبلاً غير واضح المعالم مع تقدّم ملك إسبانيا في السن، وانسحابه إلى قصر زارزويلا ليمضي فيه أيامه الأخيرة.

على مدى أكثر من أربعة عقود، حكم الملك بلاً مضطربة، وأسس ملكية برلمانية بعد ستة وثلاثين عاماً من الحكم الدكتاتوري الدموي الذي مارسه الجنرال فرانسيسكو فرانكو المحافظ إلى حد التطرف. ومنذ وفاة فرانكو عام 1975، حاول الملك التعاون مع الحكومة لتعزيز العملية الديمقراطية في إسبانيا، ودفع البلاد ببطء إلى اليسار مجدداً.

بالنسبة إلى الشباب، كانت التغييرات بطينة جداً.

أما بالنسبة إلى التقليديين المستئدين، كانت خطيئة.

ما زال الكثيرون من أعضاء الكنيسة الإسبانية يدافعون بشدة عن عقيدة فرانكو المحافظة، ولا سيما وجهة نظره التي تعتبر الكاثوليكية "دين دولة" والعمود الفكري

للمأمة. لكن عدداً متعاظماً من شباب إسبانيا عارضوا هذا الرأي بشدة، ونددوا بجريدة بالنفاق الذي يمارسه الدين المنظم، كما ضغطوا من أجل مزيد من الفصل بين الكنيسة والدولة.

والآن، مع استعداد أمير في منتصف العمر للجلوس على العرش، لم يكن أحد متأكدأً من الاتجاه الذي سيسلكه الملك الجديد. فخلال العقود الماضية، أدى الأمير جولييان بطريقة مثيرة للإعجاب واجباته الاحتفالية، وترك المسائل السياسية لأبيه، ولم يُظهر يوماً - وإن عن غير قصد - معتقداته الشخصية. وفي حين يشتبه معظم النقاد في أنه سيكون أكثر ليبرالية من والده، إلا أنه ما من سبيل حقاً للتأكد من ذلك.

أما الليلة، فسيتم رفع الحجاب.

في ضوء الأحداث المريرة التي وقعت في بيلباو، وعدم قدرة الملك على التحدث علنأ بسبب سوء حالته الصحية، لن يكون أمام الأمير خيار سوى التعبير عن رأيه بشأن الأحداث المؤسفة التي وقعت هذه الليلة.

كان عدد من المسؤولين الحكوميين رفيعي المستوى - ومن فيهم رئيس البلاد - قد أدانوا الجريمة، وامتنعوا عن الإدلاء بالمزيد من التعليقات حتى صدور بيان من الحرس الملكي، ليُلقوا بذلك بكل الفوضى على كاهل الأمير جولييان. ولم يفاجأ غارزاً بذلك إطلاقاً، فتُرُطَ الملكة المستقبليّة، أميراً فيدال، جعل من هذه القضية قبلة سياسية لا يجرؤ أحد على لمسها.

سيخضع الأمير جولييان للاختبار هذه الليلة. هذا ما فكر فيه غارزاً وهو يسرع باتجاه السلم الكبير المؤدي إلى الأجنحة الملكية في القصر. سيكون بحاجة إلى المشورة، وبما أن والده عاجز عن ذلك، لا بد أن تأتني المشورة متأخراً.

احتاز غارزاً رواص جناح السكن الطويل، ووصل أخيراً إلى باب الأمير. أخذ نفساً عميقاً ثم طرق الباب.

ولما لم يأتِه جواب، قال لنفسه: "غريب، أعلم أنه في الداخل". فبحسب ما قاله له العميل فونسيكا الموجود في بيلباو، اتصل الأمير جولييان به للتتو من جناحه. كان يحاول الوصول إلى أميراً فيدال للتأكد من سلامتها، وكانت بخير بفضل الله.

طرق غارزاً الباب مجدداً، وشعر بقلق متزايد عندما بقي بلا جواب.

فتح الباب بعجل، ونادى وهو يدخل: "تون جولييان؟".

كان جناح الأمير مظلماً، باستثناء وهج التفاز في غرفة المعيشة. "مرحباً؟". أسرع غارزاً بالدخول، ليجد الأمير جولييان واقفاً بمفرده في الظلام بلا حراك أمام النافذة الكبيرة. كان لا يزال بيذنته الرسمية التي ارتداها لحضور اجتماعه هذا المساء، ولم يفعل سوى حلّ ربطة عنقه.

رفيقه غارزا بصمت، وشعر بالقلق إزاء حالة الأمير. يبيو أن هذه الأزمة قد سببت له صدمة.

تحنخ غارزا ليعلن عن وجوده.

وعندما تكلم الأمير أخيراً، فعل ذلك من دون أن يستدير ويبيعد عن النافذة: "عندما اتصلت بأميرنا، رفضت التحدث معي". بدا جولييان من نبرته حائراً أكثر من كونه م�orum.

لم يعرف غارزا بماذا يجب. فنظراً إلى أحداث هذه الليلة، بدا غريباً أن يكون جولييان مشغولاً بعلاقته مع أميراً. فتلك الخطوبة كانت متورّة منذ بداياتها المتسرعة.

قال غارزا بصوت خافت: "أعتقد أن الآنسة فيدال لا تزال تحت تأثير الصدمة. سيقوم العميل فونسيكا بإيصالها إليك لاحقاً هذا المساء، وستتمكن من التكلم عندها. حمدًا لله على سلامتها".

أوماً الأمير جولييان برأسه بشرود.

قال غارزا محاولاً تغيير الموضوع: "يجري حالياً تعقب مطلق النار. وقد أكد لي فونسيكا أنهم سيقبضون على الإرهابي قريباً". واستخدم كلمة "إرهابي" عمدًا، أملاً في إخراج الأمير من شروده.

لكن الأمير اكتفى ببإيماءة أخرى.

تابع غارزا: "لقد ندد الرئيس بعملية الاغتيال، لكن الحكومة تأمل أن تقوم بالإدلاء بتعليق آخر... نظراً لتوزّط أميراً بالحدث". وصمت هنيئة ثم أضاف: "أنا أدرك أن الوضع محرج، بسبب خطوبتكما، ولكنني أقترح أن تقول إن من أكثر الأشياء التي تعجبك في خطيبتك استقلاليتها. ومع أنك تعلم أنها لا تشارك إدموند كيرش آراءه السياسية، إلا أنك تشيد باحترامها للتزاماتها كمديرة للمتحف. وسيسرّني أن أكتب شيئاً لك إن أردت. إذ ينبغي أن تُعدّ البيان في الوقت المناسب من أجل دورة الأخبار الصباحية".

لم يرفع جولييان نظره عن النافذة وقال: "أود أخذ رأي الأسقف فالديسيبينو بشأن أي بيان يصدر عنا".

توّتر فكّ غارزا، ولكنه كتم احتجاجه. فإسبانيا ما بعد فرانكو كانت دولة غير دينية، ولم يعد يفترض بالكنيسة المشاركة في المسائل السياسية. لكن الصداقة الوثيقة التي تجمع بين فالديسيبينو والملك منحت الأسقف دائمًا قدرًا غير عادي من التأثير على الشؤون اليومية للقصر. ولسوء الحظ، إن سياسة فالديسيبينو المتشددة وحماسته الدينية لا تتركان مجالاً للدبلوماسية واللباقة المطلوبتين للتعامل مع أزمة هذه الليلة.

نحن بحاجة إلى الدهاء والبراعة، وليس إلى العقيدة والألعاب الناريه!

كان غارزا يعلم منذ وقت طويل أن مظهر فالديسيبينو الورع يُخفي خلفه حقيقة سيطرة جدأ، فلطالما خدم الأسقف فالديسيبينو احتياجاته الخاصة قبل خدمة الله. وحتى وقت قريب، استطاع غارزا أن يتجاهل ذلك. لكن الآن، ومع تحول ميزان القوى في القصر، شعر بقلق كبير لدى رؤيته الأسقف يسابق للسيطرة على جولييان.

فالديسيبينو مقرب من الأمير أكثر من اللزوم.

كان غارزا يعلم أن جولييان لطالما اعتبر الأسقف فرداً من الأسرة، وكان أقرب إلى عم موثوق به منه إلى ممثل لسلطة دينية. وباعتباره من أقرب المقربين إلى الملك، فقد كُلّف بالإشراف على التربية الأخلاقية لجولييان الشاب، وتولى تلك المهمة بتقانٍ وإخلاص. فكان يشرف على كل معلمٍ جولييان، ويعرفه على العقادٍ الدينية، وينصحه حتى بشأن مسائل القلب. والآن بعد سنوات من الزمن، بقي الرابط الذي يجمع بين جولييان فالديسيبينو قوياً، حتى لو لم يريا بعضهما.

قال غارزا بصوت هادئ: "دون جولييان، أناأشعر أن الوضع هذه الليلة ينبغي أن تعالجه أنت وأنا وحدنا".

فأعلن صوت رجل في الظلام خلفه: "حقاً!".

عندها، استدار غارزا ليرى شبح رجل يرتدي ثوباً كنسياً جالساً في الظلام.

فالديسيبينو.

قال الأسقف بصوت أقرب إلى الهسيس: "لا بد لي من القول أيها القائد إنني تخيلت أن تدرك أنت - دوناً عن جميع الناس - مدى الحاجة إلى هذه الليلة".

قال غارزا بحزن: "هذه مسألة سياسية وليس دينية".

أجاب فالديسيبينو ساخراً: "صدر هذا الكلام عنك يشير إلى أنني بالغت في تقدير فطنتك السياسية. فرأيي، نمأة جواب واحد مناسب على هذه الأزمة. علينا على الفور أن نؤكد للأمة أن الأمير جولييان رجل شديد التدين، وأن ملك إسبانيا المستقبلي كاثوليكي مخلص .

"أنا أوفقك... وسنورد إشارة إلى إيمان دون جولييان في أي بيان يصدره".

"وعندما يظهر الأمير جولييان أمام الصحافة، سيحتاج إلى وجودي إلى جانبه، مع يدي على كتفه، كرمز قوي للرابط المتين الذي يجمعه بالكنيسة. فهذه الصورة كافية لطمأنة الأمة أكثر من أي نص قد تكتبه".

ارتعش غارزا من شدة التوتر.

أضاف فالديسيبينو: "لقد شاهد العالم للتو بـأَحْيَا لاغتيال وحشي على الأرضي الإسبانية. وفي أوقات العنف، ما من شيء يطمئن القلوب مثل الرجوع إلى الله".

الفصل 31

يمتد جسر زيتيني المعلق، وهو أحد الجسور الثمانية في بودابست، على مسافة تزيد عن ألف قدم فوق نهر الدانوب. ويعتبر الجسر الذي يشكل شعاراً للصلة بين الشرق والغرب أحد أجمل الجسور في العالم.

ما الذي أفعله؟! تساعل الحاخام كوفيس وهو يطل من فوق الدرازبين على المياه السوداء في الأسفل. لقد نصحتي الأسقف بالبقاء في المنزل.

كان كوفيس يعلم أنه لا ينبغي له المغامرة بالخروج، لكنه كلما شعر بالقلق، كان هذا الجسر يجذبه إليه دائمًا. فعلى مدى سنوات، تنزع هنا ليلاً للتفكير وهو يتأمل هذا المنظر الخلد. إلى الشرق، في بست، ارتفعت واجهة قصر غريشام المصيّبة بجالل أمام أبراج أجراس بازيليك سانت إسطفان. وإلى الغرب، في بودا، على ضفاف الدانوب، فامتدت الأبراج الأنثقة لمبني البرلمان؛ الأكبر في جميع أرجاء المجر.

غير أن كوفيس اشتبه في أن المشهد ليس هو ما يجلبه باستمرار إلى الجسر المعلق، بل هناك شيء آخر تماماً. الأقوال.

فعلى طول درازبين الجسر وأسلكه، عُلقت مئات الأقوال، وكل منها يحمل حرفين أولين مختلفين، عُلقت بالجسر إلى الأبد.

بحسب التقليد، يأتي العشاّق إلى هذا الجسر معاً، ويكتبون الحروف الأوليين من أسمائهم على أحد الأقوال، ثم يعلقونه بالجسر ويلقون المفتاح في أعماق النهر، فيضيع إلى الأبد، ويكون ذلك رمزاً لارتباطهما الأبدي.

فكَر كوفيس وهو يلمس الأقوال المعلقة، أبسط الوعود. روحي معلقة بروحك إلى الأبد.

كلما احتاج الحاخام إلى تذكر نفسه بأنّ الحبّ غير المحدود موجود في هذا العالم، كان يأتي لرؤيه هذه الأقوال. وكانت هذه الليلة واحدة من تلك الليلات. وبينما هو يحذق إلى المياه المتداقة، شعر أنّ العالم بدأ فجأة يسير بسرعة كبيرة بالنسبة إليه. ربما لم أعد أنتهي إلى هذا المكان بعد اليوم.

ما كان في ما مضى لحظات هادئة من التأمل الانفرادي، بضع دقائق بمفرده في الحافلة، أو في طريقه إلى العمل سيراً على الأقدام، أو بانتظار موعد أصبح الآن لا يحتمل. والناس يمسكون تلقائياً بهواتفهم وسماعات الآذان ويمارسون الألعاب، عاجزين عن مقاومة جاذبية التكنولوجيا الإدمانية. لقد تغيرت الحياة بسبب التوقي المتواصل لكل ما هو جديد.

والآن، بينما كان يهودا كوفيس يحذق إلى الماء، شعر بإنهاك متزايد. أحسن أن روئته ضبابية، وبدأ يرى أشكالاً غريبة تحت سطح الماء. فجأة، بدا النهر مثل حساء من المخلوقات التي تعيش في الأعماق.

قال صوت من خلفه: "الماء حي".

التقت الحاج، ورأى صبياً ذا شعر أبعد وعينين مليئتين بالأمل. نكّره الصبي بنفسه في صباحه.

قال الحاج: "المعذرة؟".

فتح الصبي فمه ليتكلّم، ولكن عوضاً عن اللغة، خرج من حلقه أزيز إلكتروني، وشعت عيناه بضوء أبيض.

استيقظ الحاج، كوفيس مغفلًا، واعتدل على كرسيه.
"ربأه!".

كان الهاتف يرن على المكتب، فاستدار الحاج المسن وتأمل أرجاء مكتبه مذعوراً. وعندما أدرك أنه بمفرده تماماً، شعر بشيء من الاطمئنان؛ غير أن قلبه كان لا يزال ينبض بعنف.

قال لنفسه وهو يحاول التقاط أنفاسه: "يا له من حلم غريب!".

كان الرنين ملحاً، وأدرك كوفيس أنه في هذه الساعة لا بد أن يكون المتصل الأسف فالديسبينو لتزويده بأخر المستجدات بشأن نقله إلى مدريد.

أجاب الحاج وهو يشعر بالإرباك: "الأسف فالديسبينو، ما الجديد؟".

فأجاب صوت غير مألوف: "حضره الحاج يهودا كوفيس؟ أنت لا تعرفني، ولا أريد أن أخيفك. لكنني أريدك أن تصغي إليّ جيداً".
عندئذ، استيقظ كوفيس تماماً.

كان الصوت صوت امرأة، ولكنّه غير واضح بعض الشيء، وبدا متوتراً. تحدثت بلإنكليزية سريعة مع ل肯ة إسبانية خفيفة. "لقد قمت بتعديل صوتي لدّواعٍ أمنية. أنا أعتذر على ذلك، ولكنك ستفهم السبب بعد قليل".

سألها كوفيس: "من معنِّي؟!".

"أنا حارس، شخص لا يقترب أولئك الذين يحاولون إخفاء الحقيقة عن الناس".

"أنا... لا أفهم".

"أيها الحاخام كوفيس، أنا أعرف أنك حضرت اجتماعاً سرياً مع إدموند كيرش، والأسقف فالديسيبينو، والعلامة سيد الفضل، منذ ثلاثة أيام في دير مونسراط. كيف عرفت؟!"

"بالإضافة إلى ذلك، أعرف أن إدموند كيرش زودكم أنتم الثلاثة بمعلومات تفصيلية حول اكتشافه العلمي الأخير... وأنتم متورطون الآن في مؤامرة لاحفائه." "ماذا؟!"

"إن لم تصنف إلى جيّداً، فأنا أتوقع أن تصبح غداً صباحاً في عداد الأموات، بعد أن تقضي عليك الذراع الطويلة للأسقف فالديسيبينو". صمت المتصل قبل أن يضيف: " تماماً مثل إدموند كيرش، وصديقك سيد الفضل".

الفصل 32

يعبر جسر لا سالف في بيلباو نهر نيرفيون على مقرية كبيرة من متحف غوغنهايم، حيث يبدوان كما لو كانوا بناء واحداً. من الممكن التعرف على الجسر فوراً من خلال دعامته المركزية الغريبة التي هي عبارة عن دعامة حمراء مشرقة وشاهقة على شكل حرف *H* ضخم. اكتسب الجسر اسم "لا سالف" من الحكايات الفولكلورية للبحارة الذين يعودون من البحر عبر هذا النهر ويتوتون صلاة امتنان لعودتهم إلى بيوتهم سالمين.

بعد خروج لانغدون وأمبرا من الجهة الخلفية للمبني، اجتازا بسرعة المسافة القصيرة الفاصلة بين المتحف وضفة النهر، ووقفا ينتظران -بناء على طلب وينستون- في المنتزه في الظل مباشرة تحت الجسر.

تساءل لانغدون بشكّ: ماذا ننتظر؟

وبينما كانا واقفين في الظلام، استطاع رؤية أمبرا ترتجف تحت فستان السهرة الرقيق. فخلع سترته ووضعها على كتفيها، ثم سوى القماش فوق ذراعيها.

ومن دون سابق إنذار، التفت فجأة ووقفت بمواجهةه.

للحظة، خشي لانغدون أن يكون قد تجاوز الحدود، لكن التعبير الذي ارتسم على وجه أمبرا لم يكن استياءً، بل أقرب إلى الامتنان.

همست وهي تحدّق إليه: "شكراً لك. شكرًا على مساعدتي."

وبينما هي تنظر إليه، مدّت يديها وأمسكت بيدي لانغدون، وكأنها تحاول التماس الدفء أو الإحساس بالاطمئنان.

بعد ذلك، أفلتتھما بسرعة، وهمست: "أنا آسفة، سلوكي غير لائق، كما كانت والدتي سقول".

ابتسم لانغدون مطمئناً: "تحن في ظروف مخففة، كما كانت والدتي سقول".

ابتسمت، لكن ابتسامتها لم تدم طويلاً. "أشعر باضطراب عميق". وأشارت بنظرها ثم أضافت: "الليلة، ما حدث لإيموند...".

عندها، قال لانغدون وهو يدرك أنها لا تزال تحت تأثير الصدمة ولا تستطيع التعبير تماماً عن مشاعرها: "ما حدث مرؤع ومرعب".

كانت أميراً تتحقق إلى المياه. "ومجرد التفكير في أنّ خطيبه دون جولييان متزوج...".

أدرك لانغدون من نبرة صوتها كم تشعر بأنّها تعزّزت للخيانة، ولم يكن واتقاً بماذا يجيب. قال لها بحذر: "أنا أفهم كيف تبدو الأمور، لكنّا لسنا متأكّدين من ذلك. فمن الممكن ألا يكون للأمير جولييان أي علم بمخطط الاغتيال لهذه الليلة. ربما تصرّف القائل من تقاضي نفسه، أو أنه يعمل لصالح شخص آخر غير الأمير. فمن غير المنطقي أن يقوم ملك إسبانيا المستقبلي بتبييض اغتيال علني لشخص مني، لا سيما إن كانت خيوط الجريمة تؤدي إليه مباشرةً."

"لقد أدت إليه لأنّ وينستون عرف أنّ اسم أفيلاً أضيف في اللحظة الأخيرة إلى قائمة الضيوف. ربما اعتقاد جولييان أنّ أحداً لن يكتشف من ضغط على الزناد. أقرّ لانغدون أنّ وجهة نظرها منطقية.

قالت أميراً وهي تلتفت إليه: "ما كان يجدر بي أن أناقش محاضرة إدموند مع جولييان. فقد أخذ يحتّى على عدم المشاركة، ولذلك حاولت طمأننته قائلة إنّ مشاركتي في العرض ستكون محدودة جداً، وإن المسألة تقتصر على عرض شريط فيديو. وأعتقد أنتي قلت لجولييان إنّ إدموند سيعلن اكتشافه من هاتف ذكي". صمتت قليلاً قبل أن تضيف: "هذا يعني أنّهم إن اكتشفوا أنتا أخذنا هاتف إدموند، فسيدركون أنّه ما زال من الممكن بث اكتشافه. ولا أدرى حقاً إلى أي مدى يمكن أن يذهب جولييان لمنع ذلك." تأمل لانغدون المرأة الجميلة مطولاً، ثم قال: "أنت لا تتقيّن بخطيبك على الإطلاق، أليس كذلك؟".

أخذت أميراً نفسها عميقاً: "في الحقيقة، أنا لا أعرفه بقدر ما تظنّ. إذًا، لماذا وافت على الزواج منه؟".

"بساطة، وضعني جولييان في موقف أجبرت فيه على القبول". وقبل أن يتمكّن لانغدون من الإجابة، بدأ هدير منخفض يهزّ الإسمونت تحت أقدامهما، ويتربّد صدّاه عبر الفضاء الشبيه بالمعفارة تحت الجسر. أخذ الصوت يعلو تدريجيّاً، وبدا وكأنّه آتٍ من النهر إلى يمينهما.

التفت لانغدون فرأى شكلاً داكناً يقترب منها؛ زورقاً سريعاً يتقدّم من دون تشغيل مصابيحه. ومع اقترابه من الضفة الإسمونتية المرتفعة، أبطأ من سرعته، وبدأ ينزلق بسلامة إلى أن أصبح بجانبها.

حق لانغدون إلى القارب وهز رأسه. حتّى هذه اللحظة، لم يكن متأكّداً كم ينبغي أن يثق بدليل إدموند الإلكتروني. لكنّ الآن، لدى رؤيته "تاكسي" نهرياً أصفر يقترب من الضفة، أدرك أنّ وينستون كان أفضل حلّيف لهما.

لوح لها القبطان الأشعت قائلاً: "لقد اتصل بي صديقكما البريطاني. قال إنه ثمة شخصية مهمة ستدفع ثلاثة أضعاف مقابل... كيف أقولها...؟" Velocidad y discreción. وهذا ما قمت به كما ترى، أتيت بلا مصايبع!.

أجاب لانغدون: "أجل، شكرأ لك". فكرة ممتازة يا وينستون، السرعة والسرية. مد القبطان يده وساعد أميرا على النزول على متن الزورق. وحين اختفت في المقصورة الصغيرة التماساً للدفء، ابتسם لانغدون قائلاً: "أهذه هي الشخصية المهمة؟ السينيوريتا أميرا فيدال؟".

ذكره لانغدون: "Velocidad y discreción". "أجل، أجل، طبعاً!". أسرع الرجل إلى المقود وشغل المحركات. وبعد لحظات، كان الزورق يتوجه غرباً في الظلام على طول نهر نيرفيون. من الزورق، استطاع لانغدون رؤية الأرمدة السوداء الضخمة العملاقة لمتحف غوغنهايم مضاءة بمصابيح سيارات الشرطة الدوارة، فيما عبرت فوق رؤوسهم مروحية أخبار متوجهة إلى المتحف.

فكّر لانغدون في سره: لا بد أنها الأولى من بين الكثير غيرها. أخرج لانغدون البطاقة التي دون عليها إدموند الشيفرة من جيب سرواله. BIO-EC346. كان إدموند قد طلب منه إعطاءها لسائق سيارة الأجرة، مع أنه لم يتخيل إطلاقاً على الأرجح أنه سيسقط وسيلة نقل مائية. قال لانغدون للسائق وهو يرفع صوته ليعلو على هدير المحركات: "اعتقد أن صديقنا البريطاني... أخبرك إلى أين نحن ذاهبان؟". "أجل، أجل! حذرته أن زورقي لا يصل إلى هناك تماماً، ولكنه قال إنه لا مشكلة في ذلك. يمكنكم السير ثلاثة متر، أليس كذلك؟". "لا بأس. وكم تبعد المسافة من هنا؟".

أشار الرجل إلى الطريق السريع الممتد على طول النهر إلى اليمين. "بحسب اللافقة المعلقة على الطريق، يبعد المكان سبعة كيلومترات، لكن المسافة أطول بقليل بالزورق". التفت لانغدون إلى اللافقة المضيئة على الطريق السريع.

AEROPUERTO BILBAO (BIO) → 7 KM

مطار بيلباو 7 كم

ابتسم وهو يسمع صوت إدموند في ذهنه. إنه رمز بسيط جداً يا روبرت. كان إدموند على حق، وعندما استطاع لانغدون فهمه أخيراً في وقت سابق من هذه الليلة، tele @ktabpdf

شعر بالإحراج لأنَّه استغرق كلَّ هذه المدة.
كانت BIO رمزاً بالفعل، مع أنَّه ليس أكثر صعوبة من الرموز المشابهة في أنحاء العالم: BOS, LAX, JFK

BIO هو رمز المطار المحلي.
أما بقية شيفرة إدموند فقد تفكَّكت على الفور من تلقاء نفسها.
.EC346

لم يسبق للانغدون أن رأى طائرة إدموند الخاصة، لكنَّه كان يعرف بوجودها، ولم يكن لديه أدنى شكَّ في أنَّ رمز البلد لرقم ذيل طائرة إسبانية يبدأ بالحرف E نسبة إلى إسبانيا.

EC346 هي طائرة خاصة.
بالطبع، لو ذهب الانغدون بسيارة أجرة إلى مطار بيلباو، وأبرز بطاقة إدموند لموظف الأمن فسيقوده مباشرة إلى طائرة إدموند الخاصة.
أتمنى أن يكون وينستون قد اتصَّل بالطيارين لإبلاغهم أننا قادمان. هذا ما تمنَّاه الانغدون وهو ينظر إلى الخلف باتجاه المتحف الذي كان يتعدَّ تدريجيًّا.
فَكَّر بدخول المقصورة للانضمام إلى أمبرا، ولكنه كان مستمتعًا بهواء الليل العذب، وقرر منحها بعض دقائق بمفردها لتسجُّم نفسها.
فَكَّر في سره وهو يسير إلى مقدمة القارب: كما يمكنني أن أستفيد من هذه الدقائق أنا أيضًا.

عند مقدمة القارب، أخذ الهواء يلْفَح شعره، فحلَّ ربطه عنقه ووضعها في جيبه، ثمَّ فكَ الزَّرَّ العلوي لياقته وتتنفس بعمق قدر الإمكان، متىحاً لهواء الليل أن يملأ رئتيه.
إدموند، مازا فعلت؟

الفصل 33

كان القائد ديفغو غارزا يغلي غضباً وهو يمشي في جناح الأمير جولييان المظلم ويستمع إلى محاضرة الأسقف المعتدّ بنفسه.
أراد غارزا أن يصبح في وجه فالديسيبينو: أنت تتعذّر على أرض الغير، هذا ليس مجالك!

مرة أخرى، أقحم الأسقف نفسه في سياسة القصر. فبعدما ظهر كالشبح في ظلام جناح جولييان، متزيناً بكمال زيه الكنسي، أخذ الآن يلقي على جولييان عظة مشبوبة بالعاطفة حول أهمية تقاليد إسبانيا، وتدنّي الملوك والملكات السابقين وإخلاصهم، وتأثير الكنيسة المريخ في الأزمات.

فكّر غارزا في سره: هذا ليس الوقت المناسب.

هذه الليلة، يجب على الأمير القيام بأداء حساس على صعيد العلاقات العامة، وأخر ما يحتاج إليه غارزا هو تشتيت ذهن الأمير بمحاولات فالديسيبينو فرض أجندته بينية.

حسن الحظّ، قاطع أزيز هاتف غارزا مونولوج الأسقف.

وقف بين الأمير والأسقف، وأجاب بصوت عالٍ: "أجل، أخبرني. ماذا جرى؟". قال المتّصل بإسبانية سريعة: "سيدي، معك العميل فونسيكا من بيلباو. أخشى أنتا لم نتمكن من القبض على مطلق النار. فالشركة التي ظننا أنها تستطيع تعقبه فقدت الاتصال به. يبدو أنَّ مطلق النار قد توقع خطواتنا".

كتم غارزا غضبه وتنهّد بهدوء؛ مُحاولاً ألا يكشف صوته أي شيء عن حالته الذهنية الفعلية. وأجاب بهدوء: "فهمت. حالياً، لتكن الآنسة فيدال همكما الأول. فالامير ينتظر رؤيتها، وقد أكّدت له أنكما ستجلبانها إلى هنا قريباً".

خيّم صمت طويل على الطرف الآخر من الخطّ، طويلاً جداً.

ثم قال فونسيكا بصوت متردّد: "حضرة القائد، أنا آسف سيدي، ولكن لدى أنباء سيئة على هذه الجبهة. إذ يبدو أنَّ الآنسة فيدال والبروفيسور لانغدون قد غادرا المبني . وصمت قليلاً ثم أضاف: "من دوننا".

قاد الهاتف يسقط من يد غارزا: "المعذرة، هل لك... أن تكرّر ما قلته؟".

أجل سيدي. لقد غادرت الآنسة فيدال روبرت لانغدون المبنى. وقد تعمدت الآنسة فيدال ترك هاتفها لكي لا نتمكن من تعقبها. ولا فكرة لدينا عن وجههما". أدرك غارزا أنه فغر فاه من هول الصدمة، وكان الأمير يتحقق إليه الآن بقلق واضح. كما مال فالديسيينو إلى الأمام ليسمع، وقوس حاجبيه باهتمام واضح. قال غارزا فجأة وهو يهز رأسه بقناعة: "آه... هذه أنباء رائعة! ممتاز. سأراكم جميعاً هنا لاحقاً هذا المساء. لكن، لنؤكد على بروتوكولات الرحلة وسلمتها، لحظة واحدة من فضلك".

خطى غارزا هاتفه وابتسم للأمير قائلاً: "كل شيء على ما يرام. سأذهب إلى الغرفة الأخرى للتحدث في التفاصيل وأتيح لحضرتكما بعض الخصوصية". لم يكن غارزا راغباً في ترك الأمير بمفرده مع فالديسيينو، لكن لم يكن بإمكانه الرد على هذه المكالمة أمامهما. لذلك، ذهب إلى إحدى غرف الضيوف وأغلق الباب خلفه. قال عبر الهاتف: "ما الذي جرى؟!".

فروي فونسيكا القصة التي بدت أقرب إلى الخيال. سأله غارزا: "انطفأت المصابيح! ظاهر جهاز كمبيوتر أنه موظف أمن وأعطيكما معلومات خطأة! كيف يفترض بي أن أجيب على ذلك؟". أدرك أنه يصعب تصديق ذلك سيدي، لكن هذا ما حدث بالضبط. ما يصعب علينا فهمه هو سبب التغيير المفاجئ في انتماء الكمبيوتر "تغير في الانتماء! لكن هذا مجرد كمبيوتر لعين!". ما أعنيه هو أن الكمبيوتر قد ساعدنا في البداية، فقد حدد اسم مطلق النار، وحاول إحباط عملية الاغتيال، كما اكتشف أن السيارة التي فر بها القاتل تابعة لشركة أوبر. بعد ذلك، وعلى نحو مفاجئ جداً، بدا وكأنه يعمل ضدنا. كل ما يمكننا استنتاجه هو أن روبرت لانغدون قال له شيئاً ما؛ لأن كل شيء تغير بعد حديثه معه."

هل أتصارع الآن مع جهاز كمبيوتر؟! قرر غارزا أنه أصبح مسناً جداً على هذا العالم الحديث. "أنا واثق أنتي لست بحاجة إلى إخبارك أيها العميل فونسيكا كم سيكون من المخرج للأمير، على الصعيدين الشخصي والسياسي، أن ينتشر خبر فرار خطيبته مع الأميركي، وخبر تعرّض عملاء الحرس الملكي للخداع من قبل جهاز كمبيوتر تحن ندرك ذلك تماماً".

"هل لديك أدنى فكرة عن السبب الذي دفعهما إلى الهرب؟ إذ يبدو هذا العمل متھواً تماماً وبلا أي مبرر على الإطلاق". لقد اعترض البروفيسور لانغدون بشدة عندما أخبرته أن عليه الانضمام إلينا في مدريد هذا المساء. وأوضح أنه لا يرغب في المجيء".

وهكذا فر من مسرح جريمة! شعر غارزا أن ثمة أمراً آخر، ولكنه لم يستطع أن يتخيل ماهيته. "أصيغ إلى جيداً. من الأهمية بمكان أن تحدد مكان أميراً فيفال وتحضرها إلى القصر قبل تسرب أيٍّ من هذه المعلومات".

"أنا أفهمك سيدي، ولكننا أنا ودياز العميان الوحيدان الموجودان هنا، ولا يمكننا تفتيش كل أنحاء بيلباو بمفردنا. نحن بحاجة إلى إبلاغ السلطات المحلية للوصول إلى كاميرات المرور، والدعم الجوي، وكل طريقة... فأجاب غارزا: "حتماً لا! لا يمكننا تحمل هذا القدر من الإحراج. قوماً بعملهما، واعثرا عليهما بمفردكما، ثم أعيدا الآنسة فيفال بأسرع وقت ممكن".

"حاضر سيدي."

أنهى غارزا الاتصال غير مصدق ما سمعه.

خرج من غرفة النوم ليجد امرأة شابة تسرع نحوه عبر الرواق. كانت تضع نظاراتها السميكة المعتادة وترتدي سروالاً بلون البيج. تقدمت حاملة كمبيوترًا لوحياً، وتعلو وجهها أمارات القلق.

فكَّر غارزا في سره: نجني يا رب، ليس الآن.

كانت مونيكا مارتن منسقة العلاقات العامة الجديدة الأصغر سنًا التي عرفها القصر. ويتضمن منصبها واجبات الاتصال الإعلامي، ووضع استراتيجيات العلاقات العامة، وإدارة الاتصالات، وهي مهام تتقدّمها مارتن بحالة تأهب قصوى دائمة.

كانت مارتن التي لا تتجاوز السادسة والعشرين من عمرها حاصلة على شهادة في الاتصالات من جامعة كومبلوتينسي في مدريد، وعملت لعاملين في إحدى أفضل كليات الكمبيوتر في العالم، في جامعة سينيغهوا في بيكون، ثم احتجت وظيفة واسعة النفوذ في قسم العلاقات العامة في غرويو بلانيا، تبعها منصب أعلى في الاتصالات في شبكة التلفزيون الإسباني أنتينا 3.

في العام الماضي، وفي محاولة يائسة للتواصل عبر وسائل الإعلام الرقمية مع شباب إسبانيا، ولمواكبة التأثير المتمامي لتويتر وفيسبوك والمدونات ووسائل الإعلام عبر الإنترنت، عمد القصر إلى صرف خبير العلاقات العامة المحنك الذي يملك خبرة تمتَّعَ عَوْدَاً من الزمن في مجال المطبوعات ووسائل الإعلام، واستبدلته بهذه الشابة الخبريرة بالเทคโนโลยيا.

مارتن تدين بكل شيء للأمير جولييان، وكان غارزاً يعلم ذلك.

في الواقع، كان تعين المرأة الشابة موظفة في القصر إحدى مساهمات الأمير جولييان القليلة في عمليات القصر، ومثالاً نادراً عن المرات التي عاون فيها والده. ومع أنَّ مارتن تُعتبر واحدة من بين الأفضل في هذا المجال، إلا أنَّ غارزاً وجد كثرة تشكيكها وطاقتها العصبية مرهقة جداً.

أعلنت وهي تلوح بالجهاز: "نظريات المؤامرة، إنها تنتشر في كل مكان". حق غارزا إليها غير مصدق. وهل يبدو أثني أكثر؟! كان لديه هذه الليلة الكثير من المسائل الأكثر إثارة للقلق من الشائعات التآمرية. "هلا تخبريني لماذا تتوجولين في الجناح الملكي؟".

"لقد رأيت غرفة التحكم للتلو على جهاز تحديد المواقع لديك". وأشارت إلى الهاتف المعلق بحزامه.

أغمض عينيه وتنهَّد محاولاً كبت غضبه. بالإضافة إلى تعين منسقة علاقات عامة جديدة، قام القصر مؤخراً باستحداث قسم أمني جديد يدعى "قسم الأمن الإلكتروني"، وهو يزود فريق غارزا بخدمات تحديد المواقع، والمراقبة الرقمية، ومعلومات عن المشتبه بهم، وإمكانية استخراج البيانات الوقائي. كان فريقه يزداد توًعاً وشباباً يوماً بعد يوم.

تبعد غرفة التحكم وكأنها مركز كمبيوتر في حرم جامعي. على ما يبدو، إن التكنولوجيا المستخدمة حديثاً لتعقب عملاء الحرس الملكي صالحة لتعقب غارزا نفسه أيضاً. شعر بعدم الارتباط لدى تفكيره في أن مجموعة من الأولاد في الطابق السفلي يعرفون مكان وجوده في كل لحظة.

قالت مارتن وهي ترفع الجهاز اللوحي أمامها: "أتيت إليك شخصياً لأنني عرفت أنك سترغب في رؤية هذا الخبر".

انتزع غارزا الجهاز من يدها، ورمق الشاشة ليرى صورة الإسباني ذي اللحية البيضاء الذي تم التعرف عليه على أنه مطلق النار في بيلباو؛ أميرال البحرية الملكية لويس أفيلا، كما رأى نبذة عنه.

قالت مارتن: "ثمة الكثير من الثراثة المؤذنة، هذا بالإضافة إلى الضجة التي أحدها خبر كون أفيلا موظفاً سابقاً لدى الأسرة المالكة".

قال غارزا بحدة: "كان أفيلا يعمل في البحرية!".

"أجل، من الناحية الفنية، الملك هو قائد القوات المسلحة".

أمرها وهو يدفع إليها بالجهاز: "كفى، فالإيحاء بأن الملك متواطئ بطريقة ما في عمل إرهابي فكرة سخيفة من أفكار المهووسين بنظرية المؤامرة، ولا صلة له إطلاقاً بأزمة الليلة. فلنركز على ما لدينا من معلومات ولنعد إلى العمل. ففي النهاية، كان من شأن هذا المجنون أن يقتل الملكة المستقبلية، ولكنه اختار عوضاً عن ذلك قتل ملحد أمريكي. وفي النهاية، النتيجة ليست سيئة!".

لم تتراجع الشابة، بل قالت: "ثمة أمر آخر سيدي يتعلق بالأسرة المالكة، ولم أرغب في أن يفوتك".

وبينما كانت مارتن تتكلّم، مررت أصابعها على الشاشة، وانتقلت إلى موقع آخر.
كانت هذه الصورة على الشبكة منذ بضعة أيام لكن أحداً لم يلاحظها. والآن، مع
انتشار أخبار إدموند كيرش، بدأت تظهر في الأخبار . وأعطت غارزا الجهاز .
رمق عنوان الخبر: "أهذا آخر صورة التقطت للعالم المستقبلي إدموند كيرش؟".
كانت الصورة الضبابية ظهر كيرش مرتدياً بدلة سوداء، ويقف على طريق
صخري على شفير جرف شديد الانحدار .

قالت مارتن: "التقطت الصورة منذ ثلاثة أيام، حين كان كيرش في زيارة إلى دير
مونسيرات. فقد تعرّف عامل في الموقع على كيرش والتقط له هذه الصورة. وبعد مقتله
الليلة، أعاد العامل نشر الصورة على أنها آخر صورة التقطت للرجل ."
سأّلها غارزا: "وما علاقتنا بذلك؟".
"اذهب إلى الصورة التالية ."

انقل إلى الصورة التالية، وما إن رأها حتّى مدّ يده للاستناد إلى الجدار . "هذا...
لا يمكن أن يكون صحيحاً!".

وفي هذه النسخة الأقرب للصورة نفسها، يمكن رؤية إدموند كيرش واقفاً إلى جانب
رجل طول القامة يرتدي الثوب الكاثوليكي الأرجواني التقليدي. كان الرجل هو الأسقف
فالديسيبيون .

قالت مارتن: "بل هو صحيح يا سيدي. فقد التقى فالديسيبيون كيرش منذ بضعة أيام ."
"لكن..." تردد غارزا وعجز عن الكلام للحظات. "لكن، لماذا لم يذكر الأسقف
ذلك؟ لا سيما مع كل ما حدث الليلة!؟".

فهزّت مارتن رأسها بشكّ وقلّلت: "لها السبب قررت أن أكلّمك أولاً ."
فالديسيبيون التقى كيرش! لم يستطع غارزا استيعاب هذا الخبر تماماً. وامتنع
الأسقف عن ذكر الأمر؟! كان الخبر مثيراً لقلق، وشعر غارزا باللهفة لإخبار الأمير .
قالت المرأة الشابة: "للأسف، ثمة المزيد". وبدأت تعبر بجهازها مجدداً.
حضره القائد". أتاها صوت فالديسيبيون فجأة من غرفة المعيشة. "ما أخبار رحلة
الائسة فيدال؟".

فرفعت مونيكا مارتن رأسها ونظرت إلى غارزا بدهشة، ثم همست: "أهو الأسقف؟"
هل فالديسيبيون هنا في الجناح؟؟".
"أجل، إنه يقدم المشورة للأمير ."

ناداه فالديسيبيون مجدداً: حضره القائد! هل أنت هناك؟".
همست مارتن بنبرة مذعورة: "صدقني، ثمة المزيد من المعلومات التي ينبغي أن
تطلع عليها على الفور قبل أن تقول أي كلمة أخرى للأسقف أو الأمير . ثق بي عندما
tele @ktabpdf

أقول إن أزمة الليلة تطالنا إلى حد أبعد بكثير مما تخيل".

رمي غارزا منسقة العلاقات العامة للحظة ثم أخذ قراره: "انتظرني في الطابق السفلي في المكتبة. سأوافيك إلى هناك خلال ستين ثانية".
أومأت مارتن برأسها وابتعدت.

وعندما أصبح غارزا بمفرده، أخذ نفسا عميقا وأجبر ملامحه على الاسترخاء، أملاً محظ جميع آثار غضبه وحيرته المتامين، ثم عاد ببطء إلى غرفة المعيشة.
أعلن غارزا مبتسما وهو يدخل: "كل شيء على ما يرام مع الآنسة في DAL، ستصل لاحقاً. أما أنا فعلى النزول إلى مكتب الأمن للتأكد من نقلها شخصياً". وهز غارزا رأسه لوليان بثقة، ثم التفت إلى الأسقف فالديسيينو. "سأعود قريباً، لا تذهب".
عند ذلك، استدار خارجاً.

بينما كان غارزا يغادر الجناح، حدق إليه الأسقف فالديسيينو عابسا.
فقاله الأمير وهو ينظر إليه عن كثب: "هل من خطب؟".
أجاب فالديسيينو وهو يلتفت إليه: "أجل، فأنا أصغي إلى الاعترافات منذ خمسين عاماً، وأعرف عندما أسمع كذبة".

الفصل 34

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

التساؤلات تعصف بمجتمع الإنترنت

في أعقاب اغتيال إدموند كيرش، اجتاحت عاصفة من التكهنات متابعي العالم المستقبلي، وذلك حول قضيَّتين ملحتين.

ما كان اكتشاف كيرش؟

من قتلَه؟ ولماذا؟

وب شأن اكتشاف كيرش، أغرفت الإنترنت بالنظريات التي اشتملت على مجموعة واسعة من المواضيع، من داروين، إلى المخلوقات الفضائية، وقصة الخلق، وغير ذلك.

ولم يتم حتى الآن تأكيد أي دافع لهذه الجريمة، لكن النظريات التي طرحت تشتمل على التعصب الديني، والتجسس، والغيرة.

وقد حصل موقع ConspiracyNet على وعود بمعلومات حصرية حول القاتل سنطلعكم عليها فور ورودها.

الفصل 35

وقفت أميراً في دال بمفردتها في مقصورة التاكسي المائي، وهي تلفَّ نفسها بسترة روبرت لانغدون. قبل دقائق، حين سألها لانغدون عن سبب موافقتها على الزواج من رجل بالكاد تعرفه أجابته بصدق.

لم يكن لديها الخيار.

كانت خطوبتها على جولييان محنَّة لا تستطيع أن تحتمل عيشها مجدداً هذه الليلة، ليس مع كلَّ ما جرى.

لقد وقعت في الشرك.

وما زلت محاصرة فيه.

الآن، وبينما كانت تتظر إلى صورتها المنعكسة على النافذة القدرة، غمرها إحساس عارم بالوحدة. لم تكن أميراً تحبَ الانغماض في الشقة على نفسها، ولكنها شعرت في تلك اللحظة أنَّ قلبها هشٌّ وتائه. أنا مخطوبة لرجل متورط بشكل من الأشكال في جريمة وحشية.

لقد قرَّ الأمير مصير إدموند بمكالمة هاتفية واحدة قبل ساعة من الحدث. فقد كانت أميراً تستعدُّ بشكل محموم لوصول الضيوف عندما هرعت إليها موظفة شابة وهي تلوَّح بقصاصة من الورق.

"سينيورا فيدال! لقد وصلتَ رسالَة!".

راحت الفتاة تشرح بحماسة وهي تلهث أنَّ مكالمة هامة قد أتت للتوَ إلى مكتب الاستقبال في المتحف.

وتابعت: "أظهر كاشف هوية المتصل أنَّ الرقم خاصَّ بالقصر الملكي في مدريد، فاجبِت بالطبع! كان المتكلَّم يتصل من مكتب الأمير جولييان!".

سألتها أميراً: "وهل اتصلوا بمكتب الاستقبال؟ لكنَّهم يملكون رقم هاتفي الخلوي".

قال مساعد الأمير إنَّه حاول الاتصال بهاتفك، ولكنَّهم لم يستطيعوا الوصول إليك".

تحققَت أميراً من هاتفها. غريب، لم تردَّها أيَّ مكالمات فائتة. ثمَّ أدركت أنَّ أحد التقنيين كان يختبر نظام التشويش على الهواتف الخلوية في المتحف، ولا بدَّ أنَّ جولييان اتصل بينما كان هاتفها معطلًا.

"يبدو أنَّ الأمير قد تلقى اليوم اتصالاً من صديق مهم جدأً في بيلباو يريد حضور الحدث الذي سيقام هذه الليلة." ثمَّ أعطت الفتاة أميراً قصاصة الورق. "وَتَمَّى أن تتمكنى من إضافة اسمه إلى قائمة الضيوف."
تأملت أميراً الرسالة.

Almirante Luis Ávila (ret.)

Armada Española

لويس أفيلا، أميرال متقاعد في البحرية الإسبانية!

"ترك المتصل رقاً، وقال إنه بإمكانك الاتصال به مباشرة إن أردت مناقشة المسألة، لكنَّ الأمير جوليán على وشك الذهاب إلى اجتماع، لذلك قد لا تتمكنين من الوصول إليه على الأرجح. غير أنَّ المتصل أصرَّ على أنَّ الأمير يأمل ألا يكون هذا الطلب عبئاً عليك."

قالت أميراً في سرها: عبئاً! مع كلِّ ما جعلتني أعيشه الليلة؟

قالت أميراً: "دعى الأمر لي، شكرأ لك."

ابعدت الموظفة الشابة بسعادة كما لو أنها تكلمت مع الملك نفسه. حذقت أميراً إلى قصاصة الورق، وانزعجت لأنَّه وجد أنَّ ممارسة نفوذه عليها بهذا الشكل أمر مناسب، لا سيما بعدما ضغط بشدة ضدَّ مشاركتها في حدث الليلة.

قالت لنفسها: ها أنت مجدها لا ترك لى الخيار.

إنَّ تجاهلت طلبه فستكون النتيجة مواجهة غير مرحبة مع ضابط بارز في البحرية عند باب المتحف. وقد تمَّ تنظيم هذا الحدث بدقة متناهية، كما أنه سيجذب عدداً لا مثيل له من وسائل الإعلام. آخر ما أحتج إليه مواجهة محروقة مع أحد أصدقاء جوليán النافذين.

لم يتمَّ تفتيش الأميرال أفيلا أو وضعه على قائمة الضيوف الذين تمَّ تفتيشهم، لكنَّ أميراً أدركَت أنَّ طلب إخضاعه لتفتيش أمني سيكون محراً، لا بل ومهيناً رئماً. ففي النهاية، كان الرجل ضابطاً مميزاً في البحرية، ويتمتع بنفوذ كافٍ لرفع السمعاء والاتصال بالقصر الملكي وطلب خدمة من ولِي العهد.

وهكذا، وبسبب الجدول الزمني الضيق، اتَّخذت أميراً الخيار الوحيد الذي كان ممكناً؛ فكتبت اسم الأميرال أفيلا على قائمة الضيوف عند باب المتحف، وأضافته إلى قاعدة بيانات الأدلة ليتم تزويده بسماعات. بعد ذلك، عادت إلى عملها.

والآن مات إيموند؛ هذا ما فكرت فيه وهي تعود إلى الحاضر في ظلام التاكسي النهري. وعندما حاولت طرد الذكريات المؤلمة من رأسها، خطرت بباليها فكرة غريبة. أنا لم أتحدث مع جولييان مباشرة... بل وصلتني الرسالة بأكملها بواسطة أطراف ثالثة. جلبت تلك الفكرة معها بصيصاً من الأمل.

هل من الممكن أن يكون روبيرت على حق، ويكون جولييان بريئاً ربيماً؟
فكرت بذلك للحظة، ثم أسرعت إلى الخارج.

وجدت البروفيسور الأميركي واقفاً بمفرده عند مقدمة القارب، ويداه على الدرابزين، وهو يحدق إلى ظلام الليل. انضمت إليه أمبرا، وفوجئت عندما أدركت أن القارب خرج من الفرع الرئيس لنهر نيرفيون، وهو يبحر الآن شمالاً على طول الرافد الصغير الذي بدا أقرب إلى قناء خطرة ذات ضفاف عالية موحلة منه إلى نهر. شعرت بالتوتر بسبب المياه الضحلية والضفاف الضيقة، لكن قبطان القارب بدا مرتاحاً وهو يقود قاربه عبر المضيق بالسرعة القصوى، مضيئاً طريقه بالمصابح الأمامي.

أخبرت لأنغدون بسرعة بالاتصال الذي وردها من مكتب الأمير جولييان. كلّ ما أعرفه حقاً هو أنّ مكتب الاستقبال في المتحف قد تلقى اتصالاً من القصر الملكي في مدريد. لكن ذلك الاتصال من الممكن أن يكون من أيّ شخص يدعى أنه مساعد جولييان".

أومأ لأنغدون برأسه موافقاً. "وريما لهذا السبب قرر المتصل نقل الخبر إليك عوضاً عن الاتصال بك مباشرة. هل لديك أيّ فكرة عن الطرف الذي قد يكون متورطاً؟". نظراً لتاريخ إيموند مع فالديسيبينو، كان لأنغدون يميل إلى الاشتباه بالأسقف نفسه.

قالت أمبرا: "قد يكون أيّ شخص؛ فالمرحلة التي يمرّ بها القصر حالياً حساسة جداً. وذلك لأنّ جولييان يحتلّ وسط المسرح، ويحاول الكثير من المستشارين القدماء أن يكسروا حظوظه. ومع التغيير الذي يطأ على البلاد، أعتقد أنّ الكثيرين من أعضاء الحرس القدماء يائسون للاحتفاظ بسلطتهم".

قال لأنغدون: "حسناً، أيّاً يكن المتورط، فلنأمل ألا يكون قد اكتشف أتنا نحاول العثور على كلمة سر إيموند للإعلان عن اكتشافه".

وبينما كان لأنغدون يتكلّم، شعر بمعى بساطة التحدّي الذي يواجهانه.
وشعر أيضاً بمعى خطورته.

لقد قُتل إيموند من أجل منع نشر هذه المعلومات.
للحظة، تساعل لأنغدون عما إذا كان الخيار الأكثر أمناً بالنسبة إليه هو العودة مباشرة إلى الوطن من المطار، وترك هذه المسألة بين يدي شخص آخر.

وَفَكَرَ فِي سُرِّهِ: هَذَا آمِنٌ بِالظَّبْعِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ خَيَارًا مَطْرُوحًا... كَلَّا.
فِي الْوَاقِعِ، شِعْرٌ لَانْغُدُونَ بِإِحْسَاسٍ عَمِيقٍ بِالْوَاجِبِ تَجَاهِ تَلْمِيذِهِ الْقَدِيمِ؛ فَضَلَّاً عَنْ
غَصْبِهِ حِيَالِ مَنْعِ خَرْجِ اكْتِشافِ عِلْمِي إِلَى الْعَلْنِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْوَحْشِيَّةِ. كَمَا شِعْرٌ
لِيَضَأً بِفَضْلِهِ فَكَرِيْ عَمِيقٌ لِمَعْرِفَةِ مَا اكْتَشَفَهُ إِدْمُونْدُ بِالضَّبْطِ.

كَذَّاكَ، لَا يَمْكُنْنِي أَنْ أَتَرَكَ أَمْبِرا فِيدَالَ فِي هَذَا الْمَازِقِ بِمَفْرَدِهِ.

مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَوَاجِهُ أَزْمَةً، وَعِنْدَمَا نَظَرَتِ إِلَيَّ عَيْنَيِّ لَانْغُدُونَ وَطَلَبَتْ
مَسَاعِدَهُ، شِعْرٌ أَنَّهَا شَدِيدَةُ النَّفَقَةِ بِذَاتِهَا وَاسْتَقْلَالِتِهَا... وَلَكِنَّهُ رَأَى مَعَ ذَلِكَ أَنَّهَا تَحْمِلُ
عَبْئًا تَقْيِيلًا مِنَ الْخُوفِ وَالنَّدَمِ. لَدَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ أَسْرَارٌ مَظْلَمَةٌ وَمَرْهُوقَةٌ، وَهِيَ تَمْدِيْدُهَا
نَطْلَبُ الْمَسَاعِدَةَ.

نَظَرَتِ إِلَيْهِ أَمْبِرا فَجَاءَهُ وَكَانَتْ أَحْسَتْ بِمَا يَفْكَرُ فِيهِ وَقَالَتْ: "يَبْدُوا أَنَّكَ تَشْعُرُ بِالْبَرْدِ،
لَنْتْ بِحَاجَةِ إِلَى سَرْتِكَ."

فَابْتَسَمَ بِرْقَةً. "أَنَا بِخَيْرٍ

"هَلْ تَفْكَرُ فِي أَنَّهُ يَجْدُرُ بِكَ مَغَادِرَةِ إِسْبَانِيَا فَورًا وَصُولَنَا إِلَى الْمَطَارِ؟".

فَضَحِكَ لَانْغُدُونَ مُجِيبًا: "فِي الْوَاقِعِ، خَطَرَتْ هَذِهِ الْفَكْرَةِ بِبَيْلِيْ."

"لَا تَفْعِلُ، أَرْجُوكَ". وَمَدَّتْ يَدَهَا إِلَى الدَّرَابِزِينَ وَوَضَعَتْهَا فَوْقَ يَدِهِ. "أَنَا لَسْتُ وَاثِقَةً
مَمَّا نَوَاجَهَهُ الْلَّيْلَةِ. وَلَكِنَّكَ كُنْتَ مُقْرَبًا مِنْ إِدْمُونْدَ، وَقَدْ أَخْبَرْنِي أَكْثَرُ مِنْ مَرَّةٍ كَمْ كَانْ يَقْتَرَ
صَدَاقَتِكَ وَيُشَقِّ بِرَأْيِكَ. أَنَا خَائِفَةٌ يَا روَبِرتُ، وَلَا أَعْتَدْ أَنَّنِي أُسْتَطِيعُ مُوَاجَهَةَ ذَلِكَ
بِعَفْرَدِيْ".

أَذْهَلَتْهُ صِرَاحَتِهَا وَأَثْرَتْ فِيهِ فِي آنِ وَاحِدٍ، فَقَالَ لَهَا وَهُوَ يَهْزِ رَأْسَهُ: "حَسَنًا، أَنَا وَأَنْتَ
مَدِينَانِ لِإِدْمُونْدِ وَالْمَجَمِعِ الْعَلْمِيِّ عَلَى السَّوَاءِ بِإِيجَادِ كَلْمَةِ السَّرِّ تِلْكَ وَإِعْلَانِ عَمَلِهِ لِلْعَالَمِ".
فَابْتَسَمَتْ بِرْقَةً. "شَكْرًا لِكَ".

الْتَفَتَ لَانْغُدُونَ وَنَظَرَ إِلَى خَلْفِ الْقَارِبِ. "أَعْتَدْ أَنَّ عَمِيلَيِّ الْحَرْسِ الْمَلْكِيِّ أَدْرَكَ
الآنَ أَنَّنَا غَادَرْنَا الْمَتْحَفَّ".

"بِلَا شَكَّ، لَكَنَّ وَيْنِسْتُونَ كَانَ مَدْهُشًا حَقًّا، أَلِيْسَ ذَلِكَ؟".

"تَعْمَ، بِالْفَعْلِ". أَجَابَ لَانْغُدُونَ بِذَلِكَ وَقَدْ بَدَا الْآنَ يَفْهَمُ حَجمَ الْفَزْدَةِ الْهَائِلَةِ الَّتِي
حَقَّهَا إِدْمُونْدُ فِي مَجَالِ تَطْوِيرِ النَّكَاءِ الْأَصْطَنَاعِيِّ. أَيّْا تَكُنَّ التَّكْنُولُوْجِيَا الْجَدِيدَةِ الَّتِي
اخْتَرَعَهَا، فَعِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهَا سَتَجْلِبُ عَهْدًا جَيْدًا مِنَ التَّفَاعُلِ بَيْنِ الإِنْسَانِ وَالْكَمْبِيُوتِرِ.
هَذِهِ اللَّيْلَةُ، أَثْبَتَ وَيْنِسْتُونَ أَنَّهُ خَادِمٌ وَفِي لَصَانِعَهُ، وَحَلِيفٌ لَا يَقْدَرُ بِثَمْنِ لَانْغُدُونَ
وَأَمْبِرا. فَيَقْبَلُ غَصْبُونَ دَقَائِقَ، حَدَّدُ وُجُودَ خَطْرٍ ضَمِّنَ قَائِمَةَ الضَّيْوَفِ، وَحاوَلَ إِحْبَاطَ
عَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِ إِدْمُونْدَ، كَمَا تَعْرَفَ عَلَى السَّيَارَةِ الَّتِي فَرَّ بِهَا الْقَاتِلُ، وَسَهَّلَ فَرَارَ لَانْغُدُونَ
وَأَمْبِرا مِنَ الْمَتْحَفِّ.

قال لانغدون: "فلنأمل أن يكون وينستون قد اتصل مسبقاً لإبلاغ طياري إدموند".

"أنا واثقة أنه فعل، ولكنه على حق، سأتصل بوينستون لتحقق".

قال لانغدون متراجعاً: "مهلاً، وهل يمكنك الاتصال بوينستون؟! فعندما غادرنا المتحف وخرجنا من نطاق الشبكة، ظنت...".

ضحك أمبرا وهي تهز رأسها يميناً ويساراً. "روبرت، وينستون ليس موجوداً داخل متحف غوغنهايم، بل هو في منشأة كمبيوتر سرية في مكان ما ويمكن الوصول إليه عن بعد. هل تعتقد حقاً أن إدموند سيفني أختراعاً مثل وينستون من دون أن يكون قادراً على التواصل معه في الأوقات كافة، وفي أي مكان في العالم؟ لقد كان إدموند يتكلّم مع وينستون في أي وقت؛ سواء أكان في المنزل، أم مسافراً، أم في نزهة. كان بإمكانهما التواصل دائماً بواسطة اتصال هاتفي صغير. لقد رأيت إدموند يتحدث مع وينستون لساعات. فقد استخدمه كمساعد الشخصي، ليتلّصّل من أجل حجوزات العشاء، وينسق مع طياريه، ويقوم بكلّ ما يلزم حقاً. في الواقع، عندما كنا ننظم العرض الذي أقيم في المتحف، تكلّمت مع وينستون كثيراً أنا نفسي عبر الهاتف".

مدت أمبرا يدها إلى جيب ستة لانغدون وأخرجت هاتف إدموند ذا الغطاء الفيروزي، ثم فتحته. كان لانغدون قد أطهأه في المتحف لكي يحافظ على البطارية. قالت له: "عليك أن تفتح هاتفي أنت أيضاً لكي نتمكن من الاتصال بوينستون معاً".

"ألا تخشين أن يتم تعقبنا إن شغلنا هذين الجهازين؟".

هزت أمبرا رأسها نافية. "لم يكن لدى السلطات الوقت الكافي للحصول على الأمر اللازم من المحكمة، لذلك أعتقد أن الأمر يستحق المجازفة، لا سيما إن كان باستطاعة وينستون تزويدنا بأخر المستجدات بشأن تقديم الحرس الملكي والوضع في المطار لم يكن لانغدون مرتاحاً للفكرة، ولكنه شغل هاتفه وراقه وهو يعود إلى الحياة. وعندما أضيئت الشاشة الرئيسة، حدّق إلى الضوء وشعر بشيء من الضعف؛ كما لو أنه أصبح من الممكن تحديد مكانه على الفور من خلال أي قمر اصطناعي في الفضاء".

فكّر في سره: لقد شاهدت الكثير من أفلام التحقيقات.

سرعان ما بدأ هاتف لانغدون يرن ويهتز مع ورود عدد من الرسائل التي أرسلت هذا المساء. ولدهشتة، اكتشف أنه تلقى أكثر من مائتي رسالة بالبريد الإلكتروني منذ أن أطفأ هاتفه.

ألقى نظرة على صندوق البريد الإلكتروني، فوجد أن الرسائل كلها كانت من أصدقائه وزملائه. كانت الرسائل الأولى عبارة عن رسائل تهنئة: محاضرة عظيمة! لا

أصلق أئك هناك! لكن بعد ذلك، وعلى نحو مفاجئ، طغى القلق والخوف على لهجة الرسائل التي تضمنت رسالة من محرر كتبه، جوناس فوكمان: رياه.. رويرت هل أنت بخير؟؟؟ ولم يكن قد سبق للانجدون أن رأى هذا المحرر المحترف يستخدم أحرفًا كبيرة أو علامات استفهام وتعجب مزدوجة.

حتى تلك اللحظة، استمتع لانغدون بإحساسه بأنه غير مرئي في ظلام ممرات بيلباو المائية، كما لو أن المتحف كان حلمًا يتلاشى.

لقد عم الخبر العالم. أنباء اكتشاف كيرش الغامض ومقتله الوحشي... بالإضافة إلى اسمي ووجهي.

قالت أمبرا وهي تتحقق إلى وهج هاتف كيرش: "كان وينستون يحاول الاتصال بنا. فقد تلقى إدموند ثلاثة وخمسين مكالمة لم يرد عليها في نصف الساعة الأخير، وكلها من الرقم نفسه، تفصل بينها ثلثون ثانية بالضبط". ضحكت مضيفة: "المتابرة الدوّوب واحدة من خصال وينستون العديدة".

في تلك اللحظة، بدأ هاتف إدموند يرنّ.

ابسم لانغدون وأمبرا. "تسائل من يكون".

أعطته الهاتف قائلة: "رد عليه".

تناول لانغدون الهاتف وفتح الخطأ: "مرحباً".

قال وينستون بلهجته البريطانية المألوفة: «بروفيسور لانغدون، يسرّني أننا أصبحنا على اتصال مجدداً، فقد كنت أحاول الوصول إليك».

"أجل، أرى ذلك". تعجب لانعدون لأن الكمبيوتر بدا في غاية الهدوء والتماسك بعد ثلاثة وخمسين مكالمة متتالية فاشلة.

قال وينستون: "لقد استجدى بعض التطورات، وثمة احتمال بأن يكون قد تم إبلاغ سلطات المطار باسميكما قبل وصولكما. مجدداً، أقترح عليكم أن تتبعوا تعليماتي بحذر شديد".

قال لانغدون: "نحن بين يديك، أخبرنا، ماذا نفعل؟".

قال وينستون: «روفيسور، إن لم تكن قد تخلصت من هاتفك، فافعل حالاً. تمسك لانغدون بهاتفه بشدة وقال: «حقاً! لا تحتاج السلطات إلى أمر محكمة قبل أن -».

قد ينطبق ذلك على برنامج الشرطة الأمريكية، ولكنك تتعامل مع الحرس الملكي والقصر الملكي في إسبانيا. وهم سيقومون باللازم".
رقم لانغدون هاتفه، وشعر بتردد غريب في الافتراق عنه. حياتي بأكملها هناك.
سألته أميراً وقد بدا عليها القلق: "وماذا عن هاتف ادموند؟".

أجاب وينستون: "لا يمكن تعقبه. كان إدموند حريصاً جداً في ما يتعلّق بالاختراق والتجسس، وقد كتب بنفسه برنامج حجب للهوية الدولي للأجهزة المتنقلة IMEI/IMSI يحول قيم C2 في هاتفه لكي تتفوّق على أيّ أجهزة اعترض للنظام العالمي للاتصالات المتنقلة".

فَكَرْ لانغدون في سره: هذا طبيعي. فبالنسبة إلى عبّيري اختُرُّ وينستون، لا شك في أن التفوق على شركة الهاتف المحلية مجرد لعب. نظر لانغدون بعيوس إلى هاتفه الأندي شاؤن كاما يبدو. وفي تلك اللحظة، مدت أمبرَا يدها وأخذت منه الهاتف بلطف. ومن دون أيّ كلمة، حملته فوق الدرازبين وأفلنته. فشاهد لانغدون هاتفه وهو يسقط في المياه المظلمة لنهر نيرفيون. وبينما كان يختفي تحت السطح، شعر بإحساس بالخسارة وهو يحدّق إلى الخلف في حين واصل القارب طريقه.

همست أمبرَا: "روبرت، تذكّر جملة الأميرة إيلسا الحكيمة في فيلم ديزني".
اللقت لانغدون: "المعذرة؟!".

ابتسمت برقة.

مكتبة الرمحي أحمد
"انس".

الفصل 36

أعلن الصوت على هاتف أفيلا: "Su misión todavía no ha terminado". لم تنته مهمتك بعد.

جلس أفيلا على المقعد الخلفي لسيارة أوبر وهو يصغي إلى آخر أخبار رئيسه. قال المتصل بإسبانية سريعة: "لقد واجهنا تعقيدات غير متوقعة. نريد منك التوجه إلى برشلونة حالاً".

برشلونة! كان قد قيل لأفيلا إنه سيسافر إلى مدريد لتأدية خدمة أخرى. تابع الصوت: "لدينا أسباب تدفعنا إلى الاعتقاد أن اثنين من شركاء السيد كيرش متوجهاً إلى برشلونة الليلة على أمل إيجاد طريقة لإطلاق إعلانه عن بعد". تصلب أفيلا على معدده. "هل هذا ممكن؟".

"تحن لا نعرف بعد. ولكن، إن نجحا في ذلك فسيذهب كل مجهودنا سدى. أنا بحاجة إلى رجل على الأرض في برشلونة حالاً، وبسرعة تامة. اذهب إلى هناك بأسرع ما يمكن، واتصل بي .

وانتهي الاتصال على ذلك.

رحب أفيلا بذلك النبأ السيئ على نحو غريب. ما زالوا يحتاجون إلىـ. كانت برشلونة أبعد من مدريد، ولكن لبعض ساعات وحسب إن توجه إليها بالسرعة القصوى على الطريق السريع في منتصف الليل. ومن دون أن يضيع أي لحظة، رفع أفيلا مسدسه وضغطه على رأس سائق السيارة، فتوترت يدا الرجل بشكل واضح على عجلة القيادة.

أمره أفيلا بالإسبانية: "خذني إلى برشلونة".

سلك السائق المخرج التالي باتجاه فيتوريا غاستيز، ثم انطلق مسرعاً على الطريق السريع 1-أ متوجهاً شرقاً. لم يكن يسير على الطريق في هذه الساعة سوى الجرارات الضخمة المنطلقة لاستكمال جولاتها إلى بامبلونا، هويسكا، ليدا، لينتهي بها المطاف في أحد أكبر الموانئ على البحر المتوسط، برشلونة.

بالكاد استطاع أفيلا أن يصدق تسلسل الأحداث الذي أوصله إلى هذه اللحظة. خرجت من أعماق يأسى لتأدية خلمة مجيدة.

للحظة سوداوية، عاد إلى تلك الحفرة التي لا قرار لها، وهو يزحف على أرض المذبح الغارق بالدخان في كاتدرائية إشبيلية، وهو يبحث بين الأنقاض الملوثة بالدماء عن زوجته وابنه، ليدرك أنها رحلا إلى الأبد.

لم يغادر أفيلا منزله لأسابيع متواصلة بعد الهجوم، وتمدد على أريكته وهو يرتعد، تعذّبه كوابيس اليقظة التي لا تنتهي، والتي تجره فيها كائنات نارية إلى هاوية مظلمة، لتكلفنه بالسود والغضب وإحساس خانق بالذنب.

"الهاوية هي المطهر". هذا ما همست به راهبة إلى جانبه، وكانت واحدة من بين المئات من المستشارين المدرّبين من قبل الكنيسة لمساعدة الناجين. "روحك محاصرة في نفق مظلم، ولا مفرّ منه سوى بالغفران. عليك أن تجد طريقة لتسامح من فعلوا ذلك، والإلهان غضبك سيستدفوك تماماً". رسمت إشارة الصليب مضيفة: "الغفران خلاصك الوحيد". الغفران! حاول أفيلا أن يتكلّم، لكن الكائنات النارية قبضت على عنقه. في تلك اللحظة، شعر أن الانتقام خلاصه الوحيد. لكن، مَنْ يُنَتَّقُ؟ إذ لم يعلن أحد مسؤوليته عن ذلك التفجير.

تابعت الراهبة كلامها قائلة: "أنا أدرك أن الإرهاب الديني يبدو عملاً لا يغتفر. ومع ذلك، قد يُفِيدُكَ أن تتذَكَّرَ أن ديننا نفسه أقام محاكم تفتيش على مدى قرون من الزمن باسم ربنا. قتلنا نساء وأطفالاً أبرياء باسم معتقداتنا. ولهذا السبب طلبنا الغفران من العالم، ومن أنفسنا. ومع الزمن، شُفينا".

قرأت عليه بعد ذلك مقطعاً من الإنجيل: "لا تقاوموا الشّرّ. من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر أيضاً. أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم".

في تلك الليلة، وقف أفيلا يتحقق إلى المرأة وهو يتعرّب بمفرده. كان الرجل الذي نظر إليه غريباً، ولم ينجح كلام الراهبة في التخفيف من ألمه.

الغفران! أثير له الخد الأيسر!

لقد كنت شاهداً على شرٍ لا يمكن غفرانه!

ويغضّب متعاظم، وجه أفيلا لکمة إلى المرأة، وحطّم الزجاج، ثم انهار وهو يشهق بالبكاء على أرض الحمام.

بصفته ضابط بحرية، لطالما كان يجيد السيطرة على نفسه. كان بطلاً في الانضباط، والشرف، وإطاعة سلسلة الأوامر. غير أن ذلك الرجل رحل إلى غير رجعة. فخلال أسابيع، غرق أفيلا في حالة ضبابية، وخذل نفسه بمزيج قوي من الكحول والأدوية الموصوفة. وسرعان ما بدأ توقه إلى الآثار المخدرة للمواد الكيميائية يحتل كل ساعة من أوقات استيقاظه، ويحوّله إلى شخص انعزالي وعدائي.

وفي غضون أشهر، أجبرته البحريّة الإسبانيّة بهدوء على التقاعد. فبعد أن كان في ما مضى سفينة بحرية قوية، أصبح الآن عالقاً في خندق جاف، وأدرك أنه لن يبحر مجدداً. أمّا البحريّة التي أعطاها حياته، فتركته بمكافأة متواضعة بالكاد يستطيع العيش بها.

أنا في الثامنة والخمسين من عمري، ولا أملك شيئاً.

أمضى أيامه جالساً في غرفة المعيشة يشاهد التلفاز، ويعاقر الشراب، وينتظر بصيحاً من الأمل. كان يمئي نفسه قائلاً مراراً وتكراراً: أحلك ساعات الليل هي تلك التي تسبق الفجر. لكن ذلك المثل القديم للبحريّة كان يثبت عدم صحته مع مرور الوقت. أحلك ساعات الليل ليست تلك التي تسبق الفجر، فالفجر لن يأتي أبداً. هذا ما شعر به.

في ذكري ميلاده التاسعة والخمسين، وفي صباح يوم الخميس ممطر، جلس أفيلاً يحدق إلى زجاجة شراب فارغة وأمر بالإخلاء. أخيراً، استجمع شجاعته، وذهب إلى خزانته، ثم أحضر مسدس البحريّة، وقام بتلقيمه قبل أن يضغط فوهته على صدغه. همس وهو يغمض عينيه: "سامحني". ثم ضغط على الزناد. كان الانفجار أكثر هدوءاً بكثير مما تخيل، وأقرب إلى طقطقة منه إلى طلة رصاص.

من سخريّة القدر أن المسدس أخفق في إطلاق النار. فغبار السنوات التي أمضاهَا في الخزانة من دون عناء ترك أثره على مسدس الأميركي الرخيص. حتى هذا العمل الجبان كان يتجازر قدرات أفيلا.

ثار غضبه، وألقى بالمسدس على الجدار. هذه المرة، اهترأَت الغرفة بالانفجار. شعر أفيلا بألم حارق في ساقه، وزال الضباب الذي خلفه الشراب في عقله بفعل الألم المبرح، فسقط على الأرض وهو يصرخ ويمسك بساقه النازفة.

أصيب الجيران بالذعر، وراحوا يطرون على بابه، وسرعان ما علت صفارات الإنذار ليجد أفيلا نفسه في مستشفى مقاطعة سان لازارو في إشبيلية، وهو يشرح كيف حاول الانتحار بإطلاق النار على ساقه.

في صباح اليوم التالي، كان متقدماً في غرفته في المستشفى منهاجاً وتليلاً حين أتاه زائر.

قال الشاب بالإسبانية: "كم أنت رام فاشل! لا عجب في أنهم أجبروك على التقاعد".

وقبل أن يتمكّن أفيلا من الرد، فتح الرجل ستائر متيحاً دخول أشعة الشمس. غطى أفيلا عينيه قليلاً ليتمكن من رؤية الشاب الذي تبيّن أنه مقتول العضلات وذو شعر قصير. كان يرتدي قميصاً قطنياً عليه صورة يسوع.

قال بلهجة أندلسية: "أنا أدعى ماركو، وأنا مدرب إعادة التأهيل. طلبت أن توكل إلى لأننا نملك شيئاً مشتركاً".

فتسأله أفيلا وهو يلاحظ أسلوبه في الكلام: "هل أنت عسكري؟".

نظر إليه الشاب مجيماً: "كلا، بل كنت هناك صباح يوم الأحد ذاك، في الكاتدرائية. يوم وقوع الهجوم الإرهابي".

فتحق إليه أفيلا غير مصدق. "أكنت هناك!؟".

مذ الشاب يده ورفع ساق سراويله ليكشف تحتها عن طرف اصطناعي. "أنا أدرك أن ما مررت به كان جحيماً، ولكنني كنت لاعب كرة قدم شبه محترف، ولذلك لا تتوقع مثني تعاطفاً كبيراً. أنا من أولئك الأشخاص الذين يؤمنون أن الله يحب من يساعدون أنفسهم".

و قبل أن يدرك أفيلا ما يجري، حمله ماركو ووضعه على كرسي متحرك، ثم دفعه عبر الممر إلى قاعة رياضية صغيرة، وأوقفه بين عارضتين متوازيتين.

قال الشاب: "هذا سيولمك، لكن حاول الوصول إلى الطرف الآخر. قم بذلك مرة واحدة، وبعدها يمكنك تناول الفطور".

كان الألم مبرحاً، لكن أفيلا لم يكن ليتنفس أمام رجل ساق واحدة. لذلك، استخدم ذراعيه ليرفع معظم وزنه، ومشى بصعوبة إلى الطرف الآخر للعارضتين.

قال ماركو: "هذا جيد، والآن قم بذلك مرة أخرى".

"لكنني قلت-

"أجل، لقد كنت. هيا، مرة أخرى".

رمق أفيلا الشاب مذهولاً. لم يكن قد سبق للأميرال أن تلقى أمراً منذ سنوات، والغريب أنه وجد ذلك منعشًا. فقد شعر أنه شاب، تماماً مثل بداياته عندما كان مجندًا حديثاً. فاستدار وبدأ يعود أدراجه.

قال ماركو: "إذا، أخبرني. أما زلت تذهب لحضور القدس في كاتدرائية إشبيلية".
"باتاناً".

"أبسبب الخوف؟".

هز أفيلا رأسه مجيماً: "بل بسبب الغضب".

ضحك ماركو قائلاً: "أجل، كان ينبغي أن أخمن. لا شك في أن الراهبات طلبين منك أن تغفر للمعذدين؟".

وقف أفيلا في مكانه مجيماً: "بالضبط!".

"وأنا أيضاً. حاولت لكن هذا مستحيل. نصيحة الراهبات كانت فظيعة". ثم ضحك.

رمق أفيلا قميص يسوع الذي يرتديه الشاب. "لكن، يبدو أنك لا تزال...".

"آه، أجل. ما زلت مسيحيًّا بكل تأكيد. لا، بل صرت أكثر تدينًا من ذي قبل. فأنا محظوظ لأنني وجدت رسالتي، ألا وهي مساعدة صحايا أعداء الله."
"يا لها من قضية نبيلة!". قال أفيلا ذلك وهو يشعر بشيء من الحسد، لا سيما وأن حياته كانت بلا هدف ومن دون دون أسرته ومهنته.

تابع ماركو: "لقد ساعدي رجل عظيم للعودة إلى الله. وبالمناسبة، ذلك الرجل كان البابا. فقد التقى به شخصياً عدة مرات".
"المعذرة... البابا!."
"أجل".

"مثلك... زعيم الكنيسة الكاثوليكية؟".
"أجل. إن كنت ترغب، يمكنني على الأرجح أن أرتب لقاءً معه من أجلك".
حق أفيلا إلى الشاب كما لو أنه فقد عقله. "يمكنك أن ترتب لي لقاءً مع البابا؟".
بدا ماركو كما لو أنه شعر بالإهانة. "أنا أدرك أنك ضابط كبير في البحرية، ولا تستطيع أن تخيل أن مدرباً فيزيائياً معوقاً من إسبانيا يمكنه الوصول إلى شخصية دينية كهذه، ولكنني أقول الحقيقة. بإمكانني أن أرتب لك لقاءً معه إن أردت. وسيعيدك على الأرجح إلى الطريق الصحيح؛ تماماً مثلما ساعديني".

اتكأ أفيلا على العارضتين المتوازيتين غير واثق بما يجيب. فقد كان شديد الإعجاب بالبابا في تلك الفترة، والذي كان زعيماً محافظاً وقوياً يشر بالأنوثونوكية وتقاليدها الصارمة. لكن مع الأسف، انهالت عليه الانتقادات من كل حدب وصوب في العالم الحديث، وكانت ثمة شائعات بأنه سيقرر التقادع قريباً أمام الضغط الليبرالي المتمامي. "سيشرفنني لقاءً بالطبع، لكن -"

قال ماركو: "هذا جيد، سأحاول أن أرتب لقاءً لك معه غداً".
لم يتخيّل أفيلا يوماً أن يجد نفسه في اليوم التالي جالساً في أعماق محراب آمن، وجهاً لوجه مع زعيم قويٍ سيعلمه الدرس الديني الأكبر في حياته.
طرق الخلاص عديدة.
والغفران ليس السبيل الوحيد.

المفصل 37

في الطابق الأرضي من قصر مدريد، تحتل المكتبة الملكية جناحاً هائلاً ومزخرفاً من الغرف التي تحتوي على آلاف المجلدات التي لا تقدر بثمن، بما في ذلك كتاب الساعات المزخرف الخاص بالملكة إيزابيلا، والأنجيل الشخصية لعدة ملوك، ومخطوطة مجلدة بالحديد من حقبة الملك ألفونسو الحادي عشر.

دخل غارزا مسرعاً بسبب عدم رغبته في ترك الأمير بمفرده في الطابق العلوي بين برائش فالديسيبينو لمدة طويلة. كان لا يزال يحاول استيعاب خبر لقاء فالديسيبينو بكيرش قبل أيام فقط، وقراره إبقاء ذلك اللقاء طي الكتمان. حتى في ضوء العرض الذي قدمه كيرش الليلة ومقتله؟

اقترب غارزا عبر ظلام المكتبة الشاسعة من منسقة العلاقات العامة مونيكا مارتن التي كانت تنتظر في الظل حاملة جهازها اللوحي المتوهج.

قالت مارتن: "أنا أدرك أنك مشغول يا سيدي، ولكننا نواجه وضعًا شديد الحساسية من ناحية التوقيت. لقد ذهبت للبحث عنك لأن مركز الأمن لدينا قد تلقى رسالة مزعجة بالبريد الإلكتروني من [ConspiracyNet.com](#) ."

"مم؟".

هذا موقع شعبي متخصص بنظرية المؤامرة. صحيح أنَّ مقالاته ريبة ومتبنية المستوى، ولكنهم يملكون ملايين المتابعين. إن أردت رأيي، إنَّ أخبارهم زائفة، ولكن الموقع يحظى باحترام كبير بين أصحاب نظريات المؤامرة".

وجد غارزا عباري "احترام كبير وـ"نظرية المؤامرة" متناقضتين تماماً.

تابعت مارتن كلامها قائلة: " كانوا يتبعون قضية كيرش طوال الليل، ولا أدرى من أين يحصلون على معلوماتهم. لكنَّ الموقع أصبح مركزاً للمدونين وأصحاب نظريات المؤامرة الجدد. حتى إنَّ الشبكات ترجع إليهم للحصول على الأخبار العاجلة".

فالجَّ عليها غارزا قائلاً: "اذبهي إلى صلب الموضوع".

قالت مارتن وهي تدفع النظارة على وجهها: "لقد حصل موقع ConspiracyNet على معلومات جديدة تتعلق بالقصر، وسيعلنون عنها خلال عشر دقائق، وأرادوا إعطاعنا الفرصة للتعليق عليها مسبقاً".

حق غارزا إلى المرأة الشابة غير مصدق. "القصر الملكي لا يعلق على القيل والقال!".

فحملت مارتن جهازها اللوحي قائلة: "ألق عليها نظرة على الأقل".

انتزع غارزا الجهاز من بين يديها، ووجد نفسه يحذق إلى صورة أخرى لأميرال البحرية لويس أفيلا. لم يظهر أفيلا في وسط الصورة؛ إذ بدت وكأنها التقطت عن طريق المصادفة، بل كان بلباسه الأبيض الكامل يمر أمام لوحة. يبدو أن الصورة قد التقطت له من قبل أحد زوار المتحف الذي كان يحاول تصوير تحفة فنية، وقد ظهر في الصورة عن غير قصد.

قال غارزا بحدة وهو يتلهف للعودة إلى الأمير فالديسيينو: "أنا أعرف شكل أفيلا. لماذا تريني هذه الصورة؟".

"انقل إلى الصورة التالية".

مسح غارزا الشاشة ليرى تكبيراً للصورة السابقة. كانت هذه النسخة ترکَّز على يد الأميرال اليمني وهي تتراجع أمامه أثناء سيره. رأى غارزا على الفور العلامة على راحة يده، والتي بدت كالوشم.



حق إلى الصورة مطولاً. كان رمزاً يعرفه جيداً، شأنه شأن الكثير من الإسبان؛ ولا سيما الأجيال الأكبر سنًا. رمز فرانكو.

كان الرمز الذي ظهر في أماكن كثيرة في إسبانيا في أواسط القرن العشرين مرادفاً للديكتatorية شديدة المحافظة التي مارسها الجنرال فرانسيسكو فرانكو خلال حكمه. والذي كان حكماً وحشياً ينادي بالقومية، والاستبداد، والعسكرة، ومعاداة الليبرالية، والكاثوليكية القومية.

كان غارزا يعرف أن هذا الرمز القديم مكون من ستة أحرف، تؤلف معاً باللاتينية كلمة واحدة تعرف تماماً صورة فرانكو الذاتية. فيكتور (المنتصر).

امتناز فرانسيسكو فرانكو بشخصية عنيفة ومتصلبة لا ترحم. وقد وصل إلى السلطة بفضل الدعم العسكري الذي قدمته له ألمانيا النازية وإيطاليا التي كانت خاضعة لحكم

موسوليني، وقتلآلافاً من خصومه قبل الاستيلاء الكامل على السلطة في البلاد عام 1393، ليعلن نفسه الكوديو؛ وهو المرادف الإسباني لفوهرر. وخلال الحرب الأهلية وأولى سنوات ديكاتوريته، كان من يتجزأ على معارضته يختفي في المعقلات التي أعدم فيها ما يُقدّر بثلاثمائة ألف شخص.

صَوْرَ نفْسِه مَدَافِعًا عَنْ "إِسْبَانِيَا الْكَاثُولِيْكِيَّةَ"، وَعَدَوْا لِلشِّيُوعِيَّةِ الْمَلَحَدَةِ، وَتَمَيَّزَ بِعُقْلَيَّةِ نَكُورِيَّةِ صَارَخَةٍ. فَاسْتَبَعَ النَّسَاء رَسْمِيًّا مِنْ أَيِّ مَنَاصِبٍ فِي السُّلْطَةِ، وَبِالْكَادِ أَعْطَاهُنَّ حَقْوَقًا فِي مَجَالَاتِ التَّعْلِيمِ، وَالْقَضَاءِ، وَالْحَسَابَاتِ الْمَصْرِفِيَّةِ، أَوْ حَتَّىِ الْحَقَّ فِي الْفَرَارِ مِنْ زَوْجِ يَسِيءِ مَعْالِمِهِنَّ. أَلْغَى كُلَّ الْزِيَاجَاتِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَفَقًا لِلْعِقِيدَةِ الْكَاثُولِيْكِيَّةِ. وَمِنْ بَيْنِ القيود الأخرى، حظر الطلاق، ووسائل منع الحمل، والإجهاض، والمتتبّلة.

لَقَدْ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ الْآنَ.

حَتَّىِ إِنْ غَارِزاً يَتَعَجَّبُ مِنْ مَدِي سَرْعَةِ نَسْيَانِ الْأَمَةِ أَحْلَكَ الْفَرَاتَ فِي تَارِيخِهَا. فِي الْوَاقِعِ، نَصَّ اِنْقَاقِ النَّسِيَانِ (*pacto de olvido*)—وَهُوَ اِنْقَاقٌ سِيَاسِيٌّ عَدَدُ عَلَىِ صَعِيدِ الْبَلَادِ بِأَكْمَلِهَا لِنَسْيَانِ كُلِّ مَا حَدَثَ تَحْتَ نَيرِ فَرانِكُو—عَلَىِ أَلَا يَتَمْ تَعْلِيمُ تَلَامِذَةِ الْمَدَارِسِ فِي إِسْبَانِيَا سَوْيِ الْقَلِيلِ جَدَّاً عَنِ الدِّيَكَاتُورِ. وَقَدْ كَشَفَ اِسْتِطَاعَ لِلرَّأْيِ فِي إِسْبَانِيَا أَنَّ الْمَرَاهِقِينَ يَعْرَفُونَ الْمَمَّلِ جَائِمِسَ فَرانِكُو أَكْثَرَ مَا يَعْرَفُونَ الْدِيَكَاتُورِ فَرَانِسِيُّكُو فَرانِكُو.

أَمَّا الْأَجِيَالُ الْأَكْبَرُ سَنَّاً فَلَنْ تَنْسِيَ أَبَدًا. وَهَذَا الرَّمْزُ، شَانِهِ شَانِ الْصَّلِيبِ النَّازِيِّ الْمَعْقُوفِ، مَا زَالْ يُثِيرُ الْخُوفَ فِي قُلُوبِ مَنْ يَنْكُرُونَ تَلَكَ الْسَّنَوَاتِ الْوَحْشِيَّةِ. وَحَتَّىِ هَذَا الْيَوْمِ، يُحَذِّرُ الْمَرَاقبُونَ مِنَ أَنَّ أَعْلَىِ الْمَسْتَوَاتِ فِي الْحُكُومَةِ الإِسْبَانِيَّةِ وَالْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيْكِيَّةِ مَا زَالَتْ تَنْوِي فَصِيلَةَ سَرِيَّةَ مِنْ أَنْصَارِ فَرانِكُو؛ وَهُمْ عَبَارَةٌ عَنِ الْأَخْوَيَّةِ خَفِيَّةٍ مِنِ التَّقْلِيَّدِيِّينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا عَلَىِ إِعْدَادِ إِسْبَانِيَا إِلَىِ قَنَاعَاتِهَا الْيَمِينِيَّةِ الْمُنْتَرَفَةِ الَّتِي سَادَتْ فِيِ الْقَرْنِ الْمَاضِيِّ.

كَانَ عَلَىِ غَارِزاً أَنْ يُقْرَرَ بِوُجُودِ الْكَثِيرِ مِنِ الْعَقْلَيَاتِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَنْتَظِرُ إِلَىِ فَوْضِيِّ إِسْبَانِيَا الْمُعَاصِرَةِ وَلَا مَبَالِاتِهَا الرُّوحِيَّةِ، وَيَشْعُرُ أَنَّهُ لَا يَمْكُنُ إِنْقَاذُ الْبَلَادِ إِلَّا بِدُولَةِ دِينِيَّةِ، وَيَحْكُمُهُ أَكْثَرُ اِسْتِبْدَادِيَّةِ، وَيَفْرُضُ تَوجِيهَاتِ أَخْلَاقِيَّةِ أَكْثَرِ وَضُوحاً.

كَانُوا يَصِيحُونَ: اِنْظُرُوا إِلَىِ شَبَابِكُمْ! لَقَدْ انْحرَفُوا جَمِيعًا!

وَفِيِ الْأَشْهُرِ الْأُخِيرَةِ، وَمَعَ اِقْرَابِ اِنْتِقَالِ الْعَرْشِ الإِسْبَانِيِّ إِلَىِ الْأَمِيرِ جُولِيانِ الْأَصْغَرِ سَنَّاً، يَتَزَلَّدُ الْخُوفُ بَيْنِ التَّقْلِيَّدِيِّينَ مِنَ أَنْ يَصِيقُ الْقَصْرُ الْمَلَكِيُّ نَفْسَهُ صَوْتًا آخَرَ مِنِ الْأَصْوَاتِ الْمَنَابِيَّةِ بِالتَّغْيِيرِ التَّدْرِيْجِيِّ فِيِ الْبَلَادِ. وَمَا زَادَ مِنْ قَلْقِهِمْ هُوَ اِرْتِبَاطُ الْأَمِيرِ مُؤْخَرًا بِأَمْبِرَا فِيدَالِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مِنِ الْبَاسِكِ فَحْسَبٍ، بَلْ لَا أَدْرِيَةَ صَرِيْحَةِ. وَيَصْفُهَا مَلَكَةُ إِسْبَانِيَا الْمُسْتَقْبِلَيَّةِ، سَيْكُونُ لَهَا بِلَا شَكَّ تَأْثِيرٌ عَلَىِ الْأَمِيرِ فِيِ مَسَائلِ الْكَنِيسَةِ وَالْوَلَوْلَةِ.

عرف غارزا أن أياماً خطيرة تنتظر البلاد. مرحلة انتحالية مثيرة للجدل بين الماضي والحاضر.

بالإضافة إلى تعمق الصدع الديني، تواجه إسبانيا مفترق طرق سياسياً أيضاً. فهل ستحافظ البلاد على حكمها الملكي؟ أم أنَّ التاج الملكي سيلغى نهائياً كما جرى في النمسا وال مجر والكثير من الدول الأوروبية الأخرى؟ وحده الزمن كفيل بالإجابة عن هذين المسؤولين. ففي الشوارع، يرفع التقليديون الأكبر سنًا الأعلام الإسبانية، في حين يرتدي الشباب التقديميون بفخر الألوان المعارضة للملكية: الأرجواني، والأصفر، والأحمر؛ وهي ألوان الراية الجمهورية القديمة.

سيُرث جولييان برميلاً من البارود.

قالت مارتن وهي تُعيد انتباه غارزا إلى الجهاز اللوحي: "عندما رأيت وشم فرانكو للمرة الأولى ظننت أنه ربما يكون قد أضيف إلى الصورة رقمياً كخدعة، أقصد لإثارة البلبلة. فجميع مواقع المؤامرة تتنافس على حركة المرور في مواقعها، والرابط الفرانكوي سيحظى بتجاوب هائل؛ لا سيما بسبب طبيعة محاضرة كيرش المعارضة للمسيحية".

ادرك غارزا أنها على حق. أصحاب نظرية المؤامرة سيتفقون هذا الخبر بجنون.

أشارت مارتن إلى الجهاز. "اقرأ التعليق الذي ينونون نشره".

نظر غارزا بربع إلى النص الطويل الذي يرافق الصورة.

ConspiracyNet.com

جديد إدموند كيرش

على الرغم من الشكوك الأولية في أنَّ مقتل إدموند كيرش تم على يد أشخاص متخصصين، إلا أنَّ اكتشاف هذا الرمز الفرانكوي شديد المحافظة يُشير إلى أنَّ الاختيال قد تكون له دوافع سياسية أيضاً. وتشير الشكوك إلى أنَّ لاعبين محافظين في أعلى مستويات الحكومة الإسبانية، وربما حتى داخل القصر الملكي نفسه، يخوضون نزاعاً على السلطة في ظل الفراغ الذي خلفه غياب الملك ووفاته الوشيكة...

قال غارزا بعدما قرأ ما فيه الكفاية: "هذا مثير. أكلَ هذه التكهنات بسبب وشم؟! هذا لا يعني شيئاً. فباستثناء حضور أميراً في حال خلال التصوير، لا علاقة إطلاقاً لهذه القضية بسياسة القصر الملكي. لا تعليق".

الحت مارتن قائلة: "سيدي، إن واصلت قراءة التعليق فستكتشف أنهم يحاولون أن يربطوا الأسقف فالديسبيينو بالأميرال أفيلا مباشرة. فهم يقولون إن الأسقف قد يكون فرانكوباً سرّياً يهمس في أذن الملك منذ سنوات ويمنعه من إحداث تغييرات جذرية في البلاد". وصمتت قليلاً ثم أضافت: "ويحظى هذا الادعاء باستحسان كبير على الشبكة". مجدداً، وجد غارزا نفسه عاجزاً عن الكلام. فهو لم يعد يعرف العالم الذي يعيش فيه.

لم تعد الأخبار الوهمية أقل وزناً من الأخبار الحقيقة.

رمق مارتن، وبذل ما في وسعه للتكلّم بهدوء: "مونيكا، كلّ هذا من صنع خيال المدونين بغرض التسلية. أوكد لك أنَّ فالديسبيينو ليس فرانكوباً. فقد خدم الملك بأمانة على مدى عقود، ولا يمكن أن يكون متورطاً مع قاتل فرانكوبا. لن يعلق القصر على هذا الخبر، وهذا واضح؟". ثُمَّ استدار متوجهاً إلى الباب للعودة إلى الأمير وفالديسبيينو بأسرع ما يمكن.

"مهلاً سيدي!". مدَّت مارتن يدها وأمسكت بذراعه.

فتوقف غارزا وحدق مصدوماً إلى يد موظفته الشابة.

عنئذ، سحبت مارتن يدها على الفور. "أنا آسفة سيدي، لكنَّ الموقع أرسل لنا تسجيلاً لمكالمة هاتمية جرت في بودابست للتَّو". رفت عينيها بعصبية خلف عستَي نظارتها السميكتين وتابعت: "لن يعجبك ما ستسمعه أيضاً".

الفصل 38

لقد اغتيل رئيسي.

شعر القبطان جوش سيفل بيديه ترتجفان على المقود وهو يقود طائرة إدموند كيرش، غولفستريم G550، نحو المدرج الرئيس في مطار بيلاو. أنا لست في حالة تسمح لي بالطيران. قال ذلك مدركاً أن مساعدته مصدوم بقدرها. قاد سيفل طيارات إدموند كيرش الخاصة منذ سنوات عديدة، لذا سببت له حادثة الاغتيال المروعة هذه الليلة صدمة هائلة. فقبل ساعة، كان سيفل ومساعدته جالسين في صالة المطار يشاهدان البث الحي من متحف غوغنهايم.

على مازحاً بمرح على قدرة رئيسه على حشد هذا العدد الضخم من المشاهدين: "هذا الرجل يعيش الدراما". وبينما كان يشاهد البرنامج، وجد نفسه يميل إلى الأمام؛ شأنه شأن بقية المشاهدين في القاعة، مع تصاعد الفضول، إلى أن تغير مجرى الأحداث على نحو مفاجئ ومروع.

في أعقاب الحادثة، جلس سيفل ومساعدته وقد شلتهم الصدمة وهم يشاهدان التغطية التلفزيونية ويتساءلان عما سيفعلانه الآن.

رن هاتف سيفل بعد عشر دقائق، وكان المتصل مساعد إدموند الشخصي وينسون. لم يكن سيفل قد التقى الشاب البريطاني يوماً، وعلى الرغم من غرابته بعض الشيء، إلا أنه اعتاد على تنسيق الرحلات معه.

قال وينسون: "إن لم تشاهدنا التلفاز بعد، يجدر بكما تشغيله".

قال سيفل: "لقد رأينا ما حدث، وكلانا مصدومان".

قال وينسون بنبرة عملية غريبة على الرغم مما جرى: "تريد منكما إعادة الطائرة إلى برشلونة. استعدا للإقلاع، وسانتصل بكما قريباً. رجاءً، لا تقلعا قبل أن نتحدد".

لم يكن سيفل يملك أدنى فكرة عما إذا كانت تعليمات وينسون ستتماشى مع رغبات إدموند لو كان لا يزال على قيد الحياة. لكن في الوقت الحالي، شعر أنه ممن لأي نوع من التوجيه.

وبناء على أوامر وينسون، ملأ سيفل ومساعدته بيانات الرحلة إلى برشلونة من دون ركاب، ثم أخرجوا الطائرة من الحظيرة وبدأ عمليّة الفحص التحضيريّة.

مررت ثلثون دقيقة قبل أن يتصل وينستون مجدداً. "هل أنتما مستعدان للإفلات؟".
"أجل."

"هذا جيد. أفترض أنكم ستسخمان المدرج الشرقي المعتاد؟".
"هذا صحيح". كان سيغيل يجد في بعض الأحيان أن وينستون شديد الدقة
والاطلاع إلى حد مثير للأعصاب.

"من فضلك، اتصل ببرج المراقبة واطلب تصريحاً بالإفلات. تقدم إلى طرف المحيط
الجوي، ولكن لا تدخل المدرج".

"هل أتوقف على الطريق؟".

"أجل، لحقيقة وحسب. أخبرني من فضلك عندما تصل إلى هناك".
نظر سيغيل ومساعده إلى بعضهما باستغراب، إذ لم يكن لطلب وينستون أي معنى
على الإطلاق.

قد يسأل برج المراقبة عن السبب.

مع ذلك، قاد سيغيل الطائرة باتجاه بداية المدرج عند الطرف الغربي للمطار. وكان
يسير بها الآن على طول الأمتار المائة الأخيرة للطريق المؤدية إليه، في النقطة التي
ينعطف فيها الرصيف تسعين درجة إلى اليمين، ويندمج ببداية المدرج المتوجه شرقاً.

قال سيغيل وهو يتحقق إلى السياج الأمني العالي الذي يحيط بأرض المطار:
"وينستون، لقد وصلنا إلى آخر الطريق المؤدية إلى المدرج".

فقال وينستون: "انتظر هناك من فضلك، سأعود إليك".

لا يمكنني الانتظار هنا! أخذ سيغيل يتتساول عما يفعله وينستون بالضبط. لحسن
الحظ، لم تُظهر كاميرات الرؤية الخلفية للطائرة وجود أي طائرات خلفه، هذا يعني أنه لا
يعيق حركة المرور على الأقل. كانت الأضواء الوحيدة منبعثة من برج المراقبة، وكانت
عبارة عن وهج خفيف من الطرف الآخر من المدرج، على مسافة ميلين تقريباً.
مررت سنتون ثانية.

تصاعد صوت من السماء: "معكم برج المراقبة. EC346، يمكنكم الإفلات على
المدرج رقم واحد. أكّرر، يمكنكم الإفلات".

لم يكن سيغيل يريد شيئاً سوى ذلك، ولكنه كان لا يزال ينتظر كلمة من مساعد
إيموند، لذا قال: "شكراً لكم. ولكننا بحاجة للوقوف هنا لحقيقة واحدة أخرى. لدينا ضوء
إنذار نتحقق منه".

"حسناً، يرجى إخبارنا عندما تصبح جاهزاً".

الفصل 39

سألهما قبطان قارب الأجرة: "هنا! أتريدان التوقف هنا؟ لكن المطار بعيد، يمكنني أن أقلّكما إلى هناك.".

قال لانغدون مطبيقاً تعليمات وينستون: "شكراً لك، ستنزل هنا".
هز القبطان كفيه وأوقف القارب بجانب جسر صغير كتب عليه بويرتو بيديا.
كانت ضفة النهر مكسوة بالأعشاب الطويلة، وبدا الوصول إليها ممكناً نوعاً ما. على الفور، بدأت أمبرا ترجل من القارب وتشقّ طريقها على المنحدر.
سأل لانغدون القبطان: "بكم ندين لك؟".

أجاب الرجل: "لا شيء. لقد دفع لي صديقكم البريطاني مسبقاً ببطاقة الائتمان، ثلاثة أضعاف الأجر

دفع وينستون مسبقاً. ما زال لانغدون غير معتاد على العمل مع مساعد كيرش الإلكتروني. كما لو كنت أملك تطبيق "سيري" يعمل على المنشآت.
ادرك لانغدون أن قدرات وينستون لا ينبغي أن تفاجئ أحداً، بالنظر إلى الأخبار اليومية حول الذكاء الاصطناعي القادر على تأدية جميع أنواع المهام المعقّدة، بما في ذلك كتابة الروايات. حتى إن كتاباً من هذا النوع كاد ينال جائزة أدبية يابانية.
شكر لانغدون القبطان، وقفز من القارب على الضفة. وقبل أن يتسلق المنحدر، التفت إلى القبطان الحائز، ثم رفع إصبعه إلى شفتيه وقال بالإسبانية: "كما اتفقنا".

فأكّد له القبطان وهو يعطي عينيه: "أجل، أجل. أنا لم أر شيئاً!".
عند ذلك، أسرع لانغدون يتسلق التل، ثم عبر سكة قطار وانضم إلى أمبرا على طرف طريق قروي منحدر اصطفت على جانبيه محلات تجارية جميلة.
أتاه صوت وينستون عبر مكبر الصوت: "بحسب الخارطة، ينبغي أن تكوننا عند تقاطع بويرتو بيديا وقناة ريو أسوa. هل تريان مستديرة صغيرة في وسط البلدة؟".
أجبت أمبرا: "أنا أراها".

"جيد. قبالة المستديرة تماماً، ستجدان طريقاً صغيرة تسمى بايكى بيديا. اسلكاها لتبتعدا عن وسط القرية".

بعد دقيقتين، كان لأنغدون وأمبرا قد تركا القرية، ويحثان الخطى على طول طريق ريفي انقرضت حوله منازل حجرية محاطة بمساحات من المراجع العشبية. وبينما كانوا يتوجّلان أكثر في تلك المنطقة الريفية، شعر لأنغدون بوجود خطب ما. إلى يمينهما في البعيد، فوق قمة تلة صغيرة، توهّجت السماء بقبة ضبابية من التلوّث الضوئي.

قال: "إن كانت تلك مصابيح محطة الطيران النهائية، فنحن بعيدان جدًا".

قال وينستون: "المطار على بعد ثلاثة كيلومترات من موقعكما".

تبادل أمبرا لأنغدون نظرات الدهشة. فقد قال لها وينستون إن المسافة تستغرق ثمانى دقائق سيراً على الأقدام.

تابع وينستون: "بحسب صور أقمار غوغل الاصطناعية، يقع إلى يمينكما حقل كبير. هل يبدو عبوره ممكناً؟".

نظر لأنغدون إلى حقل القش إلى اليمين الذي يرتفع بلطاف إلى الأعلى باتجاه مصابيح المحطة النهائية.

أجاب لأنغدون: "يمكننا تسلقه بكل تأكيد، لكن ثلاثة كيلومترات ستستغرق -"

"بروفيسور، تسلقا التلّ وحسب واتبعوا تعليماتي بدقة". كانت نبرة وينستون مهذبة وخالية من الانفعال كالعادة، لكن لأنغدون أدرك مع ذلك أنه تعرض للتلوّبix.

فهمست أمبرا وقد بدّلت التسلية على ملامحها وهي شرع في صعود التلّ: "تهانينا، هذا أقرب شيء إلى الغضب أسمعه من وينستون".

أعلن الصوت عبر سماعة سيفل: "EC346، معكم مركز التحكم بحركة الطيران. عليكم إخلاء الطريق والإقلاع أو العودة إلى الحظيرة لإجراء الإصلاحات. ما الوضع لديكم؟".

فكتب سيفل قائلاً وهو ينظر إلى كاميرا الرؤية الخلفية: "ما زلنا نعمل على العطل". لم يز طائرات خلفه، بل مصابيح البرج البعيدة وحسب. "أحتاج إلى نسخة أخرى". "علم، أبقونا على اطلاع".

رمت مساعد الطيار على كتف سيفل، وأشار إلى شيء ما من خلال الزجاج الأمامي.

نظر سيفل إلى حيث أشار مساعدته، ولكنّه لم يز سوى السياج المرتفع أمام الطائرة. فجأة، من الجهة الأخرى من شبكة الحاجز، تراءى له شبح. لكن، ماذا يجري؟! في الحقل المظلم خلف السياج، ظهر طيفان من الظلام، وراح يهبطان سفح تلة ويتجهان نحو الطائرة مباشرة. ومع اقترابهما، لمح سيفل الوشاح الأسود المائل المميّز على فستان أبيض سبق له أن رأه هذه الليلة على شاشة التلفزيون.

هذه أميراً فيدال؟!

سبق لأميراً فيدال أن رافق كيرش في عدد من تنقلاته. وكان سيفل يشعر دائماً أن قلبه يقفز من مكانه كلما صعدت الحسناً الإسبانية على متن الطائرة. غير أنه لم يستطع أن يفهم على الإطلاق ما تفعله الآن في أحد المراعي خارج مطار بيلباو. رافق أميراً رجل طويل القامة، يرتدي هو أيضاً ملابس رسمية باللونين الأسود والأبيض. فتذكّر سيفل أنه رأه هو الآخر في برنامج هذا المساء.

البروفيسور الأميركي روبرت لانغدون.

عاد صوت وينستون فجأة: "سيد سيفل، يفترض أنك ترى الآن شخصين من الجانب الآخر من السياج، ولا شك في أنك ستتعرفهما". وجد سيفل نبرة البريطاني هادئة على نحو مريب. "أرجو أخذ العلم أنه نظراً لظروف أحفظ على شرحها تماماً، سأطلب منك الامتثال لرغباتي نيابة عن السيد كيرش. كل ما عليك معرفته الآن هو التالي". صمت وينستون قليلاً قبل أن يضيف: "الأشخاص أنفسهم الذين اغتالوا إيموند كيرش يحاولون الآن قتل أميراً فيدال وروبرت لانغدون. وحافظاً على سلامتهم، نحن نطلب مساعدتكما".

تمتم سيفل محاولاً استيعاب ما سمعه: "لكن... بالطبع".

تحتاج الآنسة فيدال والبروفيسور لانغدون إلى الصعود على متن طائرتك حالاً.

سأله سيفل: "من هنا؟".

"أنا أدرك المشكلة التقنية التي تطرحها مراجعة بيان الركاب، لكنـ"

"وهل تدرك المشكلة التقنية التي يطرحها سياج أمني بارتفاع عشر أقدام يحيط بالمطار؟!!".

قال وينستون بهدوء: "بالطبع، سيد سيفل. أنا أدرك أننا لم نعمل معًا سوى لبضعة أشهر، لكنني أرجوك أن تثق بي. أنا أطلب منك ما كان سيطلبه إيموند تماماً في وضع كهذا".

أصغى سيفل إلى وينستون غير مصدق، فيما كان هذا الأخير يعطيه تفاصيل الخطبة.

احتَجْ قائلاً: "هذا مستحيل!".

قال وينستون: "بل على العكس، إنه ممكن جداً. وزن كل محرك يزيد عن خمسة عشر ألف باوند، ومحروط مقمرة الطائرة مصمم لتحمل سبعينات ميلـ"

قال سيفل: "أنا لست قلقاً بشأن الفيزياء، بل بشأن قانونية عمل كهذا، وكذلك بشأن سحب رخصتي!".

أجاب وينستون بصوت هادئ: "أنا أفهم ذلك سيد سيغل، لكن ملكة إسبانيا المستقبليّة في خطّر حالياً، ويمكنك إنقاذ حياتها. صدقني، عندما تظهر الحقيقة، لن تتفّلّى التوبّيخ، بل ستتّال ميدالية ملكية من الملك".

وقف لانغدون وأمبرا بين الأعشاب العالية، وراحَا يحدّقان إلى السياج الأمني المرتفع والمضاء بمصابيح الطائرة.

طلب من وينستون، ابتعدا عن السياج بينما هدرت محركات الطائرة وبدأت تتقدّم إلى الأمام. لكن عوضاً عن اتّباعها الطريق المنحنية المؤدية إلى المدرج، تابعت الطائرة تقدّمها نحوهما مباشرة، وعبرت خطوط الأمان المطلية، ثُمّ مشّت على طرف الإسفلت. أبطأت من سرعتها، وراحّت تقترب تدريجيّاً من السياج.

لاحظ لانغدون الآن أن مخروط مقدمة الطائرة أصبح مهانّياً تماماً لأحد أعمدة الدعم الفولاني الثقيلة التي تثبّت السياج. ومع اصطدام مقدمة الطائرة الضخمة بالعمود، هدرت المحركات بخفة شديدة.

توقع لانغدون معركة أكثر شراسة، لكن يبدو أنّ محركي الرولز رويس وطائرة بوزن أربعين طنّاً كانت أكثر مما يستطيع عمود هذا السياج احتماله. فعلى الفور، مال العمود نحوهما مصدرًا صريراً معدنيّاً، وشدّ معه جزءاً كبيراً من الإسفلت الملتصق بقاعنته، كما لو كان جذور شجرة تسقط.

هرع لانغدون وأمسك بالسياج وهو يسقط، ثُمّ شدّه إلى الأسفل إلى أن تمكن هو وأمبرا من العبور من فوقه. وبوصولهما إلى المدرج، كان سلّم الطائرة قد انزل، ووقف أعلاه طيار بزيه الرسمي وهو يلوح لهما للصعود.

ارتسمت ابتسامة صغيرة على وجه أمبرا وعلقت قائلة: "أما زلت تشكّ في وينستون؟".

غير أنّ لانغدون كان عاجزاً عن الكلام.

سارعا إلى صعود السلّم ودخول مقصورة الطائرة الفخمة. وفي تلك اللحظة، سمع لانغدون الطيّار الثاني في قمرة القيادة يتحدّث إلى برج المراقبة.

كان يقول: "أجل، أنا أقرأ، لكن قد يكون راداركم الأرضي مخطئاً. فنحن لم نخرج عن الطريق المؤدية إلى المدرج. أكّرر، نحن ما زلنا على الطريق المؤدية إلى المدرج. لقد انطفأ ضوء الإنذار لدينا، ونحن مستعدان للإقلاع".

أغلق مساعد الطيّار باب الطائرة، بينما راح الطيّار يتراجع إلى الخلف ويُبعد الطائرة إلى مسارها بعيداً عن السياج المخرب. وبعد ذلك، بدأت الطائرة دورتها حول المدرج.

على المقعد المقابل لأميرا، أغمض رويرت لأنغدون عينيه للحظة وتنهَّد. هدرت
المحركات في الخارج، وشعر بتسارع الطائرة وهي تسير على المدرج.
بعد ثوانٍ، أقلعت الغولفستريم وانحرفت نحو الجنوب الشرقي، ثم حلقت في سماء
الليل باتجاه برشلونة.

الفصل 40

هرع الحاخام يهودا كوفيس من مكتبه، ثم عبر الحديقة وخرج من باب منزله ليهبط الدرجات المؤدية إلى الرصيف.

قال لنفسه وقلبه ينبض هلاً: لم أعد آمناً في منزلي. على اللجوء إلى الكنيس.

لم يكن كنيس شارع دوهاني ملذاً كوفيس طوال حياته فحسب، بل وحصنًا حقيقياً أيضاً. فالحواجز، والأسوار الشائكة، والحراس على مدى أربع وعشرين ساعة كلها تذكر بتاريخ بودابست الطويل المعادي للسامية. ولليلة، شعر الحاخام بالامتنان لامتلاكه مفاتيح هذه القلعة.

كان الكنيس يبعد خمس عشرة دقيقة عن منزله، وهي مسافة يجتازها باطمئنان يومياً سيراً على الأقدام. غير أنه الليلة، حين بدأ يسير في شارع كوسوث لا يوس لم يشعر سوى بالخوف. أخفض رأسه وتختصر بحد ذاته الظلال أمامه وهو يبدأ رحلته.

على الفور، رأى شيئاً سبباً له التوتر.

فقد لمح شكلاً داكناً لشخص جالس على مقعد في الجهة المقابلة من الشارع، رجل قوي البنية يرتدي سروال جينز أزرق ويضع قبعة بaisbol، ينفر على هاتقه الذكي الذي أضاء وجهه الملتحي.

حدث كوفيس خطأ مفتكراً في سره، هذا الرجل ليس من الجوار.

رفع الرجل رأسه ورافق الحاخام للحظة، ثم عاود النظر إلى هاتقه، فزاد كوفيس من سرعته. بعد مسافة قصيرة، التفت إلى الخلف بعصبية. لسوء حظه، لم يعد الرجل جالساً على المقعد، بل عبر الشارع وبدأ يسير على الرصيف خلف كوفيس. إنه يعني! أخذ الحاخام المسن يزيد من سرعته حتى بدأ يلهث. وتساءل عمّا إذا كان قد ارتكب خطأ فظيعاً بمعادرته منزله.

لقد حذّى فالديسيينو على البقاء في المنزل! ومن قررت أن أثق؟

كان كوفيس ينوي انتظار وصول رجال فالديسيينو لمراقبته إلى مدريد، لكن المكالمة الهاتفية غيرت كل شيء. إذ بدأت بذور الشك تنمو داخله بسرعة.

حدّرته المرأة عبر الهاتف قائلة: "لن يرسل الأسقف رجالاً لنقلك إلى مدريد بل للتخلص منك تماماً كما تخلص من سيد الفضل". ثم قدّمت له أللّة مقنعة جداً أثارت ذعره ودفعته إلى الفرار.

والآن، بينما كان يتوجه مسرعاً إلى الكنيس، خشي ألا يتمكّن من الاحتماء فيه أساساً. فالرجل صاحب القبعة ما زال خلفه، يتعقبه على مسافة نحو خمسين متراً. مرق صرير قوي سكون الليل، فأجفل كوفيس. لكنه سرعان ما أدرك بارتياح أن حافلة توقفت عند إحدى المحطّات على مقربة منه. وشعر وهو يهرع للصعود على متنها كما لو أن الله أرسّلها إليه. كانت الحافلة مزدحمة بالطلاب الجامعيين، وقام اثنان منهم بإفساح مكان له في المقدمة بتهذيب.

قال الحاجم وهو يلهث: "شكراً لكما".

لكن قبل أن تستأنف الحافلة سيرها، هرول صاحب القبعة والجينز خلفها وتمكن في اللحظة الأخيرة من الصعود إلى متنها.

تصلب كوفيس، لكن الرجل تجاوزه من دون أن يلقي عليه أي نظرة، وجلس على مقعد خلفي. استطاع الحاجم أن يرى من خلال الانعكاس على الزجاج الأمامي أن الرجل قد عاد للاستغرق في هاتفه الذكي، وأنهمك على ما يبدو في إحدى ألعاب الفيديو.

فكّر في سره: لا تكن سيد الشّكّاك يا يهودا، فهذا الرجل لا يهتمّ بك.

وعندما وصلت الحافلة إلى محطة شارع دوهاني، حدق كوفيس بشوق إلى أبراج الكنيس الذي لم يكن يبعد سوى مسافة بضعة أبنية؛ غير أنه لن يتمكّن من حمل نفسه على ترك أمان الحافلة المزدحمة.

إن ترجلت الآن، ولحق بي الرجل...

وهكذا بقي جالساً على مقعده، وقرر أنه على الأرجح سيكون آمناً أكثر بين الناس. وفكّر في سره: يمكنني البقاء في الحافلة لبعض الوقت لانتفاثر أنفاسي، مع أنه تمنى الآن لو استخدم الحمام قبل أن يغادر منزله بهذه السرعة.

لم تمضِ سوى لحظات، مع خروج الحافلة من شارع دوهاني، قبل أن يدرك الحاجم الخلل الرهيب في خطّته.

إنه مساء السبت، وجميع الركاب شباب صغار.

وسرعان ما تبيّن له أن كلّ من في هذه الحافلة سيغادرها بالتأكيد في المكان نفسه؛ أي عند المحطة التالية، في قلب الحي اليهودي في بودابست.

بعد الحرب العالمية الثانية، ترك هذا الحي أنقاضاً. لكن أبنيته المتداعية تحولت الآن إلى أحد أكثر مراكز السهر النابضة بالحياة في أوروبا، واستقبلت الأبنية المهدمة

بعضًا من أكثر النوادي الليلية شهرة. وفي العطل الأسبوعية، يتجمع الطلاب والسياح هنا للاحتفال في هياكل المخازن والمنازل القديمة المكسوة بالغرافيتي، والتي تم تجهيزها بأحدث أنظمة الصوت، والإضاءة الملونة، والفن الانقائي.

وكما توقع، عندما توقفت الحافلة عند المحطة التالية، ترجل منها الطلاب جميعاً. أما الرجل صاحب القبعة فبقي جالساً في الجزء الخلفي ومستغرقاً في هاتفه. فما كان من كوفيس إلا أن نهض وأسرع مجتازاً المسافة التي تقضيها عن الباب، ثم نزل مع حشد الشباب إلى الشارع.

هررت الحافلة مبتعدة، ثم توقفت فجأة، وفتح بابها لينزل منه راكب آخر؛ لم يكن سوى صاحب القبعة. مجدداً، شعر كوفيس بنبضه يتسارع، غير أن الرجل لم يعره أي انتباه. وعوضاً عن ذلك، استدار ومشى مسرعاً بالاتجاه المعاكس، وأجرى مكالمة في أثناء ذلك.

حاول كوفيس أن يتنفس بهدوء وقال لنفسه: كف عن تخيل الأشياء. ابتعدت الحافلة، وبدأ حشد الطلاب يسرون باتجاه النادي الليلي، فبقي الحاخام معهم لأطول وقت ممكن قبل أن ينطفئ يساراً ويدهب باتجاه الكنيس.

إنه لا يبعد سوى مسافة قصيرة. وتجاهل تقل ساقيه والضغط المتزايد على مثانته. كانت النادي الليلي تغص بالزبائن الصاخبين الذين خرجوا إلى الشوارع بعد أن ضاقت بهم. صرخ المكان بأصوات الموسيقى الإلكترونية، وعبق الهواء برائحة المشروبات التي اختلطت بالأبخنة الحلوة لسجائر سوبيرياني وكعك العوائد، كورتوسكالاك.

ومع اقترابه من ناصية الشارع، لم يفارقه الإحساس المخيف بأنه مراقب. فأبطأ من سيره، واسترق نظرة إلى الخلف، ولكن لحسن الحظ، لم ير أثراً لصاحب الجينز وقبعة البيسبول.

في المدخل المظلم، قرفص الرجل وبقي بلا حراك لعشر ثوانٍ، قبل أن يُطِلَّ بحذر من الظلام إلى ناصية الشارع.

كانت محاولة جيدة أخيها الحاخام. وعلم أنه توارى عن الأنظار في الوقت المناسب. تحقق الرجل مجدداً من الحقيقة في جيبيه، ثم خرج من مخبئه، وعذل قبعة البيسبول، وأسرع خلف هدفه.

الفصل 41

أسرع قائد الحرس الملكي نبيغو غارزا إلى جناح الأمير حاملاً بيده جهاز مونيكا مارتن اللوحي.

احتوى الجهاز على تسجيل لمحالمة هاتفية جرت بين حاخام مجرب يدعى يهودا كوفيس ومخبر على الإنترنت. ولم يترك محتوى التسجيل الصادم للقائد غارزا سوى بضعة خيارات ثمينة.

سواء أكان فالديسيينو مسؤولاً فعلاً عن مؤامرة القتل كما زعم هذا المخبر أم لا، فإن سمعة فالديسيينو ستندمر إلى الأبد عند نشر هذا التسجيل. يجب أن أحذر الأمير وأعزله عن التداعيات.

كما ينبغي إخراج فالديسيينو من القصر قبل انتشار هذه القصة. في السياسة، يعتبر نفاد البصيرة أمراً حيوياً. ومتداولو المعلومات، سواء أكانت تلك المعلومات صحيحة أم لا، يوشكون على رمي فالديسيينو تحت العجلات. ومن الواضح أنه لا ينبغي أن يظهر ولني العهد إلى جانب الأسفاق على الإطلاق في هذه الليلة.

كانت منسقة العلاقات العامة مونيكا مارتن قد نصحت غارزا بشدة بالطلب إلى الأمير الإدلاء ببيان على الفور، وإنما فإنه يوشك على أن يبدو متواطئاً في هذه الجريمة.

إنها على حق. يجب أن يظهر جولييان على شاشة التلفاز حالاً. وصل غارزا إلى أعلى السلم، واجتاز الرواق متوجهاً إلى جناح جولييان وهو يلهث وينظر من وقت إلى آخر إلى الجهاز الذي يحمله.

بالإضافة إلى صورة الوشم الفرانكوي وتسجيل المkalمة مع الحاخام، يبدو أن بيانات موقع ConspiracyNet ستتضمن خبراً ثالثاً وأخيراً، خبراً حذّرت مارتن من أنه سيكون الأكثر سخونة.

كوكبة بيانات؛ هكذا وصفت مجموعة البيانات العشوائية والمتباعدة في الظاهر التي يسعى أصحاب نظرية المؤامرة إلى تحليلها وربطها بطرائق هادفة لتشكل "كوكبات" محتملة.

فَكَرْ فِي سُرِّهِ غَاضِبًا: مَا مِنْ أَحَدٍ أَفْضَلُ مِنْ مَجَانِينَ الْأَبْرَاجِ! فَهُمْ يَبْتَدَعُونَ أَشْكَالًا حِيوانِيَّةَ مِنَ التَّرْتِيبَاتِ الْعَشَوَائِيَّةِ لِلنَّجُومِ!
لِسُوءِ الْحَظِّ، كَانَتِ الْبَيَانَاتُ الَّتِي نَشَرَهَا ConspiracyNet تَبْدُو مَصَاغَةً خَصَّصَهَا لِتَشْكِيلَ كَوْكَبةَ وَاحِدَةٍ. وَمِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ الْقُصْرِ، لَيْسَ كَوْكَبةً جَمِيلَةً.

ConspiracyNet.com

اخْتِيَالُ كِيرِش

ما وَرَدَنَا حَتَّىِ الْآنِ

أَطْلَعَ إِدْمُونْدَ كِيرِشَ عَلَىِ اكْتِشافِهِ الْعَلْمِيِّ ثَلَاثَةَ زُعمَاءَ دِينِيِّينَ هُمْ:
الْأَسْقُفُ أَنْطُونِيو فَالْدِيْسِبِينُو، وَالْعَلَمَةُ سِيدُ الْفَضْلِ، وَالْحَاخَامُ يَهُودَا
كُوفِيسُ.

قُتِلَ كِيرِشُ وَالْفَضْلُ. أَمَّا الْحَاخَامُ يَهُودَا كُوفِيسُ فَلَمْ يَعُدْ يُجِيبَ عَلَىِ هَاتِفِ
مَنْزِلِهِ، وَيُبَدِّلُ أَنَّهُ مَفْقُودٌ.

الْأَسْقُفُ فَالْدِيْسِبِينُو عَلَىِ قِيدِ الْحَيَاةِ وَعَلَىِ خَيْرِ مَا يَرَمُ. وَقَدْ شُوهدَ آخِرَ مَرَّةٍ
وَهُوَ يَعْبُرُ السَّاحَةَ مَتَّجِهًّا إِلَىِ الْقُصْرِ الْمُلْكِيِّ.

يُمْلِكُ قَاتِلُ كِيرِشَ - الَّذِي تَمَّ التَّعْرِفُ عَلَيْهِ عَلَىِ أَنَّهُ أَمِيرَالُ الْبَحْرِيَّةِ لَوِيسُ
أَفِيلَا - عَلَامَاتٍ عَلَىِ جَسْدِهِ تَرْبِطُهُ بِفَصِيلَةِ الْفَرَانْكُوِيِّينَ الْمُتَشَدِّدِينَ. (هَلْ

الْأَسْقُفُ فَالْدِيْسِبِينُو، الْمَحَافِظُ الْمُعْرُوفُ، فَرَانْكُوِيُّ أَيْضًا؟)
آخِيرًا، وَاسْتَنَادًا إِلَىِ مَصَادِرٍ مِنْ دَاخِلِ غَوْغَنْهَايِمْ، كَانَتْ قَانِمَةُ الضَّيْوَفِ
مَفْلَقَةً، وَمَعَ ذَلِكَ أَضِيفَ اسْمُ لَوِيسِ أَفِيلَا فِي اللَّهُظَةِ الْأَخِيرَةِ بَنَاءً عَلَىِ طَلْبِ
شَخْصٍ مِنْ دَاخِلِ الْقُصْرِ الْمُلْكِيِّ. (وَالْمُلْكَةُ الْمُسْتَقْبَلِيَّةُ أَمْبِرَا فِيدَالُ هِيَ الَّتِي
لَبَّتْ ذَلِكَ الْطَّلْبَ).

يُنَوِّهُ مَوْقِعُ ConspiracyNet بِالْمُسَاهِمَاتِ الْجَوَهِيرِيَّةِ وَالْمُسْتَمِرَّةِ لِلْمَرَاقِبِ الْمَدِنِيِّ
monte@iglesia.org فِي هَذِهِ الْقَصَّةِ.

monte@iglesia.org

كَانَ غَارِزاً قَدْ سَبَقَ لَهُ أَنْ حَسِمَ أَمْرَ كُونَ هَذَا الْبَرِيدُ الْإِلْكْتَرُونِيِّ مُزِيقًا.
فَمَوْقِعُ iglesia.org مُوقِعٌ كَاثُولِيَّكِيِّ إِنْجِيلِيِّ بَارِزٌ فِي إِسْبَانِيَا، وَهُوَ عَبَارَةٌ عَنِ
مَجَمِعٍ عَلَىِ الإِنْتِرْنِتِ يَضُمُّ الْكَهْنَةَ، وَالنَّاسَ الْعَادِيِّينَ، وَالطلَّابَ الْمُخَلَّصِينَ لِتَعْالِيمِ
يَسُوعَ. وَيُبَدِّلُ أَنَّ الْمُخْبِرِ قدْ اخْتَرَقَ ذَلِكَ الْمَجَالَ لَكِي تَبْدُو الْادِعَاءَاتُ أَنَّهَا آتِيَّةٌ
مِنْ iglesia.org.

خطوة نكية. فقد كان غارزا يعلم أن الأسقف فالديسيينو يتمتع بإعجاب كبير من قبل الكاثوليك المتنبئين. وتساءل عما إذا كان هذا "المُساهم" على الإنترنت هو المخبر نفسه الذي اتصل بالحاخام.

وصل غارزا إلى باب الجناح وهو يتسائل عن الطريقة التي سيفز بها النبا إلى الأمير. بدأ ذلك اليوم بصورة عادية جداً، وفجأة أصبح القصر كما لو أنه في حرب مع أشباح. مخبر مجھول يدعى موتنى! مجموعة من البيانات! وما زاد الأمور سوءاً أن غارزا لا يملك بعد أيّ أخبار عن وضع أميراً فيdal وروبرت لأنغدون.

كان الله في عوننا إن بلغ تمرد أميراً هذه الليلة مسامع الصحافة. دخل القائد من دون أن يطرق الباب. نادى وهو يسرع باتجاه غرفة المعيشة: "سمّوا الأمير جولييان، أود التحدث معك على انفراد للحظة".

وصل إلى غرفة المعيشة وجده في مكانه.

كانت الغرفة خالية.

تراجع نحو المطبخ وهو ينادي: "دون جولييان، نيافة الأسقف".

فتح غارزا الجناح بأكمله، ولكنه لم يجد أثراً للأمير فالديسيينو.

وعلى الفور، اتصل بهاتف الأمير الخلوي، وبدأ يسمع الرنين. كان الصوت خافتاً ولكنه مسموع، وراح يتتصاعد من مكان ما في الجناح. نادى الأمير مجدداً، وأصفعى إلى الرنين المكتوم، ثم تعقبه إلى أن وصل إلى خزنة في جدار الجناح.

هل وضع جولييان هاتفه في الخزنة؟!

لم يصدق غارزا أنَّ الأمير يترك هاتفه في ليلة تعتبر فيها الاتصالات أمراً بالغ الأهمية.

أين هما يا ترى؟

حاول الاتصال بهاتف فالديسيينو، على أمل أن يجيئه الأسقف. لكنه ذهل تماماً عندما تصاعد رنين مكتوم آخر من الخزنة.

هل ترك فالديسيينو هاتفه أيضاً؟!

انتابه إحساس متتصاعد بالذعر، فاندفع إلى خارج الجناح. وخلال الدقائق التالية، أخذ يجري في ممرات القصر وهو يصبح باسميهما، وفتح الطابقين العلوي والسفلي.

لا يمكن أن يكون قد تبخرًا في الهواء!

توقف غارزا أخيراً عن الجري، ليجد نفسه عند أسفل سلم "ساباتيني" الكبير والأنيق يكافح للنقط أنفاسه. أخيراً، أخفض رأسه مهزوماً. كان الجهاز اللوحي الذي يحمله قد انطفأ، لكن الشاشة السوداء عكست جدارية السقف الذي يعلو رأسه مبهلاً

يا لها من مفارقة قاسية! كانت جدارية جاكينتو تحفة رائعة تحمل عنوان إسبانيا تحمي الإيمان.

مكتبة الرمحي أحمد

الفصل 42

مع بلوغ طائرة الغولفستريم G550 ارتفاع الطيران، حدق روبرت لانغدون بشرود من خلال النافذة البيضاوية وحاول استجمام أفكاره. كانت الساعتان الماضيتان عاصفتين بالانفعالات؛ بدءاً من التسويق في محاضرة إدموند، إلى هول مقتله أمام عينيه. وبدا للانغدون أن غموض تلك المحاضرة يتعاظم كلما فكر فيها.

ما السر الذي اكتشفه إدموند يا ترى؟

من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟

بقيت كلماته التي نطق بها في منحوتة الدوامة هذه الليلة عالقة في ذهنه: روبرت، الاكتشاف الذي توصلت إليه... يجيب بكل وضوح عن هذين السؤالين. زعم إدموند أنه أجاب عن الاثنين من أكثر أسئلة الحياة غموضاً. ومع ذلك، تساعل لانغدون: كيف يمكن لأنباء إدموند أن تكون تخريبيّة إلى هذا الحد؟ حيث يُقدم أحدهم على إسكاته على هذا النحو؟

كل ما عرفه لانغدون هو أن إدموند كان يشير إلى أصل البشرية ومصير الإنسان.

ما هو الأصل الصادم الذي اكتشفه إدموند؟

ما هو المصير الغامض؟

بدا إدموند متفائلاً ومتৎساً بشأن المستقبل. ولذلك، من غير المرجح أن يكون قد توقع نهاية مروعة للعالم. ما الذي توقعه إذًا؟ وما علاقته ب الرجال الذين؟ أنت إليه أميرا حاملة فنجاناً من القهوة الساخنة. "روبرت، هل قلت إنك تحبها سوداء؟".

"أجل، شكراً لك". أخذ الفنجان بامتنان، على أمل أن يساعد الكافيين على تهدئة أفكاره المشابكة.

جلست أميراً أمامه، وصبت لنفسها كأساً من الشراب من زجاجة أنيقة. "ملك إدموند مجموعة من زجاجات الشراب الثمينة على متن الطائرة، ومن المؤسف أن تصيب هدراً". كان لانغدون قد تذوق هذا الشراب الفرنسي الفاخر مرة واحدة فقط في قبو سري قديم تحت كلية الثالوث الأقدس في بيلن، بينما كان يجري بحثاً حول المخطوطة المchorورة المعروفة باسم كتاب كيلز.

أحاطت أميرا كأسها بيديها، ثم رفعتها إلى شفتيها وهي تحدق إلى لانغدون من فوق حافة الكأس. مجدداً، وجد نفسه ضعيفاً على نحو غريب أمام الأناقة الطبيعية التي تتمئن بها هذه المرأة.

قالت: "كنت أفكّر في ما قلّته سابقاً. هل ذكرت أن إدموند قد التقاك في بوسطن وأسالك عن مختلف قصص الخلق؟".

"أجل، منذ عام تقريباً. فقد كان مهتماً بمختلف الطرق التي أجابت بها الديانات الكبرى عن هذا السؤال، من أين أتينا؟".

"إذاً، قد تكون هذه نقطة انطلاق جيدة بالنسبة إلينا. فربما استطعنا أن نعرف ما الذي كان يعمل عليه".

أجاب: "أنا لا أمانع على الإطلاق بالعودة إلى البداية. ولكنني لست واثقاً مما سنجده. فثمة مدريستان فكريتان فقط حول أصلنا؛ المفهوم الديني وهو أن الله خلق البشر خلقاً كاملاً، والمفهوم التطوري".

فسألته أميرا وعيناه البيتان تلمعن: "إذاً، ماذا لو كان إدموند قد اكتشف احتمالاً ثالثاً؟ ماذا لو كان ذلك جزءاً من اكتشافه؟ ماذا لو أثبتت أن الجنس البشري لم يأت من آدم وحواء ولا من التطور؟".

أقرَّ لانغدون بأن اكتشافاً كهذا من شأنه أن يهز أركان العالم. ولكنه ببساطة لم يستطع أن يتخيّل ما قد تكون ماهيته. قال: "نظيرية داروين مترسخة إلى حد كبير؛ لأنها تستند على حقيقة يمكن إدراكيها علمياً، وتوضح كيف تتطور الكائنات وتتكيف مع محيطها على مر الزمن. ونظيرية التطور مقبولة على صعيد العالم من قبل أذكي العقول في المجال العلمي".

قالت أميرا: "حقاً؟ لكنني قرأت كتاباً توكّد أن داروين مخطئ تماماً".

"إنها على حق". تصاعد صوت وينسون من الهاتف الذي كان يعيد شحن بطاريته على الطاولة بينهما. "وقد تم نشر ما يزيد عن خمسين عنواناً خلال العقدين الفائترين فقط".

كان لانغدون قد نسي أن وينسون ما زال معهما.

أضاف وينسون: "وبعضها من الكتب الأكثر مبيعاً. أين أخطأ داروين... هزيمة الداروينية... صندوق داروين الأسود... محاكمة داروين... الجانب المظلم من شارلز دارـ".

فقطاعه لانغدون الذي يعرف تماماً العدد الكبير من الكتب التي تدعى دحض نظيرية داروين: "أجل، في الواقع قرأت اثنين منها منذ مدة".

سألته أميرا: "إذاً؟".

ابتسم لانغدون بتهذيب. "في الواقع، لا يمكنني التحدث عنها جميماً. لكن الكتاين الذين قرأتهم ينحدر من وجهة نظر مسيحية بشكل أساسي. وذهب أحدهما إلى حد الاقتراح أن سجل الأرض الأحفوري وضعه الله لكي يختبر إيماناً".

عبست أمبرا قائلة: "حسناً، إذا لم يؤثر على تفكيرك".

"كلا، ولكنها أثارا فضولي، ولذلك سألت أستاذًا في علم الأحياء بجامعة هارفرد عن رأيه في الكتاين". ابتسم متابعاً: "وصدق أن كان ذلك البروفيسور هو الراحل ستيفن ج. غولد".

سألته أمبرا: "من أين أعرف هذا الاسم؟".

قال وينستون فوراً: "ستيفن ج. غولد هو عالم الأحياء والأحافير التطوري الشهير. شرحت نظريته حول التوازن المنقطع بعض التغيرات في سجل الأحافير، وساعدت على دعم نموذج التطور".

قال لانغدون: "ضحك غولد وقال لي إن معظم الكتب المعارضة للتطور ثُرثَت من قبل معهد الأبحاث حول الخلق وأمثاله، وهي منظمة تعتبر الكتاب المقدس - بحسب مصادرها الخاصة بها - الرواية الحرفية المعصومة عن الخطأ للحقيقة التاريخية والعلمية".

قال وينستون: "هذا يعني أنهم يعتقدون أن الشجيرات المحترقة تتحدى، وأن سفينة نوح انسعى لكل الأنواع الحية، وأن الناس يتحولون إلى أعمدة من الملح. وهذا ليس الأساس الأقوى بالنسبة إلى مؤسسة بحث علمي".

قال لانغدون: "هذا صحيح. ومع ذلك، ثمة كتب غير دينية تحاول دحض نظرية داروين من وجهة نظر تاريخية، وتتهمه بسرقة نظريته من عالم الطبيعة الفرنسي جان باتيست لامارك، الذي كان أول من أشار إلى أن الكائنات الحية تتطور استجابة إلى بيئتها".

قال وينستون: "هذا الخطأ الفكري ليس ذا صلة، بروفيسور. سواء أكان داروين قد ارتكب جرم الانتهال أم لا، فهذا لا يؤثر على نظريته".

قالت أمبرا: "لا يمكنني أن أجادلها في هذا الرأي. إذا يا روبرت، أفترض أنك إن سألت البروفيسور غولد من أين أتييناً؟ فسيجيبك بلا شك بأننا تطورنا".
هز لانغدون رأسه موافقاً. "أنا أعيد صياغة كلامه. لكن غولد أكد لي أساساً أنه ما من شك لدى العلماء الحقيقيين أن التطور يحدث. وتجريبياً، يمكننا ملاحظة هذه العملية. وبرأيه، السؤال الذي ينبغي أن نطرحه هو التالي: لماذا يحدث التطور؟ وكيف بدأ كل شيء؟".

سألته أمبرا: "هل قدم أي إجابات؟".

لم يقل شيئاً استطعت فهمه، ولكنه أوضح فكرته بواسطة تجربة تسمى الممر اللانهائي". صمت لأنغدون وتناول رشفة أخرى من قهوته.

قال وينستون قبل أن يتمكن لأنغدون من متابعة كلامه: "أجل، إنه مثال توضيحي مفيد يجري على النحو التالي: تخيل نفسك تسير في ممر طويل، رواق طويل جداً حيث يستحيل أن ترى من أين أتيت أو إلى أين أنت ذاهب".

أو ما لأنغدون برأسه متعجباً من اتساع أفق وينستون.

تابع هذا الأخير: "بعد ذلك، تسمع خلفك في البعيد صوت ارتطام كرة. وبالفعل، عندما تلتفت، ترى كرة تقفز متوجهة نحوك. تستمر بالقفز والاقتراب منك إلى أن تتجاوزك أخيراً وتتابع طريقها حتى تختفي في البعيد".

قال لأنغدون: "هذا صحيح. والسؤال ليس: هل الكرة تقفز؟ لأنّه من الواضح أنها تقفز. يمكننا ملاحظة ذلك. السؤال الحقيقي: لماذا تقفز؟ كيف بدأت تقفز؟ هل ركلها أحدهم؟ أهي كرة خاصة تستمتع بالقفز؟ هل قوانين الفيزياء في هذا الممر هي التي لم ترك للكرة خياراً سوى القفز إلى الأبد؟".

استنتاج وينستون قائلاً: "برأي غولد، هذا هو حال التطور. لا يمكننا أن نرى ما حدث في الماضي لنعرف كيف بدأت العملية".

قال لأنغدون: "بالضبط. لا يمكننا سوى أن نلاحظ أنّ هذا يحدث".

أضاف وينستون: "كان هذا مشابهاً بالطبع لتحدي فهم نظرية الانفجار الكبير. فقد ابتكر علماء الكون صيغة أنيقة لوصف الكون المتوسّع في أيّ وقت معين؛ في الماضي أو الحاضر. لكن، كلما حاولوا العودة إلى الوراء، إلى لحظة حدوث الانفجار الكبير، أي عندما يساوي الوقت صفر، تصاب الرياضيات بالجنون، وتتصف ما يبدو أنه نقطة باطنية غامضة من الحرارة اللانهائية والكتافة اللانهائية".

تبادل لأنغدون وأمبرا نظرات الدهشة.

قال لأنغدون: "مجدداً، هذا صحيح. وبما أنّ العقل البشري ليس مجهزاً ليعامل جيداً مع اللانهائيّة، فإنّ معظم العلماء ينافقون اليوم الكون في ما يتعلق باللحظات التي يكون فيها الوقت أكبر من صفر، لضمان أنّا لا نتصبح الرياضيات باطنية".

في هذا السياق، قام أحد زملاء لأنغدون في هارفرد، وهو أستاذ فيزياء كبير، بتعليق لافتة على باب صفة أخيراً بعدها سئم من طلاب الفلسفة الذين يحضرون حلقة الدراسية حول أصول الكون.

في صفي، الوقت > صفر.

بالنسبة لجميع الاستفسارات حول الوقت = صفر،

يرجى التوجّه إلى قسم الأديان.

سأل وينستون: "وماذا عن بانسميرمي؟ أي فكرة كون الحياة على الأرض أنت من كوكب آخر، وزرعت بواسطة أحد النيازك أو الغبار الكوني؟ فنظريّة بانسميرمي تعتبر احتمالاً من الناحيّة العلميّة لشرح وجود الحياة على الأرض".

قال لأنغدون: "حتى في هذه الحال، فهي لا تفسّر كيف بدأت الحياة في الكون. فنحن نكتفي بركل العلبة الفارغة على الطريق، متဂاهلين أصل الكرة التي تفترز، ومؤجلين السؤال الكبير: من أين أنت الحياة؟".

صمت وينستون.

ارتشفت أمبرا شرابها مستمتعة بحوارهما.

مع بلوغ الغولفستريم G550 ارتفاع الطيران واستواءها في الجو، وجد لأنغدون نفسه يتخيّل ما سيعنيه للعالم أن يكون إدموند قد اكتشف حقاً الإجابة على السؤال القديم: من أين أتينا؟

مع ذلك، واستناداً إلى إدموند، لا يشكّل الجواب سوى جزء من السرّ. أيّاً تكن الحقيقة، قام إدموند بحماية تفاصيل اكتشافه بكلمة سرّ عجيبة؛ وهي عبارة عن بيت واحد من الشعر مؤلف من سبعة وأربعين حرفاً. وإن سارت الأمور وفقاً للخطّة، فسيتمكنان من إيجادها قريباً في منزل إدموند في برشلونة.

الفصل 43

بعد ما يقرب من عشر سنوات على تأسيس "شبكة الظلام"، لا تزال هذه الشبكة لغزاً بالنسبة إلى معظم مستخدمي الإنترنت. فهذا العالم الظلامي للشبكة العالمية، الذي لا يمكن الوصول إليه عبر محركات البحث التقليدية، يتبع الدخول إلى قائمة هائلة من السلع والخدمات غير المشروعة.

بدأت شبكة الظلام بداية متواضعة مع استضافتها طريق الحرير؛ وهي أول سوق سوداء على الإنترنت لبيع المخدرات غير المشروعة، وازدهرت بعد ذلك وتحولت إلى شبكة هائلة من الواقع غير الشرعية التي تتاجر بالأسلحة، والمواد الإباحية، والأسرار السياسية، وحتى المحترفين المأجورين، بمن في ذلك المومسات، والقراصنة، والجواسيس، والإرهابيين، والقتلة.

كل أسبوع، تستقبل شبكة الظلام ملايين المعاملات. الليلية، خارج نوادي بودابست الليلية المتداعية، كانت إحدى تلك المعاملات على وشك أن تُتجزَّر.

مشي صاحب قبة البايسبيول وسروال الجينز خلسة على طول شارع كازينكزي، وتعقب فريسته من دون أن يكشف أمره. أصبحت مهام كهذه أساس حياته خلال السنوات القليلة الماضية، وكان يجري التفاوض عليها دائمًا عبر حفنة من الشبكات الشعبية، على غرار BesaMafia و Hitman Network و Unfriendly Solution.

كان القتل المأجور صناعة تساوي مليار دولار وتتمو يومياً، ويرجع ذلك أساساً إلى الضمانة التي تقدمها شبكة الظلام ببقاء أطراف التفاوض مجهولين، وعدم إمكانية تعقب عملية الدفع التي تتم عن طريق بيتكوين. وتشتمل معظم الصفقات على الاحتيال على التأمين، والشراكات التجارية السيئة، والزيارات المضطربة؛ لكن الأسباب لا تعني على الإطلاق منفذ المهمة.

قال القاتل لنفسه: من دون أسلحة. هذه هي القاعدة غير المعلنة وراء نجاح عملي. كان قد قبل بمهمة الليلة منذ بضعة أيام. فقد عرض عليه مستخدم مجهول 150000 يورو لقاء مراقبة منزل حاخام مسنٍ والبقاء "على اتصال" في حال تطلب الأمر اتخاذ إجراء ما. ويعني الإجراء في هذه الحالة، اقتحام منزل الرجل وحقنه بكلوريد البوتاسيوم؛ الأمر الذي سيؤدي إلى موت فوري من جراء نوبة قلبية.

غير أن الحاخام غادر منزله هذه الليلة على نحو غير متوقع في منتصف الليل، واستقلَّ حافلة عامة باتجاه حيِّ مزدحم، فتعقبَه القاتل، واستخدم برنامجاً مشفرأً على هاتفه الذكي لإبلاغ مستخدمه بالتطورات.

لقد غادر الهدف المنزل. توجَّه إلى منطقة نوادي ليلية.
رِبَّما يريد الاجتماع بشخص ما؟

كان جواب مستخدمه فوريأً تقريباً.

نَفَذَ.

الآن، بين النوادي الليلية المتهالكة والأرقَّة المظلمة، إنَّ ما بدأ ك مجرد تعقب تحول إلى لعبة قطٍّ وفار قاتلة.

أخذ الحاخام يهودا كوفيس يلهث ويتصبَّب عرقاً وهو يسير في شارع كازينكزي. شعر أنَّ رئيْه تحترقان وأنَّ مثانته المسنة على وشك الانفجار. لا أحتاج سوى إلى مرحاض وبعض الراحة. فكر في ذلك وهو يتوقف وسط حشد متجمَّع خارج نادي زيمبلا؛ واحد من أكبر نوادي بودابست المتداعية وأشهرها. كان رواد المكان عبارة عن خليط متنوع من الأعمار والمهن، حيث إنَّ أحداً لم يُعرِّف الحاخام المسنَ اهتماماً.

قال لنفسه وهو يتوجه إلى النادي: سأتوقف للحظة وحسب. بعدما كان نادي زيمبلا في ما مضى قصراً حجرياً بشرفات أنيقة ونوافذ طويلة، أصبح الآن هيكلًا متداعياً تكسو جدرانه الكتابات. وبينما كان يعبر البوابة العريضة لهذا المبني الفخم، مرَّ بباب كُتُبَت عليه رسالة مشفرة: EGG-ESH-AY-GED-REH! استغرق لحظة ليدرك أنها ليست سوى الكتابة الصوتية للكلمة المجرية بيفيشايرغيريري التي تعني "بصحتك"!

ما إن دخل، حتى راح يحذق بذهول إلى داخل المبني الضخم. كان القصر المهمَل قد بنى حول باحة واسعة تنتشر فيها أغرب الأشياء التي رآها الحاخام في حياته: أريكة مصنوعة من حوض استحمام، وتماثيل عرض تركب الدراجات المعلقة في الهواء، وسيارة سيدان ترابانت من ألمانيا الشرقية مفرغة من أحشائهما تؤدي الآن وظيفة مقاعد للزيائن.

كان الفناء محاطاً بجدار عاليٌ مزينة بخلط من الكتابات المرسومة بالرذاذ، مع ملصقات من العهد السوفياتي، ومنحوتات كلاسيكية، ونباتات معلقة تتدلى من فوق شرفات داخلية تزدحم بالزيائين الذين راحوا يتمايلون على وقع الموسيقى العالمية. وكان الهواء عابقاً برائحة السجائر والمشروبات. راح الشباب يتعانقون بشغف على مرأى من الجميع، بينما جلس آخرون يدخنون من غلايين صغيرة ويشربون البالينكا؛ وهو شراب فاكهة شعبي معيناً في المجر.

لطالما وجد كوفيس أنه من المثير للسخرية أن يكون البشر - على الرغم من أنهم أسمى خلق الله - ما زالوا مجرد حيوانات في الجوهر، ينتج سلوكهم إلى حد كبير عن سعيهم إلى الراحة المادية. نريح أجسامنا على أمل أن تستريح أرواحنا. أمضى كوفيس وقتاً طويلاً وهو يقدم المشورة إلى من ينغمون في إغراءات الجسد الحيوانية، وأولها الطعام والجنس. ومع ظهور الإنمان على الإنترنت والمخدرات الرخيصة، ازداد عمله صعوبة مع مرور الأيام.

كانت وسيلة الراحة الجسدية الوحيدة التي يحتاج إليها في تلك اللحظة هي الحمام، ولذلك صعد السلم إلى حيث قيل له إنه سيجد العديد من الحمامات. في الطابق الثاني من المبني، عبر متاهة من غرف الجلوس والنوم المجاورة التي تحتوي كل منها على مشرب صغير أو مساحة للجلوس. سأله أحد الندلاء عن حمام، فأشار الرجل إلى ممراً على مسافة لا بأس بها، يمكن الوصول إليه على ما يبدو عن طريق شرفة تطل على الباحة.

توجه كوفيس إلى الشرفة مسرعاً، وتمسك بالدرابزين وهو يعبرها. وفي طريقه، حدق بشرط إلى الباحة الصالحة في الأسفال التي تضج بالموسيقى وبحير من الشباب الذين يرقصون بمرح، فجأة رأه.

وقف في مكانه وقد تجمدت الدماء في عروقه. هناك، في وسط الحشد، كان صاحب قبعة البايسبول والجينز يحذق إليه مباشرة. للحظة وجيزة، التفت نظراتها. بعد ذلك، وبسرعة النمر، انتقل الرجل إلى العمل، وراح يشق طريقه بين الزيائين متوجهاً إلى السلم.

صعد القائل السلم وهو يحذق إلى كل وجه يمزّ به. كان نادي زيمبلا مألوفاً تماماً بالنسبة إليه، لذلك توجه بسرعة إلى الشرفة التي كان يقف عليها هدفه. غير أنّ الحاخام اختفى.

بما أنّني لم ألتّق، فهذا يعني أنّك داخل المبني.

نظر إلى ممر مظلم أمامه وابتسم؛ بعد أن اشتبه بالمكان الذي يمكن أن يكون الحاخام قد اختباً فيه.

كان الممر مزدحماً وعابقاً برائحة كريهة، وكان ينتهي بباب خشبي قديم. عبر القاتل الممر بسرعة وراح يطرق الباب، لكن ما من محجب. طرق مجدداً.

فأناه صوت عميق قال له إن الحجرة مشغولة.

اعتذر القاتل بصوت عادي، ثم تظاهر بأنه ينصرف؛ فاستدار بعد ذلك بصمت وعاد إلى الباب، ثم ألصق أنفه به. وفي الداخل، سمع الحاخام يهمس بال مجرية يائساً. ثمّة من يحاول قتلي! كان خارج بيتي! والآن حاصرني في نادي زيمبلا في بودابست! أرسلوا إلى المساعدة رجاء!.

من الواضح أن هدفه طلب رقم الطوارئ. كان زمن الاستجابة عادة بطيناً جداً. لكن مع ذلك، سمع القاتل ما فيه الكفاية.

نظر خلفه للتأكد من أنه بمفرده، ثم استدار موجهاً كتفه إلى الباب، ومال إلى الخلف، حيث وقّت هجومه مع أنغام الموسيقى الصاحبة. استسلم المزلاج القديم من المحاولة الأولى، وفتح الباب. دخل القاتل، وأغلق الباب خلفه، ثم وقف بمواجهة طريرته.

انكمش الرجل في الزاوية، وبدا عليه الرعب والارتباك معاً.

أخذ القاتل هاتف الحاخام، ثم أنهى المكالمة، ورمى الهاتف في المرحاض. سأله الحاخام: "من أرسلك؟".

أجاب الرجل: "من حسن حظي أنه لا يمكنني أن أعرف". أخذ الرجل المسن يئذ ويتعزّز بغزاره، ثم شهق فجأة، وجحظت عيناه وهو يضع كلتا يديه على صدره.

نظر إليه القاتل وابتسم. حقاً! هل أصيّب بنوبة قلبية؟

تهاوى الرجل المسن على أرض الحمام وهو يختنق، وبدا التوسل في عينيه، بينما تحول وجهه إلى اللون الأحمر، وراح يضغط على صدره. أخيراً، سقط على وجهه على بلاط الأرض القذر، واستلقى وهو يرتجف ويرتعد، فيما أفرغت مثانته نفسها على سرواله، وسال البول على الأرض.

أخيراً، استلقى الحاخام بلا حراك.

انحنى القاتل وأصغى إلى تنفسه، ولكنه لم يسمع أي صوت. وقف أخيراً وهو يبتسم وقال: "لقد سهلت على المهمة أكثر مما توقعت". ثم نهض، وذهب إلى الباب.

حبس الحاخام كوفيس أنفاسه بصعوبة.
لقد أدى للتو أعظم أداء تمثيلي في حياته.

شعر أنه على شفير الإغماء وهو ممدد بلا حراك، وراح يصفي إلى خطوات مهاجمه وهي تترنّد على أرض الحمام. ثم فتح الباب وأغلق، وعم الصمت.
أجبر كوفيس نفسه على الانتظار بضع ثوانٍ أخرى حتى يكون مهاجمه قد عبر الرواق وابتعد. وأخيراً، بعد أن عجز عن الانتظار أكثر، زفر ثم أخذ نفساً عميقاً ليعيد إنعاش نفسه. حتى هواء الحمام كريه الرائحة بدا له وكأنه مرسل من السماء.
فتح عينيه ببطء على رؤية ضبابية بسبب نقص الأوكسجين، ليفاجأ بوجود شخص عند الباب المغلق.

كان صاحب قبة البيسبول يتسم له.
تحمد كوفيس رعياناً. لم يغادر الغرفة!
مشى القاتل خطوتين طويتين ليصل إلى الحاخام، ثم أمسك برقبته بقبضه حديدية، ودفع وجهه مجندداً على الأرض.
قال بحدة: "استطعت أن تقطع أنفاسك، ولكنك لم تستطع أن توقف قلبك". وضحك مضيقاً: "لا تقلق، دع ذلك لي".
وفي اللحظة التالية، مرق ألم حارق جانب عنق كوفيس. وشعر أن ناراً تلتهب حلقة وتصعد إلى ججمنته. وهذه المرة، عندما انقبض قلبه، علم أن النوبة حقيقة.
بعدما كرس الحاخام يهودا كوفيس معظم سنوات حياته لأسرار شامائيم، أدرك الآن أن جميع الإجابات باتت قريبة.

الفصل 44

اختلت أميراً فيdal بنفسها في حمام طائرة G550 الفسيح. وقفت أمام المغسلة تاركة المياه الدافئة تجري على يديها برفق وهي تحدّق إلى المرأة، وبالكاد تتعرّف على نفسها.

ماذا فعلت؟

أخذت رشبة أخرى من الشراب وهي شعر بتوق كبير إلى حياتها القديمة قبل بضعة أشهر فقط؛ حين كانت امرأة مجهرولة عزياء، غارقة في عملها في المتحف. لكن كل ذلك انقضى الآن. فقد اختفى في اللحظة التي عرض عليها فيها جولييان الزواج. وبخت نفسها قائلة: «كلا، بل اختفى في اللحظة التي وافقت فيها».

كانت تشعر باضطراب كبير بسبب هول مشهد الاغتيال الذي وقع الليلة، وكان عقلها المنطقي يقدّر تداعياته بخوف.

أنا التي أدخلت قاتل إيموند إلى المتحف.

بعدها خذعني شخص ما من داخل القصر.

والأآن بـت أعلم الكثير.

لم يكن ثمة دليل على أن الأمير جولييان يقف وراء عملية الاغتيال الوحشية، أو أنه على علم حتى بمخطط الاغتيال. مع ذلك، أصبحت أميراً مطلعة جيداً على كيفية سير الأمور داخل القصر لتدرك أن أيّاً من ذلك ما كان ليحدث من دون علم الأمير، لا بل ويمباركته.

لقد قلت لجولييان الكثير.

خلال الأسابيع الماضية، شعرت أميراً أنها مضطّرّة لتبرير كلّ ثانية كانت تمضيها بعيداً عن خطيبها الغيور، ولذلك أخبرت جولييان بالكثير من الأمور التي كانت تعرفها عن العرض الذي ينوي إيموند تقديمها. وهي تخشى الآن أن تكون قد تهورت بشدة صراحتها.

أغلقت صنبور الماء وجفت يديها، ثم تناولت كأس الشراب وقضت على ما تبقى فيها. رأت أمامها على صفحة المرأة امرأة غريبة. فالمرأة المحترفة الواقفة من نفسها يتآكلها الآن الشعور بالندم والعار.

الأخطاء التي ارتكبها خلال بضعة أشهر قصيرة...

بينما عاد عقلها بالزمن إلى الوراء، تساعدت عما كان بإمكانها فعله لغير مجرى الأمور. فمنذ أربعة أشهر، في ليلة من ليالي مدريد الممطرة، كانت تحضر حفلًا لجمع التبرعات في متحف رينا صوفيا للفن الحديث...

كان معظم الضيوف قد انتقلوا إلى القاعة 206.06 لمشاهدة أكثر التحف الفنية شهرة في المتحف، إل غرينبيكا؛ وهي لوحة كبيرة بطول 25 قدماً ليكاسو، تصور القصف المرهق للبلدة صغيرة في الباسك خلال الحرب الأهلية الإسبانية. غير أن أمبرا وجدت اللوحة مؤلمة جدًا، حيث أحجمت عن تأملها، ووجدت فيها تذكيراً حياً بالقمع الوحشي الذي عانت منه إسبانيا تحت حكم الدكتاتور الفاشي الجنرال فرانسيسكو فرانكو بين عامي 1939 و1975.

عوضاً عن ذلك، قررت أن تتسلل بمفردها إلى صالة هادئة للاستمتاع بأعمال الفنانة الإسبانية المفضلة لديها، ماروخا مالو، وهي فنانة سريالية من غاليسيا، ساعد نجاحها في ثلاثينيات القرن المنصرم على تحطيم الحاجز أمام الفنانات في إسبانيا.

كانت أمبرا تقف بمفردها وتتأمل لوحة لا فيريينا، التي كانت عبارة عن هجاء سياسي مليء بالرموز المعقدة، عندما سمعت صوتاً عميقاً خلفها.

قال الرجل بالإسبانية: "إنها تصا Vickie جمالاً تقريباً".

حَقّاً! حدقت أمبرا إلى اللوحة، وقاومت رغبتها في النظر إلى الأعلى بسأم. ففي مناسبات كهذه، يكون المتحف أقرب إلى نادٍ غريب منه إلى مركز ثقافي.

تابع الصوت بإلحاح: "ما الذي تعنيه برأيك؟".

ذابت مجيبة بالإنكليزية على أمل أن يدعها الرجل وشأنها: "ليست لدى أي فكرة، لكنها تعجبني وحسب".

أجاب الرجل بلغة إنكليزية ممتازة تقريباً: "إنها تعجبني أنا أيضاً. فقد كانت مالو منقدمة على زمانها. مع الأسف، من شأن الجمال السطحي لهذه اللوحة أن يخفي جوهراً الأعمق عن العين غير المدرية". وصمت قليلاً، ثم أضاف: "أعتقد أنَّ امرأة مثلك تواجه هذه المشكلة دائمًا".

صدر أنين عن أمبرا. هل تنفع جمل كهذه حقاً مع النساء؟ ارتسنت على وجهها ابتسامة مهذبة، ثم استدارت لصرف الرجل. "سيدي، لطف منك أن تقول ذلك، ولكنـ"

غير أنَّ أمبرا في الحال صمتت في وسط جملتها.

فقد وجدت نفسها أمام شخص تراه على التلفاز وفي المجالات طوال حياتها. تلعمت قائلة: "آه، أنت...".

قال الرجل الوسيم: "وَقْح؟ أَخْرَق؟ أَنَا آسِف، لَكُنِّي عَشْت حَيَاةً مُنْزَلَةً، وَلَسْت بارعاً فِي هَذَا النَّوْع مِنَ الْأَمْر". ابْتَسَم وَمَدِيد بِتَهْبِيب. "أَسْمِي جُولِيان". "أَعْتَدْتُ لَكُنِّي أَعْرَفْ أَسْمَك". احْمَرَتْ أَمْبِرا خَجْلًا وَهِي تَصَافَحُ الْأَمْرِيْر جُولِيان، وَلِي عَهْد إِسْبَانِيَا. كَانَ أَطْوَلْ قَامَةً مَمَّا تَخْلَلَتْ، وَذَا عَيْنَيْنِ رَقِيقَتَيْنِ وَابْتِسَامَةً تَنْمَى عَنِ التَّقَّة. تَابَعَتْ قَائِلَةً وَهِي تَسْتَجِمُ نَفْسَهَا بِسُرْعَةٍ: "لَمْ أَكُنْ أَعْرَفْ أَنَّكَ هَذَا اللَّيْلَةَ. فَقَدْ ظَنَّتْ أَنَّكَ مَمْنَ يَفْضِلُونَ مَنْتَهَى بِرَادُو، أَقْصَدْ غُويَا، فِيلَاسْكِيْز... أَيِّ الْفَنَّانِيْنَ الْكَلاسِيْكِيِّيْنَ". ضَحِكَ مُجِيئاً: "أَتَعْنِي أَنَّنِي مَحَافِظْ وَقَيْمِ الْطَّرَاز؟ أَعْتَدْتُ أَنَّكَ تَخْلُطَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنِ الْوَالِدِيِّ. فَلَطَالَمَا كَانَتْ مَالُو وَمِيرُو مَفْضَلَيْنِ لَدِيِّ".

تَحْدَثَتْ أَمْبِرا مَعَ الْأَمْرِيْر لِبَضْعِ نَقَائِقَ، وَأَعْجَبَتْ بِسُعَةِ مَعْلُومَاتِهِ الْفَنِيَّةِ. لَكِنَّ الرَّجُل نَشَأَ فِي قَصْرِ مَدْرِيدِ الْمُلْكِيِّ الَّذِي يَضْمِنُ إِحْدَى أَجْمَلِ الْمَجَمُوعَاتِ الْفَنِيَّةِ فِي إِسْبَانِيَا، وَلَا بدَّ أَنَّهُ يَمْلِكُ لَوْحَةً أَصْلِيَّةً مِنْ لَوْحَاتِ إِلْ غَرِيكُو مَعْلَقَةً فِي غُرْفَةِ الْحَضَانَةِ.

قال الأمير وهو يقدم لها بطاقة المذهبة: "أنا أدرك أن الأمر يبدو سابقاً لأوانه، لكنني أود أن ترافقيني غداً إلى حفل عشاء. رقمي المباشر على البطاقة. أخبريني إن كنت متفرغة".

قالت أمبرا مجازحة: "عشاء! لكنك لا تعرف أسمى حتىّ".

أجبتها على الفور: "أَمْبِرا فِيدَال، أَنْتِ فِي التَّاسِعَةِ وَالثَّلَاثِيْنِ مِنْ عَمْرِكِ، حَاصِلَةٌ عَلَى شَهَادَةِ جَامِعِيَّةٍ فِي تَارِيخِ الْفَنُونِ مِنْ جَامِعَةِ سَالَامَانِكَا. تَحْتَلِينِ مَنْصَبَ مُدِيرَةِ مَتْحَفٍ غُوغَنْهَايِّمِ فِي بِيَلِياُو. وَقَدْ تَحْدَثَتْ مُؤْخَرًا عَنِ الْجَدْلِ الدَّائِرِ حَوْلِ لُوِيسِ كُوبِلِيزِ، الَّذِي أَوْفَقَ عَلَى أَنَّ أَعْمَالَهُ تَصَوَّرَ أَهْوَالَ الْحَيَاةِ الْمُعَاصِرَةِ وَقَدْ لَا يَكُونُ مَنْاسِبًا لِلْأَطْفَالِ، لَكِنِّي لَسْتُ مَتَّكِدًا مِنْ أَنَّنِي أَتَقَرَّ معَكَ عَلَى أَنَّ أَعْمَالَهُ تَشَبَّهُ بِأَعْمَالِ بَانِكِسِيِّ. لَمْ يَسْبِقْ لِكَ الزَّوْاجِ، وَلَيْسْ لَدِيكَ أَطْفَال، كَمَا أَنَّكَ تَبْدِي رَائِعَةً بِالْلُّونِ الْأَسْوَدِ".

فَغَرَّتْ أَمْبِرا فَاهْمَاهَا دَهْشَةً. "رَبَّاهُ! هَلْ تَتَجَحَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ حَقًّا؟".

قال مبتسماً: "لَا فَكْرَةَ لَدِيِّ. أَطْنَأْنَا سَنَكِتِشْفَ ذَلِكَ".

في تلك اللحظة، ظهر عنصران من الحرس الملكي ورافقاً للأمير لكي يتحدث مع بعض الشخصيات المهمة.

حملت أمبرا البطاقة بيدها، وساورها إحساس لم تشعر به منذ سنوات. أحست كما لو أن فراشات تطير حولها. هل دعاني الأمير للتنزه إلى الخروج؟

كانت أمبرا مراهقة طويلة القامة، ولطالما شعر الشباب الذين يدعونها إلى الخروج أنهم على قدم المساواة معها. لاحقاً، عندما بَرَزَ جمالها، وجدت فجأةً أن الرجال يأتوا يشعرون بالرهبة أمامها، ويتعلّمُون، ويخرجُون، ويبيدون احتراماً زائداً. أما الليلة، فقد تَقَرَّبَ منها رجل قويٌ بجرأة، وتَولَّ السُّيطرَةَ الكَاملَةَ عَلَى الْأَمْرِيْر. وهذا ما جعلها تشعر بأنوثتها وشبابها.

في الليلة التالية، أتى سائق لاحضار أميراً من الفندق، واصطحبها إلى القصر الملكي لتجد نفسها جالسة إلى جانب الأمير بصحبة عدد آخر من الضيوف، عرفت الكثرين منهم من الصفحات الاجتماعية أو الأخبار السياسية. عرف الأمير عنها على أنها "صديقته الجديدة الجميلة"، وفتح حديثاً حول الفنون استطاعت أميراً أن تشارك فيه بالكامل. ومع أنها شعرت أنها تحت الاختبار إلى حد ما، إلا أنها لم تمانع حقاً، بل أحست بالإطراء.

بنهاية الأمسية، أخذها جولييان جانباً وهمس قائلة: "أتمنى أن تكوني قد استمتعت بالسهرة. أود رؤيتك مرة أخرى، ماذا عن مساء الخميس؟".

"شكراً لك، لكنني أخشى أنه على أن أطير إلى بيلباو صباح غد".

"إذأ، سأطير أنا أيضاً. هل سبق لك أن ذهبت إلى مطعم إيتزانوبي؟".

ضحك أميراً. فقد كان المطعم من أكثر المطاعم المرغوبة في بيلباو. إذ كان المفضل لدى هواة فن الطهي من مختلف أنحاء العالم، ويمتاز بديكور عصري وأمكولات ملوّنة تجعل الزوار يشعرون كما لو أنهم جالسون في لوحة رسمها مارك شاغال.

سمعت نفسها تجيب: "فكرة جميلة".

في إيتزانوبي، وأمام أطباق أنيقة من سمك التونة المزينة بالسمّاق والهليون، راح جولييان يتكلّم بانفتاح حول التحيّات السياسية التي يواجهها وهو يحاول الخروج من ظل أبيه المريض، وعن الضغوط الشخصية التي يتعرّض لها من أجل استمرارية السلالة الملكية. رأت فيه أميراً براءة صبيّ صغير منعزل، غير أنها رأت أيضاً سمات قائد شغوف جداً بيبلاده. ووجدت ذلك المزيج فاتناً.

في تلك الليلة، عندما اصطحب الحراس جولييان إلى طائرته الخاصة، أدركت أميراً أنها مسحورة به.

ذكرت نفسها قائلة: "أنت بالكاد تعرفينه، لا تتبعجي".

مرت الأشهر التالية كلّم البصر، وكانت أميراً وجولييان يتقابلان باستمرار؛ إما في حفلات عشاء في القصر، أو في نزهات حول منزله الريفي، أو حتى لمشاهدة فيلم سينمائي. كانت علاقتها تسير بطبيعة، ولا تذكر أميراً أنها كانت يوماً أكثر سعادة. كان جولييان قديم الطراز على نحو محبٍ، وغالباً ما كان يمسك بيدها أو يسرق قبلة مهذبة، ولكنه لم يتجاوز الحدود التقليدية إطلاقاً، وقدرت أميراً سلوكه الرفيع.

في صباح أحد الأيام المشمسة، منذ ثلاثة أسابيع خلت، كانت أميراً في مدريد، وكان من المقرر أن تظهر في برنامج تلفزيوني صباحي حول معارض غوغنهايم المقلبة. كان برنامج تيليفيلاريو الذي يعرض على قناة RTVE ويشاهده ملايين الناس في

جميع أنحاء البلاد مباشرةً على الهواء. وكانت أميراً تشعر بشيء من القلق من الظهور عبر البث الحي، غير أنها كانت تعرف أن البرنامج سيوفر تغطية وطنية رائعة للمتحف.

في الليلة السابقة للبرنامج، التقت جولييان لتناول عشاء شهي في مطعم تراثوريا مالاتيستا، قبل أن ينسحبا بهدوء إلى حديقة إل باركوي ديل ريتIRO. جلساً يشاهدان الأسر التي خرجت للترهّ مع الأطفال الذين يضحكون ويركبون في أنحاء الحديقة، فشعرت أميراً بالسلام النام واستغرقت في جمال اللحظة.

سألها جولييان: "هل تحبّين الأطفال؟".

أجابت بصدق: "بل أعيشهم. في الحقيقة، أشعر أحياناً أن الأطفال هم الشيء الوحيد الذي ينقصني في حياتي".

ابتسم جولييان ابتسامة عريضة. "أعرف هذا الشعور في تلك اللحظة، نظر إليها بطريقة مختلفة، وأدركت أميراً فجأة لماذا طرح عليها هذا السؤال. فتلّكها الخوف، وصاحت صوت من أعماقها، أخبريه! أخبريه حالاً! حاولت أن تتكلّم، ولكنها لم تستطع.

سألها وقد بدا عليه القلق: "هل أنت بخير؟".

ابتسمت. "أعصابي متورّة بعض الشيء بسبب البرنامج بلا شك".
استرخي. سيكون كلّ شيء على ما يرام".

ابتسم لها ابتسامة عريضة، ثم انحنى وطبع قبلة خفيفة على شفتيها.
في الصباح التالي، عند الساعة السابعة والنصف، وجدت أميراً نفسها على مسرح صوتي تلفزيوني، تشارك في حديث مريح يبيّث عبر الهواء مع ثلاثة مضيفين ساحرين في برنامج تيليدياريyo. كانت مستغرقة في حماستها لغوغنهايم؛ حيث بالكاد لاحظت كامييرات التلفاز والجمهور داخل الاستوديو، أو تذكّرت أن خمسة ملايين شخص يشاهدونها في منازلهم.

اختتمت المضيفة الحديث قائلة: "شكراً أميراً، كان هذا مثيراً للاهتمام جداً. لقد سرنا لقاوك كثيراً".

أومأت أميراً برأسها تعبيراً عن الشكر وانتظرت انتهاء المقابلة.
ولكن الغريب أنّ مضيفة البرنامج ابتسمت بخجل وتتابعت حديثها متوجّهة مباشرةً إلى جمهور المنازل. بدأت قائلة بالإسبانية: "هذا الصباح، قام ضيف مميّز جداً بزيارة مفاجئة إلى استديو تيليدياريyo، ونودّ استضافته معنا".

وقف المضيفون الثلاثة وهم يصفقون، بينما دخل رجل أنيق المسرح. عندما رأه الجمهور، هبوا واقفين وهو يهتفون بقوّة.

وقفت أميرا هي الأخرى وقد شلتها الصدمة.

جولييان!

لَوْحُ الْأَمِيرِ جُولِيَّانُ لِلْحَشْدِ، وَصَافَعَ بِتَهْنِيبِ الْمُضيَّفِينَ الْثَّلَاثَةِ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَقُولَ إِلَى جَانِبِ أَمِيرًا وَيُحيطُهَا بِذِرْاعِهِ.

قَالَ مُتَحَدِّثًا بِالإسْپَانِيَّةِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْكَامِيرَا مَبَاشِرًا مُتَوجَّهًا إِلَى الْمُشَاهِدِينَ بِكَلَامِهِ: "لَطَّالَمَا كَانَ أَبِي رُومَنْسِيَا. وَعِنْدَمَا تَوْفِيتَ وَالَّذِي، لَمْ يَكُنْ عَنْ حَبَّهَا يَوْمًا. وَقَدْ وَرَثَتْ رُومَنْسِيَّتَهُ، وَأَعْتَدَ أَتَهُ عِنْدَمَا يَجِدُ الرَّجُلُ الْحَبَّ، فَإِنَّهُ يَعْرُفُ ذَلِكَ عَلَى الْفُورِ." وَنَظَرَ إِلَى أَمِيرًا وَابْتَسَمَ بِحَرَارَةٍ. "لَذَا..." تَرَاجَعَ جُولِيَّانُ خَطْوَةً إِلَى الْخَلْفِ وَوَقَفَ أَمَامَهَا. عِنْدَمَا أَدْرَكَتْ أَمِيرًا مَا يَوْشِكُ أَنْ يَفْعُلَهُ، شَلَّتْهَا الصَّدْمَةُ تَمَامًا. كَلَا! جُولِيَّانُ! مَاذَا تَقْعِدُ؟

وَمِنْ دُونِ سَابِقِ إِنْذَارٍ، رَكِعَ وَلَيَّ عَهْدِ إِسْپَانِيَا أَمَامَهَا فِجَاءَ. "أَمِيرًا فِيدَالُ، أَنَا الْآنُ لَسْتُ أَمِيرًا، بَلْ مُجَرَّدُ رَجُلٍ مَغْرِمٍ". نَظَرَ إِلَيْهَا بَعْنَيْنِ تَقْيِضَانَ بِالْعَاطِفَةِ، بَيْنَمَا تَمَّ دَفْعَ الْكَامِيرَاتِ لِلْتَّنَاقَطِ صُورَةً مُقْرَبَةً لِوَجْهِهِ. "أَنَا أُحِبُّكَ، فَهَلْ تَقْبِلُنِي الزَّوْجَ بِي؟".

شَهْقُ الْجَمَهُورِ وَالْمُضيَّفِينَ فَرَحًا، وَشَعَرَتْ أَمِيرًا بِمَلَائِينِ الْعَيْنَيْنِ حَوْلِ الْعَالَمِ تَنْرَكَزُ عَلَيْهَا. اِنْدَفَعَتِ الدَّمَاءُ إِلَى وَجْهِهَا، وَاحْسَنَتْ أَنَّ أَصْوَاءَ الْكَامِيرَاتِ تَحْرُقَ بَشْرَتِهَا. أَخْذَ قَلْبَهَا بِيَنْبَضٍ بَعْنَفٍ وَهِيَ تَحْتَقَنُ إِلَى جُولِيَّانَ وَآلَافَ الْأَفْكَارِ تَنْزَاحُمُ فِي رَأْسِهَا. كَيْفَ تَضَعُنِي فِي هَذَا الْمَوْقِفِ؟! لَمْ تَلْتَقِ سَوْيَ مِنْذَ مَذَهَّبَ قَصِيرَةٍ! ثَمَّةَ أَمْوَارُ لَا تَعْرِفُهَا عَنِّي... أَمْوَارُ مِنْ شَانِهَا أَنْ تَغْيِيرَ كُلَّ شَيْءٍ!

لَمْ تَعْرِفْ أَمِيرًا كَمْ بَقِيَتْ وَاقِفَةً وَهِيَ تَشْعُرُ بِحَالَةٍ مِنَ الْذَّعْرِ الصَّامِتِ. لَكِنْ أَخِيرًا، ضَحِكَ أَحَدُ الْمُضيَّفِينَ وَقَالَ: "أَعْتَدَ أَنَّ الْأَسْسَةَ فِيدَالَ فِي حَالَةٍ مِنَ الصَّدْمَةِ! آنَسَةَ فِيدَالِ، ثَمَّةَ أَمِيرٌ وَسِيمٌ رَاكِعٌ أَمَامَكَ وَيَعْتَرِفُ بِحَبَّهِ لَكَ أَمَامَ الْعَالَمِ أَجْمَعِ!".

بَحْثَتْ أَمِيرَا عَنْ طَرِيقَةٍ لِلْخَرْوَجِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَسْمَعْ سَوْيَ الصَّمْتِ، وَأَدْرَكَتْ أَنَّهَا مَحاَصِرَةً. لَمْ تَكُنْ أَمَامَهَا سَوْيَ طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ لِإِنْهَاءِ هَذِهِ الْلَّحْظَةِ الْعَلَيْنِيَّةِ. "أَنَا مُتَرَدِّدَةٌ لِأَنَّنِي لَا أَصْدَقُ أَنَّ لَهُذِهِ الْحَكَايَةِ الْخَرَافِيَّةِ نَهَايَةَ سَعِيدَةٍ". ثُمَّ اسْتَرْخَتْ وَابْتَسَمَتْ لِجُولِيَّانَ بِنَفْءِهِ. "بِالْطَّبِيعَ، أَقْبَلَ الزَّوْجُ بِكَ أَيَّهَا الْأَمِيرُ جُولِيَّانُ".

عَمَ التَّصْفِيقِ الْجَنُوَنِيِّ الْاسْتِدِيوِ.

عَنِّدَئِذٍ، وَقَفَ جُولِيَّانُ وَاحْتَضَنَ أَمِيرًا بَيْنَ ذِرَاعِيهِ. وَبَيْنَمَا كَانَا يَتَعَاقَّنَ أَدْرَكَتْ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ احْتَضَنَهَا طَوِيلًا قَبْلَ هَذِهِ الْلَّحْظَةِ.

بَعْدِ عَشَرِ دَقَائِقٍ، كَانَا جَالِسَيْنَ عَلَى الْمَقْعَدِ الْخَلْفِيِّ لِسَيَارَةِ الْلِّيْمُوزِينِ.

قَالَ جُولِيَّانُ: "أَرَى تَمَامًا أَنَّنِي فَاجَأْتَكَ، أَنَا آسَفٌ. كُنْتُ أَحَاوَلُ أَنْ أَكُونَ رُومَنْسِيَا. فَمُشَاعِري تَجَاهَكَ قَوِيَّةٌ، وَ-"

فقطعه أميراً بحدة: "جولييان، مشاعري تجاهك قوية أيضاً، ولكنك وضعتي في موقف مستحيل هناك! لم أتخيل أبداً أن تعرض على الزواج بهذه السرعة! فنحن بالكاد نعرف بعضنا. ثمة الكثير من الأمور التي أود إخبارك بها، وهي أمور مهمة عن ماضيّ".

"لا شيء يهمني في ماضيك".

"لكن هذه المسألة قد تهمك، وكثيراً".

فابتسم وهو يهز رأسه. "أنا أحبك، ولن يهمني أي شيء. جرببني".

تأملت أميراً الرجل الجالس أمامها. حسناً إذًا. لم تكن ترغب أن يجري الحديث على هذا النحو، ولكنه لم يترك لها الخيار. "حسناً، سأخبرك يا جولييان. عندما كنت صغيرة، التقطت عدوى خطيرة كادت أن تقتلني".

"حسناً".

وبينما كانت تتكلم، شعرت بفراغ عميق في داخلها. "وكانت النتيجة أن حلم حياتي بإنجاب الأطفال... سيقى حلماً".

"أنا لا أفهم".

قالت بصراحة: "جولييان، أنا لا أستطيع إنجاب الأطفال. فقد سببت لي تلك المشاكل الصحية العقم. لطالما أردت إنجاب الأطفال، لكنني لن أقدر. أنا آسفة. أعرف أن هذه المسألة مهمة بالنسبة إليك، ولكنك عرضت الزواج على امرأة لا تستطيع منحك وريثاً".

شحب وجه جولييان.

نظرت إليه أميراً وتمتنّت لو يتكلّم. جولييان، هذه هي اللحظة التي ينبغي أن تتحضّنني فيها وتقول إن كلّ شيء على ما يرام. هذه هي اللحظة التي ينبغي أن تقول لي فيها إنك لا تهتمّ، وإنك ستحبّني على الرغم من كلّ شيء. ثم حدث ما كانت تخشاه. فقد أشاح جولييان بوجهه عنها قليلاً. وفي تلك اللحظة، أدرك أميراً أن قصتها انتهت.

الفصل 45

يقع قسم الأمن الإلكتروني التابع للحرس الملكي في عدد من الغرف الخالية من النوافذ في الطابق الأرضي من القصر. ويتألف القسم الذي تم عزله عمداً عن ثكنة الحرس الملكي ومخزن أسلحته في القصر من عدد من حجرات الكمبيوتر، ولوح هاتف مركزي، وجدار من مراقبة الأمان. ويُعتبر الموظفون المؤلفون من ثمانية أشخاص، وجميعهم دون سن الخامسة والثلاثين، مسؤولين عن تأمين شبكة اتصالات آمنة لموظفي القصر الملكي والحرس الملكي، فضلاً عن دعم المراقبة الإلكترونية للقصر نفسه.

الليلة كالعادة، كان القسم خائفاً، تفوح فيه رائحة المعكرونة والفوشار المعدين في الميكروويف. وكانت المصايب الاصفه تتزّ بصوت عالٍ.

فكَرت مارتن في سرها: هذا هو المكان الذي طلبت أن يضعوا مكتبي فيه. فمع أنَّ منسقة العلاقات العامة لم تكن تابعة تقنياً للحرس الملكي، إلا أنَّ وظيفتها تتطلب منها الوصول إلى أجهزة كمبيوتر قوية وموظفين تقنيين بارعين. لذلك، بدا لها أنَّ قسم الأمن الإلكتروني مقرَّ منطقى بالنسبة إليها أكثر من أيِّ مكتب في الطابق العلوي غير المجهَّز بما يلزم.

الليلة، ساحتاج إلى كلِّ جزء من التكنولوجيا المتاحة.

خلال الأشهر القليلة الماضية، انصبَّ اهتمامها على مساعدة القصر في التركيز على هدفه خلال الانقلاب التدريجي للسلطة إلى يد الأمير جولييان. ولم يكن ذلك سهلاً. فانتقال السلطة من زعيم إلى آخر يشكّل فرصة للخصوم للإعلان عن معارضتهم للملكية.

وبحسب الدستور الإسباني، إنَّ النظام الملكي يشكّل "رمزاً للوحدة الدائمة والاستمرارية في إسبانيا". ولكنَّ مارتن كانت تعلم أنه ما من شيءٍ موحد في إسبانيا حالياً. وفي عام 1931، شكلت الجمهورية الثانية نهاية الملكية، ثمَّ أغرق انقلاب الجنرال فرانكو عام 1936 البلاد في حرب أهلية.

والليوم، مع أنَّ الملكية التي أعيد فرضها اعتبرت ديموقراطية لبيرالية، إلا أنَّ الكثير من الليبراليين استمروا بالتنديد بالملك، واعتباره بقايا عفا عليها الزمن من

الماضي الديني العسكري القمعي، فضلاً عن كونه تذكيراً يومياً بأن الطريق ما زال طويلاً أمام إسبانيا للتضمن تماماً إلى العالم الحديث.

تضمنت رسائل مونيكا مارتن هذا الشهر إظهار الملك كالمعتاد على أنه رمز محبوب لا يملك سلطة حقيقة. بالطبع، لم يكن ذلك سهلاً في الوقت الذي يُعدّ فيه الملك القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الدولة.

رئيس الدولة في بلد لطالما كان فيه الفصل بين الكنيسة والدولة مثاراً للجدل. في الواقع، شكّلت علاقة الملك المريض الوثيقة بالأسقف فالديسيبيينو شوكة في خاصرة العلمانيين والليبراليين لسنوات عديدة. والآن، الأمير جولييان.

كانت مارتن تعرف أنها تدين بوظيفتها للأمير، ولكنه كان يزيد مهمتها صعوبة في الآونة الأخيرة بكل تأكيد. فمنذ بضعة أسابيع، ارتكب الأمير أسوأ خطأ على صعيد العلاقات العامة رأته مارتن في حياتها.

فعلى إحدى الشاشات الوطنية، ركع الأمير جولييان على ركبتيه، وقدم عرض زواج مضحكاً لأمبرا فيدال. وما كان لتلك اللحظة الصعبة أن تكون أكثر إحراجاً إلا لو رفضت أميراً الزواج منه. لكن لحسن الحظ، كانت المرأة تتمتع بالذكاء الكافي لعدم فعل ذلك. مع الأسف، تبيّن لاحقاً أنَّ أميراً فيدال كانت أصعب مراساً مما توَقَّع جولييان، وتحول سلوكيها الخارج عن التقاليد هذا الشهر إلى أحد أبرز مخاوف مارتن على صعيد العلاقات العامة.

غير أنَّ سلوك أميراً الطائش ظيّبي تماماً هذه الليلة. فالموجة العاتية من النشاط الإعلامي التي ولدتها أحداث بيلباو تضخمت إلى حدٍ لم يسبق له مثيل. وخلال الساعة الماضية، اجتاحت العالم نظريات مؤامرة عديدة جداً، بما في ذلك بعض فرضيات جديدة تشمل الأسقف فالديسيبيينو.

كان أهم التطورات يتعلق بالقاتل الذي ارتكب جريمة غوغنهايم، والذي سمح له بالمشاركة في الحدث الذي كان يقامه كيرش "بناء على أوامر من داخل القصر الملكي". وقد أطلق هذا الخبر المدمّر فيضاً من نظريات المؤامرة التي اتهمت الملك طريح الفراش والأسقف فالديسيبيينو بالتآمر لاغتيال إد蒙وند كيرش الذي يُعدّ ظاهرة في مجال العالم الرقمي، وبطلاً أميركياً محظوظاً اختار العيش في إسبانيا. هذه القضية ستدمّر فالديسيبيينو.

صاح غارزا وهو يدخل غرفة التحكم: "أصغوا إلى جميعاً! الأمير جولييان والأسقف فالديسيبيينو موجودان معاً في مكان ما من هذا المبني! تحقّقوا من تسجيلات الأمن واعثروا عليهم حالاً!".

دخل القائد مكتب مارتن، وأطلعوا على آخر المستجدات مع الأمير والأسقف.

فهافت غير مصدقة: "أخفيها! وتركا هاتفيهما في خزنة الأمير!؟".

هز غارزا كتفه محبباً: "من الواضح أنهما فعل ذلك لكي لا نتمكن من تعقبهما".

قالت: "حسناً، لكن يجدر بنا العثور عليهما. إذ ينبغي للأمير جولييان أن يُلقي بيّان

حالاً، وعليه أن ينأى بنفسه عن فالديسيبينو قدر الإمكان". ثم أخبرته بأخر التطورات.

كانت المفاجأة من نصيب غارزا هذه المرة. كلّ هذا كلام فارغ. فمن المستحيل أن

يكون فالديسيبينو وراء عملية اغتيال.

"ربما لا، ولكن القتل يبدو مرتبطاً بالكنيسة الكاثوليكية. فقد عثر أحدهم للتّو على

علاقة مباشرة بين مطلق النار ومسؤول رفع المستوى في الكنيسة. ما عليك سوى إلقاء

نظرة هنا". فتحت مارتن آخر خبر لموقع ConspiracyNet، والصادر هذه المرة أيضاً

عن المُخبر المدعى monte@iglesia.org. "شر هذا الخبر منذ خمس دقائق".

انحنى غارزا وبدأ يقرأ، ثم اعترض قائلاً: "البابا! أفيلا على علاقة شخصية بهـ"

"تابع القراءة".

عندما أنهى غارزا قراءة الخبر، ابتعد عن الشاشة وراح يرفرف عينيه كما لو كان يحاول أن يستيقظ من حلم مخيف.

وفي تلك اللحظة، ناداه صوت رجل من غرفة التحكم. "أيها القائد غارزا، لقد عثرت عليهم!".

أسرع غارزا ومارتن إلى حجرة العميل سوريش بهالا، وهو أخصائي مراقبة هندي الأصل. أشار إلى تسجيل الأمن على شاشته، والذي يظهر عليه شخصان؛ أحدهما

يرتدى ثوب أسقف والأخر بدلة رسمية. وبينما يسيران في طريق مشجر.

قال سوريش: "الحقيقة الشرقية،منذ دققتين".

سأله غارزا: "هل غادرا المبنى؟!".

"لحظة سيدى". قام سوريش بتسريع التسجيل، وتعقب الأسقف والأمير عبر عدة كاميرات موزعة على مسافات من بعضها في مجمع القصر، ليظهر الرجال وهما

يغادران الحقيقة ويسيران عبر باحة مغلقة.

"إلى أين يذهبان؟!".

كانت مارتن تملّك فكرة واضحة عن وجهتهما، وأشارت إلى أن فالديسيبينو سلك طريقاً دائرياً يبعيدهما بعيداً عن مرأى السيارات الإعلامية في الساحة الرئيسة.

وكما توقعت، وصل فالديسيبينو وجولييان إلى مدخل الخدمة الجنوبي لكاتدرائية

المودينا، وهناك فتح الأسقف الباب وقد الأمير جولييان إلى الداخل، ثم أغلق الباب خلفهما واحتفى الرجال تماماً.

حق غارزا إلى الشاشة صامتاً، وبدا واضحاً أنه يجاهد لفهم ما رأه للتو. وأخيراً قال: «أبقي على اطلاع على التطورات». ثم أشار إلى مارتون لتلحق به.

وما إن أصبحا بعيدين عن السمع، حتى همس غارزا قائلاً: «لا أملك أدنى فكرة عن كيفية تمكّن الأسقف فالديسيبينو من إقناع الأمير جولييان بمرافقته إلى خارج القصر، أو ترك هاته خلفه. لكن، من الواضح أنّ الأمير لا يملك أيّ فكرة عن الاتهامات الموجّهة إلى فالديسيبينو، وإلا لعرف كيف ينأى بنفسه عنه».

قالت مارتون: «أوافقك الرأي، وأكره التكهن بنوايا الأسقف، لكن...» وتوقفت في وسط حديثها.

فسألها غارزا: «لكن، ماذا؟».

تنهيت مارتون. «يبدو أنَّ فالديسيبينو قد أخذ للتو رهينة قيمة للغاية».

وعلى مسافة نحو 250 ميلاً إلى الشمال، في ردهة متحف غوغنهايم، بدأ هاتف العميل فونسيكا يهتزّ. كانت تلك هي المرة السادسة خلال عشرين دقيقة. وعندما نظر إلى هوية المتصل، تأهّب كلّ جسده.

أجاب وقلبه ينبض: «نعم؟».

أناه الصوت عبر الخطّ بالإسبانية بطريقاً وواثقاً: «حضره العميل فونسيكا، كما تعرف جيداً، ارتكبت ملكة إسبانيا المستقبلية أخطاء رهيبة هذا المساء، وتواجهت مع أشخاص خططين؛ الأمر الذي سبب إحراجاً كبيراً للقصر الملكي. وتجنباً لوقوع المزيد من الضرب، من الأهمية بمكان أن تُعيدها إلى القصر بأسرع وقت ممكن».

أخشى أنت لا نملك فكرة عن مكان الآنسة فيدال في هذه اللحظة».

منذ أربعين دقيقة، انطلقت طائرة إدموند كيرش من مطار بيلباو متوجهة إلى برشلونة. وأعتقد أنَّ الآنسة فيدال كانت على متتها».

«وكيف عرفت ذلك؟» طرح فونسيكا السؤال، ثم ندم على تهوره على الفور.

أجابه الصوت بحدة: «لو كنت تقوم بعملك كما ينبغي لعرفت ذلك أنت أيضاً. أريده أن تتبعها أنت وشريكك على الفور. يتم تجهيز طائرة عسكرية في مطار بيلباو من أجلهما الآن».

قال فونسيكا: «إن كانت الآنسة فيدال على متنهن تلك الطائرة، فهي تسافر على الأرجح برفقة البروفيسور الأميركي روبرت لانغدون».

فقال المتصل غاضباً: «أجل، ولا أملك أيّ فكرة حول كيفية تمكّن هذا الرجل من إقناع الآنسة فيدال بترك مرافقيها والفرار معه. لكن من الواضح أنَّ السيد لانغدون يشكّل عائقاً، ومهمّتكما هي إيجاد الآنسة فيدال وإعادتها بالقوة إن لزم الأمر».

"وماذا إن تدخل لانغدون؟".

خِمْ صمت نقيل قبل أن يجيب المتصل: "ابذلا قصارى جهدكما للحد من الأضرار الجانبية. لكن هذه الأزمة من الخطورة بمكان؛ حيث إن التفريط بالبروفيسور لانغدون أمر غير مستبعد".

الفصل 46

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

مقتل كيرش يتصدر الأخبار!

بدأ الإعلان العلمي لإدموند كيرش هذه الليلة كعرض على الإنترنت جذب عدداً مدهشاً من المشاهدين تخطى ثلاثة ملايين مشاهد. لكن في أعقاب اغتياله، تتم حالياً تخطية قصة كيرش على الشبكات الرئيسية في العالم، والتي يُقدر عدد مشاهديها الحاليين بأكثر من ثمانين مليوناً.

الفصل 47

بينما بدأت طائرة كيرش هبوطها في برشلونة، أفرغ روبرت لأنغدون فهونته الثاني، وحذق إلى بقايا الوجبة الخفيفة المرتجلة التي تناولها مع أمبرا في ساعة متأخرة من الليل من خزانة إدموند: مكسرات، وكعك بالأرز، وأعواد نباتية كانت جميعها متشابهة المذاق بالنسبة إليه.

جلست أمبرا في دايل أمامه وأنهت كأسها الثانية، وبدت أكثر استرخاء بكثير. قالت بشيء من الخل: "شكراً لإصغائك إليّي. بالطبع، لم أتمكن من التحدث عن جولييان مع أحد".

أوما لأنغدون برأسه بتفهم بعد أن سمع للتو قصة عرض الزواج المحرج الذي قدّمه لها جولييان على الهواء. لم يكن لديها خيار؛ فقد كان لأنغدون يعرف تماماً أنّ أمبرا لا تستطيع المخاطرة بإهانة ولني عهد إسبانيا على محطة وطنية.

قالت أمبرا: "بالطبع، لو علمت أنه سيعرض على الزواج بتلك السرعة لأخبرته أنتي لا تستطيع الإنجاب. لكن، حدث كل شيء من دون سابق إنذار". وهزّت رأسها ونظرت بحزن عبر النافذة. "ظننت أنه يعجبني. لا أدرى، ربما كنت مسحورة بـ"

قال لأنغدون مبتسماً: "أمير وسيم، أسمرا، وطويل القامة؟".

ضحك أمبرا بصوت خافت والتفت إليه. "هو بالفعل يتمتع بهذه المواقف. لا أدرى، بدا رجلاً طيباً. ربما كان منعزلاً، ولكنه رومانسي، وليس من نوع الأشخاص الذين يُقدِّمون على التورط في مقتل إدموند".

شعر لأنغدون أنها على حق. فالامير لن يكسب شيئاً من موت إدموند، وما من دليل مؤكّد على أنه متورط في عملية الاغتيال على أيّ حال، بل مجرد اتصال هاتفي من شخص من داخل القصر يطلب إضافة اسم الأميرال أفيلا إلى قائمة الضيوف. حتى هذه اللحظة، بدا الأسقف فالديسيينو المشتبه به الأكثر احتمالاً، لكونه عرف بفوبي إعلان إدموند في وقت مبكر بما فيه الكفاية للتخطيط لمنعه، ولأنه يعرف أكثر من أيّ شخص آخر كم سيكون مدمرًا لسلطة الديانات في العالم.

قالت أمبرا بهدوء: "من الواضح أنتي لا تستطيع الزواج من جولييان. فأنا لا أكفر عن التفكير في أنه سيفسخ الخطوبة الآن بعد أن عرف أنتي لا تستطيع الإنجاب.

فسلالته تحمل العرش منذ أربعة قرون تقريباً، ولدي إحساس أن مديرية متحف من بيلباو لن تكون سبباً لإنهاء تلك السلالة".

أعلن الطياران عبر مكبر الصوت أنَّ الوقت قد حان للاستعداد للهبوط في برشلونة.

عندئذ، خرجت أميراً من استغراقها في أفكارها، وبدأت ترتيب المقصورة، فغسلت الكؤوس وتخلصت من بقايا الطعام.

ارتفع صوت وينسون من هاتف إدموند الموضوع على الطاولة: "بروفيسور، أعتقد أنه يجدر بك الاطلاع على بعض المعلومات الجديدة التي تنتشر بقوة على الإنترنت حالياً. فثمة أدلة قوية تشير إلى وجود علاقة سرية بين الأسقف فالديسيبينو والقاتل الأمiral أفيلا".

ذهب لأنجدون لدى سماعه هذا الخبر.

أضاف وينسون: "مع الأسف، ثمة المزيد. فكما تعلم، ضم اللقاء السري الذي أجراه كيرش مع الأسقف فالديسيبينو رجلي دين آخرين؛ وهما حاخام بارز وعلامة محبوب. في الليلة الماضية، تم العثور على العلامة ميتا في صحراء قرب دبي. ومنذ دقائق، وردت معلومات مثيرة للقلق من بودابست، إذ يبدو أنَّ الحاخام وُجد ميتا نتيجة لنبوة قلبية في الظاهر صُدم لأنجدون تماماً.

قال وينسون: "يتساءل المدونون عن مدى كون توقيت وفاتهما مصادفة". هُنْ لأنجدون رأسه غير مصدق. ف بشكل أو باخر، بات الأسقف أنطونيو فالديسيبينو الآن الشخص الوحيد الحي الذي يعرف ما اكتشفه كيرش.

عندما لامست طائرة الغولفستريم G550 المدرج الحالي في مطار ساباديل عند سفح برشلونة، أطمأنَّت أميراً عندما لاحظت عدم وجود مصورين أو صحفيين بانتظارهما. فبحسب إدموند، ولتجنب المعجبين في مطار إل بررات في برشلونة، قرر إيقاء طائرته في محطة الطيران الصغيرة هذه.

لكنَّ أميراً كانت تعرف أنَّ هذا ليس السبب الحقيقي.

في الواقع، كان إدموند يحب الاهتمام، وقد اعترف لها أنه كان يبقى طائرته في مطار ساباديل ليجد عذرًا لقيادة سيارته الرياضية المفضلة تيسلا موديل P90D التي يزعم أنَّ إلون موسك سلمَها إليها باليد كهدية. كما يدعى إدموند أنه تحدى في أحد الأيام طياريه في سباق لمسافة ميل على المدرج بين الغولفستريم وتيسلا، لكنَّ الطيارين قاما بحسابهما ورفضا التحدى.

فَكَرِتْ أَمْبَرَا فِي سُرُّهَا بِأَسْفٍ: سَاقَتْدَ إِيمُونْدٌ. صَحِيحٌ أَنَّهُ كَانَ مُتَرْفًا وَمُتَهَوْرًا، لَكِنَّ خِيَالَهُ الْبَاهِرُ يَسْتَحْقَقُ مِنَ الْحَيَاةِ أَكْثَرَ بَكْثَرًا مَمَّا حَلَّ بِهِ اللَّيْلَةُ. أَتَمَّى وَحْسَبُ أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ تَكْرِيمِهِ مِنْ خَلَلِ الإِعْلَانِ عَنِ اكْتِشافِهِ لِلْعَالَمِ.

عِنْدَمَا دَخَلَتِ الطَّائِرَةُ حَظِيرَتِهَا وَانْطَفَاتِهَا، لَاحَظَتِ أَمْبَرَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَادِئٌ. مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُمَا مَا زَالَا هِيَ وَالْبِرُوفِيسُورُ لَانْغَدُونُ بِعِدِينِ عَنِ الْأَنْظَارِ.

تَقْدِمَتِ أَمْبَرَا إِلَى سُلْطَنِ الطَّائِرَةِ، ثُمَّ وَقَتْتِ تَنْتَفَسُ بِعُمَقٍ مُحاوَلَةً تَصْفِيَّةً ذَهْنَهَا. كَانَتِ كَأسُ الشَّرَابِ الثَّانِيَّةُ قَدْ فَعَلَتْ فَعْلَاهَا، حِيثُ نَدَمَتْ لِأَنَّهَا شَرَبَتِهَا. وَعِنْدَمَا وَقَتْتِ عَلَى أَرْضِ الْحَظِيرَةِ الإِسْمَنْتِيَّةِ، تَرَحَّتْ بَعْضُ الشَّيْءَ، وَشَعَرَتْ بِهِ لَانْغَدُونُ الْقَوِيَّةُ عَلَى كَتْفَاهَا تَدْعُمُهَا.

"شَكْرَا لِكَ". هَمَسَتْ بِذَلِكَ وَهِيَ تَبَسَّمُ لِلْبِرُوفِيسُورِ الَّذِي سَاعَدَهُ فَنْجَانَا الْقَهْوَةَ عَلَى الْبَقاءِ مُتَبَّهَا تَمَامًا.

قَالَ لَانْغَدُونُ وَهُوَ يَرْمِقُ السَّيَّارَةَ السَّودَاءَ رِبَاعِيَّةَ الدَّفْعِ الْمُرْكَوَنَةِ فِي الْزاوِيَّةِ: "عَلَيْنَا التَّوَارِيِّ عَنِ الْأَنْظَارِ بِأَسْرَعِ وَقْتٍ مُمْكِنٍ. أَظُنُّ أَنَّهُذِهِ هِيَ السَّيَّارَةُ الَّتِي أَخْبَرْتِنِي عَنْهَا".

أَوَّلَتْ بِرَاسِهَا مُجَبِّيَّةً: "هَذِهِ حَبَّ إِدْمُونْدَ السَّرَّيِّ".

"لَوْحَةُ التَّرْخِيصِ غَرِيبَةٌ".

نَظَرَتِ أَمْبَرَا إِلَى لَوْحَةِ السَّيَّارَةِ وَضَحَّكَتْ.

E-WAVE

إِـوايف

شَرَحَتْ لَهُ قَائِلَةً: "فِي الْوَاقِعِ، أَخْبَرْنِي إِدْمُونْدُ أَنَّ غُوْغُلَ وَنَاسًا اشْتَرَيَا مُؤْخَرًا جَهَازَ كَمْبِيُوتَرٍ خَارِقًا يُدْعَى دــوايفــ D-WAVE، يُعَدُّ أَوَّلَ جَهَازَ كَمْبِيُوتَرٍ "كَمِيَّاً" فِي الْعَالَمِ. وَحَاوَلَ أَنْ يَشْرَحَهُ لِي، لَكِنَّهُ مَعَقَّدٌ جَدًّا، شَيْءٌ عَنِ التَّرَاكِبِ، وَمِيكَانِيَّكِ الْكَمِ، وَإِنْتَاجِ سَلَالَةٍ جَدِيدَةٍ تَمَامًا مِنَ الْآلاتِ. عَلَى أَيِّ حَالٍ، قَالَ إِدْمُونْدُ إِنَّهُ أَرَادَ بِنَاءَ شَيْءٍ يَتَفَوَّقُ عَلَى دــوايفــ، وَقَرَرَ أَنْ يَسْمِيَ جَهَازَ الْكَمْبِيُوتَرِ الْجَدِيدِ هَذَا إِـوايفــ".

قَالَ لَانْغَدُونُ: "إِـ هوَ الْحَرْفُ الْأَوَّلُ مِنْ إِدْمُونْدِ".

كَمَا أَنَّهُ يَتَجَاوزُ دــ بِخَطْرَةٍ. تَذَكَّرَتِ أَمْبَرَا قَصَّةً إِدْمُونْدَ عَنِ جَهَازِ الْكَمْبِيُوتَرِ الشَّهِيرِ فِي عَامِ 2001: أُوبِيُّسِيِّ الفَضَّاءِ، الَّذِي سُمِّيَّ وَفَقًا لِلْأَسْطُورَةِ بِاسْمِ HAL لَأَنَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنْ أَحْرَفِ الْاسْمِ يَقْعُدُ أَبْجِيدِيًّا بَعْدَ أَحْرَفِ IBM.

سَأَلَهَا لَانْغَدُونُ: "وَمَاذَا عَنْ مَفَاتِيحِ السَّيَّارَةِ؟ قَلْتِ إِنَّكَ تَعْرِفِينَ أَينَ يَخْبَئُهَا".

"إِنَّهُ لَا يَسْتَخْدِمُ مَفْتَاحًا". حَمَلَتِ أَمْبَرَا هَاتِفَ إِدْمُونْدَ وَتَابَعَتْ قَائِلَةً: "لَقَدْ أَرَانِي ذَلِكَ عِنْدَمَا أَتَيْنَا إِلَى هَذَا الشَّهْرِ الْفَائِتِ". لَمَسَتْ شَاشَةَ الْهَاتِفِ، وَشَغَلَتْ تَطْبِيقَ تِيسِّلا، ثُمَّ اخْتَارَتْ أَمْرَ الْاسْتِدَاعَاءِ.

وعلى الفور، أضيئت المصايبع الأمامية للسيارة المركونة في زاوية الحظيرة. ومن دون أي صوت، انزلقت بيسلا بسلامة حتى وصلت إلى جانبهما وتوقفت.

أمال لأنغدون رأسه، وبدا متورطاً من فكرة أن تقود سيارة نفسها.

طمأنته أميرا قائلة: "لا تقلق، سأدعك تقودها إلى شقة إدموند".

أوما لأنغدون برأسه موافقاً، ودار حول السيارة ليصعد من جهة السائق. وبينما كان يمر من أمام السيارة، توقف وحده إلى لوحة الترخيص، ثم انفجر ضاحكاً بصوت عالٍ. عرفت أميرا تماماً ما أضحكه، فقد حملت لوحة ترخيص سيارة إدموند الجملة التالية: والخبراء يرثون الأرض.

قال لأنغدون وهو يجلس خلف المقود: "المسألة أن اللباقة لم تكن يوماً من نقاط قوة إدموند".

قالت أميرا وهي تجلس إلى جانبه: "كان يحب هذه السيارة؛ فهي كهربائية بالكامل وأسرع من الفيراري".

هز لأنغدون كتفيه بلا اكتئاث وهو يرمي لوحة أجهزة القياس عالية التقنية. "أنا لست مولعاً بالسيارات حقاً".

فابتسمت أميرا قائلة: "لكنك ستصبح كذلك".

الفصل 48

انطلقت سيارة أوبير التي نقلَّ أفيلاً شرقاً في الظلام، وتساءل الأميرال عن عدد المرات خلال سنوات عمله كضابط بحري التي رسا فيها في ميناء برشلونة. بدت له حياته السابقة بعيدة جداً، بعد أن انتهت في ومضة نارية في إشبيلية. كان قدرأً قاسياً وغير متوقع، ولكنَّه بدأ يتوازن بشكل غريب الآن. فالقدر نفسه الذي مرَّ روحه في كاتدرائية إشبيلية منحه الآن حياة ثانية؛ بداية جديدة ولدت داخل جدران كاتدرائية مختلفة تماماً.

المفارقة هي أنَّ الشخص الذي اصطحبه إلى هناك كان مجرد معالج فيزيائي يُدعى ماركو.

سأل أفيلاً مدرِّبه قبل أشهر عندما اقترح عليه الفكرة: "قاء مع البابا؟! غداً؟ في روما؟".

أجاب ماركو: "غداً في إسبانيا. فالبابا موجود هنا". فنظر إليه أفيلاً كما لو كان مجنوناً وقال: "لم يذكر الإعلام شيئاً عن وجود قداسته في إسبانيا".

أجاب ماركو ضاحكاً: "ثق بي قليلاً أيها الأميرال، ما لم تكن لديك ارتباطات أخرى غداً".

نظر أفيلاً إلى ساقه المصابة. ولكن ماركو قال: "سنغادر عند التاسعة. وأعدك أنَّ رحلتنا القصيرة ستكون أقلَّ إيلاماً بكثير من تمارين إعادة التأهيل".

وفي الصباح التالي، ارتدى أفيلاً زيَّ البحرية الذي أحضره له ماركو من المنزل، واستعan بعكارين للذهاب إلى سيارة ماركو الفيارات القديمة. خرج ماركو من مرأب المستشفى، وتوجه جنوباً على جادة أفينيدا دي لا رازا، إلى أن خرج من المدينة وسلك الطريق السريع N-4 المتوجه جنوباً.

سأله أفيلاً بشيء من الاضطراب المفاجئ: "إلى أين نحن ذاهبان؟". ابتسם ماركو مجيباً: "استريح، وثق بي. لن تستغرق المسافة سوى نصف ساعة".

كان أفيلا يعرف أنَّ طريق N-4 لا يحتوي سوى على مراعٍ غير مأهولة لمسافة 150 كم أخرى. وكان قد بدأ يظنُّ أنه ارتكب خطأً فادحًا. وبعد انقضاء نصف ساعة، اقتربا من بلدة إل توريسكال الشبيهة بمدينة الأشباح. كانت البلدة في ما مضى قرية زراعية مزدهرة، لكنَّ عدد سُكَّانها تضاعف مؤخرًا إلى أنْ باتت خالية تماماً. لكنَّ إلى أين يصطحبني هذا الرجل؟! قاد ماركو السيارة لبعض دقائق أخرى، ثمَّ خرج من الطريق السريع وانعطف شماليًا.

سألَه ماركو مُشيرًا إلى البعيد خلف حقل فسيح: "هل تراها؟". لم يرَ أفيلا شيئاً. فإما أن يكون المدرب الشاب يعاني من الهلوسة، أو أنَّ عيني أفيلا تقدَّمتَا في السنِّ. أعلَنَ ماركو: "الليست رائعة؟".

حقَّ أفيلا جيداً، ثمَّ رأى أخيراً شكلًا داكناً خلف الحقل. ومع اقترابهما، حملَ على البناء غير مصدق. أهذه... كاتدرائية؟!

كان حجم المبني كبيراً حيث يتَوَقَّع المرء رؤيته في مدريد أو باريس. ومع أنَّ أفيلا عاش في إشبيلية طوال حياته، إلا أنَّه لم يعرِف بوجود كاتدرائية هنا في هذا المكان الثاني. وكلَّما اقتربا، بدا المجمع أكثر مهابة، ولا يُلاحظ أنَّ الجدران الإسمنتية الهائلة توفر درجة من الحماية لم يرَها أفيلا سوى في مدينة الفاتيكان.

غادر ماركو الطريق السريع، وقاد السيارة على طول طريق قصير يؤدي إلى الكاتدرائية، إلى أنَّ وصلاً إلى بوابة حديدية ضخمة تسدَّ الطريق. أوقف ماركو السيارة، ثمَّ أخرج بطاقة مغلَّفة من صندوق القفازات ووضعها على لوحة القيادة.

اقربَ منها حارس، ورمق البطاقة، ثمَّ نظر إلى داخل السيارة وابتسم ابتسامة عريضة عندما رأى ماركو. رَحِب به الحارس بالإسبانية قائلاً: "أهلاً وسهلاً، كيف حالك يا ماركو؟". صافح الرجال بعضاهمَا، وعزفه ماركو على الأميرال أفيلا.

قال ماركو للحارس: "لقد أتى لرؤيه البابا". أومأَ الحارس برأسه، وتأملَ بإعجاب الميداليات المعلقة على بدلة أفيلا، ثمَّ لوح لهما للدخول. وعندما فُتحت البوابة الضخمة أمامهما، شعر أفيلا كأنَّه يدخل قسراً من القرون الوسطى.

كانت الكاتدرائية القوطية التي ظهرت أمامهما تضمُّ ثمانية أبراج شاهقة، وكلَّ منها يحتوي على برج جرس من ثلاثة طوابق. ثلاث قباب ضخمة تشكَّل جسم المبني، وتكونَ من الخارج من الأحجار البنيَّة الداكنة والبيضاء، مضفيَّة على البناء طابعاً حديثاً غير اعتيادي.

نظر أفيلا إلى الطريق المؤدية إلى الكاتدرائية، والتي تتفرع إلى ثلات طرق متوازية، تحيط بكل منها صفوف من أشجار النخيل الطويلة. فوجئ أفيلا لدى رؤيته المكان مزدحماً بالسيارات المركونة، بالمئات منها، من سيارات السيدان الفاخرة إلى الحافلات المتهالكة والدرجات المغطاة بالوحول... كل ما يمكن أن يتخيله المرء.

تجاوزها ماركو كلها، وقاد السيارة مباشرة إلى باحة الكنيسة الأمامية. وهناك، رأها حارس، فنظر إلى ساعته، ثم لوح لها للدخول إلى موقف خالي من الواضح أنه حُجز لها.

قال ماركو: "لقد تأخرنا قليلاً، علينا أن نسرع بالدخول".

كان أفيلا على وشك أن يجيب، ولكنه لم يستطع أن يتقوه بأي كلمة. فقد رأى للتو اللوحة المعلقة على مدخل الكنيسة:

الكنيسة الكاثوليكية البالمارية

ذهب أفيلا من هول المفاجأة. رياه! لقد سمعت بهذه الكنيسة! التفت إلى ماركو، وحاول السيطرة على نبضه المتسارع. "أهذه كنيستك يا ماركو؟". حاول أفيلا ألا يبدو خائفاً. "هل أنت... بالماري؟". ابتسם ماركو مجيباً: "تقول الكلمة كما لو كانت مرضأ. أنا مجرد كاثوليكي مخلص يعتقد أن روما انحرفت عن الطريق القويم".

نظر أفيلا مجدداً إلى الكنيسة. الآن، أصبح أداء ماركو الغريب بأنه يعرف البابا منطبقاً فجأة. البابا هنا في إسبانيا.

قبل بضع سنوات، بثت الشبكة التلفزيونية كانال سور برنامجاً وثائقياً تحت عنوان لا إغليزيا أوسكورا (الكنيسة المظلمة)، وكان هدفه كشف بعض أسرار الكنيسة البالمارية. ويومذاك، ذهب عندما عرف بوجود هذه الكنيسة الغربية؛ هذا من دون ذكر جماعتها مت坦مية العدد ونفوذها المتعاظم.

بحسب التقليد، تم تأسيس الكنيسة البالمارية بعدما زعم بعض السكان المحليين أنهم شاهدوا سلسلة من الرؤى الباطنية في حقل مجاور. وأدعوا أن السيدة مريم العذراء ظهرت لهم وحذرتهم من أن الكنيسة الكاثوليكية ضلت بسبب "بدعة الحادثة"، وأنه ينبغي حماية الدين القويم.

حثت السيدة العذراء أهل إل بالمار على تأسيس كنيسة بديلة وشجب البابا الحالي في روما؛ باعتباره بابا مزيفاً. وعرفت هذه القناعة بأن بابا الفاتيكان ليس الخبر الصالح باسم المقعد الشاغر، والمقصود بذلك مقعد القديس بطرس.

بالإضافة إلى ذلك، زعم البالماريون أن لديهم أدلة على أن البابا "الحقيقي" كان في الواقع مؤسس جماعتهم؛ وهو رجل يدعى كليمينتي دومينغويز إي غوميز، الذي أخذ اسم البابا غريغوري السابع عشر. وتحت حكم البابا غريغوري، البابا المزيّف برأي الكاثوليكين الأساسيين، راحت الكنيسة بالمارية تنمو بطارداً. وفي عام 2005، عندما توفى البابا غريغوري خلال ترأسه قداس الفصح، أعلن مؤيدوه أن توفيت وفاته كان إشارة عجائبية من السماء.

والآن، بينما كان أفيلا يحقق إلى الكنيسة الضخمة، شعر بالتوهج رغم أنه.
أيًّا يكن البابا المزيّف الحالي، فأنا لست مهمًا بلقائه.

بالإضافة إلى الانتقادات التي وجهت لمزاعم الكنيسة بالمارية الجريئة حول الباباوية، وجّهت لها اتهامات بغسل الأدمغة والتخويف، حتى إنها حملت مسؤولية العديد من الوفيات الغامضة، بما في ذلك عضو الكنيسة بريديجيت كروسي التي كانت استناداً إلى محامي أسرتها - "عاجزة عن الفرار" من إحدى الكنائس بالمارية في إيرلندا. لم يشاً أفيلا أن يتصرف بوقاحة مع صديقه الجديد، ولكن ذلك لم يكن ما توقعه على الإطلاق من رحلة هذا اليوم. وقد قال وهو يتهدّد معتذراً: "ماركو، أنا آسف، ولكنني لا أعتقد أثني أستطيع فعل ذلك".

قال ماركو من دون أن يبدو عليه أي تأثر: "رأونني شعور بأنك ستقول ذلك. وأنا أقر بأني رد فعلـي كان مشابهاً عندما أتيت إلى هنا للمرة الأولى. أنا أيضاً سمعت كل القيل والقال والشائعات المخيفة، ولكنني أؤكد لك أنها ليست سوى حملة تشويه يقودها الفاتيكان".

فتسائل أفيلا في سرده: وهل يُلام على ذلك؟ فقد أعلنت كنيستكم عدم شرعية!
كانت روما بحاجة إلى سبب لحرماننا من حقوقنا الكنسية، ولذلك راحوا يلتفون الأكاذيب. ولسنوات من الزمن، عمل الفاتيكان على نشر معلومات مضللة عن البالماريين.

راح أفيلا يقيم الكاتدرائية الرائعة المبنية في هذا المكان النائي، وراوده حالها شعور غريب. قال: "أنا حائز. إن لم تكن لديكم أي علاقة بالفاتيكان، فمن أين يأتيكم المال إذا؟". ابتسم ماركو مجيئاً: "قد يدهشك عدد الأتباع السريين الذين يملكون بالماريون ضمن رجال الدين الكاثوليـك. فنـسبة الكثـير من الرعايا الكاثوليـك المحافظـين في إسبانيا الذين لا يوافقـون على التغيـيرات الليبرـالية التي تقوـدهـا رومـا. ولذلك، فـهم يرسلـون المال سـراً إلى كنـائـس مـثل كـنيـستـنا تحـافظ على الـقيم التقـليـدية".

كان جوابـه غير متـوقعـ، ولكـنه بدا منـطـقـاً بالـنـسـبة إلى أـفيـلاـ. فهو أيضـاً كان يـشعـر بالـشقـاقـ المتـمامـي دـاخـلـ الـكـاثـوليـكـيةـ، والـذـيـ كانـ عـبـارـةـ عنـ خـلـافـ بـيـنـ منـ

يعتقدون أن الكنيسة بحاجة إلى التحذير تجذباً للموت، وأولئك المتمسّكين بالهدف الحقيقي للكنيسة، والذي ينبغي أن يبقى ثابتاً في مواجهة العالم المتطرّف.

قال ماركو: "البابا الحالي رجل رائع. أخبرته بقصتك، فقال إنه سيسره استقبال ضابط عسكري يحمل أوسمة في كنيستنا، ويرغب بالاجتماع بك شخصياً بعد قداس هذا اليوم."

فهو على غرار سابقيه، كان له تاريخ عسكري قبل أن يسلك درب الإيمان، ويفهم ما تمرّ به. وأنا أعتقد حقاً أن وجهة نظرك قد تساعدك على إيجاد السلام".

فتح ماركو بابه ليترجّل من السيارة، لكنّ أفيلا لم يستطع أن يتحرّك. جلس في مكانه يحدّق إلى البناء الهائل، ويشعر بالذنب لأنّه يحمل بداخله تحيّزاً ضدّ أولئك الأشخاص. ففي الحقيقة، لم يكن يعرف شيئاً عن الكنيسة البالمارية باستثناء الشائعات، والحقّ يقال إنّ الفاتيكان لم يسلم من الفضائح. بالإضافة إلى ذلك، إنّ كنيسته لم تساعدّه إطلاقاً بعد الهجوم، إذ اكتفت الراهبة بالقول: /اغفر لأعدائك، أدر لهم الخَلَقَ الأيسر.

همس ماركو: "لويس، أصغِ إليّ. أنا أدرك أنّي خدعتك قليلاً لأجلبك إلى هنا، لكنّ نواياي حسنة. أريدك أن تقابل هذا الرجل، فأفكاره غيرت حياتي تماماً. بعدما خسرت ساقي، كنت في المكان الذي أنت فيه الآن. أردت الموت، وشعرت أنّي كنت أغرق في الظلم. لكنّ هذا الرجل أعطاني هدفاً. تعال واستمع إلى عظه، ثمّ احكم بنفسك".

تردّد أفيلا وقال: "أنا سعيد من أجلك يا ماركو، لكنّي أعتقد أنّي سأكون على ما يرام بمفردّي".

ضحك الشاب قائلاً: "على ما يرام! منذ أسبوع، صوّبت مسدساً إلى رأسك وضغطت على الزناد! أنت لست على ما يرام يا صديقي".

أدرك أفيلا صحة ذلك. إنه على حقّ. وبعد أسبوع، عندما ينتهي علاجي، سأعود إلى البيت، إلى وحدي وضياعي".

ألح عليه ماركو: "ما الذي تخشاه؟ أنت ضابط بحري. أنت رجل ناضج كان يقود سفينته! هل أنت خائف من أن يقوم البابا بغسل دماغك في عشر دقائق وأخذك رهينة؟".
أنا لست متأكداً من الشيء الذي أخافه. وتحقّق إلى ساقه المصابة، وشعر أنه صغير وعجز على نحو غريب. فخلال معظم سنوات حياته، كان هو المسؤول وهو من يعطي الأوامر. والآن، ليس متأكداً من أنه قادر على تنقّي الأوامر من شخص آخر

قال ماركو أخيراً وهو يعيد تثبيت حزام الأمان: "لا بأس، أنا آسف. من الواضح أنّك لست مرتاحاً، ولا أودّ أن أضغط عليك أكثر. ومدّ يده لتشغيل محرك السيارة.

عندئذ، شعر أفيلا أنه سخيف. فقد كان ماركو شاباً صغيراً، لا يتجاوز ثلث عمر أفيلا تقريباً، فقد ساقه، ويحاول مساعدة عاجز مثله. وها هو يشكّره بالتصّرف بعدم امتنان وتشكّك.

قال أفيلا: "كلّا، سامحني يا ماركو. سيُسرّني أن أستمع إلى العظة التي سيلقيها هذا الرجل".

الفصل 49

كان الزجاج الأمامي لسيارة إدموند تيسلا موديل 10 فسيحاً، ويتصالب بسلامة سقف السيارة فوق رأس لانغدون، ويعطيه شعوراً مريكاً بأنه يطفو داخل فقاعة زجاجية. وبينما كان يقود السيارة على الطريق السريع المشجرة شمال برشلونة، فوجئ وهو يجد نفسه يتجاوز السرعة القصوى البالغة 120 كيلومتراً في الساعة. فحرك السيارة الكهربائي الصامت، وميزة التسارع الخطأ يجعلن كل السرعات تبدو متشابهة تقريباً.

إلى جانبه، انشغلت أمبرا بتصفح الإنترنت على شاشة الكمبيوتر التي تتضمنها لوحة أجهزة القياس الضخمة في السيارة، وراحت تنقل للانغدون الأخبار المنتشرة حالياً في العالم. فقد تمت حياكة شبكة متعاظمة من المكائد والمؤامرات؛ بما في ذلك شائعات عن أن الأسقف فالديسيبينو كان يمول البابا المزيف للكنيسة البالمارية، الذي يُزعم أن علاقات عسكرية تربطه بكارليين محافظين. ويبدو أنه لم يكن مسؤولاً عن مقتل إدموند فحسب، بل كذلك عن موت سيد الفضل والحاخام يهودا كوفيس.

وبينما كانت أمبرا تقرأ بصوت عالٍ، اتضاع له تماماً أن وسائل الإعلام في كل مكان تطرح السؤال نفسه: ما الذي اكتشفه إدموند كيرش؟ وما الذي يجعله من الخطورة بمكان حيث يعمد أسقف بارز وطائفه كاثوليكية محافظة إلى قته في محاولة لإسكاته؟ قالت أمبرا وهي تلتفت إليه: "عدد المشاهدين لا يصدق. فاهتمام الناس بهذه القصة لم يسبق له مثيل... ويبدو أن العالم بأكمله مسرّ أمام الشاشات".

في تلك اللحظة، أدرك لانغدون أنه قد يكون لمقتل إدموند المرءَ جانب إيجابي بشكل من الأشكال. فمع كل اهتمام وسائل الإعلام، تضاعف عدد جمهور كيرش حول العالم أكثر بكثير مما كان يتصور. وحالياً، يستحوذ إدموند على انتباه العالم حتى في موته.

هذه الحقيقة جعلت لانغدون أكثر التزاماً بتحقيق هدفه؛ ألا وهو العثور على كلمة السر المؤلفة من سبعة وأربعين حرفاً، وإعلان اكتشاف إدموند للعالم.

قالت أمبرا بنبرة حائرة: "لم يدل جولييان بأي بياني بعد. لم تصدر كلمة واحدة من القصر الملكي، وهذا غير منطقي. فأنا أملك خبرة شخصية مع منسقة العلاقات العامة لديهم، مونيكا مارتن. وهي متمسكة كثيراً بالشفافية ومشاركة المعلومات قبل أن تعمل الصحافة على تحريفها. أنا واثقة أنها تحث جولييان على الإدلاء بياني".

شعر لانغدون بأنها محقّة. فنظرًا إلى أنّ وسائل الإعلام تَنَهَّمُ مستشار القصر الديني الأساسي بالتأمر، وربما حتّى بالقتل، يبدو من المنطقي أن يُدلي جولييان ببيان ما، وإن كان لمجرد القول إنّ القصر يحقّق في الاتهامات.

أضاف لانغدون: "لا سيما إن أخذنا بالاعتبار أنّ ملكة البلاد المستقبلية كانت تقف إلى جانب إدموند عندما تعرض للقتل. كان من الممكن أن تكوني أنت الضحية يا أميراً. على الأمير أن يقول على الأقل إنّه يحمد الله على سلامتك". قالت ببررة عملية وهي تطفئ المتصفح وتستند إلى ظهر مقعدها: "أنا لست واثقة من ذلك".

نظر إليها لانغدون. "حسناً، مهما يكن، أنا سعيد لسلامتك. فأنا لست واثقاً من أنتي كنت سأتمكن من توّلي هذا الأمر بمفردي هذه الليلة". "بمفردك!؟". تصاعد صوت حاد النبرة من مكبرات الصوت في السيارة. "كم نحن سريعاً التسیان!؟".

فضحك لانغدون من استكار وينستون وقال: "وينستون، هل برمجك إدموند حقاً لتكون دفاعياً وتشعر بعدم الأمان؟".

قال وينستون: "كلاً، بل برمجني لأراقب، وأنعلم، وأفلد السلوك البشري. كانت ملاحظتي محاولة للفكاهة؛ وهي ميزة شجعني إدموند على تطويرها. فحسن الفكاهة لا يمكن برمجه... بل ينبغي تعلمه". "إذاً، أنت تتعلم جيداً".

"حقاً! ربما يجدر بك أن تكرر ذلك".
انفجر لانغدون ضاحكاً. "كما قلت، أنت تتعلم جيداً".

كانت أميراً قد أعادت شاشة لوحة القيادة إلى صفحتها الافتراضية، وهي عبارة عن برنامج ملاحقة يتكون من صورة للأقمار الصناعية تتضمن رسمياً "صغرأ" لسيارتهما. لاحظ لانغدون أنهما عبرا جبال كولسيرولا، وكانا يخرجان الآن إلى الطريق السريعة B-20 باتجاه برشلونة. إلى جنوب موقعهما، رأى لانغدون على صورة الأقمار الصناعية شيئاً غير اعتيادي لفت انتباذه. كان عبارة عن مساحة من الغابات في وسط منطقة عمرانية. كانت المساحة الخضراء طويلة وذات شكل غير منتظم، أشبه بأميلاً عملاقة.

سألها: "أهذه حديقة غويل؟".

نظرت أميراً إلى الشاشة وأومأت برأسها مجيبة: "بالضبط".

قال وينستون: "اعتداد إدموند على التوقف هناك كثيراً في طريق عودته من المطار

لم يفاجأ لانغدون. فقد كانت حديقة غويل من أشهر روائع أنطونи غاوودي، المهندس المعماري والفنان نفسه الذي يعرض إدموند عمله على غلاف هاتقه. كان غاوودي يشبه إدموند كثيراً. إذ كان صاحب رؤية مبدعاً، ولا تنطبق لديه القواعد العالية.

كان أنطونى غاوودي طالباً متقدماً في مجال الطبيعة، وقد استلهم تصاميمه الهندسية من الأشكال العضوية، واستخدم عالم الطبيعة لمساعدته على تصميم هيكل بيومورفية سائلة غالباً ما تظهر وكأنها خرجت من الأرض. ما من خطوط مستقيمة في الطبيعة؛ هذا ما قاله غاوودي. وبالفعل، كانت الخطوط المستقيمة في أعماله قليلة جدًا. كثيراً ما وصف بأنه أب "الهندسة المعمارية الحية" و"التصميم البيولوجي"، واختار تقنيات لم يسبق لها مثيل في مجال النجارة، والحدادة، والزجاجيات، والسيراميك لكي يكسو أبنيته بخلاف ملون مبهر.

وحتى هذا اليوم، وبعد ما يقرب من قرن على وفاة غاوودي، ما زال السياح من مختلف أنحاء العالم يزورون برشلونة للاقاء نظرة على أسلوبه الحداثي الفذ. تضمنت أعماله منتزهات، وأبنية عامة، وقصوراً خاصة، وبالطبع تحفته العظيمة ساغرادا فاميليا، الكنيسة الكاثوليكية الهائلة، ذات الأبراج المستوحة من "إسفنج البحر"، والتي تهيمن على آفاق برشلونة. وقد أشاد بها النقاد كثيراً، ووصفوها بالقول إنه "لم يسبق لها مثيل في تاريخ الفن بأكمله".

لطالما تعجب لانغدون من رؤية غاوودي الجريئة لكنيسة ساغرادا فاميليا؛ تلك الكنيسة الضخمة التي لا تزال قيد الإنشاء حتى اليوم، بعد مرور ما يقرب من 140 عاماً على بدء بنائها.

هذه الليلة، بينما كان لانغدون ينظر إلى صورة الأقمار الصناعية لحديقة غويل الشهيرة، تذكر زيارة الأولى إليها حين كان طالباً جامعياً، وقام بنزهه في أرض خيالية من الأعمدة الشبيهة بالأشجار التي تدعم ممرات عالية، والمقاعد الغريبة ذات الأشكال غير المنتظمة، والكهوف ذات النوافير التي تشبه التنين والسمك، والجدار الأبيض المتموج الذي يشبه السواحل والذي يبدو أقرب إلى غشاء مخلوق أحادي الخلية.

تابع وينستون قائلاً: "كان إدموند يحب كل تصاميم غاوودي، ولا سيما فكرته عن الطبيعة كفنٍ عضوي".

عاد ذهن لانغدون مجدداً إلى اكتشاف إدموند. الطبيعة، العضوية، الخلق. تذكر لوحة برشلونة الشهيرة التي صممها غاوودي، والتي كانت عبارة عن بلاط أرصفة سداسي استخدم لأرصفة المدينة. كانت كل بلاطة تمتاز بتصميم مشابه مؤلف من خطوط غير منتظمة. ومع ذلك، عندما يتم ترتيبها وتتناوبها على النحو المطلوب، يظهر رسم مذهل؛

منظر بحري يعطي انطباعاً كما لو أنه يحتوي على عوالق، وميكروبات، ونباتات بحرية. يسمى أهل المنطقة التصميم لاسويا بريموريال، أي الحساء البدائي.

فكَّر لانغدون في سرَّه: حساء غاوودي البدائي. وذهب مجدداً من مدى اتفاق مدينة برشلونة مع فضول إدموند حول بدايات الحياة. فالنظريَّة العلميَّة السائدَة تفيد أنَّ الحياة بدأت في حسأ الأرض البدائي، أي تلك المحيطات البدائيَّة التي صبَّت فيها البراكين موادٌ كيميائيَّة غنيَّة، فدارت حول بعضها بعضاً، وتعرَّضت بشكل متواصل لقصف أحزمة البرق بفعل عواصف مستمرة... وفجأة، مثل غولم مجيري، نشأ أول مخلوق أحادي الخلية.

قال لانغدون: "أميرًا، أنت أمينة متحف، ولا بد أنك تحدثت كثيراً في الفن مع إدموند. فهل أخبرك بما يشده في غاوودي تحبيداً؟".

أجبَت: "فقط ما ذكره وينستون. فهو يشعر كما لو أنَّ فنه المعماري خلقه الطبيعة نفسها. فمغaur غاوودي تبدو وكأنها منحوتة بفعل الرياح والأمطار، وتبدو أعمدته كما لو أنها نبتَت من الأرض، فيما يشبه البلاط الذي صممَه حيَا البحر البدائي". هزَت كفيها مضيفة: "أيًّا يكن السبب، فقد أُعجب إدموند بغاودي بما فيه الكفاية للانتقال إلى إسبانيا".

نظر إليها لانغدون بدھسة تامة. فهو يعرف أنَّ إدموند يملك منازل في عدة بلدان حول العالم، ولكنَّه اختار في السنوات الأخيرة الاستقرار في إسبانيا. "هل تقولين إنَّ إدموند انتقل إلى هنا بسبب فنَّ غاوودي؟".

قالَت أميرًا: "أعتقد ذلك. فقد سأله مرة عن سبب اختياره إسبانيا، وأجبَني أنه حصل على فرصة نادرة لاستئجار منزل فريد من نوعه هناك؛ منزل لا يشبه أيَّ منزل آخر في العالم. وأعتقد أنه كان يعني شقَّته".
"وأين تقع شقَّته؟".

"روبرت، كان إدموند يعيش في كازا ميلاً".

دهش لانغدون. "كازا ميلاً نفسه؟".

أجبَتَه وهي تهَزَّ رأسها: "هو نفسه. ففي العام الماضي، استأجر الطابق العلوي بأكمله وحوله إلى شقَّة له".

احتاج لانغدون إلى لحظة لاستيعاب هذا الخبر. فказا ميلاً واحد من أشهر أبنية غاوودي. إذ كان عبارة عن "منزل" أصلي ومذهل، تشبه واجهته المؤلفة من عدة طوابق وشرفاتِه الحجرية المتموجة بناءً ثُبت في جبل. وهو يحمل الآن اللقب الشعبي "لابيدريرا" أي "قلع الحجارة".

سألَها لانغدون وهو يتذَكَّر إحدى زياراته السابقة إلى المبني: "لكن، أليس الطابق العلوي متحفًا لغاودي؟".

قال وينستون: "بلى، لكن إدموند قدم تبرعاً لمنظمة اليونيسكو التي تحمي المنزل كموقع للتراث العالمي، فوافقوا على إغلاقه مؤقتاً والسماح له بالعيش فيه لمدة سنتين. في النهاية، برشلونة مليئة بفن غاوي".

احتار لانغدون تماماً. هل عاش إدموند في متحف غاودي في كازا ميلا؟ وانتقل للعيش فيه لمدة عامين فقط؟

قال وينستون: "حتى إن إدموند ساعد كازا ميلا على إنتاج شريط فيديو توثقي جيد حول هندسته المعمارية. إنه يستحق المشاهدة".

واقته أمبرا قائلة: "الفيديو مؤثر جداً بالفعل". وانحنت إلى الأمام لتلمس شاشة المتصفح. ظهرت لوحة مفاتيح وطبعت فيها عبارة *Lapedrera.com*. يجب أن تشاهد هذا".

أجاب لانغدون: "لكنني مشغول بالقيادة قليلاً".

مذت أمبرا يدها إلى عمود التوجيه وضغطت على رافعة صغيرة، فشعر لانغدون أن عجلة القيادة قد تصلبت فجأة بين يديه، ولاحظ على الفور أن السيارة تقود نفسها بنفسها، مع بقائهما في وسط الطريق المخصص لها.

قالت: "الملاحة الذاتية".

لم يشعر لانغدون بالارتياح تماماً، ولم يستطع منع نفسه من إبقاء يديه قريبتين من المقود وقدمه فوق الفرامل.

"استرخ". مذت أمبرا يدها ووضعنها على كتفه قائلة: "إنها أكثر أماناً بكثير من السائق البشري".

أخض لانغدون يديه على مضض، ووضعهما في حضنه، فابتسمت قائلة: "أرأيت؟ والآن، شاهد هذا الفيديو عن كازا ميلا".

بدأ الشريط بلقطة درامية منخفضة لموجة عنيفة، كما لو أنها التقطت من مروحة تحوم على ارتفاع بضع أقدام فوق محيط مفتوح. في البعيد، ظهرت جزيرة، جبل حجري سفوحه شديدة الانحدار، وتعلو مئات الأقدام فوق الأمواج المتحطمـة.

ظهر نص فوق الجبل.

لا يديريرا ليست من تصميم غاودي.

وخلال الثانية الثلاثين التالية، شاهد لانغدون الأمواج وهي تتحت الجبل لتشكل الواجهة الخارجية المميزة وعضوية الشكل لказا ميلا. بعد ذلك، اندفعت الأمواج المحيط إلى الداخل، وصنعت تجاويف وغرفاً، وفيها نحت الشلالات سلام ونمـت عرائش، والنفت لتحول إلى درابزين حديدي، ثم نمت الطحالب تحتها وكست الأرض.

أخيراً، تراجعت الكاميرا، وظهرت صورة كازا ميلا الشهيرة، "قلع الحجارة" المنحوت في جبل ضخم.

- لا بيدريرا -

تحفة الطبيعة

كان لا بد للانغدون أن يقر بأن إدموند موهوب بالدراما. فبعد رؤيته هذا الفيديو المعد بواسطة الكمبيوتر، شعر بالرغبة في زيارة المبنى الشهير مجدداً. حول نظره إلى الطريق مجدداً، ثم مديبه وعطّل الملاحة الذاتية ليتوّل القيادة مجدداً.

"فلنأمل أن نجد في شقة إدموند ما نبحث عنه. فنحن بحاجة إلى العثور على كلمة السر تلك."

الفصل 50

تقىم القائد ديبغو غارزا عناصر الحرس الملكي الأربع المسلحين وسط ساحة بلازا دي لا أرمريا، ونظره مركز أمامه، متجاهلاً صخب الفرق الإعلامية خارج السياج، فيما الجميع يسلطون كاميراتهم عليه ويصيحون مطالبين بتعليق على الأقل سيرون أنه ثمة من يتحرك.

وعندما وصل هو وفريقه إلى الكاتدرائية، وجدوا المدخل الرئيس مقفلأ؛ وهو أمر ليس مستغرباً في ساعة كهذه. فبدأ يطرق الباب بقبضة مسدسه. لم يجب أحد على الفور، ولكنه واصل طرق الباب إلى أن استدارت الأقفال أخيراً وفتحت، فوجد نفسه وجهاً لوجه أمام إحدى عاملات التنظيف التي بدا عليها القلق وهي ترى الجيش الصغير أمام الباب.

سألها غارزا: "أين الأسقف فالديسيبينو؟".
أجبته: "لا... لا أدرى."

أعلن قائلاً: "أنا أعرف أنَّ الأسقف هنا، وأنَّه مع الأمير جولييان. ألم تريهما؟". هزَّ رأسها نافية. "لقد وصلت للتو. فأنا أقوم بالتنظيف ليلة السبت بعد-", مرَّ غارزا من أمامها، وأمر رجاله بالانتشار في أرجاء الكاتدرائية المظلمة. ثم قال لعاملة التنظيف: "أفلي الباب، ولا تقفي في الطريق". ورفع سلاحه وتوجه مباشرة إلى مكتب فالديسيبينو.

من الجهة الأخرى من الساحة، في غرفة التحكم الواقعة في الطابق السفلي من القصر، وقفت مونيكا مارتن عند بِرَاد الماء وأخذت نفساً من سيجارة طال انتظارها. فبسبب حركة "النراة السياسية" الليبرالية التي تحتاج إسبانيا، تم حظر التدخين في مكاتب القصر. ولكن، مع سيل الجرائم المزعومة التي بلغت أنيابها القصر هذه الليلة، شعرت مارتن أن بعض التدخين السلبي لن يشكل مخالفة خطيرة.

اصطفت أمامها شاشات صامتة تنقل بث المحطات الإخبارية الخمس التي تواصل تغطيتها الحية لاغتيال إدموند كيرش، وتعيد بشكل صارخ لقطات مقتله الوحشي مراراً وتكراراً. وبطبيعة الحال، كانت كل إعادة يسبقها التحذير المعتمد.

تبنيه: يحتوي المشهد التالي على صور قد لا تكون مناسبة لجميع المشاهدين.

كم هذا معيب! فهي تعرف أن هذه التحذيرات ليست احتياطات من جانب الشبكة التلفزيونية، بل وسيلة ذكية لضمان عدم قيام المشاهد بتغيير القناة. أخذت مارتن نفسا آخر من سيجارتها وهي تراقب مختلف الشبكات، ومعظمها تستنزف نظريات المؤامرة المتنامية تحت عنوان "خبر عاجل" مع الأشرطة الإخبارية.

عالم مستقبلي تغتاله الكنيسة؟
اكتشاف علمي ضاع إلى الأبد؟
قاتل مأجور من قبل الأسرة المالكة؟

يفترض بكم نقل الأخبار وليس نشر شائعات مغرضة على شكل أسئلة. لطالما اعتقدت مارتن بأهمية الصحافة المسؤولة، باعتبارها حجر زاوية للحرية والديمقراطية. لهذا السبب، كانت تشعر بالخيبة دائمةً من الصحفيين الذين يتبرون الجدل عبر بث أفكار منافية للعقل بكلّ وضوح، ويتمكنون مع ذلك من تجنب العاقب القانونية عن طريق تحويل الخبر السخيف إلى سؤال.

حتى إن القنوات العلمية المحترمة تقوم بذلك، وتطرح على مشاهديها أسئلة من قبيل: "هل من الممكن أن يكون هذا المعبد في بيرو قد بني على أيدي مخلوقات فضائية قديمة؟".

عندما رأت مارتن هذا السؤال، ودّت أن تصيح: كلا! هذا غير ممكن بالتأكيد!
قفوا عن طرح أسئلة بهذه!

على إحدى شاشات التلفزيون، لاحظت أن محطة سي إن إن تبذل قصارى جهدها على ما يبدو لتكون محترمة.

لحمة عن إدموند كيرش
المعلم، صاحب الرؤية، المبدع.

تناولت مارتن جهاز التحكم عن بعد ورفعت الصوت.
قال مذيع الأخبار بحزن: "... محب للفن، والتكنولوجيا، والابتكار. رجل يتمتع بقدرة باطنية تقريباً على توقع المستقبل جعلت منه اسماً مألوفاً. استناداً إلى زملائه، كل الأمور التي توقعها إدموند كيرش في مجال علوم الكمبيوتر أصبحت حقيقة واقعة".

قالت زميلته: "هذا صحيح يا ديفيد. أتمنى فقط لو كنا نستطيع قول الشيء نفسه عن توقعاته الشخصية".

أخذت المحطة تعرض الآن تسجيلاً لمؤتمر صحي أجراه إدموند كيرش على الرصيف خارج مركز روكلفر في مدينة نيويورك، وكان فيه قوي البنية، وقد لوحظ الشمس بشرته. قال إدموند: "أنا اليوم في الثلاثين من عمري، وعمر المتوقع لا يتجاوز الثامنة والستين. لكن مع التقى الذي سيطر على مجالات الطب، وتكنولوجيا طول العمر، وتجدد القسم الطرفي للصبغيات (telomere)، أتوقع أن أعيش لأحتفل بذكرى ميلادي العاشرة بعد المائة. في الواقع، أنا واثق جداً من هذه الحقيقة إلى حد أتنى حجزت قاعة رينبو لأحتفل فيها بذكرى ميلادي العاشرة بعد المائة". ابتسم كيرش، وتحقق إلى أعلى المبني مضيفاً: "وقد سدت للتو فاتورتي كاملة، قبل ثمانين عاماً، بما في ذلك الزيادات الناتجة عن التضخم".

تنهدت المذيعة بأسف وقالت: "مع الأسف، عاكس القدر توقعات كيرش هذه المرة".

قال المذيع: "صحيح. وعلى رأس الغموض المحيط بمقتل كيرش، تكاثر التكتنات حول طبيعة اكتشافه". وحق بجنية إلى الكاميرا وتابع قائلاً: "من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟ سؤالان تصعب الإجابة عليهما".

أضافت المذيعة بحماسة: "وللإجابة عن هذين المسؤولين، تتضم إلينا سيدتان لامعتان، كاهنة أسلقية من فيرمونت، وعالمة أحياء تطورية من جامعة كاليفورنيا. سنعود معهما بعد الفاصل".

كانت مارتن تعرف آراءهما أساساً، إنها قطبان متناقضان، وإنما فلن تظهرها في برنامجهما. لا شك في أن الكاهنة ستقول شيئاً من قبيل: "أتينا من رب وإليه سنعود"، وستجيب عالمة الأحياء برأي منافق تماماً.

لن ثتبنا شيئاً، غير أن الناس سيشاهدون أي شيء شرط أن يكون مثيراً للحماسة بما فيه الكفاية.

هفت سوريش من مكان مجاور: "مونيكا!".

الافتقت مونيكا لترى أمامها مدير الأمن الإلكتروني آتيا وهو يهرول. سألته: "ما الأمر؟".

قال لاهثاً: "اتصل بي الأسقف فالديسيبيونو للتو".

أخضت صوت التلفاز. "الأسقف اتصل... بك؟ هل أخبرك بما يفعله؟".

هز سوريش رأسه نافياً. "لم أسأله، ولم يخبرني. اتصل ليعرف ما إذا كنا نستطيع التحقق من شيء ما على خواصنا الهاتمية".

أنا لا أفهم".

"أجل، وطلبت منك أن تبحث في الأمر".

"حسناً، طلب فالديسبيون الشيء نفسه. اتصل ليسألني عما إذا كنت أستطيع الدخول إلى لوح الهاتف المركزي في القصر والعنور على سجل تلك المكالمة لمعرفة من أين انطلق الأتصال، على أمل التوصل إلى الشخص الذي قام به من داخل القصر".

شعرت مارتن بالارتباك، بعد أن تخيلت أن فالديسيبينو نفسه هو المشتبه به الأكثر احتمالاً.

تابع سوريش: "بحسب غوغنهایم، تلقى مكتب الاستقبال لديهم اتصالاً من رقم الهاتف الرئيس في قصر مريد الملكي هذه الليلة، قبل وقت قصير من الحدث. والمكالمة موجودة في سجلهم الهاتفي. ولكن، هنا تكمن المشكلة. فقد بحثت في سجل اللوح المركزي لدينا للتحقق من المكالمات الصادرة خلال الفترة الزمنية نفسها". هر رأسه متبايناً: "اكتنّي لم أُعثر على شيء، ولا اتصال واحد. فثمة من قام بمسح سجل الاتصال الذي تم من القصر بمتحف غوغنهایم".

تأملت مارتن زميلها مطولاً، ثم سأله: "من الذي يملك إذن الوصول إلى اللوح المركزي للقيام بذلك؟".

هذا بالضبط ما سأله إيه فالديسبينو، وقلت له الحقيقة. أخبرته أنني أنا، بصفتي رئيس الأمن الإلكتروني، يمكنني مسح السجل، ولكنني لم أفعل، وأن الشخص الوحيد الذي يملك إذن الوصول إلى هذه السجلات هو القائد غارزا.

حدّقت إليه مارتن مذهولة: "أتظن أنَّ غارزاً عبث بسجلاتنا الهاتفية؟".

قال سوريش: "هذا منطقى، فوظيفة غارزا تقوم على حماية القصر. والآن، إن جرى أي تحقيق، فتلك المكالمة لم تحدث أبداً ما دام الأمر يتعلق بالقصر. من الناحية الفنية، لدينا قدرة معقولة على الإنكار. فحنف السجلات يبعد القصر عن دائرة الشبهات تماماً."

سألته مارتن: "دائرة الشبهات؟ لكن، ما من شك في أن تلك المكالمة قد حدثت! فقد قامت أميرا بإضافة اسم أفيلا إلى قائمة الضيوف! كما أن مكتب الاستقبال في غوغنهايم سينيت"-

"هذا صحيح، ولكنها الآن كلمة موظف شاب في مكتب الاستقبال في أحد المتاحف ضد القصر الملكي بأكمله. وفي ما يتعلق بسجلاتنا، إن تلك المكالمة لم تحدث بكل بساطة".

بدا كلام سوريش الحاسم مفرطاً في التفاؤل بالنسبة إلى مارتن. "هل أخبرت فالديسيينو بكل ذلك؟".

"إنها الحقيقة. قلت له سواء أكان غارزا هو من قام بالاتصال أم لا، يبدو أنه حذف سجل المكالمة في محاولة لحماية القصر". وصمت هنيهة ثم أضاف: "كن، بعدما أنهيت المكالمة مع الأسف، أدركت أمراً آخر".

"ألا وهو؟".

"من الناحية الفنية، ثمة شخص ثالث يملك حق الوصول إلى الخادم". ونظر سوريش حوله بعصبية ثم اقترب وقال: "رموز تسجيل الأمير جولييان تمنحه حق الوصول الكامل إلى جميع الأنظمة".

حذفت إليه مارتن قائلة: "هذا كلام سخيف!".

"أعلم أن الفكرة تبدو جنونية، ولكن الأمير كان في القصر في جناحه بمفرده في الوقت الذي تم فيه الاتصال. ومن الممكن بكل سهولة أن يكون قد أجرى المكالمة، ثم دخل إلى الخادم وحذفها. فالبرنامج سهل الاستخدام، والأمير أكثر خبرة بالتقنيات مما يظن الناس".

قالت مارتن بحدة: "سوريش، هل تظن حقاً أن الأمير جولييان، ولئن عهد إسبانيا، قام شخصياً بإرسال قاتل إلى متحف غوغنهايم لاغتيال إدموند كيرش؟".

قال: "لا أدرى، كل ما أقوله إن هذا ممكן".

"ولماذا سيقوم الأمير جولييان بشيء كهذا؟!".

"أنت من بين كل الناس لا ينبغي لك أن تطرحي هذا السؤال. تذكرى كل الأخبار السيئة التي اضطربت للتعامل معها بشأن الوقت الذي تمضيه أميراً مع إدموند كيرش، وقصة اصطحابه إليها بالطائرة إلى شقته في برشلونة؟".

"كانا يعملان! كانوا يحضران للحدث!".

"لكن السياسة تقوم على المظاهر، أنت من علمتني ذلك. وأنا وأنت نعرف أن عرض الزواج الذي قدمه الأمير لم يؤت ثماره علينا بالطريقة التي تخيلتها".

رن هاتف سوريش، وما إن قرأ الرسالة الواردة حتى اكتسحت الدهشة ملامح وجهه.

سألته مارتن: "ما الأمر؟".

ومن دون أي كلمة، استدار وركض عائداً إلى مركز الأمن.

"سوريش!". أطفأت مارتن سيجارتها ولحقت به، ثم انضمت إليه عند إحدى محطات العمل الأمنية لفريقه، وكان الموظف الفني يعرض شريط مراقبة ضبابياً.

سألته مارتن: "إلام تنظر؟".

قال الفنِي: "المَرْجَ الخلفي للكاتدرائية، منذ خمس دقائق". مالت مارتن وسوريش لمشاهدة الشريط الذي يُظهر مساعد كاهن شاباً يخرج من الباب الخلفي للكاتدرائية، ويسير بسرعة على طول شارع كالي مايلر الهادئ نسبياً، ثم يفتح قفل باب سيارة أوبل سيدان قديمة ويصعد إليها.

فكَرَت مارتن: حسناً، إنه عائد إلى بيته بعد الفداس. ماذا في ذلك؟ على الشاشة، انطلقت سيارة الأوبل لمسافة قصيرة، ثم توقفت على مسافة قريبة جداً من بوابة الكاتدرائية الخلفية، وهي البوابة نفسها التي خرج منها مساعد الكاهن للتو. وعلى الفور تقريباً، خرج شخصان من البوابة، مُخفيَّين رأسياً، وجلسا على المقدمة الخلفيَّة لسيارة مساعد الكاهن. كان الراكبان، بلا أدنى شك، الأسقف فالديسبينو والأمير جولييان.

بعد لحظات، انطلقت الأوبل، واختفت عند ناصية الشارع خارج مجال الكاميرا.

الفصل 51

عند ناصية شارعي كارير دي بروفينسا وباسيف دي غراسيا، ظهرت تحفة غاودي التي ترجع إلى عام 1906 والمعروفة باسم كازا ميلاً مثل جزء من جبل. كان البناء عبارة عن شقق سكنية وعمل فني خالد في وقت واحد.

صمم غاودي المبنى المؤلف من تسعه طوابق على شكل منحنى دائم، ويمكن التعرف عليه على الفور من خلال واجهته المتموجة المبنية بالحجر الجيري. تضفي الشرفات المنحنية والهندسة غير المتكافئة حالة عضوية على المبنى، كما لو أنَّ آلاف السنين من الرياح العاتية تحت فيه تجاويف وانحناءات كل تلك التي نراها في الوديان الصحراوية.

مع أنَّ تصميم غاودي الحديث الصادم لقي استكماراً في البداية من قبل سكان المنطقة، إلا أنَّ نقاد الفن حول العالم أشادوا بكلارا ميلاً، وسرعان ما أصبح جوهرة معمارية من أجمل جواهر برشلونة. وخلال ثلاثة عقود، أقام بيير ميلاً، رجل الأعمال الذي طلب إنشاء المبنى، مع زوجته في الشقة الرئيسة متراً مترًا الأطراف، وأجر شقق المبنى العشرين الأخرى. وحتى هذا اليوم، يُعتبر كازا ميلاً، الواقع في باسيف دي غراسيا 92، أحد العناوين الأكثر أناقة وجاذبية في أنحاء إسبانيا كافة.

بينما كان روبرت لانغدون يقود سيارة كيرش على الجادة الأنثقة المقرفة تقريباً التي اصطفت الأشجار على جانبيها، شعر أنهما يقتربان. كان منتزه باسيف دي غراسيا نسخة برشلونة عن الشانزليزية في باريس. إذ كان أعرض جادات برشلونة وأكبرها، وكان مصمماً بعناية، وتحيط به المتاجر الراقية.

شانيل... غوتشي... كارتيريه... لونغشان...

أخيراً، رأى لانغدون المبنى على مسافة مائتي متر.

كان كازا ميلاً مضاءً بأنوار خافتة من الأسفل، وتميزه على الفور أحجاره الحبرية الشاحبة والخشنة وشرفاتاته المتموجة عن بقية الأبنية المجاورة بتصاميمها المستقيمة. بدا أشبه بقطعة جميلة من المرجان خرجت من البحر، وأدت لتنفسَّر على شاطئِ من الإسمنت.

قالت أمبرا مشيرة إلى آخر الجادة الأنثقة: "هذا ما كنت أخشاه، انظر".

أخفض لانغدون نظره إلى الرصيف العريض أمام كازا ميلا، ويدا له عدد من الشاحنات الإعلانية المتوقفة أمام المبني مع مجموعة من المراسلين الذين ينقلون آخر الأخبار، مستخدمين منزل كيرش كخلفية لهم. وكان ثمة عدد من عناصر الأمن الذين أتوا لإبعاد الحشود عن مدخل المبني. يبدو أن وفاة كيرش قد حولت كلّ ما له علاقة به إلى قصة إخبارية.

تأمل لانغدون الشارع بحثاً عن مكان يتوقف فيه، ولكنّه لم يجد، وكان السير يتقدّم بشّاشات.

قال لأمبرا: "انخفضي إلى الأسفل في السيارة". فقد أدرك أنه لا يملك أي خيار سوى متابعة التقدّم مباشرةً، مروراً بزاوية الشارع حيث تجمعت الصحفة. وعلى الفور، انزلقت أمبرا إلى الأسفل، وأنخفضت جسدها إلى أرض السيارة، حيث توارت تماماً عن الأنظار.

أما لانغدون، فأشاح بوجهه بعيداً وهو يمرّ من أمام الزاوية المزدحمة.

قال: "يبدو أنهم يحيطون بالمدخل الرئيس. هذا يعني أننا لن نتمكن من الدخول". فقاطعه وينستون بنبرة واتقة ومرحة: "اركن السيارة إلى اليمين، فقد توقّعت أن يحدث هذا".

حق المدون هيكتور ماركانو بحزن إلى الطابق العلوي من كازا ميلا، وكان لا يزال يحاول أن يتقبل حقيقة موت إدموند كيرش.

فعلى مدى ثلاثة سنوات، كان هيكتور مراسلاً للأخبار التكنولوجية لموقع Barcinno.com، وهي منصة تعاونية شعبية لرجال الأعمال وأصحاب المشاريع الجديدة المبنكرة في برشلونة. وإن عيش إدموند كيرش العظيم هنا في برشلونة، جعل الأمر يبدو أشبه بالعمل عند أقدام زيوس نفسه.

النقى هيكتور كيرش للمرة الأولى منذ أكثر من عام، وذلك عندما وافق عالم المستقبل الأسطوري بكلّ كرم على الظهور في الحدث الشهري الرائد في بارسينيو،ليلة فشل، وهو عبارة عن ندوة يتحدى فيها رجل أعمال ناجح جداً عن أكبر إخفاقاته بكلّ صراحة. فاعترف كيرش للجمهور بخجل أنه أنفق ما يزيد عن 400 مليون دولار على مدى ستة أشهر سعياً وراء حلم بناء ما سماه إ-وايف، وهو كمبيوتر كثي يمتاز بسرعات معالجة هائلة من شأنها أن تسهل تحقيق تقدّم غير مسبوق في مجال جميع العلوم، لا سيما في نمذجة النظم المعقدة.

أقرّ إدموند قائلاً: "أخشى أن تكون قفزتي النوعية في مجال الحوسبة النوعية حتى الآن عبارة عن فشل نوعي".

هذه الليلة، عندما سمع هيكتور أن كيرش يخطط للإعلان عن اكتشاف سيهز العالم، تحمس لفكرة أن يكون ذلك الاكتشاف مرتبطاً بمشروع إِوايف. هل اكتشف سر نجاح هذا المشروع؟ لكن بعد المقدمة الفلسفية التي عرضها كيرش، أدرك هيكتور أن اكتشافه مختلف تماماً.

أتساءل عما إذا كنا سنعرف يوماً ماهية اكتشافه. شعر هيكتور بقل يضغط على صدره دفعه إلى المجيء إلى منزل كيرش؛ ليس بهدف جمع المعلومات، بل إكرااماً له. صاح أحدهم بالقرب منه: «إِوايف! إِوايف!».

وبدأ الحشد المحيط به يشير ويصوب كاميراته إلى سيارة تيسلا السوداء الأنثقة التي تعبر الساحة ببطء، وتقدم نحو الحشد بمصابيحها الأمامية المتوجهة. حق هيكتور إلى السيارة المألوفة بذهول.

كانت سيارة كيرش، تيسلا موديل 10، بلوحتها التي تحمل الكلمة إِوايف شهيرة في برشلونة بقدر ما هي عربة البابا في روما. فغالباً ما كان كيرش يقوم باستعراض عبر ركن السيارة في صفت مزدوج في شارع كارير دي بروفينسا أمام متجر دانيال فيور للمجوهرات، ثم يترجل منها للتوفيق للمعجبين، ويشير حماسهم عبر جعل ميزة الركن الذاتي تقود السيارة الفارغة على طريق مبرمج مسبقاً عبر الشارع، مروراً بالرصيف العريض، فيما تقوم أجهزة الاستشعار بالكشف عن أي مازة أو عائق، حتى تصل إلى بوابة المرآب التي تُفتح أمامها لتدخل رويداً المنحدر اللولبي، وصولاً إلى المرآب الخاص تحت كازا ميلا. مع أن ميزة الركن الذاتي كانت مشتركة لدى جميع سيارات تيسلا، بما في ذلك فتح أبواب المرآبين والقيادة إلى الداخل مباشرة، وإطفاء المحرك، إلا أن إدموند قام بفخر باختراع نظام تيسلا لتمكينها من سلوك طريق أكثر تعقيداً. كل ذلك جزء من العرض.

الليلة، بدا المشهد أغرب بكثير. فقد توفي كيرش، ومع ذلك ظهرت سيارته للتو، وسارت ببطء عبر شارع كارير دي بروفينسا، ثم عبرت الرصيف، ووقفت أمام باب المرآب الأنثيق، وتقدمت فيما أخذ الناس يفسحون لها الطريق. اندفع المراسلون والمصورون إلى السيارة، وراحوا يسترقون النظر من خلال النوافذ المطلية ويعصيرون مستغربين.

«إنها خالية! لا أحد يقودها! من أين أنت؟!».

يبدو أن رجال الأمن في كازا ميلا سبق لهم أن شاهدوا هذه الخدعة من قبل. ولذلك، أبعدوا الناس عن السيارة وباب المرآب وهو يفتح. بالنسبة إلى هيكتور، إن رؤية سيارة إدموند الفارغة وهي تعود إلى مرايتها استحضرت صوراً لكلب كثيّب يعود إلى المنزل بعدما فقد سيده.

مثل شبح، شقت تيسلا طريقها بصمت عبر باب المرأب، فانفجر الحشد بتصفيق عاطفي لدى رؤيته سيارة إدموند المحبوبة وهي تهبط المنحدر اللوليبي كما فعلت مرات عديدة من قبل، لتدخل أول موقف للسيارات تحت الأرض في برشلونة.

لم أكن أعلم أنك تعاني من رهاب الأماكن المغلقة إلى هذا الحدّ. همست أمبرا بذلك وهي ممددة إلى جانب لأنعدون على أرض سيارة التيسلا. كانا قد حشرا نفسيهما في منطقة صغيرة بين صفت المقاعد الثاني والثالث، واختبا تحت غطاء سيارة من الفينيل الأسود أخذته أمبرا من صندوق السيارة، حيث لم يعد من الممكن رؤيتها من النوافذ المطلية.

قال لأنعدون باضطراب: "سأعيش". وكان في الواقع أكثر توئراً من السيارة التي تقوى نفسها، منه من رهابه. فقد شعر بالسيارة وهي تهبط عبر المنحدر اللوليبي، وخشى أن تتحطم في أي لحظة.

قبل دققيتين، عندما ركنا السيارة في صفت ثانٍ في شارع كارير دي بروفينسا، أمام متجر دانيال فيور للمجوهرات، أعطاهمَا وينستون تعليمات واضحة كالشمس.

ومن دون أن تغادر أمبرا لأنعدون السيارة، انتقلنا إلى الجزء الخلفي، إلى الصفة الثالث من المقاعد. بعد ذلك، وبضغطه واحدة على أحد أزرار الهاتف، قامت أمبرا بتشغيل ميزة الركن الذاتي المخصصة.

وفي الظلام، شعر لأنعدون بالسيارة وهي تقوى نفسها ببطء في الشارع. ومع أمبرا الممددة إلى جانبه في تلك المساحة الضيقة، عاد بذاكرته إلى أول تجربة له في سن المراهقة على المقعد الخلفي لسيارة مع فتاة جميلة. فكر في سره: كنت أكثر توئراً في تلك الحين. ويدا له ذلك مثيراً للسخرية على اعتبار أنه الآن في سيارة بلا سائق مع ملكة إسبانيا المستقبلية.

شعر بالسيارة تستقيم عند أسفل المنحدر، ثم تقوم ببعض انعطافات بطيئة، قبل أن تتوقف تماماً.

قال وينستون: "ها قد وصلتما".
أبعدت أمبرا الغطاء على الفور، وجلست بحذر وهي تتحقق من خلال النافذة، ثم قالت وهي تترجل: "المكان خالٍ".

ترجل لأنعدون هو الآخر من السيارة، وشعر بالارتياح لوقفه في الهواء الطلق للمرأب.

قالت أمبرا مشيرة إلى مدخل المرأة المنحدر: "المصاعد في البهو الرئيس".

غير أن نظر لانغدون ترکَ فجأة على مشهد غير متوقع على الإطلاق. فهنا، في هذا المرأب تحت الأرض، على جدار إسمنتي أمام موقف إدموند مباشرة، عُلقت لوحة ذات إطار أنيق لمنظر شاطئ بحر.

قال: "أمبرا، هل قام إدموند بتزيين موقف مخصص لسيارته بلوحة؟".

فأومأت برأسها مجيبة: "طرحت عليه السؤال نفسه، وأجابني بأنها طريقته ليشعر أنه موضع ترحيب في بيته كل ليلة بهذا المنظر الجميل".
ضحك لانغدون. هذا حال العازبين.

قال وينستون وقد انتقل صوته الآن آلياً إلى هاتف كيرش الذي تحمله أمبرا: "الفنان شخص يقدّره كيرش كثيراً. هل عرفته؟".
لم يعرفه لانغدون. إذ تبدو اللوحة مجرد منظر بحري رسم بالألوان المائية، ولا تشبه بشيء ذوق إدموند الطليعى المعتاد.

قالت أمبرا: "إنه تشرشل. كان إدموند يقتبس عنه طوال الوقت".

بشرشل. استغرق لانغدون لحظة ليدرك أنها لا تقصد سوى وينستون تشرشل نفسه، رجل الدولة البريطاني الشهير. فبالإضافة إلى كونه بطلاً عسكرياً، ومؤرخاً، وخطيباً، ومؤلفاً حائزاً على جائزة نوبيل، كان فناناً يتمتع بموهبة رائعة. وتندر لانغدون أن إدموند اقتبس مرة جملة عن رئيس الوزراء البريطاني ردّاً على تعليق أحد الأشخاص حول كره المتنبيين له: "لديك أعداء؟ هذا جيد. فهذا يعني أنك دافعت عن شيء ما في حياتك!"

قال وينستون: "تنوع مواهب تشرشل هو أكثر ما كان يلفت انتباه إدموند. فمن النادر أن يُظهر البشر كفاءتهم في هذا الطيف الواسع من الأنشطة".
"ألهذا السبب أطلق عليك إدموند اسم وينستون؟".

أجاب الكمبيوتر: "بالفعل، وكان ذلك ثناءً عظيمًا من جانب إدموند".

أنا مسرور لأنني سألت. فقد كان يعتقد أن اسم وينستون كان إشارة إلى واتسون، أي كمبيوتر IBM الذي سيطر على حبوباردي! وهو برنامج ألعاب تلفزيوني كان يعرض منذ عقد من الزمن. لا شك في أن واتسون يُعتبر الآن بدائياً؛ شأنه شأن باكتيريا بدائية أحادية الخلية على سلم تطور الذكاء الاصطناعي.

قال لانغدون مشيراً إلى المصاعد: "حسناً إذا، فلنصل إلى الأعلى لنحاول العثور على ما أتينا من أجله".

في تلك اللحظة بالذات، داخل كاتدرائية المودينا في مدريد، كان القائد دييغو غارزا يحمل هاتفه ويصغي غير مصدق إلى منسقة العلاقات العامة في القصر، مونيكا مارتن، وهي تزوده بأخر الأخبار.

هل غادر فالديسينو والأمير جولييان أمان المجتمع؟!
لم يستطع أن يتخيل دوافعهما بأي شكل من الأشكال.
هل يتوجّلان حول مدريد بسيارة مساعد كاهن؟ هذا جنون مطبق!
قالت مارتن: "يمكنا الاتصال بسلطات النقل. إذ يعتقد سوريش أنهم يستطيعون استخدام كاميرات المرور للمساعدة في تعقبهما"-

قال غارزا: "كلا! فتبيه أي شخص إلى حقيقة أن الأمير موجود خارج القصر من دون تدابير أمنية أمر خطير للغاية! سلامـة سموه هـمـنا الأول".
قالت مارتن وقد بدا عليها اضطراب مفاجئ: "فهمـتـ سـيـديـ. ثـمـةـ أـمـرـ آخرـ عـلـيـكـ مـعـرـفـتـهـ، وـيـتـعـلـقـ بـسـجـلـ هـاتـفـيـ مـفـقـدـ".

"مهلاً". طلب منها غارزا الانتظار بسبب وصول عناصر الحرس الملكي الأربعـةـ الذين قاموا بـتطـويـقـهـ فـجـأـةـ. وـقـبـلـ أنـ يـأـتـيـ غـارـزاـ بـأـيـ ردـ فعلـ، جـرـدـهـ العـمـلـاءـ بـبرـاعـةـ منـ هـاتـفـهـ وـسـلـاحـهـ.

قال عـمـيلـهـ الأولـ بـمـلـامـحـ جـامـدـةـ كالـصـخـرـ: "حضرـةـ القـائـدـ غـارـزاـ، لـديـ أـوـامـرـ مـباـشـرةـ باـعـتـقـالـكـ".

الفصل 52

بني كازا ميلا على شكل عالمة الانهائية، وذلك في منحني متواصل ينطوي على نفسه، ويشكّل هوتين متموجتين تخترقان المبنى. يبلغ عمق كلّ من هذين المنورين المفتوحين نحو مائة قم، ويشبهان بتموجهما أنبوبين انها ر جزئياً. أما من الجوانب، فيبدوان أشبه ببالوعتين هائلتين في سقف المبنى.

من حيث وقف لانغدون أسفل المنور الأرضي مساحة، كان تأثير النظر إلى السماء يبعث حتماً على الاضطراب، كمن يقف في حلقة وحش عملاق.

تحت قدميه، كانت الأرض الحجرية منحدرة وغير مستوية. ارتفع سلم حلزوني داخل المنور، وكان درايزيته مصنوعاً من الحديد المطاوع المصمم بدقة بالغة، والذي يحاكي التجاويف مقاومة الحجم لسفينة بحر. تدلّت غابة صغيرة من العرائش المختلفة والنباتات من فوق الدرايزي، وبيت وكأنها على وشك أن تطفى على المكان بأكمله. هنسنة معمارية حية. هذا ما فكر فيه لانغدون وهو يتأمل بإعجاب قدرة غاودي على صبغ أعماله بطبع بيولوجي تقريباً.

نظر إلى الأعلى مجدداً، إلى سفوح "المضيق"، وتأمل الجدران المنحنية التي اختلط فيها مزيج من البلاط البني والأخضر مع لوحات جدارية تصوّر النباتات والأزهار التي تبدو كأنها تنمو لتصل إلى البقعة المستطيلة من سماء الليل في أعلى المنور المفتوح.

همست أميرا: "المصاعد من هنا". وقادته حول أطراف الباحة. "تقع شقة إدموند في الطابق الأعلى من المبنى".

وبينما كانا يستقلان المصعد الصغير المريح، راح لانغدون يتخيّل تقسيم الطابق العلوي الذي زاره مرّة لرؤبة معرض غاودي الصغير الموجود هناك. كما يذكر، كانت عليه كازا ميلا مظلمة، وتضم سلسلة متعرجة من الغرف مع عدد قليل جداً من النوافذ. قال لانغدون عندما بدأ المصعد رحلته: "كان باستطاعة إدموند العيش في أي مكان. ما زلت لا أصدق أنه استأجر عليه!".

قالت أميرا: "إتها شقة غريبة. لكن كما تعلم، كان إدموند غريب الأطوار وعندما وصل المصعد إلى الطابق العلوي، خرجا منه إلى مدخل أنيق، وصعدا عدداً آخر من الدرجات المتعرجة وصولاً إلى ردهة خاصة في أعلى المبنى.

قالت أمبرا مشيرة إلى باب معدني أملس ليس مزوداً بمقبض أو ثقب مفتاح: "ها نحن ذا". بدت البوابة ذات الطابع المستقلبي غير مناسبة على الإطلاق لهذا المبني، ومن الواضح أن إدموند هو الذي أضافها.

سألها: "هل قلت إنك تعرفين أين يخبيء مفاتيحه؟".

فرفعت أمبرا هاتف إدموند وأجابت: "في المكان نفسه الذي يخبيء فيه كل شيء كما يبدو".

ثم ضغطت الهاتف على الباب المعدني، فصدرت عنه ثلاثة رتات، وسمع لانغدون سلسلة من الأقفال التي تفتح. بعد ذلك، دست أمبرا الهاتف في جيبها ودفعت الباب.

وقالت مبتسمة: "تفضل".

دخل لانغدون إلى بهو خافت الإضاءة، اكتسح جدرانه وسقفه بالطوب الشاحب. كانت الأرض حجرية والهواء رقيناً.

ولأثناء انتقاله من البهو إلى القاعة المفتوحة وراءه، وجد نفسه وجهاً لوجه مع لوحة ضخمة عُلقت على الجدار الخلفي، وكانت مضاءة بمصابيح صغيرة مخصصة للمتحف. عندما رأى اللوحة، جمد في مكانه. "ربما، بهذه... الأصلية؟".

فابتسمت أمبرا. "أجل، كنت سأخبرك بذلك على متن الطائرة، ولكنني فزرت أن أتركها مفاجأة لك".

اقترب من اللوحة عاجزاً عن الكلام. كانت بعرض اثنين عشرة قدماً تقريباً، ويزيد ارتفاعها عن أربع أقدام، أي أكبر بكثير مما يذكر عندما رأها في متحف بوسطن للفنون الجميلة. سمع أنه تم بيع هذه اللوحة إلى جامع تحف مجهول، ولكنني لم أكن أعرف أنه إدموند!

قالت أمبرا: "عندما رأيت هذه اللوحة للمرة الأولى في الشقة، لم أصدق أن إدموند يتذوق هذا النمط الفني. لكن، بعدما عرفت الآن ما كان يعمل عليه هذا العام، أصبحت اللوحة تبدو مناسبة تماماً".

أوما لانغدون برأسه موافقاً ومصدوماً في آن واحد.

كانت هذه التحفة الشهيرة أحد الأعمال التي تحمل توقيع الفنان الفرنسي ما بعد الانطباعي بول غوغان؛ وهو رسام رائد جسد الحركة الرمزية التي سادت في أواخر القرن التاسع عشر، وساعد في تمهيد الطريق للفن الحديث.

عندما اقترب لانغدون من اللوحة، لاحظ على الفور مدى شبه الوان غوغان باللون مدخل كازا ميلا، بمزيجه من التدرجات الخضراء والبنية والزرقاء العضوية، فضلاً عن المشهد الطبيعي جداً الذي تصوره.

على الرغم من المجموعة الكبيرة من الأشخاص والحيوانات التي تظهر في لوحة غوغان، انتقل نظر لانغدون على الفور إلى الزاوية العلوية اليسرى. وهناك، رأى بقعة صفراء ساطعة حملت عنوان العمل.

قرأ لانغدون الكلمات غير مصدق.

D'où Venons Nous / Que Sommes Nous / Où Allons Nous

من أين أتينا؟ ما نحن؟ إلى أين نحن ذاهبون؟

تساءل لانغدون عما إذا كانت مواجهة هذه الأسئلة كل يوم بعد العودة إلى البيت قد ساعدت بشكل من الأشكال على إلهام إدموند.

وقفت أميرا إلى جانبه أمام اللوحة. قال إدموند إنه أراد أن تكون هذه الأسئلة حافزا له كلما دخل منزله.

فكَرَ لانغدون في سره: من الصعب أن تفوت.

نظرًا للاهتمام الذي خصَّه إدموند بطريقة عرض هذه التحفة، تسأله لانغدون عما إذا كانت اللوحة نفسها تحمل مفتاحًا ما يساعد على الوصول إلى مااكتشفه إدموند. للوهلة الأولى، بدا موضوعها بدائيًا جدًا ليشير إلى اكتشاف علمي متقدم. إذ تصور ضربات

الفرشاة العريضة وغير المستوية غابة تاهيتية تقطنها مجموعة من التاهيتيين والحيوانات.

كان لانغدون يعرف اللوحة جيدًا، وكما يذكر، أراد غوغان أن "قرأ" من اليمين إلى اليسار، بالاتجاه المعاكس للنص الفرنسي القياسي. وهكذا، مر نظره بسرعة على الأشكال المألوفة بالاتجاه المعاكس.

إلى أقصى اليمين، ينام مولود على صخرة، ويمثل بداية الحياة. من أين أتينا؟ في الوسط، تضم اللوحة مجموعة من الأشخاص من مختلف الأعمار يقومون بأنشطة يومية. ما نحن؟

أما إلى اليسار، فتجلس امرأة عجوز مقعدة بمفردها، مستغرقة في التفكير، وتبدو أنها تفكَر في موتها الوشيك. إلى أين نحن ذاهبون؟

استغرب لانغدون لأنَّه لم يفكِر في هذه اللوحة على الفور عندما وصف إدموند للمرة الأولى موضوع اكتشافه. ما أصلنا؟ ما مصيرنا؟

تأمل لانغدون بقية عناصر اللوحة: كلاب وقطط وطيور لا يبدو أنها تفعل شيئاً معيناً، تمثَّل آلهة بدائي في خلفية اللوحة، جبل وجذور وأشجار. وبالطبع، "الطائر الأبيض الغريب" الشهير في أعمال غوغان، الجالس إلى جانب المرأة العجوز، والذي يمثل بحسب الفنان، " Ubiquité الكلمات".

فكَرَ لانغدون في سره: سواء أكانت عبٰيَة أم لا، فالكلمات هي ما أتينا من أجله. ويستحسن أن يكون مجموعها سبعة وأربعين حرفاً.

للحظة، تسأله إذا كان عنوان اللوحة غير الاعتيادي مرتبطاً مباشرة بكلمة السر المؤلفة من سبعة وأربعين حرفاً. ولكنه عندما قام بعد حرف الجملتين الفرنسيتين والإنكليزية، لم يحصل على المجموع المطلوب.

قال لانغدون: "حسناً، نحن نبحث عن بيت شعر".

قالت أميرا: "مكتبة إدموند من هنا". وأشارت إلى اليسار، عبر ممر عريض لاحظ لانغدون أنه يضم مفروشات منزلية أنيقة تتخللها تحف ومعروضات متناسبة معها لغاودي.

هل كان إدموند يعيش في متحف؟! ما زال عاجزاً عن استيعاب ذلك. فالدور العلوي من كازا ميلا لم يكن بالضبط بيته مريحاً، فهو مبني بالكامل من الحجر والطوب، وهو أساساً نفق مضلع متواصل، يشكل حلقة من 270 قوساً متكافئة ومتقافية الارتفاعات، تفصل مسافة ياردة تقريباً بين كل منها. كما كان عدد النوافذ قليلاً جداً، والهواء جافاً ومعقماً، ومن الواضح أنه معالج بقوة لحماية تحف غاودي.

قال لانغدون: "سانضم إليك بعد قليل. أولاً، أود زيارة حمام إدموند".

فنظرت أميرا بارتباك إلى المدخل مجذداً. كان إدموند يطلب متى دائماً استخدام حمام البهو في الطابق السفلي... فقد كان حمائياً على نحو غامض تجاه حمام شقته الخاصّ".

"إتها شقة عازب، ولا شك في أن حمامه في حالة من الفوضى، وكان هذا يسبب له الإحراج".

ابتسمت أميرا قائلة: "حسناً، أعتقد ذلك". ثم أشارت بالاتجاه المعاكس للمكتبة، عبر نفق مظلم جداً.

"شكراً، سأعود حالاً".

توجهت أميرا إلى مكتب إدموند، فيما ذهب لانغدون بالاتجاه المعاكس، وشق طريقه عبر ممر ضيق كان عبارة عن نفق دراميكي من قناطر الطوب التي ذكرته بمغاراة تحت الأرض أو سرداب من القرون الوسطى. بينما كان يسير عبر النفق، أضيئت ثقائلاً مصابيح حساسة تجاه الحركة عند قاعدة كل قطرة من القناطر، وأنارت طريقه.

مز لانغدون بغرفة أنيقة مخصصة للقراءة، وغرفة رياضة صغيرة، وحتى بغرفة للمؤن، وجميعها تتخللها طاولات عرض متنوعة لرسوم غاودي وتصاميمه المعمارية ونماذج ثلاثة الأبعاد لمشاريعه.

لكن، عندما مز بطاولة عرض مضيئة للقطع الأثرية البيولوجية، توقف وقد فوجئ بمحتوياتها: أحفور سمكة من حقبة ما قبل التاريخ، وصفحة نوتيلوس جميلة، وهيكل

عظمي لأفعى. للحظة عابرة، تخيل لانغدون أن إيموند قد جهز هذا العرض العالمي بنفسه، وربما كان يتعقب بدراساته عن أصول الحياة. ثم رأى الشرح المرفق بالقطع الأثرية، وأدرك أنها تنتهي لغاودي، وتشبه مختلف السمات المعمارية لهذا المنزل: حرافش السمكة هي الرسوم على بلاط الجدران، والتوبيلوس يشبه المنحدر اللولبي المؤدي إلى المرأب، أما هيكل الأفعى العمسي بمئات الأضلاع التي يضمها فيشبه هذا الرواق نفسه.

رافقت المجموعة كلمات متواضعة للمهندس المعماري:

لم أخترع شيئاً، بل كلّه مكتوب في الطبيعة أولاً.
فالالأصالة تقوم على العودة إلى الأصل.

- أنطونيو غاودي

التفت لانغدون إلى الممر الملتوي الذي تعلوه قناطير كالأضلاع، وشعر مجدداً كما لو أنه يقف داخل مخلوق حي.

منزل مثالي لإيموند. فنّ مستلهم من العلم.

ويبقى لانغدون يتبع أول انحناء في النفق الملتوي، اتسع الرواق، وأضيئت المصابيح المنشطة بالحركة. فاتجه نظره فوراً إلى صندوق عرض زجاجي ضخم في وسط القاعة.

نموذج سلسلـي. كان لانغدون يُعجب دائمـاً بهذه النماذج البارعة التي صممـها غاودـي. وكانت كلمة "سلسلـي" تشير إلى المنحنـى الذي يشكـلـ الحبل المعلـق بشـكلـ مرتـخـ بين نقطـتين ثابتـتين، مثل الأرجـوجـة أو الحـبلـ المـحملـيـ المـعلـقـ بين عمـودـينـ فيـ المـسرـحـ.

في النموذج السـلـسـلـيـ أمام لانـغـدونـ، عـلـقـتـ عـشـراتـ السـلاـسـلـ بشـكـلـ مـرـتـخـ منـ أعلىـ الصـنـدـوقـ، مـشـكـلـةـ خـطـوـطاـ طـوـلـةـ تـنـخـفـضـ إـلـىـ الأـمـامـ ثـمـ تـعودـ إـلـىـ الأـعـلـىـ عـلـىـ شـكـلـ حـرـفـ "Uـ"ـ مـعـلـقـ. وبـماـ أـنـ قـوـةـ شـدـ الجـاذـبـ هـيـ عـكـسـ قـوـةـ ضـغـطـ الجـاذـبـ، اـسـتـطـاعـ غـاـودـيـ أـنـ يـدـرـسـ الشـكـلـ الدـقـيقـ الـذـيـ تـنـخـذـهـ السـلـسـلـةـ عـنـدـمـاـ تـنـدـلـىـ بشـكـلـ طـبـيعـيـ تـحـتـ تـأـثـيرـ وزـنـهاـ، وـأـنـ يـقـدـ ذـكـ الشـكـلـ لـحلـ التـحـيـاتـ المـعـارـيـ لـضـغـطـ الجـاذـبـ.

لـكـنـ الـأـمـرـ يـحـتـاجـ إـلـىـ مـرـأـةـ سـحـرـيـةـ. قال لـانـغـدونـ ذـكـ لـنـفـسـهـ وـهـوـ يـقـرـبـ منـ الصـنـدـوقـ. وـكـمـاـ تـوـقـعـ، كانتـ أـرـضـ الصـنـدـوقـ عـبـارـةـ عـنـ مـرـأـةـ. وـعـنـدـمـاـ حـدـقـ إـلـىـ الـانـعـكـاسـ، رـأـىـ تـأـثـيرـاـ سـحـرـيـاـ. فقدـ انـقـلـبـ النـمـوذـجـ بـأـكـملـهـ رـأـسـاـ عـلـىـ عـقـبـ، وـتـحـوـلـتـ الـحـلـقـاتـ المـتـدـلـيـةـ إـلـىـ أـبـرـاجـ شـاهـقـةـ.

أدرك لانغدون أنه كان يرى في هذا الصندوق مشهداً جوياً معموساً لبارزيليك ساغرادا فاميليا بأبراجها الشاهقة، والتي قام غاودي بتصميم أبراجها تلك على الأرجح مستخدماً هذا النموذج نفسه.

تابع طريقه عبر القاعة، ليجد نفسه في غرفة نوم أنيقة مجهزة بسرير أثري ذي أربعة أعمدة، وخزانة من خشب الكرز، وخزانة أدراج مرصضة. وكانت الجدران مزينة برسوم لتصاميم غاودي، عرف لانغدون أنها من معروضات المتحف ببساطة. القطعة الفنية الوحيدة في الغرفة التي يبدو أنها أضيفت إليها، كانت جملة مكتوبة بالأحرف الكبيرة معلقة فوق سرير إدموند. قرأ لانغدون الكلمات الثلاث الأولى، وعرف صاحبها على الفور، نيشه.

كانت عبارة تضم الكلمات الثلاث الأكثر شهرة التي كتبها فريدريك نيشه، الفيلسوف والملحد الألماني الشهير الذي عاش في القرن التاسع عشر. كان نيشه معروفاً بانتقاداته اللاذعة للدين، وكذلك بأفكاره حول العلوم، لا سيما التطور. وكان يعتقد أن العلم نقل البشرية إلى شفير العدمية، وهو وعي أن الحياة بلا معنى وبلا هدف أسمى.

عندما رأى لانغدون المقوله معلقة فوق السرير، تسائل عما إذا كان إدموند، على الرغم من كل مزاعمه المناهضة للإيمان، يكافح مع دوره في محاولة تخليص العالم.

وبينما كان لانغدون يتأمل في تلك الفكرة، خطرت بباله فكرة أخرى.
لم يكن نيشه مجرد فيلسوف، بل كان شاعراً أيضاً.

كان لانغدون نفسه يملك كتاب نيشه الطاووس والثور، والذي يضم مجموعة من 275 قصيدة ومقوله تتضمن أفكاراً عن الله، والموت، والعقل البشري.

قام بسرعة بعد الأحرف التي تتضمنها المقوله المعلقة فوق السرير. غير أن عددها لم يكن بعدد أحرف كلمة السر. ومع ذلك، تضاعف الأمل لديه. هل يمكن أن يكون نيشه هو الشاعر الذي نبحث عنه؟ في هذه الحالة، هل سنجد ديواناً لنيشه في مكتب إدموند؟ على أي حال، سيطلب لانغدون من وينستون دخول مجموعة قصائد نيشه على الشبكة والبحث عن بيت مؤلف من سبعة وأربعين حرفاً.

أراد العودة بأسرع ما يمكن إلى أمبراء لإطلاعها على أفكاره تلك، فسارع بعبور غرفة النوم إلى الحمام الذي كان يقع وراءها.

وما إن دخل حتى أضيئت المصايبخ، ليجد نفسه في حمام أنيق يحتوي على مغسلة، وحجرة استحمام زجاجية، ومرحاض.

على الفور، وقع نظر لانغدون على طاولة منخفضة قيمتها ممولة بمستحضرات الاستحمام وأشياء شخصية أخرى. عندما رأها، شهق وتراجع خطوة إلى الخلف.
رياه، إدموند... كلا.

كانت الطاولة الموجودة أمامه أشبه بمختبر مخدرات في أحد الأزقة الفقيرة: حقن مستعملة، زجاجات، أفراس، كبسولات مفتوحة، وحتى خرقة ملوثة بالدم.
شعر أن قلبه يغوص بين أضلاعه.
هل كان إدموند يتعاطى المخدرات؟

كان لانغدون يعرف أن الإيمان الكيميائي أصبح كثير الشيوع هذه الأيام، حتى بين الأثرياء والمشاهير. فقد بات الهيرويين أرخص من المشروبات، والناس يتعاطون المسكنات الأفيونية كما لو كانت أدوية صداع.

الإيمان يفسر بالتأكيد سبب خسارته الكبيرة للوزن مؤخرًا. تسائل عما إذا كان إدموند قد أدعى أنه أصبح نباتياً ليحاول التغطية على نحوله وعينيه الغارقتين. ذهب لانغدون إلى الطاولة، وتناول إحدى الزجاجات، ثم قرأ ملصق الوصفة متوقعاً أن يكون أحد أدوية الأفيون الشائعة، مثل أوكتسكونتين أو بيروكسيت.

ولكن عوضاً عن ذلك كُتب على الزجاجة: نوستاكسل.

استغرب لانغدون وتحقق من زجاجة أخرى: جيمسيتاين.

راح يتسائل وهو يتناول زجاجة ثالثة: ما هذه؟ فليوروراسيل.

تجند في مكانه من هول الصدمة. كان قد سمع عن هذا الدواء من خلال زميل له في هارفارد، وشعر بموجة خوف مفاجئة. بعد لحظة، رأى كتيباً بين الزجاجات. كان عنوان الكتيب "هل يُطى النظام النباتي تَقْ سلطان البنكرياس؟".

فغر لانغدون فاه دهشة بعد أن تجلّت له الحقيقة فجأة.

لم يكن إدموند مدمناً على المخدرات، بل كان يكافح سرّاً سلطاناً قاتلاً.

الفصل 53

وقفت أمبرا في دال في الضوء الخافت للشقة، وجالت بنظريها على رفوف الكتب المصطفة على جدران مكتبة إدموند. مجموعة أكبر مما أنكر.

كان إدموند قد حول جزءاً كبيراً من الرواق المقوس إلى مكتبة هائلة من خلال إضافة رفوف بين الدعامات العمودية لقناطر غاودي. وكانت مكتبه كبيرة على نحو غير متوقع ومجهزة جيداً، لا سيما بالنظر إلى أنه كان ينوي الإقامة هنا لعامين فقط، على حد زعمه. يبدو كما لو أنه انتقل إلى هنا نهائياً.

تأملت أمبرا الرفوف المزدحمة بالكتب، وأدركت أن العثور على بيت الشعر المفضل لدى إدموند سيستغرق وقتاً أطول بكثير مما توقعت. وبينما راحت تمشي أمام الرفوف وتقرأ عنوانين الكتاب، لم تر شيئاً سوى المجلدات العلمية حول علم الكونيات، والوعي، والذكاء الاصطناعي:

الصورة الكبيرة

قوى الطبيعة

أصول الوعي

علم أحياء الاعتقاد

الخوارزميات الذكية

اختراعنا النهائي

وصلت إلى نهاية أحد الأقسام، وانعطفت حول قنطرة معمارية إلى الجزء التالي من الرفوف. وجدت هناك مجموعة واسعة من المواضيع العلمية: الديناميكا الحرارية، الكيمياء البدائية، علم النفس. ما من روائي شعرية هنا.

لاحظت أن وينستون صامت منذ بعض الوقت، فأخرجت هاتف كيرش. "وينستون، أما زلتنا على اتصال؟".

أناها صوته قائلًا: "أنا هنا".

"هل قرأ إدموند حقًا كلَّ هذه الكتب الموجودة في مكتبه؟".

أجاب وينستون: "أعتقد ذلك، نعم. فقد كان قارئاً نهماً، وكان يُسمّي هذه المكتبة غنائم المعرفة".

"وهل ثمة قسم للشعر هنا بالصادفة؟".

"العنوان الوحيدة التي أعلم بها هي الكتب غير الروائية التي طلب مني قراعتها على شكل كتاب إلكتروني لكي نتمكن أنا وإدموند من مناقشة محتوياتها، وكان ذلك حسبما أعتقد تمريناً من أجل تعليمي أنا. لكن مع الأسف، لا أملك هذه المجموعة بأكملها، والطريقة الوحيدة لتجدي ما تبحثين عنه هي إجراء بحث فعلي".

"فهمت".

"بينما تقومين بالبحث، ثمة أمر أعتقد أنه قد يهمك، وهو خبر عاجل من مدريد يتعلّق بخطيبك، الأمير جولييان".

توقفت أميراً فجأة وسألته: "ماذا يجري؟".

كانت مشاعرها لا تزال متقدمة حيال إمكانية تورط جولييان في اغتيال كيرش. ذكرت نفسها: ما من دليل على ذلك. لا شيء يؤكد أنّ جولييان ساعد على إضافة اسم أفيلا إلى قائمة المدعىين.

قال وينستون: "ورد للتو عن وسائل الإعلام أنَّ ظاهرة صاحبة تشكيل أمام القصر الملكي. إذ لا تزال الأدلة تشير إلى أنَّ اغتيال إدموند قد تمَّ ترتيبه سرًا من قبل الأسف فالديسيبينو، وربما بمساعدة شخص من داخل القصر، قد يكون الأمير نفسه. والآن، بدأ محبو كيرش يتّوافرون إلى هناك. ألقى نظرة".

بدأ هاتف إدموند الذكي يعرض لقطات لمناظرين غاضبين أمام بوابات القصر. كان أحدهم يحمل لافتة كتب عليها: "لقد قتلتم ملهمنا!"

وكان آخرون يحملون ملاءات أسرة مطلية بالرذاذ بصرخة معركة من كلمة واحدة - *IAPOSTASÍA!* - برفقاها رمز يتم طلاؤه بونيرة متزايدة على أرصفة مدريد.



كانت الردة قد أصبحت صرخة شعبية لشباب إسبانيا الليبراليين. لا للكنيسة! سألته أميراً: "لم يدلِ جولييان بتصریح بعد؟".

"هذه واحدة من المشاكل. لم تصدر أيَّ كلمة بعد عن جولييان، ولا عن الأسف، ولا عن أيَّ أحد على الإطلاق في القصر. وهذا الصمت المستمر يثير شكوك الجميع. فنظريات المؤامرة تتفشى، والصحافة الوطنية بدأت الآن تتساءل عن مكانك، وعن سبب عدم إدراكك بتعليق علني على هذه الأزمة أيضاً. دُعِرت أميراً من تلك الفكرة. أنا!."

القد كنت شاهدة على الجريمة، كما أنت الملكة المرتقبة، وحبَّ حياة الأمير جولييان. وعامة الشعب يريدون أن يسمعوك وأنت تقولين إنك واقفة من أنَّ جولييان ليس متورطاً. في الواقع، أني أها حدسها بأنَّ جولييان لا يمكن أن يكون على علم مسبق بمقتل إدموند. فحين تفكَّر بفترة تعارفهما، تذكر رجلاً رقيقاً وصادقاً. قد يكون بسيطاً ومندفعاً في رومانتيَّته ربما، ولكنَّه بالتأكيد ليس قاتلاً.

قال وينستون: "وَتَظَهَّرُ أَسْئَلَةً مُشَابِهَةً حَوْلَ الْبِرُوفِيْسُورَ لَانْغُدُونَ الْآنَ. فَقَدْ بَدَأَتْ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ تَتْسَاعِلُ عَنْ سَبَبِ اخْتِفَاءِ الْبِرُوفِيْسُورِ مِنْ دُونِ أَيِّ تَعْلِيقٍ، لَا سِيمَّا بَعْدَ ظُهُورِهِ الْبَارِزِ فِي الْعَرْضِ الَّذِي قَدَّمَهُ إِدْمُونْدُ. وَتَشِيرُ عَدَّةُ مُدَوَّنَاتٍ تَابِعةً لِفَكَرِ الْمُؤَامِرَةِ أَنَّ اخْتِفَاءَهُ قَدْ يَكُونُ مُرْتَبَطًا بِتَورَطِهِ فِي اغْتِيَالِ كِيرِشِ".

لَكَنَّ هَذَا جُنُونٌ مُطْبِقٌ!".

هذا الموضوع يزداد جاذبية. وتتبع النظرية من بحث لانغدون السابق عن الكأس المقدسة وسلامة المسيح. فعلى ما يبدو، يملك أحفاد المسيح الساليون روابط تاريخية بالحركة الكارلية ووش القاتل -".

قاطعته أميراً: "مهلاً، هذا سخيف".

فيما يتكلَّمُ آخرون أنَّ لانغدون احتفى لأنَّه أصبح هو نفسه هدفاً هذه الليلة. لقد أصبح الجميع محقِّقين هذه الليلة. فكثيرون في العالم يتعاونون في هذه اللحظة لمعرفة السرِّ الذي اكتشفه إدموند... ومن يرى إسكاته".

سمعت أميراً وقع خطوات لانغدون وهي تقترب بسرعة عبر الرواق الملفتي، فالتفتت في اللحظة التي ظهر فيها عند الزاوية.

ناداها بصوت متواتر: "أميرًا، هل كنت على علم بأنَّ إدموند يعاني من مرض خطير؟".

أجبت باستغراب: "مرض خطير! كلاً".

أخبرها بما وجده في حمام إدموند الخاص، فذهلت تماماً.

سرطان بانكرياس! لهذا السبب كان إدموند شاحباً ونحيل؟

من الغريب أنَّ إدموند لم يقل شيئاً على الإطلاق عن مرضه. الآن فهمت أميراً سبب وثيره عمله المحمومة خلال الأشهر القليلة الماضية. كان يعرف أنَّ الوقت ينفد.

سألت وينستون: "وينستون، هل كنت على علم بمرض إدموند؟".

أجاب وينستون بلا تردد: "أجل، لقد أبقي هذا الموضوع طي الكتمان. لقد عرف بمرضه منذ اثنين وعشرين شهراً، وغير نظامه الغذائي على الفور، ثم بدأ يعمل بكثافة متزايدة، كما انتقل إلى هذه الشقة ليستفيد من نوعية هواء المتحف، ويقي نفسه من الأشعة ما فوق البنفسجية. كان بحاجة إلى العيش في الظلام قدر الإمكان لأن أدويته جعلته حساساً على الضوء. وقد تمكّن إدموند من العيش لمدة تتجاوز توقعات الأطباء بفارق كبير. ولكنّه مؤخراً بدأ يتراجع. واستناداً إلى الأدلة التجريبية التي جمعتها من قواعد البيانات حول العالم عن سرطان البانكرياس، قمت بتحليل تدهور صحة إدموند وتوصلت إلى أن أمامه تسعه أيام للعيش".

تسعة أيام، شعرت أمبرا بالذنب لإغاظتها إدموند حول نظامه الغذائي وعمله المكثف. لقد كان الرجل مريضاً. كان يكافح بلا كلل لتحقيق لحظة المجد الأخيرة قبل أن ينفد منه الوقت. هذه الفكرة المحزنة ضاعفت من تصميم أمبرا على إيجاد تلك القصيدة وإتمام ما بدأه إدموند.

قالت لانغدون: "لم أتعذر بعد على أي دواوين شعرية. كلّها كتب علمية حتى الآن".
"أعتقد أنّ الشاعر الذي نبحث عنه قد يكون فريديريك نيشه". وراح يخبرها عن المقوله المعلقة فوق سرير إدموند. تلك المقوله بالتحديد ليست مؤلفة من سبعة وأربعين حرفاً، ولكنّها تشير بالتأكيد إلى أنّ إدموند كان من محبي نيشه".

قالت أمبرا: "وينستون، هل بحثت في أعمال نيشه الشعرية وعزلت الأبيات المؤلفة من سبعة وأربعين حرفاً بالضبط؟".

أجاب وينستون: " بكل تأكيد. هل تريدان الأبيات الأصلية الألمانية أم الترجمات الإنكليزية؟".

صممت أمبرا مترددة.

قال لانغدون: "ابدا بالإنجليزية. فقد خطّط إدموند لإدخال بيت الشعر بواسطة هاته، ولن يكون من السهل عليه استخدام أحرف اللغة الألمانية".
أومأت أمبرا برأسها موافقة. فكرة زكية.

أعلن وينستون على الفور تقريباً: "لقد حصلت على النتائج. عثرت تقريباً على ثلاثة فصيدة مترجمة، تتضمن مائة واثنين وتسعين بيتاً مؤلفاً من سبعة وأربعين حرفاً بالضبط".
تنهد لانغدون يائساً: "كلّ هذا؟".

الاحت عليه أمبرا قائلة: "وينستون، لقد وصف إدموند بيته الشعري المفضل على أنه توقع... توقع حيال المستقبل... توقع بدأ يتحقق أساساً. هل ترى شيئاً بين تلك الأبيات يناسب هذا الوصف؟".

أجاب وينستون: "أنا آسف، لكنني لا أرى شيئاً يمكن وصفه على أنه توقع مستقبلني. فمن الناحية اللغوية، كل الأبيات المعنية مأخوذة من قصائد أطول وتبعد أفكاراً مجرّأة. هل أعرضها عليكم؟".

قال لأنغدون: "عدها كبير جداً. نحن بحاجة إلى العثور على كتاب ورقي، وأمل أن يكون إدموند قد حدد فيه البيت المفضل لديه بطريقة أو بأخرى".

قال وينستون: "إذاً، أقترح عليكم أن تسرعاً. إذ يبدو أن وجودكما هنا لم يعد سراً. سأله لأنغدون: "لماذا تقول ذلك؟".

"بحسب الأنباء المحلية، هبطت طائرة عسكرية للتو في مطار إل برات في برشلونة، وترجل منها اثنان من عناصر الحرس الملكي".

في ضواحي مدريد، كان الأسقف فالديسيبينو يشعر بالامتنان لفراوه من القصر قبل أن تغلق الأسوار عليه. جلس إلى جانب الأمير جولييان على المقعد الخلفي لسيارة الأول سيدان التي يملكها مساعدته، وأمل أن تساعده التدابير اليائسة التي يتم اتخاذها من وراء الكواليس على استعادة السيطرة على الأمور، في هذه الليلة التي خرجت تماماً عن المسار المخطط له.

أمر فالديسيبينو مساعدته الذي كان يقودهما بعيداً عن القصر قائلاً: "لا كازينا ديل برينسبيبي".

كان منزل الأمير يقع في منطقة ريفية تبعد أربعين دقيقة عن مدريد. وهذا المنزل الذي كان أقرب إلى قصر يشّكل منزلًا خاصاً لولي عهد إسبانيا منذ أواسط القرن الثامن عشر، وُخصّص ليعيش فيه شبابه قبل أن يتولى مهمّة إدارة البلاد الجادة. كان فالديسيبينو قد أكد لجولييان أنَّ الذهاب إلى منزله أكثر أماناً بكثير من البقاء في القصر هذه الليلة.

لكنني لن أصطحب جولييان إلى ذلك المنزل. فكر الأسقف بذلك وهو ينظر إلى الأمير الذي كان يحدّق من النافذة غارقاً في أفكاره.

تساءل فالديسيبينو عما إذا كان الأمير ساذجاً حقاً بقدر ما يبدو، أم أنه - مثل أبيه - يُتقن مهارة إظهار هذا الجانب وحسب من نفسه للعالم.

الفصل 54

شعر غارزا أن الأصفاد التي تقيّد معصميه مشدودة الوثاق بلا داع.

هؤلاء الرجال جائعون. هذا ما فكر به وهو لا يزال محتاراً من سلوك عمالته.

سألهم غارزا مجدداً وهم يقودونه إلى خارج الكاتدرائية، إلى الساحة المظلمة: لكن، ما الذي يجري؟؟.

غير أنه لم يحصل على جواب هذه المرة أيضاً.

وبينما كانت المجموعة تسير في الساحة الواسعة باتجاه القصر، أدرك غارزا وجود عدد من كاميرات التلفزيون والمتظاهرين خارج البوابة الأمامية.

قال لرئيس عمالته: "على الأقل، اصطحبوني من الباب الخلفي، ولا تحولوا ذلك إلى مشهد عام".

غير أن الجنود تجاهلوا نداءه وحثّوا الخطى، مجبرين إياه على السير مباشرة عبر الساحة. خلال ثوانٍ، بدأت الأصوات تصيح من خارج البوابة، وأضواء الكاميرات تسلط عليه. أبهره الضوء وسيطر عليه الغضب، غير أنه أجبر نفسه على التزام الهدوء، ورفع رأسه عالياً بينما اقتاده الحرس الملكي مروراً بالبوابة مباشرة من أمام المسؤولين والمراسلين الذين يصيرون.

بدأت الأصوات الصاخبة تطرح الأسئلة على غارزا.

"لماذا يتم توقيفك؟".

"ماذا فعلت أيها القائد؟".

"هل أنت متورط في اعتقال إدموند كيرش؟".

توقع غارزا أن يتبع العملاء طريقهم من أمام الحشد من دون أن يولوه أي نظره. لكنه صُدم تماماً حين توقف العملاء فجأة، وأوقفوه أمام الكاميرات. من جهة القصر، رأى فتاة ترتدي سروالاً تعبر الساحة باتجاههما بخطى سريعة.

كانت مونيكا مارتن.

لم يكن لدى غارزا أي شك في أنها ستتصدى حين ترى المأزق الذي يقع فيه.

لكن الغريب أن مارتن لم ترمي باستغراب عندما وصلت، بل بازدراء. أما الحرس، فأجبروا غارزا على مواجهة الصحفيين.

رفعت مونيكا مارتن يدها لتهنئة الحشود، ثم أخرجت ورقة صغيرة من جيبها.
عللت نظارتها، وقرأت بياناً مباشراً أمام كاميرات التلفاز.

أعلنت قائلة: "إن القصر الملكي يعتقد القائد ديبغوغارزا بسبب دوره في مقتل إيموند كيرش، ومحاولاته توريط الأسقف فالديسيبينو في تلك الجريمة".
وب قبل أن يتمكن غارزا من استيعاب الاتهام العجيب، بدأ الحراس يدفعونه نحو القصر. ومع انصرافه، سمع مونيكا مارتن تتبع بيانها.

أعلنت قائلة: "في ما يتعلق بالملكة المستقبليه أمبرا فيدال والبروفيسور روبرت لانغدون، أخشى أن الأنباء التي لدى مزعجة للغاية".

في الطابق السفلي من القصر، وقف مدير الأمن الإلكتروني سوريش بهالا أمام التلفاز، وقد شدَّه البث الحي للمؤتمر الصحفي المرتجل الذي قامت به مونيكا مارتن في الساحة.

لا يبدو عليها السرور.

قبل خمس دقائق وحسب، تلقت مارتن اتصالاً هاتفياً شخصياً استلمته في مكتبتها، وأجبت بصوت خافت وهي تدون ملاحظات دقيقة. وبعد سنتين ثانية، خرجت وقد بدا عليها الاضطراب، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يراها فيها سوريش بهذه الحالة. من دون أي تقدير، حملت مارتن ملاحظاتها وخرجت مباشرة إلى الساحة، ثم توجهت إلى وسائل الإعلام.

سواء أكانت تلك الادعاءات دقيقة أم لا، ثمة أمر واحد مؤكد؛ وهو أن الشخص الذي أمر بإعطاء هذا التصريح وضع روبرت لانغدون في خطر محقق.

تساءل سوريش: من الذي أعطى مونيكا تلك الأوامر؟

وبيِّنما كان يحاول استيعاب سلوك منسقة العلاقات العامة الغريب، رن جهاز الكمبيوتر برسالة واردة. فذهب إليه سوريش ونظر إلى الشاشة، ودخل تماماً عندما رأى من يكون المرسل.

monte@iglesia.org

إنه المُخبر.

الشخص نفسه الذي كان يغذّي ConspiracyNet بالمعلومات طوال الليل. والآن، لسبب ما، كان يتصل بسوريش مباشرة.
جلس سوريش بحذر، وفتح الرسالة الإلكترونية.

كان نصّها كالتالي:

لقد اخترقَ رسائل فالديسيينو.

لديه أسرار خطيرة.

على القصر دخول سجلات رسائله النصية.

فوراً.

قرأ سوريش الرسالة مرة أخرى وقد تملّكه الذهول، ثمَّ مسحها.

جلس صامتاً لوقت طويل، وراح يتأمل في خياراته.

وأخيراً، توصل إلى قرار، فأخرج بطاقة مفاتيح رئيسة للأجنحة الملكية، وصعد إلى

الطابق العلوي خلسة.

الفصل 55

أخذ لانغدون يجول بنظره على مجموعة الكتب المصنوفة في ردهة إدموند بالحاج متزايد.

شعر... لا بد من وجود بعض الشعر هنا في مكان ما.

لقد أطلق وصول الحرس الملكي إلى برشلونة ساعة موقوتة خطيرة، لكن لانغدون كان واثقاً هذه المرة أن الوقت لن ينفد. ففي النهاية، ما إن يتمكن هو وأمبرا من إيجاد بيت الشعر المفضل لدى إدموند، لن يحتاجا سوى إلى بضع ثوانٍ لدخول هاتقه وتشغيل العرض ليشاهده العالم. تماماً كما أراد إدموند.

نظر إلى أمبرا التي كانت تقف في الجهة المقابلة من الردهة على مسافة منه، وتتابع بحثها في الطرف الأيسر، بينما كان لانغدون يمشط الطرف الأيمن. "هل وجدت شيئاً هناك؟".

هزت رأسها نافية. "حتى الآن، لا أرى سوى كتب علمية وفلسفية. ما من دواوين شعرية، ولا شيء لنبيشه".

قال وهو يعاود البحث: "واصلي البحث". كان حالياً يفتش في قسم المجلدات التاريخية السميكة:

الامتياز، والاضطهاد، والنبوة: الكنيسة الكاثوليكية في إسبانيا
بالسيف والصلب: التطور التاريخي للملكية في العالم الكاثوليكي

ذكره هذان العنوانان بالحكاية المظلمة التي رواها له إدموند منذ سنوات بعدما علق لانغدون قائلاً إن انشغال إدموند بإسبانيا والكاثوليكية يبدو غير اعتيادي بالنسبة إلى ملحد أمريكي. يومذاك، أجاب إدموند ببساطة: "كانت والدتي إسبانية الأصل وكاثوليكية دمّرها الإحساس بالذنب".

وحين أخبره إدموند بالحكاية المأساوية لطفولته ووالدته أصغرى إليه باستغراب كبير. قال عالم الكمبيوتر إن والدته، بالوما كالفو، كانت ابنة مزارعين بسيطين في قاديس، بإسبانيا. وفي سن التاسعة عشرة، وقعت في حب مدرس جامعي من شيكاغو

يدعى مايكل كيرش، أتى في إجازة إلى إسبانيا، وحملت منه. وبما أنها رأت كيف تعامل الأمهات العازيات في مجتمعها الكاثوليكي الصارم، لم تحد خياراً سوى قبول عرض الزواج الفاتر، والانتقال معه إلى شيكاغو. وبعد مدة قصيرة من ولادة إدموند، كان زوج بالوما عانداً على دراجته من الجامعة عندما دهسته سيارة وقتل على الفور.

وصف والدها الحادث يومذاك بأنه عقاب.

رفض والدا بالوما السماح لابنتهما بالعودة إلى قادس وجلب العار إلى منزلهما. وعوضاً عن ذلك، حذراها من أن الظروف الصعبة التي تعاني منها كانت عالمة واضحة على غضب الله، وأن ملوكوت السموات لن يقبل بها أبداً ما لم تكرس نفسها جسداً وروحاً لل المسيح لبقية حياتها.

بعد ولادة إدموند، عملت بالوما كخادمة في فندق، وحاولت تربيةه بأفضل ما يمكن. وفي الليل، حين تعود إلى شقتهم الصغيرة، كانت تقرأ الكتاب المقدس وتصلّي طلباً للغفران. لكن فقرها ازداد، وازداد معه يقينها بأن الله لم يكن راضياً عن تربيتها.

بعد خمس سنوات من الإحساس الدائم بالخزي والخوف، أصبحت بالوما مقتنة أن العمل الوحيد الذي يمكن أن تقوم به للتعبير عن عمّق حبها لابنها هو إعطاءه حياة جديدة، بعيدة عن عقاب الله على خطاياها. وهكذا، وضعت إدموند الذي لم يكن قد تجاوز الخامسة من عمره في دار للأيتام، وعادت إلى إسبانيا لدخول أحد الأديرة. أما إدموند، فلم ير أمّه ثانية.

عنما أصبح إدموند في العاشرة من عمره، علم أن أمّه توفيت في الدير خلال صوم فرضته على نفسها. وبعد أن أنهكتها الألم الجسدي، شنت نفسها.

قال إدموند للانجدون: "إنها ليست قصة ممتعة. كنت في المدرسة الثانوية عندما علمت بهذه التفاصيل. وكما تخيل، إن تشدد أمي الدينى له علاقة كبيرة برفضي للدين. وأنا أسمى ذلك قانون نيوتن الثالث في تربية الأطفال: مقابل كل جنون، ثمة جنون مساوٍ ومعاكس".

بعد سماع القصة، فهم لأنجدون سبب كون إدموند مليئاً بالحقد والمرارة عندما التقى خلال العام الأول لإدموند في هارفارد. دُهش لأنجدون أيضاً لأن إدموند لم يتذكر ولو لمرة واحدة من قسوة طفولته. عوضاً عن ذلك، لطالما أعلن أنه محظوظ لأنه عانى من المشقات باكراً، ولأنها شكّلت حافزاً قوياً لديه لكي يحقق هدفي طفولته: أولاً، الخروج من الفقر. وثانياً، المساعدة على كشف النفاق الذي يعتقد أنه دمر والدته.

وقد نجح على الصعيدين، هذا ما فكر فيه لأنجدون بحزن وهو يواصل بحثه في المكتبة.

وحيث بدأ يبحث في قسم جديد من الرفوف، رأى الكثير من العناوين التي يعرفها، ومعظمها يرتبط بمعتقدات إدموند الراسخة بشأن مخاطر الإيمان.

خلال العقد الفائت، تزايد عدد الكتب التي تدعو إلى العقلانية عوضاً عن الإيمان الأعمى على قوائم الكتب غير الخيالية الأكثر مبيعاً. وكان على لانغدون أن يقرَّ أن التحول التقافي عن الإيمان أصبح واضحاً على نحو متاعظ، حتى في حرم جامعة هارفارد. فمؤخراً، نشرت واشنطن بوست مقالة تحت عنوان "الإلحاد يحتاج هارفارد"، وذكرت فيها أنه للمرة الأولى في تاريخ الجامعة الممتد على 380 عاماً، إنَّ عدد الطلاب الجدد من الملحدين واللادريين يتجاوز عدد البروتستانت والكاثوليك مجتمعين. كذلك، تتکاثر في أنحاء العالم الغربي منظمات ملحة مثل منظمات "الملحدون الأميركيون"، والتحالف الدولي للملحدين.

لم يُعرِّ لانغدون يوماً هذه المجموعات اهتماماً كبيراً، إلى أن أخبره إدموند عن مجموعة برايتس العالمية التي تدعم - على الرغم من اسمها الذي يُساء فهمه غالباً - نظرة طبيعية للعالم، وخالية من العناصر الخارقة أو الباطنية. ويشتمل أعضاء تلك المجموعة على مفكرين ناشطين أمثال ريتشارد دوكينز، ومارغريت داوني، ودانيل دينيت. وعلى ما يبدو، إنَّ الجيش المتنامي من الملحدين بدأ يجذب أسماء كبيرة جداً. كان لانغدون قد رأى كتب دوكينز ودينيت منذ دقائق وحسب بينما كان يفتش في

القسم المخصص للتطور في المكتبة.

تحدى كتاب دوكينز الكلاسيكي الذي يحمل عنوان *الساعاتي الأعمى المفهوم* الغائي القائم على أنَّ الكائنات البشرية، شأنها شأن الساعات المعقّدة، لا يمكن أن توجد من دون "مصمم". وكذلك، رأى دينيت في أحد كتبه، فكرة داروين الخطرة، وهي أنَّ الانتقاء الطبيعي وحده كان كافياً لتفسير تطور الحياة.

فيما كان لانغدون يتذكّر العرض الذي قدمه إدموند، فجأة رنَّ السؤال "من أين أتينا؟" بقوة أكبر في ذهن لانغدون. هل يمكن أن يكون ذلك جزءاً من اكتشاف إدموند؟ بالطبع، يتعارض مفهوم التطور تماماً مع جميع قصص الخلق الدينية؛ الأمر الذي ضاعف من فضول لانغدون لمعرفة ما إذا كان على الطريق الصحيح. مجدداً، بدت له هذه الفكرة غير قابلة للإثبات على الإطلاق.

نادته أمبرا من خلفه: "روبرت."

فالتفت ورأى أنَّ أمبرا أقتربت البحث في جانبها من المكتبة، وكانت تهزَّ رأسها يميناً ويساراً. لم أجد شيئاً هنا، جميعها كتب علمية. سأساعدك في البحث في هذا الجزء". قال لانغدون: "أنا أيضاً لم أجد شيئاً حتى الآن".

وبيّنما كانت أميرا تتوجّه نحو لانغدون، تصاعد صوت وينستون من مكّر الصوت في الهاتف.
آنستة فيدال".

رفعت أميرا هاتف إدموند مجيبة: "أجل؟".

قال وينستون: "يجب أن تشاهد شيئاً في الحال أنت والبروفيسور لأنغدون. فقد أدلّه، القصر للتو ببيان عام".

أسرع لانغدون نحو أميرا، ووقف إلى جانبيها، وراح يشاهد الشاشة الصغيرة في يدها وهي تعرض شريط فيديو.

عرف على الفور الساحة أمام قصر مدريد الملكي، ورأى رجلاً بالزي الرسمي مكبل اليدين ويتم اقياده بخشونة للوقوف أمام الكاميرا من قبل أربعة عناصر من الحرس الملكي. أدار العملاء أسيرهم باتجاه الكاميرا، كما لو أنهم يقتضدون إذلاله أمام أعين العالم.

فهفت أمبرا بذهول تام: "غارزا! قائد الحرس الملكي قيد الاعتقال!".

استدارت الكاميرا الآن لتصور امرأة تضع نظارة وهي تخرج من جيب سروالها ورقة، وتستعد لتلاؤه بياني.

قالت أميرا: "هذه مونيكا مارتن، منسقة العلاقات العامة. ماذا يجري يا ترى؟".
بدأت المرأة بالقراءة، ولفظت كل كلمة بوضوح تام. إن القصر الملكي يعتقد القائد
دييغو غارزا بسبب دوره في مقتل إدموند كيرش، ومحاولاته توريط الأسقف فالديسبينو
في تلك الجريمة".

شعر لانغدون أن أميرا تترنح قليلاً بجانبه وهي تشاهد مونيكا مارتن تتبع القراءة. قالت منسقة العلاقات العامة بنبرة حديّة: "أما بشأن ملكتنا المستقبلية أميرا فيدال،

والبروفيسور روبرت لانغدون، أخى أنـه لدى بعض الأنبياء المزعجة للغاية". تبادل لانغدون وأمبرا نظرات الدهشة.

تابعت مارتن: "قد تلقى القصر للتو معلومات من مرافقي الآنسة فيدال تفيد أنه تم اقتيادها من متحف غوغنهايم ضد إرادتها هذه الليلة من قبل روبرت لانغدون. والحرس الملكي في حالة تأهب قصوى، وهو ينسق مع السلطات المحلية في برشلونة التي يعتقد أن روبرت لانغدون يحتجز الآنسة فيدال رهينة فيها".

عقدت الصدمة لسان لأنغدون.
"وَبِمَا أَنَّ هَذَا الْوَضْعُ صُنْفٌ رَسِيْمًا عَلَى أَنَّهُ اخْتَطَافٌ لِرَهِينَةٍ، فَإِنَّ الشَّعْبَ مَدْعُوًّا
لِمَسَاعِدَ السُّلْطَاتِ مِنْ خَلَالِ الإِبْلَاغِ عَنْ أَيِّ مَعْلُومَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِمَكَانِ الْأَنْسَةِ فِيدَالِ أَوْ
السَّيِّدِ لَانْغَدُونَ. وَلَيْسَ لَدِيِّ الْقُصْرِ الْمُزِيدُ مِنَ التَّعْلِيقَاتِ حَتَّىَ هَذِهِ اللَّحْظَةِ.".

بدأ المراسلون يطرحون الأسئلة على مارتن، غير أنها استدارت على الفور وعادت باتجاه القصر.

قالت أمبرا متلثمة: "لكن هذا... جنون. لقد رأني المراقبان وأنا أغادر القصر بكامل إرادتي!".

حق لانعدون إلى الهاتف محاولاً أن يفهم ما جرى للتو. وعلى الرغم من سيل الأسئلة التي راحت تحوم في ذهنه، كانت ثمة نقطة واحدة واضحة تماماً.
أنا في خطر محقق.

الفصل 56

قالت أميرا فيدال وقد ظهر الخوف والإحساس بالذنب في عينيها السوداين: "روبرت، أنا آسفة جداً. ليست لدى أي فكرة عن يقف خلف هذه القصة المزيفة، ولكنهم وضعوك للنور في خطر كبير". ومدت ملكة إسبانيا المستقبالية يديها إلى هاتف إدموند مضيفة: "سأتصل بمونيكا مارتن حالاً".

قال وينستون: "لا تتصال بيالأنسة مارتن؛ فهذا بالضبط ما يريد القصر. إنها مكيدة. فهم يحاولون دفعك للظهور، وخداعك لكي تقومي بالاتصال بهم والكشف عن مكانك. فكري منطقياً. عملاً الحرس الملكي يعرفان أنه لم يتم اختطافك، ومع ذلك وافقا على نشر هذه الكذبة والسفر إلى برشلونة لمطارتك! من الواضح أن القصر بأكمله متورط في هذه المسألة. وبما أن قائد الحرس الملكي قيد الاعتقال، فهذا يعني أن الأوامر أنت من موقع أعلى".

أخذت أميرا نفسها قصيراً وقالت: "هل تعني... جولييان؟".

أجاب وينستون: "هذا استنتاج لا مفر منه. فالامير هو الوحيد في القصر الذي يملك سلطة اعتقال القائد غارزاً".

أغضبت أميرا عينيها للحظات طويلة، وشعر لأنغدون بموجة من الكآبة تجتاحها؛ كما لو أن هذا الدليل غير القابل للجدل ظاهرياً على تورط جولييان قضى على آخر آمالها بأن يكون خطيبها بريئاً من كل هذه الأحداث.

قال لأنغدون: "هذه المسألة تتعلق باكتشاف إدموند. فثمة من يعرف في القصر أتنا حاول عرض شريط إدموند على العالم، وهو يبذلون محاولات يائسة لمنعنا من ذلك".

أضاف وينستون: "ربما اعتقدوا أن عملهم قد انتهى عندما أسكتوا إدموند، ولم يدركون أنه ما زال هناك من يتبع المسألة".

خيم صمت غير مريح بينهم.

قال لأنغدون بهدوء: "أميرا، بالطبع أنا لا أعرف خطيبك، ولكنني أشتبه بقوة أن الأسقف فالديسيبينو يؤثر على جولييان في هذه القضية. تذكرني أن إدموند فالديسيبينو كانا على خلاف حتى قبل بدء الحدث المنظم في المتحف".

أومأت برأسها موافقة، وإن ليس تماماً. "على أي حال، أنت في خطر".
فجأة، بدأ يعيان أصوات صفارات الإنذار من بعيد.

شعر لانغدون بنبضه يتسارع. " علينا العثور على تلك القصيدة حالاً". وراح يستأنف بحثه بين رفوف المكتبة. "إطلاق محاضرة إدموند هو مفتاح سلامتنا، إن آخر جنا الاكتشاف إلى العلن، فمن يحاول إسكاتنا سيدرك أنَّ الأوان قد فات". قال وينستون: "هذا صحيح، لكنَّ السلطات المحلية ستواصل مطاريتك بتهمة الخطف. لن تكون بأمان ما لم تواجه القصر بلعبته".
سألته أمبرا: "وكيف ذلك؟".

تابع وينستون من دون تردد: "لقد استخدم القصر وسائل الإعلام ضدك، ولكنَّ هذا سيف ذو حدين". أصفع لانغدون وأمبرا إلى وينستون وهو يشرح لهما بسرعة خطأ بسيطة جداً، وأقرَّ لانغدون أنها ستوَّلَت على الفور الإرباك والفوضى بين خصومهما.
وافقته أمبرا على الفور. "سأقوم بذلك".

سألها لانغدون بحذر: "هل أنت واقفة؟ لن تتمكنِي من العودة إلى الوراء". قالت: "روبرت، أنا التي ورطتك في هذه المسألة، وأنت الآن في خطر. لم يترد القصر في استخدام الإعلام سلحاً ضدك، والآن سأواجهه بالسلاح نفسه". قال وينستون: "وهذا ما يجب أن يحدث. فمن يعيشون بالسيف سيموتون بالسيف". دُھش لانغدون تماماً. هل قام كمبيوتر إدموند حقاً باقتباس جملة إسخيلوس؟ غير أنه تساعل عما إذا كان من الأنسب اقتباس مقوله نيتشه: "من يحارب الوحوش عليه أن يتحرس من أن يصبح وحشاً".

قبل أن يعترض لانغدون أكثر، ابتعدت أمبرا عبر الردهة وهاتف إدموند بيدها، وقالت من خلف كتفها: "اعثر على كلمة السر تلك يا روبرت! سأعود حالاً". راقبها وهي تخفي في برج ضيق يؤدي سلمه اللولبي إلى سطح كازا ميلا المشهور بخطورته.
ناداها قائلاً: "كوني حذرة".

وعندما أصبح لانغدون بمفرده في شقة إدموند، حدق إلى الرواق المضلعل، وحاول أن يستجمع ما رأه هنا: صناديق لقطع أثرية غير اعتيادية، ومقوله معلقة في إطار، ولوحة لا تقدر بثمن للفنان غوغان تطرح المسؤولين نفسيهما اللذين طرحهما إدموند على العالم في وقت سابق من هذه الليلة. من أين أتياناً؟ إلى أين نحن ذاهبون؟

لم يجد حتى الآن شيئاً يشير إلى إجابات إدموند المحتملة عن هذين المسؤولين. وحتى تلك اللحظة، لم يسفر بحث لانغدون في المكتبة سوى عن مجلد واحد قد يكون ذا

صلة، ويحمل عنوان *الفن غير المفسّر*. وكان عبارة عن كتاب يضم صوراً لمنشآت غامضة من صنع الإنسان، بما في ذلك ستونهانج، ورووس جزيرة إيستر، و"الرسوم الصحراوية" الكبيرة في مدينة نازكا، وهي عبارة عن جيوغлиفات مرسومة على مقاييس هائل جداً حيث لا يمكن رؤيتها بالكامل سوى من الجو.

لا فائدة منه، واستأنف بحثه على الرفوف.

في الخارج، ازداد عويل صفات الإنذار اقتراباً.

الفصل 57

قال أفيلا وهو يمر بحاتم مهجور في محطة على الطريق السريع N-240: "أنا لست وحشاً."

إلى جانبه، كان سائق الأوبر يرتجف خوفاً، وبيدو في حالة من التوتر لا تسمح له بدخول الحمام. "لقد هددت... أسرتي".

أجاب أفيلا: "إن أحسنت السلوك، فأنا أؤكد لك أنه لن يصيّبهم أي أذى. ما عليك سوى اصطحابي إلى برشلونة وإنزالني هناك، وسنفترق كصديقين. سأعيد إليك محفظتك، وسأنسى عنوان بيتك، ولن تحتاج إلى التفكير بي مجدداً." حدق السائق إلى الأمام وشفاته ترتعشان.

قال أفيلا: "أنت رجل مؤمن، فقد رأيت الصليب الباباوي على زجاج سيارتك الأمامي. ومهما كان رأيك بي، قد تجد السلام في معرفة أنك تقوم بعمل يرضي الله هذه الليلة".

تراجع أفيلا وتحقق من مسدس السيرامييك المدسوس في حزمه. كان ملقاً بالرخصة الوحيدة المتبقية، وتساءل عما إذا كان سيضطر إلى استخدامها هذه الليلة. ذهب إلى المغسلة وفتح الماء على راحة يديه، فرأى الوشم الذي طلب منه الوصي نقشه تحسباً في حال تم القبض عليه. كان إجراء احتياطياً بلا داعٍ. هذا ما فكر فيه أفيلا وهو يشعر كما لو أنه روح لا يمكن تعقبها تهيم في الليل.

نظر إلى المرأة القذرة، وأدهشه ما رآه. ففي آخر مرة نظر فيها إلى نفسه في المرأة، كان يرتدي بذلك بيساء ذات باقة منشأة وقبعة بحرية. أما الآن، فقد خلع الجزء العلوى من بذلته، وبدأ أقرب إلى سائق شاحنة بالقميص القطني وقبعة البايسبول التي استعارها من السائق.

المفارقة هي أن الرجل الأشعث الذي ظهر في المرأة ذكر أفيلا بما كان عليه خلال الأيام التي أعقبت ذاك الانفجار الذي أودى بحياة أسرته. لقد كنت في حفرة لا قرار لها.

عرف أن نقطة التحول كانت في ذلك اليوم الذي خدعا فيه معالجه الفيزيائي ماركو واصطحبه إلى الريف للقاء "البابا".

لن ينسى أفيلا يوماً الأبراج الغربية للكنيسة البالمارية، ومروره من بواباتها الأمنية المرتفعة، ودخوله الكاتدرائية خلال القدس الصباحي ليرى حشود المصلين راكعين ومستغرقين في الصلاة.

كانت القاعة مضاءة بنور الشمس الطبيعي المتسلل من النوافذ الزجاجية العالية، والهواء عابقاً برائحة البخور. عندما رأى أفيلا المنبج المذهب والمقاعد الخشبية المصقوله، أدرك أن الشائعات حول الثروة الهائلة التي يملكونها بالماريون حقيقة. وهذه الكنيسة لا تقل جمالاً عن أي كاتدرائية زارها. ومع ذلك، كان يعلم أن هذه الكنيسة الكاثوليكية لا تشبه أي كنيسة أخرى.
البالماريون هم العدق اللدود للفاتيكان.

وقف أفيلا مع ماركو في الجزء الخلفي من الكاتدرائية، وحدق إلى الحشد متساءلاً عن كيفية تمكّن هذه الطائفة من الازدهار بعدها أعلنت بشكل صارخ معارضتها لرومما. فعلى ما يبدو، ضرب تنديد البالماريين بالليبرالية المتنامية للفاتيكان على وتر حساس لدى المؤمنين الذين يتوقفون إلى تقسير أكثر تحفظاً للدين.

كافح أفيلا لعبور الممر على عكازيه، وشعر وكأنه مريض بائس يسافر إلى لورديس على أمل الشفاء بأعجوبة. أتى حاجب لاستقبال ماركو، واصطحب الرجلين إلى مقعدين تم حجزهما في الصفة الأمامي. نظر أبناء الرعية بفضول إلى الشخص الذي نال هذه المعاملة الخاصة. وتمتى أفيلا لو أن ماركو لم يقنعه بارتداء زيه البحري الكامل.
ظننت أنتي ساقابل البابا.

جلس أفيلا ونظر إلى المنبج الرئيس. هناك، وقف شاب يقرأ من الكتاب المقدس، فعرف المقطع على الفور ، إنجيل مرقس.

قال القاريء: "فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء، لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاتكم".

فكَر أفيلا عابساً: المزبد من الغفران! شعر كما لو أنه سمع هذا المقطع ألف مرة من المستشارين والراهبات خلال الأشهر التي أعقبت الهجوم الإرهابي. انتهت القراءة، وارتفع صوت أوتار الأورغن في محراب الكنيسة. فوقف المصلون معاً، ونهض أفيلا على ماضض، فيما تقلص وجهه ألماً. خلف المنبج، فتح باب خفي وظهر عنده رجل، فاجتاحت موجة من الحماسة حشد المصلين.

بدأ الرجل أنه في العقد الخامس من عمره. وقف مستقيماً ومهيباً، بقامة رشيقه ونظرة مفعنة. كان يرتدي ثوباً أبيض، ويضع وشاحاً ذهبياً وحزاماً مطرزاً، فضلاً عن قلنسوة باباوية مرصّعة بالجواهر. تقدم فاتحاً ذراعيه للمصلين، وبدا وكأنه يطفو وهو يتوجه إلى وسط المنبج.

همس ماركو بحماسة: "ها هو البابا إنوسنت الرابع عشر". هل يسمى نفسه البابا إنوسنت الرابع عشر؟ كان أفيلا يعرف أن البالماريين يعترفون بشرعية جميع الباباوات، وصولاً إلى البابا بولس السادس الذي توفي عام 1978.

قال ماركو: "لقد وصلنا في الوقت المناسب. فهو على وشك إلقاء عظه". توجه البابا إلى وسط المذبح المرتفع، ثم تجاوز المنبر الرسمي وهبط درجة ليصبح بمستوى أبناء رعيته. عدل مكبر الصوت الصغير المتثبت على ملابسه، ثم رفع يديه وابتسم بحرارة.

قال هامساً: "صباح الخير" أجابه الحشد بصوت عالي: "صباح الخير!". واصل البابا الابتعاد عن المذبح مقترياً من المصليين، واستهلَّ عظه قائلاً: "لقد سمعنا للتّو مقطعاً من إنجيل مرقس، وقامت باختيارة شخصياً لأنّي أود أن أتكلّم هذا الصباح عن الغفران".

ذهب البابا باتجاه أفيلا، وتوقف في الممرّ بجانبه، على بعد مسافة قصيرة منه. لم ينظر إليه على الإطلاق. فالتفت أفيلا بقلق إلى ماركو الذي أوّما برأسه بحماسة.

قال البابا للمصلين: "جيمينا نكافح للغفران، وذلك لأنّه ثمة أوقات تكون فيها التجاوزات التي ارتكبّت ضدّنا لا تغفر. فعندهما يقوم شخص ما بقتل أناس أبرياء في عمل نابع من العقد الممحض، هل ينبغي بنا أن ندبر له الخدّ الآخر كما تعلمنا بعض الكنائس؟". خيم صمت مطبق على القاعة، فأخفض البابا صوته أكثر. "عندما يقوم متطرّف معاد للمسيحيين بتفجير قبّلة خلال قداس صباحي في كاتدرائية إسبانية، وتودي تلك القبّلة بأرواح أمّهات وأطفال أبرياء، كيف يتوقع منا أن نسامح؟ فالتفجير عمل حرب؛ حرب ليست ضدّ الكاثوليك فحسب، ولا ضدّ المسيحيين فحسب، بل ضدّ الخير... ضدّ الربّ نفسه!".

أغمض أفيلا عينيه، محاولاً أن يقمع الذكريات المرهوة لذك الصباح، والغضب والبعض اللذين ما زالا يعتملان في قلبه. ومع تعاظم غضبه، شعر بيد البابا تضغط برفق على كتفه.

فتح أفيلا عينيه، لكن البابا لم يكن ينظر إليه. مع ذلك، بدت يده ثابتة ومطمئنة. تابع البابا من دون أن يرفع يده عن كف أفيلا: "دعونا لا ننسى إرهابنا الأحمر. خلال حرثنا الأهلية، أحرق أعداء الربّ كنائس وأديرة إسبانيا، وقتلوا ما يزيد عن ستة آلاف كاهن، وعدّبوا مئات الراهبات، وأجبروا الأخوات على ابتلاع المسابح قبل الاعتداء عليهن ورميّهن في فتحات المناجم ليُلقين حتفهن". صمت ليترك كلماته تُحدث التأثير

المطلوب، ثمَّ تابع قائلًا: "هذا النوع من الحقد لا يختفي مع الزمن، بل يختمر، وينمو، وينتظر أن ينهض مجدداً مثل ورم سرطاني. يا أصدقائي، أنا أحذركم من أن الشر سيبتلينا كلَّنا إن لم نحارب القوة بالقوة. لن ننتصر أبداً على الشر إن كانت صرخة معركتنا هي الغفران".

فَكَرْ أَفِيلَا فِي سَرِّهِ: إِنَّهُ عَلَى حَقٍّ. فَقَدْ شَاهَدَ بِأَمِّ الْعَيْنِ خَلَالَ خَدْمَتِهِ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ أَنَّ "الَّلِّيْنَ" تجاه سوء السلوك كان أَفْضَل طَرِيقَةً لِضَمَانِ تَفَاقُمِ سُوءِ السُّلُوكِ.

تابع البابا: "أَعْنَدَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، مِنْ شَأنِ الْغَفْرَانِ أَنْ يَكُونَ خَطَرًا. فَعِنْدَمَا نَغْفِرُ لِلشَّرِّ الَّذِي يُرِتَكِبُ فِي الْعَالَمِ، فَنَحْنُ نُعْطِيهِ الْإِنْزِلَيْنَ لِيَنْمُو وَيَنْتَشِرُ". وَعِنْدَمَا نَرَدَ عَلَىِ الْحَرْبِ بِالرَّحْمَةِ، فَإِنَّا نَشَجَّعُ أَعْدَاءَنَا عَلَىِ ارْتِكَابِ الْمُزِيدِ مِنْ أَعْمَالِ الْعَنْفِ ضَنَّا. ثُمَّةَ أَوْقَاتٍ يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَ فِيهَا كَمَا فَعَلَ يَسُوعُ، وَنَرْمِي بِقَوْةِ طَاوُلَاتِ الْمَالِ وَنُصِّيحُ: هَذَا غَيْرُ مَسْمُوحٍ!".

أَرَادَ أَفِيلَا أَنْ يَصْرُخَ بَيْنَمَا كَانَ الْمُصْلَوْنَ يَوْمَئِنَ بِرَؤُوسِهِمْ مُوَافِقِينَ، أَنَّهُ مَعَكُمْ! سَأَلَ الْبَابَا: "لَكِنَّ، هَلْ نَحْنُ نَتَحَرَّكُ؟ هَلْ تَتَّخِذُ الْكَنِيْسَةُ الْكاثُولِيْكِيَّةُ فِي رُومَا مَوْقِفًا كَمَا فَعَلَ يَسُوعُ؟ كَلَّا، إِنَّهَا لَا تَفْعَلُ. وَالْيَوْمَ نَحْنُ نَوَاجِهُ أَحْلَاكَ الشَّرُورِ فِي الْعَالَمِ، وَلَا نَمْلُكُ سُوَى قَدْرِتِنَا عَلَىِ الْغَفْرَانِ، وَالْمَحْبَّةِ، وَالْتَّعَاطِفِ. وَهَذَا نَسْمَحُ، لَا بَلْ نَشَجَّعُ عَلَىِ نَمْوِ الشَّرِّ. وَرَدَّاً عَلَىِ الْجَرَائِمِ الْمُتَكَرَّرَةِ الَّتِي يُرِتَكِبُ ضَنَّا، تُعَرِّبُ بِحُذْرٍ عَنْ قَلْقَنَا بِلُغَةِ سَلِيمَةٍ مِنَ النَّاحِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَنَذَكِرُ بَعْضَنَا بَعْضًاً أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ الشَّرِّ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ عَانُوا مِنْ طَفُولَةٍ صَعِيبَةٍ، أَوْ عَانُوا مِنْ الْفَقْرِ، أَوْ خَسِرُوا أَحْبَاءَهُمْ فِي جَرَائِمٍ مُشَابِهَةٍ، وَلَذِكَ هَذَا الْحَقْدُ لِيُسْ نَذِبُهُمْ. وَأَنَا أَقُولُ: كَفَى! الشَّرُّ شَرٌّ! وَجَمِيعُنَا كَافَحْنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ!".

انفجَرَتِ الْقَاعَةُ بِالْتَّصْفِيقِ الْعَفْوِيِّ، وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَشَهِدْهُ أَفِيلَا فِي قَدَّاسِ كَاثُولِيْكِيِّيِّ. تَابَعَ الْبَابَا وَيَدِهِ لَا تَزالُ عَلَىِ كَتْفِ أَفِيلَا. "لَقَدْ اخْتَرْتَ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنِ الْغَفْرَانِ الْيَوْمِ لِأَنَّنَا نَسْتَقْبِلُ ضَيْفًا مَمِيزًا بَيْنَنَا. أَوَّلَدَ أَنْ أَشْكُرَ الْأَمْيَرَالَ لُويِّسَ أَفِيلَا عَلَىِ تَشْرِيفِنَا بِحُضُورِهِ. إِنَّهُ يَحْتَلُّ مَرْتَبَةً عَالِيَّةً فِي السَّلَكِ الْعَسْكَرِيِّ الإِسْبَانِيِّ، وَقَدْ وَاجَهَ شَرًا مَرْوِعًا. وَمِنْنَا جَمِيعًا، كَافَحْ مَعَ الْغَفْرَانِ".

وَقَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ أَفِيلَا مِنْ الاعتراضِ، رَاحَ الْبَابَا يَرْوِي بِالْتَّفَاصِيلِ الْحَيَّةِ نَضَالَاتِ أَفِيلَا فِي الْحَيَاةِ: خَسَارَتِهِ لِأَسْرَرِهِ فِي هَجْوَمِ إِرْهَابِيِّ، وَغَرَقَهُ فِي الْإِدْمَانِ، وَأَخِيرًا مَحاوِلَةِ الْانْتِهَارِ الْفَاشِلَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا. كَانَ رَدُّ فعلِ أَفِيلَا الْأَوَّلُ هُوَ الغَضَبُ عَلَىِ مَارِكُو لِأَنَّهُ خَانَ تَقْتَهُ. وَمَعَ ذَلِكَ، وَبَيْنَمَا كَانَ يَسْمَعُ قَصْنَتَهُ فِي تِلْكَ الْلَّحْظَةِ تَرْوِي بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، شِعْرَ بِقَوْةِ غَرِيبَةٍ. كَانَ ذَلِكَ إِقْرَارًا عَلَيْنَا بِأَنَّهُ ارْتَطَمَ بِقَاعَ صَخْرِيِّ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ نَجَا بِأَعْجُوبَةٍ.

قال البابا: "بِرَأِيِّي، لَقَدْ أَنْقَذَ اللَّهُ الْأَمْيَرَالَ أَفِيلَا... مِنْ أَجْلِ هَدْفِ أَسْمَيِّ".

عند ذلك، التفت البابا البالماري إنوسنت الرابع عشر وحدق إليه للمرة الأولى. بدأ نظرات الرجل العميقه وكأنها تخترق روح أفيلا الذي شعر أنه يستمد نوعاً من القوة لم يشعر بها منذ سنوات.

قال البابا: "أيهاالأميرال، أعتقد أن الخسارة المأساوية التي عانيت منها تتجاوز الغفران. وأعتقد أن الغضب المستمر الذي يعتمل بداخلك، ورغبتك في الانتقام، لا يمكن إخمادهما بتحويل الخد الآخر. ولا ينبغي ذلك! سيكون أمك حافزاً لخلاصك. نحن هنا لنقدم لك الدعم والحب! ولنقف إلى جانبك، ونساعدك على تحويل غضبك إلى قوة للخير في هذا العالم! الحمد لله!".

فرد المصلون خلفه: "الحمد لله!".

تابع البابا وهو يحدق إلى عينيه بتركيز أكبر: "أيهاالأميرال أفيلا، ما هو شعار سلاح البحرية الإسبانية؟".

أجاب أفيلا على الفور: "Pro Deo et patria".

"أجل، الله ولبلاد. يسرنا جميماًاليوم أن نكون في حضرة ضابط بحري مرموق خدم بلاده جيداً". صمت البابا، ثم مال إلى الأمام مضيفاً: "كن.. ماذا عن الله؟".

حدق أفيلا إلى عيني الرجل الخارقين، وشعر فجأة أن قد توازنه اختل.

همس البابا، حياتك لم تنتهِ، وعملك لم يُنجَز بعد. لذلك أتفذك الله. فمهتمك التي أقسمت عليها لم تنجِز سوى نصفها. خدمت بلادك، أجل... لكنك لم تخدم الله!.

وهذا، شعر أفيلا كمن أصيب بعيار ناري.

ختم البابا عطته قائلاً: "رافقتكم السلامه!".

فرد عليه الحشد: "وأنت أيضاً!".

فجأة، وجد أفيلا نفسه غارقاً في بحر من الناس الذين يتمنون له التوفيق ويقدمون له دعمهم؛ في تجربة لم يسبق أن اختبرها من قبل. بحث في أعين أبناء الرعية عن أيّ أثر للتعصب الطائفي الذي كان يخشاه، ولكنه لم يجد سوى التفاؤل، وحسن النية، والرغبة الصادقة في إرضاء الله... وهذا بالضبط ما أدرك أفيلا أنه يفتقد إليه.

منذ ذلك اليوم، وبمساعدة ماركو ومجموعة أصدقائه الجدد، بدأ أفيلا صعوده الطويل من قعر اليأس. استأنف رياضته الروتينية الصارمة، وتناول الأطعمة المغذية، والأهم من ذلك كله أنه أعاد اكتشاف دينه.

بعد عدة أشهر، عندما أتم علاجه الجسدي، قدم له ماركو كتاباً مقتضاً ذا غلاف جلدي، وفيه حدد عشرة مقاطع تقريباً. تصفح أفيلا بعضها عشوائياً.

الرسالة إلى أهل رومية 13:4
لأنه خادم الله -
منقّم للغضب
من الذّي يفعل الشر.

المزمير 1:94
يا إله النعمات يا رب ،
يا إله النعمات أشراق !

الرسالة الثانية إلى تيموثاوس 2:3
فاشترك أنت في احتمال المشقات
كجندى صالح ليسوع المسيح .

كان ماركو قد قال له متيسماً: "تذكّر، عندما يرفع الشر رأسه في العالم، ينفّذ الله إرادته على الأرض من خلتنا. إنّ الغفران ليس السبيل الوحيد للخلاص".

الفصل 58

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

كائناً من تكون - أخبرنا المزيد!

هذه الليلة، قدم من يزعم أنه مخبر مدنى يحمل العنوان الإلكتروني monte@iglesia.org قدرًا هائلًا من المعلومات الداخلية لموقع ConspiracyNet.com
شكراً لك!

ويمى أن المعلومات التي شاركتنا إياها 'Monte' أثبتت مستوى عالياً من الموثوقية والقدرة على الوصول إلى الداخل، فإننا نشعر بالثقة ونحن نقدم هذا الطلب المتواضع جدًا:

- كائناً من تكون، إن كنت تملك أي معلومات على الإطلاق بشأن محتوى عرض كيرش الذي تم إجهاصه، نرجو أن تشاركتنا إياها!!

#من أين أتيتنا
إلى أين نحن ذاهبون
شكراً.
- متن جميعاً هنا في ConspiracyNet.com -

الفصل 59

بينما كان لانغدون يفتح الأقسام الأخيرة في مكتبة إدموند، شعر بآماله تتلاشى. وفي الخارج، ارتفع صوت صفارات الإنذار وقد ازدادت قرباً، قبل أن تتوقف أمام كازا ميلاً مباشرة. ومن خلال نوافذ الشقة الصغيرة، استطاع لانغدون أن يرى مصابيح سيارات الشرطة وهي تومض في الأسفل.

لقد علقنا هنا. نحن بحاجة إلى معرفة كلمة السر تلك المؤلفة من سبعة وأربعين حرفًا وإنما فلن نستطيع الخروج.

لو سوء الحظ، لم يعثر لانغدون على أي ديوان شعري.

كانت رفوف القسم الأخير أعمق من بقية الرفوف، وبيت أنها تحتوي على مجموعة إدموند من الكتب الفنية كبيرة الحجم. وبينما كان لانغدون يُسرع في تفتيش جدار الكتب ويتأمل العناوين، رأى كتاباً تُظهر شغف إدموند بكلّ ما هو غريب وحديث في الفن المعاصر.

سيرا... كونز... هيرست... بروغيرا... باسكيات... بانكسي... أبراموفيتش...
انتهت المجموعة فجأة عند سلسلة من الكتب الأصغر حجماً، فتوقف على أمل إيجاد ديوان شعري بينها.
لا شيء.

كانت الكتب الموجودة هنا عبارة عن تعليقات وانتقادات للفن التجريدي، ورأى بينها بضعة عناوين كان قد أرسلها له إدموند لكي يقرأها.

ما الذي تنظر إليه؟
لماذا لا يستطيع ابن خمس سنوات أن يقوم بذلك؟
كيف تفهم الفن الحديث

قال لانغدون لنفسه وهو ينتقل بسرعة إلى مجموعة أخرى: ما زلت أحاب فهمه. وذهب إلى قسم آخر وبدأ ببحث بين الكتب.

كتب عن الفن الحديث. من نظرة واحدة، عرف أن هذه المجموعة تتناول فترة سابقة. على الأقل، نحن نتراجع في الزمن... نحو الفن كما أفهم.

جال نظره بسرعة على عناوين الكتب، ولمح بينها سيراً ذاتية وكتالوغات لفنانين انطباعيين، وتكلبيين، وسرياليين أدهشوا العالم بين عامي 1870 و1960 عن طريق إعادة تعريف الفن بالكامل.

فان غوغ... سرات... بيكاسو... مونش... ماتيس... ماغريت... كلمنت... كاندينسكي... جونز... هوكنى... غوغان... دوشامب... ديفاس... شagal... سيزان... كاسات... براك... آرب... أليبرز...

انتهى هذا القسم عند ضلع معماري آخر، فتجاوزه لأنغدون ليجد نفسه في القسم الأخير من المكتبة. بدأ الكتاب الموجودة هنا مخصصة لمجموعة من الفنانين الذين كان إيموند يحب وصفهم بحضور لأنغدون "مدرسة الأموات البيض الملئين"، وتتضمن أساساً كل ما يسبق الحركة الحداثية لمنتصف القرن التاسع عشر.

على عكس إيموند، كان لأنغدون يشعر هنا بألفة أكبر، محاطاً بالمعلمين الكبار. فيرمير... فيلازكيز... تيتيان... تينتوريتتو... روبينز... رامبرانت... رافاييل... بوسين... مايكل أنجلو... ليسي... غويار... جوتور... غيرلاندابيو... إل غريكو... دورير... دافنشي... كوروت... كارافاجيو... بونتيشيلي... بوش...

احتوى آخر بضع أقدام من الرف الأخير على خزانة زجاجية كبيرة مغلقة بقفل ثقيل. حق لأنغدون من خلال الزجاج، ورأى صندوقاً جلدياً قيم المظهر في الداخل، كأنه غلاف واق لكتاب قديم ضخم. كان النص المكتوب على الصندوق من الخارج بالكاد مقرؤاً، لكن لأنغدون استطاع أن يرى بما فيه الكفاية لمعرفة عنوان الكتاب الموجود فيه. ربما، أدرك الآن لماذا تم حفظ هذا الكتاب بعيداً عن أيدي الزوار. لا بد أنه يساوي ثروة.

كان لأنغدون يعرف أنه لا توجد سوى بضع نسخ ثمينة من هذا العمل الفتى الأسطوري.

لا يستغرب أن يستمر إيموند في هذا العمل. وتذكر أن إيموند وصف هذا الفنان البريطاني مرة بأنه "الفنان الوحيد السابق للحداثة الذي يتمتع بالمخيلة". لم يوافقه لأنغدون الرأي، ولكنه استطاع بكل تأكيد أن يفهم سبب تعاطف إيموند الكبير مع هذا الفنان. كلاهما يتمتعان بالفكر نفسه.

انحنى لأنغدون وحق من خلال الزجاج إلى الصندوق المذهب الذي يحمل العنوان التالي: الأعمال الكاملة لوليام بلليك.

وليام بلليك. إيموند كيرش القرن التاسع عشر.

كان بلليك عبقرياً فريداً من نوعه، يتمتع بذكاء خصب، وأسلوب تقني في الرسم، حتى إن البعض يعتقدون أنه رأى لمحات من المستقبل في أحلامه. تصور لوحاته

الدينية رموزاً ملائكة وشيطانية، فضلاً عن مخلوقات أسطورية، ومواضيع من الكتاب المقدس، ومجموعة من الآلهة التي استوحاها من هلوساته الروحية الخاصة به. وعلى غرار كيرش تماماً، كان بليك يعيش تحدي المسيحية. دفعت تلك الفكرة لانغدون إلى الوقوف مجدداً. ولIAM بليك.

شهق مغفلأً. فعندما وجد بليك بين هذا العدد الكبير من الفنانين البصريين، نسي أمراً أساسياً بشأن هذا العبقري الباطني. لم يكن بليك فناناً ورساماً فحسب... كان أيضاً شاعراً غزيراً笠笠的筆觸.

للحظة، شعر بنبضه يتسع. فمعظم أشعار بليك تمحورت حول أفكار ثورية تتلاطم تماماً مع آراء إدموند. في الواقع، إن بعضاً من أقوال بليك واسعة الانتشار - أي تلك التي وردت في أعمال "شيطانية" مثل زواج الجنة والنار - تبدو كما لو أن إدموند نفسه هو الذي كتبها.

تنكر لانغدون كيف وصف إدموند بيته الشعري المفضل. قال لأمبرا إنه "توقع". وكان لانغدون يعرف أنه ما من شاعر في التاريخ يمكن اعتباره مثل ولIAM بليك الذي نشر في تسعينيات القرن الثامن عشر قصيدتين شديدة التشاوم.

كان لانغدون يملك الكتابين؛ وهما نسختان أنيقتان عن قصائد بليك المكتوبة بخط يده والمرفقة بإيضاحات.

حق إلى الصندوق الجلدي الكبير داخل الخزانة. لا شك في أن الطبعات الأصلية من "توقعات" بليك تُشيرت في نصوص مصورة بالحجم الكبير!

اجتاحت لانغدون موجة من الأمل وهو ينحني أمام الخزانة، وقد راوده شعور بأن الصندوق الجلدي قد يحتوي فعلًا على ما يبحثان عنه هو وأمبرا، أي قصيدة تحتوي على بيت شعري مؤلف من سبعة وأربعين حرفاً ويتضمن توقعًا مستقبلياً. والسؤال الوحيد الآن هو ما إذا كان إدموند قد حدد المقطع المفضل لديه. مذ لانغدون يده وضغط على مقبض الخزانة.

غير أنه وجدها مقفلة.

نظر إلى السلم اللولبي، وتساءل عما إذا كان يجر به بكل بساطة أن يصعد إلى الأعلى ويطلب من وينستون أن يجري بحثاً حول كل أشعار ولIAM بليك. لكن أصوات

صفارات الإنذار كانت قد توقفت ليحل محلها هدير طائرات هليكوبتر بعيد وصراخ على الدرج خارج باب إدموند.
لقد وصلوا.

رمق لانغدون الخزانة، ورأى الزجاج ذا اللون المائل إلى الأخضر الباهت العازل للأشعة ما فوق البنفسجية المستخدم في المتاحف.

خلع سترته ووضعها على الزجاج، ثم استدار ولكم بباب الخزانة بمرفقه من دون أي تردد. تحطم الزجاج مصدراً صوتاً مكتوماً، فمذ يده بحذر بين كسر الزجاج وفتح الباب، ثم حمل بلطف الصندوق الجلي.

حتى قبل أن يضع الصندوق على الأرض، شعر أن ثمة خطباً ما. إنه ليس تقليلاً بما فيه الكفاية. شعر أن أعمال بليك الكاملة لا تزن شيئاً تقريباً.

وضع لانغدون الصندوق وفتح الغطاء بحذر. تماماً كما توقع... كان حالياً تتهدر وهو يحقق إلى الصندوق الحالي. أين ذهب كتاب إدموند؟!

كان على وشك إغلاق الخزانة عندما لاحظ شيئاً غير متوقع داخل الغطاء، عبارة عن بطاقة عاجية مزخرفة بعنابة.

قرأ النص الموجود على البطاقة.
ثم أعاد قراءته غير مصدق.

بعد ثوانٍ، كان يجري على السلم اللولبي متوجهاً إلى السطح.

في تلك اللحظة، في الطابق الثاني من قصر مدريد الملكي، كان مدير الأمن الإلكتروني سوريش بهالا يتقلّ خلسة في جناح الأمير جولييان الخاص. فبعدما عثر على خزنة الجدار الرقمية، أدخل رمز التجاوز الرئيس الذي يحتفظ به لحالات الطوارئ، ففتحت الخزنة.

في الداخل، رأى سوريش هاتفين؛ هاتفَا ذكياً آمناً صادراً من القصر يخص الأمير جولييان، وجهاز آيفون استنتاج أنه على الأرجح هاتف الأسقف فالديسيبينو.

تناول هاتف الآيفون.

هل أنا أفعل ذلك حقاً؟

تخيل الرسالة التي وصلت من monte@iglesia.org. لقد اخترفت رسائل فالديسيبينو.

لديه أسرار خطيرة.

على القصر دخول سجلات رسائله النصية.
فوراً.

تساءل سوريش عن الأسرار التي يمكن أن تكشفها رسائل الأسقف النصية...
ولماذا قرر المخبر بإبلاغ القصر الملكي بها؟
ربما كان المُخبر يحاول حماية القصر من الأضرار الجانبية؟
كلَّ ما يعرفه سوريش هو أَنه في حال وجود معلومات تشکّل خطراً على الأسرة
المالكة، فمن واجبه الوصول إليها.

كان قد فكر بالحصول على مذكرة طارئة من المحكمة، لكنَّ مخاطر ذلك على
صعيد العلاقات العامة والتأخير الذي سيسبِّبه جعلت الفكرة غير عملية. لحسن الحظ،
كان سوريش يملك وسائل أخرى أكثر سرية وسرعة ب憑صرفة.
حمل هاتف فالديسيبينو، وضغط على الزر الرئيس، فأضيئت الشاشة. غير أنها
كانت محمية بكلمة سرّ.
لا مشكلة في ذلك.

رفع الهاتف إلى فمه وقال: "مرحباً سيري، كم الساعة الآن؟".
ظلَّ الهاتف مغلقاً وعرض صورة ساعة. وعلى تلك الشاشة التي تعرض الساعة،
أعطى سوريش سلسلة من الأوامر البسيطة، فأنشأ منطقة زمنية جديدة للساعة، وطلب
مشاركة المنطقة الزمنية عبر رسالة نصية، ثمَّ أضاف صورة، وبعد ذلك، عوضاً عن
محاولة إرسال النصّ، ضغط على الزر الرئيس.
صدرت طقطقة، وفتح الهاتف.

الفضل لتطبيق يوتوب بهذا الاختراق البسيط. هذا ما فكر فيه سوريش وهو يشعر
بالتسليية لأنَّ مستخدمي آيفون يعتقدون أنَّ كلمة سرّهم تمنحهم الخصوصية.
والآن، مع تمكّنه من الوصول الكامل إلى هاتف فالديسيبينو، فتح سوريش تطبيق
الرسائل، وكان قد توقع أن يضطرُّ إلى استعادة رسائل فالديسيبينو التي تمَّ مسحها عن
طريق خداع النسخ الاحتياطي للسحابة لتعيد بناء الكاتالوغ.
وبالفعل، وجد صندوق رسائل الأسقف فارغاً تماماً.

باستثناء رسالة واحدة. رأى نصاً وحيداً وصل قبل ساعتين من رقم مخفى.
فتح سوريش الرسالة وقرأ النصَّ المؤلَّف من ثلاثة أسطر. للحظة، ظنَّ أنه
يهلوس.
هذا لا يعقل!

قرأ الرسالة مجندًا. كان النصَّ يشكّل دليلاً قاطعاً على تورط فالديسيبينو في أعمال
غدر وخداع لا يمكن تصوّرها.
هذا ناهيك عن الغطرسة. فقد ذُهل سوريش من مدى شعور رجل الدين المسن
بالأمان حيث تصله رسالة بهذه إلكترونياً.

إن خرج هذا النص إلى العلن...

ارتعد سوريش لدى تخله هذا الاحتمال، وراح يجري على الفور إلى الطابق السفلي بحثاً عن مونيكا مارتن.

الفصل 60

حُلقت الطائرة المروحية EC145 على ارتفاع منخفض فوق المدينة، وراح العميل دياز يحدق إلى الأضواء في الأسفل. فعلى الرغم من الساعة المتأخرة، استطاع أن يرى وميض أجهزة التلفزيون والكمبيوتر من خلال نوافذ معظم الشقق، مُضفية على المدينة ضباباً أزرق خافتًا.

العالم كله يتفرج.

جعلته هذه الفكرة يشعر بالتوتر. فقد كانت أحداث هذه الليلة تتضاعد بشكل جنوني وتخرج عن السيطرة، وخشي أن تكون لهذه الأزمة المتعاظمة مآل لا تحمد عقباه.

أماهه، راح العميل فونسيكا يصبح ويشير إلى مسافة أمامهما مباشرة، فأومأ العميل دياز برأسه وقد رأى هدفهم على الفور.

من الصعب أن يفوتنا.

حتى من بعيد، كان وميض سيارات الشرطة واضحًا.

فليكن الله في عوننا.

تماماً كما توقع دياز، كان كازا ميلاً محاطاً بسيارات الشرطة المحلية. فقد استجابت سلطات برشلونة لبلاغ مجهول المصدر في أعقاب البيان الصحفي الذي أطلق به مونيكا مارتن من القصر الملكي.

روبرت لأنغدون أقسم على اختطاف ملكة إسبانيا المستقبلية.

القصر بحاجة إلى مساعدة الشعب للعثور عليهما.

كان دياز يعلم أن هذه كتبة مؤكدة. لقد رأيتهم بعيني وهما يغادران غوغنهايم معاً.

ومع أن حيلة مارتن أدت النتيجة المطلوبة، إلا أنها حرّكت لعبة خطيرة على نحو لا يصدق. فإطلاق مطاردة عامة تضم السلطات المحلية كان عملاً محفوفاً بالمخاطر؛ ليس بالنسبة إلى روبرت لأنغدون فحسب، بل ولملكة المستقبلية أيضاً التي يُحتمل كثيراً أن تتعرّض لنيران مجموعة من رجال الشرطة المحليين الهواة.

إن كان هدف القصر حماية الملكة الإسبانية، فهذه الطريقة لن تنفع بالتأكيد.

ما كان القائد غارزاً ليسمح بتصعيد الوضع على هذا الشكل.

بقي اعتقال غارزاً غامضاً بالنسبة إلى دياز الذي لم يكن لديه أدنى شكَّ في أنَّ التهم الموجهة إلى قائدِه كانت خيالية بقدر تلك الموجهة إلى لأنغدون.

مع ذلك، استلم فونسيكا الاتصال وتلقى الأوامر.

أوامر آتية من شخص أعلى منصباً من غارزا.

مع اقتراب المروحية من كازا ميلاً، تأمل العميل دياز المشهد في الأسفل، وأدرك أنه ما من مكان آمن لتحطَّ المروحية فيه. فقد كانت الجادة العريضة والساحة أمام المبني مزدحمتين بسيارات وسائل الإعلام، والشرطة، والحسود.

نظر دياز إلى السطح الشهير للمبني الذي كان على شكل رقم 8 متعرجاً يضم ممرات وأدراجاً منحدرة تلتَّف فوق المبني، وتمنح الزوار مشاهد آسرة لأفق برشلونة... فضلاً عن إطلالة على منورِي المبني الشاهقين، وكلَّ منهما يعلوan ثمانية طوابق عن الباحات الداخلية.

ما من مكان لنحطَّ فيه هناك.

بالإضافة إلى تلال ووديان أرضية السطح، كان هذا الأخير محمياً بمداخن غاودي الشاهقة التي تشبه قطع شطرنج مستقبلية، بتصميمها الشبيه بجندو يضعون خوذة. ويقال إنَّ المخرج جورج لوکاس أعجب بها إلى حدَّ أنه استخدمها كنماذج لجنوده في فيلم حرب النجوم.

جال دياز ببناظريه على الأبنية المجاورة بحثاً عن موقع ممكِّن للهبوط، لكنَّ نظره توقف فجأة عند مشهد غير متوقع على سطح كازا ميلاً.

فقد رأى هناك شكلاً صغيراً يقف بين التماثيل الضخمة.

وقف الشخص على حافة السطح، وكان يرتدي الأبيض، وتضيئه أضواء كاميرات الصحفيين الموجهة إلى الأعلى. للحظة، ذكر هذا المشهد دياز بالبابا الواقف على شرفته المطلة على ساحة القديس بطرس، وهو يخاطب الناس.

لكنَّ هذا الشخص لم يكن البابا، بل كان امرأة جميلة ترتدي فستاناً أبيضاً مألوفاً جدأً.

لم تستطع أميراً فيدال رؤية شيء بسبب وهج مصابيح الكاميرات الإعلانية، ولكنها سمعت طائرة مروحية تقترب، وأدركت أنَّ الوقت ينفد. فمالت ببيأس من فوق الدرايzen، وحاولت أن تصبح لحشد الإعلاميين في الأسفل.

ذهب صراغها أدرج الرياح مع اقتراب هدير المروحية.

كان وينسون قد توقع أنَّ الفرق الإعلامية في الشارع ستوجه كاميراتها إلى الأعلى

ما إن يرصدون أميرا على حافة السطح. وبالفعل، هذا ما حدث بالضبط، لكن أميرا عرفت أن خطّة وينستون قد فشلت. إنهم لا يستطيعون سماع كلمة ممّا أقوله! كان سطح كازا ميلا يعلو حرقة المرور والفووضى في الأسفل بمسافة كبيرة. والآن، أتى هدير المروحية ليُحيط المحاولة بالكامل.

صاحت أميرا مجنّدا وهي تحاول رفع صوتها قدر الإمكان: "أنا لم أتعارض للاختلاف! البيان الذي صدر عن القصر الملكي حول روبرت لانغدون ليس صحيحاً أنا لست رهينة!".

كان وينستون قد ذكرها منذ لحظات، أنت ملكة إسبانيا المرتقبة. إن أوقفت هذه المطاردة، فستمتنع السلطات المحلية عن ملاحقتكما. سبب تصريحك إرياكاً كبيراً، ولن يعرف أحد أيّ أوامر عليه أن يتبع.

كانت أميرا تعرف أنّ وينستون على حقّ، لكن الكلام الذي صرحت به ضاع في ضجيج محركات المروحية فوق الحشد الصاخب.

فجأة، هدرت المروحية فوقها كالرعد، فتراجع إلى الخلف بعيداً عن الدرازين مع اقتراب الطائرة وتوقفها فجأة وهي تحلق أمامها مباشرة. فتح باب الطائرة على مصراعيه لترى وجهين ملوفين يحدقان إليها؛ إنهما العميلان فونسيكا ودياز.

ذُعرت عندما رفع العميل فونسيكا جهازاً غريباً وصوّبه مباشرة إلى رأسها. للحظة، خطرت ببالها أغرب الأفكار، جولييان بريد قتلى. فانا امرأة عاشر، ولا أستطيع أن أجبر له وريثاً. قتلى هو المخرج الوحيد من هذه الخطوية.

تراجع إلى الخلف مبتعدة عن الجهاز المخيف، وأمسكت بهاتف إيموند بإحدى يديها، وحاولت أن تستند إلى شيء ما بيدها الأخرى. لكن، ما إن أرجعت قدمها إلى الوراء حتى بدا لها وكأن الأرض تميد من تحتها. للحظة، لم تشعر سوى بالفراغ، حيث توقعت أن تجد الإسمنت الصلب. فمال جسدها وهي تحاول استعادة توازنها، ولكنها بدأت تنزلق جانبياً وسقطت على عدد من الدرجات.

ارتطم مرافقها الأيسر بالإسمنت، قبل أن يهوي جسدها بأكمله. مع ذلك، لم تشعر أميرا فيدال بالألم، بل كان كلّ تركيزها منصبّاً على الشيء الذي طار من يدها، ألا وهو هاتف إيموند الفيروزي.

رياه، كلا!

شاهدت بربع الهاتف وهو ينزلق على الإسمنت، قبل أن يرتطم بالأدراج متّجهاً إلى حافة الهاوية المؤدية إلى الباحة الداخلية للمبني. رمت بنفسها لالتقاط الهاتف، ولكنه اختفى تحت الدرازين، ليسقط في الهاوية.

لقد فقدنا اتصالنا بـ وينستون...!

حاولت أمبرا أن تلحق به، فوصلت إلى الدرايزين، ورأت هاتف إيموند وهو يهوي باتجاه أرض الردهة الحجرية، وهناك ارتطم بالبلاط الأثيق بقوة وتحطم إلى آلاف الشظايا المعدنية والزجاجية.

لقد ضاع وينسون في غمضة عين.

اندفع لانغدون يصعد السلام، ثم خرج من برج المدخنة إلى سطح كازا ميلا. وجذ نفسه وسط ضجيج بصم الآذان. ورأى مروحية تحلق على ارتفاع منخفض إلى جانب المبني، غير أنه لم ير أثراً لأمبرا.

نظر حوله بذهول. أين هي؟ كان قد نسي مدى غرابة هذا السطح، درابزين غير متواز ... سلام شديدة الانحدار ... جنود من الإسمنت ... وحفر لا قرار لها. "أمبرا!".

عندما رأها، شعر بموجة من الذعر. كانت أمبرا في الحال ممددة على الإسمنت عند حافة المنور. أسرع إليها لانغدون، وحين أوشك على الوصول إليها، سمع أزيز رصاصة حادّاً يمزّ بالقرب من رأسه لتتفجر الرصاصة على الإسمنت خلفه.

يا إلهي! انبطح لانغدون على الأرض مع مرور رصاصتين آخرتين من فوق رأسه. للحظة، اعتقاد أن الرصاص آتٍ من المروحية، ولكن مع اقترابه من أمبرا، رأى عدداً من رجال الشرطة وهم يخرجون من برج آخر من الجهة المقابلة من السطح شاهرين أسلحتهم.

إنهم يريدون قتلي. يعتقدون أنني خطفت الملكة المستقبلية! من الواضح أنهم لم يسمعوا ما قالته من فوق السطح.

نظر لانغدون إلى أمبرا التي كانت الآن على بعد عشر ياردات عنه، وأدرك أن ذراعها تنزف. ربّا، لقد أصيّبت! مرّت رصاصة أخرى من فوق رأسه في اللحظة التي كانت أمبرا تنهض فيها لتنتمّك بالدرابزين المحيط بالمنور. وكافحت للنهوض.

"لا تنهضي!". صاح لانغدون بذلك وهو يسرع إليها ويحاول حمايتها بجسده. نظر إلى الأعلى، إلى العناصر الذين يضعون الخوذ والذين طوّقوا السطح مثل حراس صامتين.

في تلك اللحظة، سمع هدير صاخب جداً فوق رؤوسهم، وهبّت رياح حولهم مع انخفاض المروحية وتحليقها فوق المنور الضخم إلى جانبهما، حيث عزلت صفات عناصر الشرطة عن الرؤية.

صاح أحدهم عبر مكبّر الصوت من داخل المروحية بالإسبانية: "أوقفوا إطلاق النار! أخفضوا أسلحتكم!".

أمام لانغدون وأمبرا مباشرة، ركع العميل دياز عند باب الطائرة المفتوح، مُثبتاً
إحدى قدميه على العارضة، ومدّ يده نحوهما.
صاح قائلاً: "اصعدا!!".

شعر لانغدون أنّ أمبرا تتكمش إلى جانبه.

صاحب دياز مجدداً رافعاً صوته ليعلو على صوت المحركات: "حالا!".
أشار العميل إلى درابزين المنور، وحثّهما على تسلقه والإمساك بيده للقفز من فوق
الهاوية إلى داخل الطائرة.
تردد لانغدون مطولاً.

عندئذ، أخذ دياز مكبر الصوت من فونسيكا ووجهه مباشرة إلى وجه لانغدون.
بروفيسور، اصعد إلى المرموحة حالاً!." تردد صوت العميل كالرعد. "لدى الشرطة
المحلية أوامر بإطلاق النار عليك! ونحن نعلم أنك لم تخطف الآنسة في DAL! أريدكم أن
تصعدا إلى متن الطائرة حالاً قبل أن يتعرض أحدكم للقتل!."

الفصل 61

وسط الرياح التي ولدتها المروحية، شعرت أمبرا بذراعي لأنغدون تحملنها وتدفعانها نحو يد العميل دياز الممدودة. منعها الصدمة من الاعترض.

صاح لأنغدون وهو يصعد خلفها: "إنها تنزف!".

فجأة، ارتفعت المروحية في الجو بعيداً عن السطح المتموج، وترك خلفها جيشاً صغيراً من عناصر الشرطة الذين كانوا يذقون جميعاً إلى الأعلى. أغلق فونسيكا باب الطائرة، ثم توجه إلى الجزء الأمامي منها، نحو الطيار. أما دياز، فجلس إلى جانب أمبرا ليفحص ذراعها. قالت: "إنه مجرد خدش".

"إذاً، س أحضر حقيقة الإسعافات الأولية". وذهب دياز إلى الجزء الخلفي من الطائرة. جلس لأنغدون على المقعد المقابل لأمبرا، مواجهها الجهة الخلفية للطائرة. والآن، بعدما أصبحا فجأة بمفردיהם، نظر إليها وابتسم بارتياح قائلاً: "أنا سعيد جداً لأنك بخير".

أجبت بإيماءة خفيفة من رأسها، ولكنها قبل أن تتمكن من شكره، مال إلى الأمام وهمس لها بحماسة

والأمل بـ*بـاـيـدـيـ* في عينيه: "أعتقد أنتي عثرت على شاعرنا الغامض، إنه *وليـامـ بـلـيـكـ*. فانا لم أجـدـ نـسـخـةـ عنـ أـعـمـالـ بـلـيـكـ الكـامـلـةـ فيـ مـكـتبـةـ إـدـمـونـدـ فـحـسـبـ...ـ بلـ إنـ الـكـثـيرـ منـ قـصـائـدـ عـبـارـةـ عـنـ تـوـقـعـاتـ!".ـ ثـمـ مـذـ لـانـغـدـونـ يـدـهـ مـضـيـفـاـ:ـ "ـأـعـطـيـنـيـ هـاـتـفـ إـدـمـونـدـ،ـ سـأـطـلـبـ مـنـ وـيـنـسـتـوـنـ إـجـرـاءـ بـحـثـ بـيـنـ أـعـمـالـ بـلـيـكـ عـنـ بـيـتـ شـعـرـ مـؤـلـفـ مـنـ سـبـعةـ وـأـرـبـعـينـ حـرـفـاـ!".ـ

عندما، نظرت أمبرا إلى يد لأنغدون الممدودة واجتاحتها إحساس بالذنب. فمـدتـ يـدـهاـ وأـمـسـكـتـ بـيـدـهـ قـائـلـةـ وـهـيـ تـتـنـهـ بـأـسـفـ:ـ "ـرـوـبـرـتـ،ـ لـقـدـ خـسـرـنـاـ هـاـتـفـ إـدـمـونـدـ.ـ فـقـدـ سـقطـ عـنـ حـافـةـ المـبـنـىـ".ـ

حقـ إـلـيـهـ،ـ وـرـأـتـ الشـحـوبـ يـغـزوـ وجـهـهـ.ـ أـنـ آـسـفـ يـاـ روـبـرـتـ.ـ رـاقـبـهـ وـهـوـ يـكـافـحـ لـاسـتـيـعـابـ هـذـاـ خـبـرـ،ـ وـتـخـيـلـ الـمـأـزـقـ الـذـيـ وـقـعـاـ فـيـهـ الـآنـ بـعـدـ انـقـطـاعـ اـتـصالـهـماـ بـوـيـنـسـتـوـنـ.ـ

في قمرة القيادة، كان فونسيكا يصيح عبر هاتفه: "كلامها سالمان، وهم معنا على متن الطائرة. جهزوا طائرة النقل إلى مدريد. سأتصل بالقصر وأبلغهم—" صاحت أميرا قائلة للعميل: "لا تزعج نفسك! أنا لن أذهب إلى القصر." غطى فونسيكا هاتفه، ثم استدار على مقعده ونظر إليها. "بل ستذهبين بالتأكيد!" تلقيت هذه الليلة أوامر بالحفظ على سلامتك. وما كان ينبغي لك إطلاقاً أن تهرب من حمايتي. أنت محظوظة لأننا تمكننا من الوصول في الوقت المناسب لإنقاذك." سأله أميرا: "إنقاذه! إن كان ذلك صحيحاً، فالسبب الوحيد هو أن القصر أطلق أكاذيب سخيفة حول البروفيسور لانغدون زاعماً أنه قام باختطافه، وأنت تعلم تماماً أن هذا ليس صحيحاً! هل الأمير جولييان ياش إلى حد رغبته في المجازفة بحياة رجل بريء؟ هذا من دون ذكر مخاطرته بحياتي أنا!". حق إليها فونسيكا ثم استدار على مقعده. في تلك اللحظة، عاد دياز بحقيقة الإسعافات الأولية.

قال وهو يجلس إلى جانبها: "آنسة فيدال، أفهمي من فضلك أن سلسلة القيادة انقطعت هذه الليلة بسبب اعتقال القائد غارزا. ومع ذلك، أريدك أن تعرفي أن الأمير جولييان لا علاقة له بالبيان الصحفي الذي خرج من القصر. في الواقع، لا يمكننا أن نؤكّد حتى أن الأمير يعرف بما يجري حالياً. فنحن لم نتمكن من الوصول إليه منذ أكثر من ساعة."

حدقت إليه أميرا: ماذا؟! "أين هو؟!"

قال دياز: "مكانه غير معروف حالياً، ولكنه تواصل معنا بكل وضوح هذا المساء. الأمير يريدك سالمة."

قال لانغدون وقد عاد فجأة من شروده: "إن كان هذا صحيحاً، فإن اصطحاب الآنسة فيدال إلى القصر يشكّل خطأ فادحاً."

عندها، استدار فونسيكا وسأله: "ماذا قلت؟".

قال لانغدون: "أنا لا أدرى من الذي يعطيكما الأوامر الآن، سيدي. لكن، إن كان الأمير يريد حقاً أن تكون خطيبته سالمة، إذاً أقترح عليكم الإصغاء إلى جيداً." وصمت قليلاً، ثم رفع نبرته مُضيفاً: "لقد قُتل إدموند كيرش بهدف منع خروج اكتشافه إلى العلن. ومن قام بإسكاته لن يتورع عن ارتكاب شيء لإنجاز مهمته حتى النهاية".

قال فونسيكا: "لكن مهمته أنجزت أساساً، فإدموند قد مات."

قال لانغدون: "لكن اكتشافه لم يمت. عرض إدموند حي، وما زال بالإمكان إعلانه للعالم".

فسأل دياز: "ألهذا السبب أتيتما إلى شقّته، بهدف إطلاقه مجدداً؟".

أجاب لانغدون: "بالضبط. وهذا ما جعلنا هدفاً. أنا لا أدرى من الذي فبرك البيان الذي زعم أن أميرا قد اختطفت، ولكن من الواضح أنه شخص يسعى بيساس إلى إيقافنا. لذلك، إن كنتما جزءاً من تلك المجموعة، أي الناس الذين يحاولون دفن اكتشاف إيموند إلى الأبد، فما عليكم سوى أن تلقيا بالآنسة فيدال وبي من هذه المروحية حالاً".

حدقت أميرا إلى لانغدون، وتساءلت عما إذا كان قد فقد عقله.

فيما تابع لانغدون: "أما إن كنتما قد أقسمتما بصفتكم عضوين في الحرس الملكي على حماية الأسرة الملكية، بمن في ذلك ملكة إسبانيا المستقبلية، فعليكم إذا أن تدركوا أنه ما من مكان أخطر على الآنسة فيدال في هذه اللحظة من القصر الذي أصدر للتو تصريحاً عاماً كاد يتسبب بمقتلها". مد لانغدون يده إلى جيبه، وأخرج بطاقة أنيقة ممزخرفة وقال: "أقترح أن تصطحبها إلى العنوان المدون في أسفل هذه البطاقة".

أخذ فونسيكا البطاقة وتأملها عابساً، ثم قال: "هذا سخيف".

قال لانغدون: "ثمة سياج أمني حول الممتلكات بأكملها. بإمكان الطيار أن يهبط، وينزلنا نحن الأربع، ثم يطير قبل أن يدرك أحد أننا هناك. فأنا أعرف الشخص المسؤول. يمكننا أن نختبئ هناك بعيداً عن الأنظار، إلى أن نحل هذه المسألة. بإمكانكم مرافقتنا".

"أشعر أننا سنكون بأمان أكبر في حظيرة عسكرية في المطار هل أنت مستعد حقاً للوثوق بفريق عسكري يتلقى الأوامر على الأرجح من الأشخاص أنفسهم الذين كانوا يتسببون بمقتل الآنسة فيدال؟".

بقي تعبير وجه فونسيكا جاماً.

أخذت أفكار أميرا تتسرّع بجنون، وتساءلت عن المكتوب على البطاقة. إلى أين يريد لانغدون الذهاب؟ فقد بدا من حدته المفاجئة أن ثمة أموراً على المحك تتجاوز مسألة الحفاظ على سلامتها. لقد لمست تفاؤلاً جديداً في صوته، وشعرت أنه لم يتخيل عن الأمل في إمكانية إطلاق محاضرة إيموند مجدداً.

أخذ لانغدون البطاقة من فونسيكا، وقدمها لأميرا. "لقد وجدت هذه البطاقة في مكتبة إيموند".

تأملت أميرا البطاقة وعرفت على الفور ما هيّتها.

هذه البطاقات المعروفة باسم "سجلات الإعارة" أو "بطاقات العنوان" بطاقات ممزخرفة وأنيقه تُعطى من قبل أمناء المتاحف للманحين مقابل تحفة فنية أُعيدت للمتحف مؤقتاً. وتقليدياً، تتم طباعة بطاقتين متشابهتين، وتعرض واحدة في المتحف لشكر المانح الذي يحتفظ بالبطاقة الثانية كضمان للقطعة التي أعارها.

هل أعار إيموند كتاب قصائد بلريك لأحد المتاحف؟

بحسب البطاقة، لم يبتعد كتاب إدموند أكثر من بضعة كيلومترات عن شقّه في
برشلونة.

أعمال ولIAM بليك الكاملة

من المجموعة الخاصة لـ
إدموند كيرش

على سبيل الإعارة إلى
بازيليك ساغرادا فاميليا

شارع مايوركا، 401
08013 برشلونة، إسبانيا

قالت أمبرا: "أنا لا أفهم! لماذا يقدم ملحد صريح على إعارة كتاب لكنيسة؟".
قال لأنغدون: "وليس أي كنيسة، بل التحفة المعمارية الأكثر عموضاً لغاودي...
وأشار من النافذة إلى البعيد أمامهما قبل أن يتتابع: "وقدّرably ستكون أطول كنيسة في
أوروبا".

التفت أمبرا، وحذقت عبر المدينة نحو الشمال. وفي البعيد، ومن بين الرافعات
والسقالات ومصابيح البناء، لمعت أبراج ساغرادا فاميليا غير المكتملة، والتي كانت
عبارة عن مجموعة من الأبراج المتقدمة التي تشبه إسفنج بحر عملاقاً خرج من قعر
المحيط إلى النور.

منذ أكثر من قرن من الزمن، ما زالت بازيليك ساغرادا فاميليا المثيرة للجدل قيد
الإنشاء، وتعتمد فقط على التبرعات الخاصة من المؤمنين. انقدها التقليديون بسبب
شكلها العصوي الغريب، واستخدام "تصميم يحاكي الطبيعة"، إلا أنَّ الحداثيين أشادوا
بسلاستها البنوية واستخدام الأشكال "الزائدية" لعكس العالم الطبيعي.

قالت أمبرا وهي تلتفت إلى لأنغدون: "أنا أقرُّ بأنَّ هذا أمرٌ غير
تيادي، ولكنها
تبقى كنيسة كاثوليكية. وأنت تعرف إدموند".

فكَر لانغدون في سره، أنا أعرف إيموند. أعرف جيداً أنه يعتقد أن ساغرادا فاميليا تخفى هنفياً سريأ ورمزية تحاوز المسيحية.

منذ تأسيس الكنيسة الغربية في عام 1882، كثُرت نظريات المؤامرة حول أبوابها المشفرة على نحو غامض، وأعمدتها الحلوونية المستوحة من الفلك، وواجهاتها المحملة بالرموز، ومرئيات النقوش الرياضية السحرية، هذا فضلاً عن بنائها الغريب الذي يشبه بوضوح العظام الملتوية والأنسجة الضامة.

كان لانغدون على علم بتلك النظريات بالطبع، ولكنه لم يولها الكثير من المصداقية. لكن، منذ بضع سنوات، فوجئ عندما اعترف له إيموند أنه واحد من عدد متزايد من عشاق غاودي الذين يعتقدون سرّاً أن ساغرادا فاميليا صُمِّمت بشكل سري كشيء مختلف عن كنيسة مسيحية، وربما تكون مقاماً باطنياً للعلم والطبيعة.

وجد لانغدون هذه الفكرة بعيدة الاحتمال تماماً، وذكر إيموند أن غاودي كان كاثوليكياً مخلصاً منحه الفاتيكان تقديرًا عالياً، لا بل وفکروا بتطويعه. وأكد لانغدون لكيرش أن تصميم ساغرادا فاميليا غير الاعتيادي ليس سوى مثال على مقاربة غاودي الحادثة الفريدة من نوعها للرمزية المسيحية. فما كان من إيموند سوى أن ابتسامة ذات معنى؛ كما لو أنه يحتفظ سرّاً بقطعة غامضة من الأحجية وليس جاهزاً لمشاركته بها بعد.

سر آخر من أسرار كيرش، تماماً مثل معركته الخفية مع السرطان.

تابعت أميرا قائلة: "حتى لو كان إيموند قد أغار ساغرادا فاميليا كتابه، وحتى لو عثرنا عليه، فلن نتمكن أبداً من تحديد البيت بقراءة الكتب صفحة صفحة. وأنا أشك حقاً في أن يكون إيموند قد استخدم قلماً لتظليل بيت شعري من مخطوطه لا تقدر بثمن".

أجاب لانغدون مبتسمًا: "أميرا، انظري إلى الجهة الخفية من البطاقة".

نظرت أميرا إلى البطاقة، ثم قلبتها على الجهة الأخرى، وقرأت النص المكتوب عليها. أعادت قراءة النص مجدداً والدهشة تعلو وجهها.

وعندما نظرت إلى لانغدون مجدداً، كانت عيناه مليئتين بالأمل.

قال لانغدون مبتسمًا: "كما سبق لي وقلت، أعتقد أنه علينا الذهاب إلى هناك". سرعان ما تلاشت حماسة أميرا كما أنت. "ومع ذلك، ثمة مشكلة. فحتى لو عثرنا على كلمة السر -"

"أعرف، لقد خسرنا هاتف إيموند، ما يعني أننا لن نتمكن من الوصول إلى وينستون والتواصل معه".

تماماً."

"أعتقد أنتي أستطيع حل هذه المشكلة".

نظرت إليه أميرا بتشكك: "المعذرة؟!".

"ما علينا سوى تحديد موقع وينستون نفسه، أي الكمبيوتر الذي صنعه إدموند. وإن كنا غير قادرين على الوصول إليه عن بعد، فما علينا سوىأخذ كلمة السر إلى وينستون شخصياً".

حذقت إليه أميرا كما لو كان مصاباً بالجنون.

فيما تابع لانغدون: "قلت لي إن إدموند بنى وينستون في منشأة سرية".
"أجل، لكن تلك المنشأة قد تكون في أي مكان في العالم!".

"كلا، إنها هنا في برشلونة. لا بد أن تكون هنا. برشلونة هي المدينة التي عاش فيها إدموند وعمل. وبناء هذا الجهاز الذكي كان واحداً من أحدث مشاريعه، ولذلك من المنطقي أن يكون إدموند قد بنى وينستون هنا".

"روبرت، حتى لو كان هذا صحيحاً، فأنت تبحث عن إبرة في كومة قش. برشلونة مدينة كبيرة جداً. وسيكون من المستحيل".

قال لانغدون: "أنا أستطيع العثور على وينستون، أنا واثق من ذلك". وابتسم مشيراً إلى المدينة المضاءة تحتهما: "قد يبدو ما سأقوله جنونياً، ولكنني عندما رأيت هذا المنظر الجوي لبرشلونة، أدركت شيئاً للتو...".

بقيت جملته عالقة وهو ينظر من النافذة.

قالت له أميرا بترقب: "هلا تشرح من فضلك".

قال: "كان ينبغي لي أن أرى ذلك في وقت سابق. ثقة شيء في وينستون، لغز مثير للاهتمام كان يزعجني طوال الليل. وأخيراً، فهمت ماهيته".

أقى لانغدون نظرة حذر على عاملي الحرس الملكي، ثم أخفض صوته، ومال نحو أميرا قائلاً: "هلا تتقين بي في هذه المسألة. أنا أعتقد أنتي أستطيع العثور على وينستون. المشكلة هي أتنا لن تستفيد شيئاً من عثورنا على وينستون من دون كلمة سر إدموند. حالياً، علينا أنا وأنت التركيز على إيجاد ذلك البيت الشعري، وساغرادا فاميليا فرصتنا للقيام بذلك".

حذقت أميرا إلى لانغدون مطولاً، ثم أومأت برأسها بشيء من الحيرة، ونظرت إلى المبعد الأمامي قبل أن تناول قائلة: "أيتها العميل فونسيكا! من فضلك، اطلب من الطيار أن يستدير ويصطحبنا إلى ساغرادا فاميليا حالاً".

استدار فونسيكا وحدق إليها قائلاً: "أنسة فيدال، كما سبق وقلت، لدي أوامر - ففقط عنه ملكة إسبانيا المستقبلية وهي تمثل إلى الأمام، وتنتظر إلى عينيه: "أيتها العميل فونسيكا، خذنا إلى ساغرادا فاميليا حالاً وإلا فسيكون أول أمر أصدره عند عونتي هو طرك من العمل".

الفصل 62

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

القاتل مرتبط بطاوفة دينية!

وردنا خبر آخر من monte@iglesia.org، يُفيد أن قاتل إدموند كيرش عضو في طائفة مسيحية سرية ومحافظة للغاية تُعرف باسم الكنيسة البالمارية! كان لويس أفيلا يقوم بتجنيد الأتباع على الشبكة لصالح البالماريين منذ أكثر من عام. وانتسابه إلى هذه المنظمة الدينية العسكرية المثيرة للجدل، يفسر أيضاً وشم "المُنتصِر على راحة يده".



هذا الرمز الفرانكي مستخدم بانتظام من قبل الكنيسة البالمارية التي تملك- استناداً إلى صحيفة إسبانيا الوطنية إل بابيس - "بابا" خاصاً بها. وقد قامت بتطويب عدد من القادة الذين عُرِفوا بالقسوة - ومن فيهم فرانسيسكو فرانكوني وأندوف هتلر - كقدسيين! لا تصدقوننا؟ ما عليكم سوى إجراء بحث حول ذلك. كل شيء بدأ بروبا باطنية.

في عام 1975، زعم وسيط تأمين يدعى كليمونتي دومينغويز إي غوميز أنه رأى رؤيا تُوج فيها بابا من قبل يسوع المسيح نفسه. فما كان من كليمونتي إلا أن اتَّخذ لنفسه الاسم الباباوي غريغوري السابع عشر، وانشق عن الفاتيكان وعن كرادلة لنفسه. وعلى الرغم من رفض روما للبابا المعادي الجديد، إلا أنه جمع حوله آلاف الأتباع، فضلاً عن ثروة كبيرة مكتنَّة من بناء كنيسة محصنة، وتوسيع نفوذه دولياً، ورسم منات من الأساقفة البالماريين حول العالم.

ولا تزال الكنيسة البالمارية المنشقة تعمل حتى اليوم من مقرّها العالمي؛ وهو عبارة عن مجتمع آمن ومحصن يحمل اسم جبل المسيح ملك إل بالمار دي تروبيا، في إسبانيا. ومع أنَّ الـبالماريين ليس معرّفًا بهم من قبل الفاتيكان في روما، إلا أنَّهم ما زالوا يجذبون أتباعاً من الكاثوليك المحافظين جداً. ترقبوا المزيد من الأخبار حول هذه الطائفة قريباً، فضلاً عن آخر المستجدات بشأن الأسقف أنطونيو فالديسيبينو الذي يبدو أنه متورط هو أيضاً في مؤامرة هذه الليلة.

الفصل 63

فَكَرْ لانغدون في سرّه: هذا مدهش.

في بعض كلمات قوية، أجبرت أمبرا طاقم المروحية EC145 على الانعطاف والتوجه إلى بازيليك ساغرادا فاميليا.

ومع استواء الطائرة في الجو وتحليقها مجدداً فوق المدينة، التفت أمبرا إلى العميل بياز وطلبت منه استخدام هاتفه الخلوي، فأعطيتها إيماءة على مضض.

وعلى الفور، أطلقت أمبرا المتتصفح، وبدأت تقرأ عناوين الأخبار.

همست وهي تهز رأسها بإحباط: "تبأ! لقد حاولت إخبار وسائل الإعلام بأنك لم تقم باختطافي، لكن أحداً لم يسمعني".

قال لانغدون: "ربما هم يحتاجون إلى المزيد من الوقت لنشر الخبر". فقد حدث ذلك منذ عشر دقائق وحسب.

أجابت: "لقد مر وقت كافٍ، فأنا أرى مقاطع فيديو لمروحيتنا وهي تتطلق بعيداً عن كازا ميلاً".

حُقا! في بعض الأحيان، كان لانغدون يشعر بأن العالم يدور على محوره بسرعة كبيرة. فما زال يذكر كيف كانت "الأخبار العاجلة" تُطبع على الورق وتوضع على بابه في الصباح التالي.

قالت أمبرا ببررة من المرح: "بالمناسبة، يبدو أننا - أنا وأنت - نحتل جزءاً من الأخبار الأكثر تداولًا في العالم".

أجابت: "كنت أعرف أنه ما كان ينبغي لي اختطافك".

"هذا ليس مضحكاً. على الأقل، نحن لا نتصدر العناوين". ثم ناولته الهاتف قائلة: "ألق نظرة على هذا الخبر

رمق لانغدون الشاشة، ورأى صفحة ياهو الرئيسة مع أخبارها العشرة الأكثر تداولًا، تحت عنوان "Trending Now". نظر إلى أعلى القائمة، إلى القصة الأكثر انتشاراً:

1 "من أين أتينا؟"/إدموند كيرش

من الواضح أن العرض الذي قدمه إدموند شكّل مصدر إلهام للناس حول العالم لكي يبدأوا ببحث هذا الموضوع ومناقشته. فكر لانغدون في سره: كان إدموند سافر بذلك. ولكنه عندما نقر على الرابط ورأى العناوين العشرة الأولى، أدرك أنه كان مخطئاً. فالنظريات العشر الأولى بشأن "من أين أتينا" كانت كلها قصصاً تتمحور حول قصة الخلق والكائنات الفضائية.

لو رأى إدموند ذلك لذعر تماماً.

تذكّر لانغدون واحداً من أشهر تعليقات إدموند في منتدى عام تحت عنوان العلم والروحانيات، وفيه انتزع إدموند من أسئلة الحضور إلى حدّ أنه رفع يديه أخيراً وغادر المسرح وهو يصبح: "كيف يعقل ألا يتمكّن أنساس أنكياً من مناقشة أصلهم من دون التحدث عن الإيمان والكائنات الفضائية؟".

واصل لانغدون القراءة إلى أن عثر على رابط بريء في الظاهر لمحطة سي إن إن مباشر تحت عنوان "ماذا اكتشف كيرش؟".

ضغط على الرابط وحمل الهاتف لكي يتمكّن أمبرا من المشاهدة هي أيضاً. وعندما بدأ شريط الفيديو، رفع الصوت، ومال هو وأمبرا نحو الهاتف لكي يتمكّنا من السمع مع هدير محركات المروحة.

ظهرت إحدى مذيعات السي إن إن، وكان لانغدون قد رأها مرات عديدة على مر السنوات. قالت: "ينضم إلينا الآن عالم الفضاء الفلكي في الناسـاـ د. غريفـنـ بيـنـيتـ، الذي يملك بعض الأفكار بشأن اكتشاف إدموند كيرش الغامض. أهلاً بكـ دـ. بيـنـيتـ".

أومـاـ الضـيفـ برـأسـهـ، وكان رجـلـاـ مـلـتـحـيـاـ يـضـعـ نـظـارـةـ ذاتـ إطارـ سـلـكـيـ. شـكـراـ لـكـ. أـولـاـ، أـوـدـ القـولـ إـنـيـ أـعـرـفـ إـدمـونـدـ سـخـصـيـاـ. وـأـنـاـ أـكـنـ اـحـتـرـاماـ كـبـيرـاـ لـذـكـائـهـ، وـإـبـادـاعـهـ، وـالـتـزـامـهـ بـالـتـقـدـمـ وـالـابـتكـارـ. وـاغـتـيـالـهـ الـيـوـمـ يـشـكـلـ ضـرـبةـ هـائـلـةـ لـلـمـجـتمـعـ الـعـلـمـيـ. وـأـنـاـ أـتـمـنـيـ أـنـ تـؤـديـ هـذـهـ الجـرـيـمةـ الجـبـانـةـ إـلـىـ تـحـصـيـنـ المـجـتمـعـ الـفـكـرـيـ لـلـوـقـوفـ يـدـاـ وـاحـدـةـ ضـدـ مـخـاطـرـ الـحـمـاسـةـ الـدـينـيـةـ الـعـمـيـاءـ، وـالـفـكـرـ المـرـتـكـزـ عـلـىـ الـخـرـافـاتـ، وـكـلـ مـنـ يـلـجـأـونـ إـلـىـ العنـفـ وـلـيـسـ إـلـىـ الـحـقـائـقـ لـفـرـضـ مـعـقـدـاتـهـ. أـتـمـنـيـ حـقـاـ أنـ تـكـوـنـ الشـائـعـاتـ الـتـيـ سـمعـتـهاـ الـلـيـلـةـ صـحـيـحةـ؛ وـهـيـ أـنـ ثـمـةـ أـشـخـاصـاـ يـعـمـلـونـ جـاهـدـيـنـ لـإـجـادـ طـرـيقـةـ مـنـ أـجـلـ نـشـرـ اـكـتـشـافـ إـدمـونـدـ لـلـعـالـمـ".

الـقـىـ لـانـغـدـونـ نـظـرـةـ عـلـىـ أـمـبـرـاـ وـقـالـ: "أـعـتـقـدـ أـنـهـ يـعـنـيـنـاـ نـحنـ".

أـوـمـاتـ بـرـأسـهـ موـافـقـةـ.

قالـتـ المـذـيعـةـ: "الـكـثـيرـ مـنـ النـاسـ يـأـمـلـونـ ذـلـكـ أـيـضاـ، دـ. بيـنـيتـ. هـلـ بـإـمـكـانـكـ أـنـ تـلـقـيـ الضـوءـ عـلـىـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـ اـكـتـشـافـ إـدمـونـدـ كـيرـشـ بـرـأـيـكـ؟ـ".

تابع د. بيبنت قائلًا: "بصفتي عالم فضاء، أعتقد أنه يجدر بي أن أقدم أولًا تعليقاً شاملًا... وبرأيي، كان إدموند كيرش سيقدر". والفت الرجل ونظر مباشرة إلى الكاميرا قبل أن يتابع. "عندما يتعلق الأمر بمفهوم الحياة خارج كوكب الأرض، ثمة مجموعة هائلة من المعلومات العلمية السيئة، ونظريات المؤامرة، والافتراضيات الصريرة. أود أن أشير هنا إلى أنَّ دوائر المحاصليل مجرد خدعة. وأشرطة تشرح الكائنات الفضائية ليست سوى حيلة فوتografية. وما من بقرة تم تشويبها على يد كائن فضائي. وطبق روسوبل كان باللونِ مناخياً حكومياً يُدعى مشروع موغول. أمّا الأهرامات الكبرى فببيت على أيدي المصريين من دون أي تكنولوجيا خارجية. والأهم من ذلك كلَّه، كلَّ القصص عن اختطاف أشخاص من قبل كائنات فضائية مجرد كذب".

سألته المذيعة: "كيف يمكنك أن تكون واثقاً من ذلك؟".

قال العالم وقد بدا عليه الانزعاج وهو يلتفت إلى المذيعة محباً: "المنطق البسيط. فأي شكل من أشكال الحياة المتقدمة بما فيه الكفاية للسفر سنوات ضئولة عبر الفضاء وبين النجوم لن يجد شيئاً يتعلمه باستكشاف حقول المزارعين في كانساس. كما أنَّ أشكال الحياة هذه لن تحتاج إلى التحول إلى زواحف والتسلل إلى الحكومات من أجل الاستيلاء على الأرض. أيَّ شكل من أشكال الحياة يملك تكنولوجيا تتيح له السفر إلى الأرض لن يحتاج إلى التخفي أو الحيلة من أجل السيطرة علينا على الفور". علقت المذيعة بضاحكة محراجة: "في الواقع، هذا مثير للفلق! وما علاقة ذلك بأفكارك حول اكتشاف السيد كيرش؟".

تهاد الرجل قائلًا: "لدي اعتقاد قوي بأنَّ إدموند كيرش كان ينوي الإعلان عن أنه وجد دليلاً قاطعاً على أنَّ الحياة لم تنشأ على الأرض بل نشأت في الفضاء".
شعر لانغدون بالشك فوراً، لا سيما وأنَّه يعرف رأي كيرش بموضوع الحياة الفضائية على الأرض.

قالت المذيعة: "هذا مذهل. وما الذي يدفعك إلى قول ذلك؟".

"نشأة الحياة في الفضاء هي الإجابة العقلانية الوحيدة. فنحن نملك دليلاً لا يقبل الجدل على أنَّ المادة يمكن أن تتبادل بين الكواكب. فلدينا أجزاء من المريخ والزهرة مع مئات العينات من مصادر مجهولة تدعم فكرة أنَّ الحياة أنت عبر صخور فضائية على شكل جراثيم، ثمَّ تطورت في نهاية المطاف إلى حياة على الأرض".

أومأت المضيفة برأسها باهتمام. "لكن، أليسَت هذه النظرية، أيَّ الجراثيم القادمة من الفضاء، موجودة منذ عقود من الزمن من دون دليل يؤكد صحتها؟ كيف تعتقد أنَّ عبقري تكنولوجيا مثل إدموند كيرش استطاع أن يثبت نظرية بهذه تبدو أقرب إلى مجال علم الأحياء الفلكي منها إلى علم الكمبيوتر؟".

أجاب د. برينبيت: "في الواقع، تمتاز هذه الفكرة بمنطق قوي. فقد حذر كبار علماء الفلك منذ عقود من الزمن من أن الأمل الوحيد لبقاء البشرية يتمثل في مغادرتها هذا الكوكب. فالأرض أساساً في منتصف دورة حياتها، وفي نهاية المطاف، ستتمدد الشمس إلى عالم أحمر وتقتضي علينا؛ هذا إن نجينا من التهديدات الوشيكة لاصطدام كويكب عملاق أو انفجار أشعة غاماً ضخمة. لهذه الأسباب، نحن نصمم أساساً بؤراً استيطانية على المريخ حتى نتمكن من الانتقال إلى الفضاء السحيق بحثاً عن كوكب مضيف جديد. وغني عن القول إن هذا المشروع ضخم، وإننا إن استطعنا إيجاد طريقة أكثر بساطة لضمان بقائنا، فما علينا سوى تنفيذها فوراً".

صمت د. برينبيت هنيهة ثم أضاف: "ثمة طريقة أكثر بساطة. ماذا لو استطعنا بطريقة ما تغليف الجنوم البشري في كبسولات صغيرة وإرسال الملائين منها إلى الفضاء على أمل أن يتجدّر أحدها، ونبذر الحياة البشرية في كوكب ناء؟ فمع أن هذه التكنولوجيا ليست موجودة بعد، ولكننا نناقشها كخيار ممكن لبقاء البشرية. وإن كانا نفكّر بإمكانية بنر الحياة، فهذا يعني أن ثمة شكلاً من أشكال الحياة الأكثر تقدماً ربما يكون قد فكر بهذا الاحتمال أيضاً".

بدأ لأنعدون يشتبه بالمنحي الذي تتّخذه نظرية د. برينبيت.

تابع قائلًا: "إن أخذنا ذلك في الاعتبار، أعتقد أن إدموند كيرش قد اكتشف توقعاً من نوع ما من خارج الأرض، قد يكون فيزيائياً، أو كيميائياً، أو رقمياً، لا أدري، يُثبت أن الحياة على الأرض بذرت من الفضاء. ولا بدّ لي هنا من أن أذكر أننا خضنا أنا وإدموند جداول طويلاً حول هذه المسألة منذ بضع سنوات. فنظريّة الميكروب الفضائي لم تعجبه يوماً، لأنّه يعتقد - شأنه شأن كثرين - أن المادة الوراثية ما كان من الممكن أن تتجوّل بالإشعاعات ودرجات الحرارة القاتلة التي تواجهها في رحلتها الطويلة إلى الأرض. غير أنّي أعتقد شخصياً أنّه من الممكن تماماً ختم بذور الحياة هذه بمادة واقية مقاومة للإشعاعات، وقدّفها في الفضاء بهدف ملء الكون بنوع من البانسيبروميا، أو البذور الكونية بمساعدة التكنولوجيا"

قالت المصيّفة وقد بدا عليها شيء من الاضطراب: "حسناً. لكن، إن كان ثمة من اكتشف دليلاً على أنّ البشر أتوا من كيس بذور مرسل من الفضاء، فهذا يعني أنّنا لسنا وحدنا في الكون. وصمتت قليلاً قبل أن تضيف: "كما يعني أيضاً، وهذا أكثر غرابة بكثير..."

"نعم؟". وابتسم د. برينبيت للمرة الأولى.

"هذا يعني أنّه أيّاً يكن من أرسل تلك الأكياس ينبغي أن يكون... مثنا... بشرياً!".

أجل، هذا كان استنتاجي الأول أنا أيضاً. وصمت العالم قليلاً قبل أن يتابع: تم صوب لي إدموند هذا الرأي. وبين لي العيب في هذا التفكير.

فوجئت المضيفة. "إذاً، كان إدموند يعتقد أنَّ من أرسل هذه البذور ليس بشرياً! وكيف ذلك، إن كانت تلك البذور - إذا جاز التعبير - وصفات للانشار البشري؟".

أجاب العالم: "البشر هم وصفة نصف مخبوزة، وأنا بذلك أستخدم تعبير إدموند بالضبط".

"المعدنة؟".

قال إدموند إنه إن كانت نظرية كيس البذور صحيحة، فإنَّ الوصفة التي أرسلت إلى الأرض هي على الأرجح نصف مخبوزة حالياً، أي لم تكتمل بعد؛ ما يعني أنَّ البشر ليسوا المنتج النهائي بل مجرد نوع انتقالى يتطور إلى شيء آخر... شيء غريب.

بدت الحيرة على وجه مذيعة السي إن إن.

"بحسب إدموند، إن أيَّ شكل من أشكال الحياة المتقنة لن يُرسَل وصفة إلى البشر تماماً، كما أنه لن يُرسَل وصفة للشمبانزي". ضحك العالم مضيفاً: "في الواقع، أتَهمني إدموند بأنَّني مسيحي في السر، ومازحتني قائلاً إنَّ العقل الديني وحده يعتقد أنَّ الجنس البشري مركز الكون".

قالت المضيفة وقد بدا عليها بوضوح عدم الارتياح مع المنحى الذي تَتَّخذُ المقابلة: "حسناً حضرة الدكتور، من المؤكَّد أنَّ حديثنا معك كان مفيداً للغاية. شكراً على مجيئك".

انتهت المقابلة، فالتفتت أميراً على الفور إلى لانغدون قائلة: "روبرت، إن كان إدموند قد اكتشف دليلاً على أنَّ البشر كائنات فضائية شبه متطرفة، فهذا يطرح مسألة أكبر من ذلك: إلام بالضبط نحن نتطور؟".

قال لانغدون: "أجل، وأعتقد أنَّ إدموند عبر عن تلك المسألة بطريقة مختلفة بعض الشيء، طارحاً السؤال التالي: إلى أين نحن ذاهبون؟".

فوجئت أميراً بعض الشيء من العودة إلى السؤال نفسه. "سؤال إدموند الثاني في العرض الذي قدمه هذه الليلة".

"بالضبط. من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟ من الواضح أنَّ عالم الناس الذي شاهدناه اللتو يعتقد أنَّ إدموند وجد إجابات للسؤالين".

"ما رأيك أنت يا روبرت؟ وهذا ما اكتشفه إدموند؟".

تعضَّن جبين لانغدون بالشكّ وهو يفكَّ بالاحتمالات. فنظرية العالم - على الرغم من كونها مثيرة للاهتمام - إلا أنها عمومية جداً، ومن عالم آخر مقارنة بالتفكير الحاد الذي يتمتع به إدموند كيرش. إدموند يحب الأشياء البسيطة، والواضحة، والتلقينية. لقد

كان عالم كمبيوتر. والأهم أن لانغدون لم يستطع أن يتخيل كيف يثبت إيموند نظرية كهذه. هل نقْب وعثر على كيس بذور قيم؟ هل كشف عن انتقال لكتائن فضائية؟ كلا الاحتمالين لو حدثا لكانا ثوريين، لكن اكتشاف إيموند استغرق وقتاً.

قال إيموند إنه يعمل على اكتشافه منذ أشهر.

قال لانغدون لأمبرا: «بالطبع أنا لا أعلم، لكن حسني يخبرني أن اكتشاف لانغدون لا علاقة له بالحياة خارج كوكب الأرض. أنا أعتقد حقاً أنه اكتشف شيئاً مختلفاً تماماً».

بدت الدهشة على وجه أمبرا، ومن ثم الحيرة. «أعتقد أن ثمة طريقة واحدة لمعرفة ذلك». وأشارت إلى النافذة.

أمامهما، تألقت أبراج ساغرادا فاميليا.

الفصل 64

استرق الأسقف فالديسيبينو نظرة سريعة أخرى إلى جولييان الذي كان لا يزال يحتق بشرود من نافذة سيارة الأولي سيدان التي تجتاز بسرعة الطريق السريع M-505.

تساءل فالديسيبينو: ما الذي يفكّر فيه؟

كان الأمير صامتاً منذ ثلاثين دقيقة تقريباً، ولم يتحرك سوى ليمدّ يده إلى جيده في حركة لا إرادية بحثاً عن هاتقه، ليدرك بعد ذلك أنه أودعه في خزنته.

فكّر فالديسيبينو في سرّه: أحتاج إلى إيقائه في الظلام لفترة بعد.

وعلى المقدّم الأمامي، كان مساعد الكاهن لا يزال يقود السيارة باتجاه منزل الأمير؛ مع أن فالديسيبينو سيخبره قريباً أن ذلك المنزل ليس وجهتهما على الإطلاق.

حول جولييان نظره فجأة عن النافذة، وربت على كتف مساعد الكاهن قائلاً: «من فضلك شغل المذياع، أود أن أسمع الأخبار».

ولكن، قبل أن يتمكّن الشاب من تنفيذ الأمر، مال فالديسيبينو إلى الأمام ووضع يداً حازمة على كتف الشاب قائلاً: «هلا نجلس بهدوء».

عندها، التفت جولييان إلى الأسقف وقد بدا عليه ازعاج واضح من تجاهله الأسقف له.

قال فالديسيبينو على الفور، وقد شعر بانعدام الثقة المتنامي في عيني الأمير: «أنا آسف، ولكن الوقت تأخر، وأفضل التفكير بصمت عوضاً عن سماع كلّ هذه الترثّة».

قال الأمير بنبرة حادة: «قد كنت أفكّر قليلاً، وأود أن أعرف بما يجري في بلادي. لقد عزلنا أنفسنا تماماً هذه الليلة، وقد بدأت أتساءل عما إذا كانت تلك فكرة جيدة».

فأكّد له فالديسيبينو قائلاً: «إنها فكرة جيدة. وأنا أقدر الثقة التي أوليتموني إليها». ثم رفع يده عن كتف مساعد الكاهن، وأشار إلى المذياع قائلاً: «من فضلك، شغل المذياع على محطة راديو ماريا إسبانيا رِيَما». وأمل فالديسيبينو أن تكون المحطة الكاثوليكية العالمية أكثر لطفاً ولباقة من معظم المحطّات الإعلامية بشأن التطورات المثيرة للقلق التي طرأت هذه الليلة.

وعندما تصاعد صوت المذيع من مكبرات الصوت الرخيصة الموجودة في السيارة، كان ينال العرض الذي قدمه إدموند كيرش وحادثة الاغتيال. جميع المحطات في العالم تتكلم عن هذا الحدث. تمنى فالديسيبينو وحسب آلًا يذكر اسمه خلال البث.

لحسن الحظ، بدا أن المذيع يتناول في تلك اللحظة موضوع مخاطر الرسالة المعادية للإيمان التي دعا إليها كيرش، ولا سيما الخطر الناتج عن تأثير ذلك على شباب إسبانيا. وكمثال على ذلك، بدأت المحطة تعيد بث المحاضرة التي ألقاها كيرش مؤخرًا في جامعة برسلونة.

قال كيرش بهدوء للطلاب المجتمعين: "يخشى الكثيرون منا أن نسمى أنفسنا ملحدين، لكن الإلحاد ليس فلسفة، لا وجهة نظر للعالم. الإلحاد مجرد قبول لأمر بيهي".

صقق عدة طلاب تعيرًا عن موافقهم.

تابع كيرش: "تعبر ملحد لا ينبغي أن يكون موجوداً حتى. فما من أحد يرغب في التعريف عن نفسه بأنه ليس عالم فلك أو ليس خيميائياً. نحن لا نملك كلمات تُعبر عن الأشخاص الذين يشكّون في أن ألفيس ما زال حيًا، أو الأشخاص الذين يشكّون في وجود كائنات فضائية تعبّر المجرة لمجرد مضائقه الماشية. فالإلحاد ليس أكثر من أصوات يطلقها الناس عند وجود معتقدات دينية لا يجدون تبريرًا لها".

فراح عدد متزايد من الطلاب يصفقون معلين موافقهم.

قال لهم كيرش: "وبالمناسبة، هذا التعريف ليس مني أنا، بل هذه كلمات عالم الأعصاب سام هاريس. وإن لم تقرأوا بعد كتابه الذي يحمل عنوان رسالة إلى أمة مسيحية، فأنا أدعوكم إلى قراءته قريباً".

عبس فالديسيبينو وهو يتذكّر الضجة التي سبّها كتاب هاريس، *Carta a una Nación Cristiana*، الذي تردد صداه في إسبانيا، مع أنه كتب للأميركيين.

تابع كيرش: "أجبوا برفع الأيدي، من منكم يعتقد بأي من الآلهة القديمة التالية: أبو لو؟ زيوس؟ فولكان؟". صمت قليلاً، ثم ضحك. "لا أحد منكم؟ حسناً، هذا يعني أننا جميعنا تقريباً ملحدون في ما يتعلق بتلك الآلهة".

صقق الحشد بحماسة أكبر، وضحك الجميع.

في تلك اللحظة، شعر فالديسيبينو بالسرور لأن الأمير طلب الاستماع إلى المذيع. على جولييان أن يسمع ذلك. فسحر كيرش الشيطاني المغربي كان دليلاً على أن أداء المسيح ما عادوا يجلسون مكتوفي الأيدي.

تابع كيرش: "أنا أمريكي، وأشعر أنني محظوظ جداً لأنني ولدت في إحدى أكثر الدول التقديمية على وجه الأرض على الصعيد الفكري".

ضحك الحضور مجدداً.

في ولاية كنتاكي، أعلن القس بيتر لاروفا علينا: إن وجدت في الانجيل مقطعاً يقول إنَّ اثنين زائد اثنين يساوي خمسة، فإنني سأصدق ذلك وأعتبره حقيقة".
سمع في القاعة المزيد من الضحك.

"أنا أوافلكم، فمن السهل الضحك، ولكنني أؤكد لكم أنَّ هذه المعتقدات مرؤعة أكثر من كونها مضحكة. فالكثير من الناس الذين يعتقدونها أشخاص محترفون، ومتعلمون وأذكياء؛ من أطباء، ومحامين، ومدرسين. وفي بعض الحالات، هم أشخاص يطمحون إلى أعلى المناصب على وجه الأرض. فقد سمعت مرَّة عضو الكونغرس الأميركي بول برون يقول: "التطور والانفجار الكبير كذبتان آتيتان مباشرة من قعر الجحيم. فانا أعتقد أنَّ عمر الأرض يقارب تسعة آلاف سنة، وأنها حُلقت في ستة أيام كما نعلم". صمت كيرش ثم أضاف: "والأكثر إثارة للقلق هو أنَّ عضو الكونغرس برون يتَّرأَس لجنة العلوم والفضاء والتكنولوجيا في مجلس النواب، وعندما سُئل عن رأيه بوجود سجل أحافير يمتد على ملايين السنين، أتى جوابه كالتالي: لقد وضع الله الأحفير لاختبار إيماننا".

انخفض صوت كيرش فجأة وأصبح أكثر كآبة. "إن سمحنا بوجود الجهل فإننا نمنحه القوة. والجلوس مكتوفي الأيدي في الوقت الذي يُعلن فيه زعماؤنا السخافات جريمة رضى عن النفس. وكذلك الأمر بالنسبة إلى ترك كنائسنا ومدارسنا تعلم أكاذيب صريحة لأطفالنا. لقد حان الوقت للعمل. فما لم نظهره جنسنا من التفكير القائم على الخرافات، لن نتمكن من لاستغلال كل الإمكانيات التي تقدِّمها عقولنا". صمت فخيم الهدوء على حشد الطلاب. "أنا أحب البشرية، وأعتقد أنَّ عقولنا ونوعنا نتمَّنَّ بإمكانات لا حدود لها. وأعتقد أننا على شفير عهد مستثير جديد، يسود فيه العلم".

انفجرت القاعة بالتصفيق العميق.

"حباً بالله". قال فالديسيبينو ذلك بحدة وهو يهز رأسه اشمئزاً. "أطفئ هذا المنباع". فأطاعه مساعد الكاهن، وغرقت السيارة في الصمت مجدداً.

على مسافة ثلاثة ميل، وقفت مونيكا مارتن أمام سوريش بهالا الذي دخل وهو يلهث وأعطاه هاتفأ.

قال لها: "القصة طويلة، لكن عليك قراءة هذه الرسالة التي تلقاها الأسقف فالديسيبينو".

أوشكت مارتن أن تقلت الجهاز من يدها. "مهلاً! أهذا هاتف الأسقف؟! كيف استطعت -"

"لا تسألي، اقرئي وحسب".

نظرت مارتن إلى الهاتف بقلق، وبدأت تقرأ النص على الشاشة. وخلال ثوان، شعرت أن الشحوب قد غزا وجهها. "رياه، الأسقف فالديسيينو..."

قال سوريش: "خطر لكن... هذا مستحيل! من الشخص الذي أرسل هذه الرسالة إلى الأسف؟".

"الرقم محظوظ، لكنني أعمل على كشفه."

"ولماذا لم يمسح فالديسيينو هذه الرسالة؟".

قال سوريش: "لا أدرى. ربما لقلة اكتراث أو غطرسة. سأحاول استعادة الرسائل الأخرى، ومعرفة هوية الشخص الذي يراسله فالديسيينو، ولكنني أريد إطلاعك على هذا الخبر حالاً. عليك الإدلاء ببيان بشأن ذلك".

قالت مارتن وهي ما زالت تترنح: "كلا، لن أفعل! فالقصر لن يعلن عن معلومة كهذه".

"كلا، لكن شخصاً آخر سيفعل قريباً". وشرح لها سوريش بسرعة أن السبب الذي دفعه إلى البحث عن هاتف فالديسيينو كان رسالة إلكترونية وصلته مباشرة من monte@iglesia.org، وهو المخبر الذي كان يزور ConspiracyNets بالأخبار. وفي حال نفذ هذا الشخص تهديده، فإن رسالة الأسقف لن تبقى طي الكتمان طويلاً.

أغمضت مارتن عينيها محاولة أن تخيل رد فعل العالم تجاه دليل قاطع على أن أسقفاً كاثوليكيًّا يملك روابط وثيقة جدًا مع ملك إسبانيا متورط بشكل مباشر في عملية الخداع والقتل التي حدثت هذه الليلة.

همست مارتن وهي تفتح عينيها ببطء: "سوريش، أنا أحتاج أن تكتشف من يكون المخبر Monte هذا، هل يمكنك أن تؤدي لي هذه الخدمة؟".

"سأحاول". غير أنه لم يبد واثقاً جدًا.

"شكراً". أعطته مارتن هاتف الأسقف وأسرعت إلى الباب مضيفة: "وأرسل لي صورة لهذا النص!".

ناداها سوريش: "إلى أين أنت ذاهبة؟". غير أنها لم تجبه.

الفصل 65

تحتل باريلايك العائلة المقدسة، لا ساغرادا فاميليا، مساحة كبيرة في وسط مدينة برشلونة. لكن على الرغم من ذلك، تبدو الكنيسة وكأنها تطفو بلا وزن فوق سطح الأرض، بأبراجها الشاهقة الدقيقة التي ترتفع بلا جهد في سماء إسبانيا.

تمتاز الأبراج المعقدة والمليئة بالتفوب بارتفاعات متفاوتة، وتضفي على البناء شكل قصر رملي غريب شيده عمالقة مشاغبون. بمجرد انتهاء أعمال البناء، إن أطول الأبراج الثمانية عشر سيبلغ ارتفاعه 560 قدمًا، وهو ارتفاع مذهل وغير مسبوق يتجاوز نصب واشنطن التذكاري، و يجعل من ساغرادا فاميليا أطول كنيسة في العالم، إذ سيتجاوز ارتفاعها باريلايك القدس بطرس في الفاتيكان بما يزيد عن مائة قدم.

تحيط بالكنيسة ثلاثة واجهات ضخمة. من الشرق، ترتفع واجهة ميلاد المسيح الملونة مثل حديقة معلقة، وهي مليئة بالنقوش متعددة الألوان للنباتات والحيوانات والفاكهة والناس. وفي تناقض صارخ، تبدو واجهة الآلام من جهة الغرب مثل هيكل عظمي متكشف من الحجر الصلب الذي زين بنقوش تشبه الأوتار والمعظام. أما جنوباً، فترتفع واجهة المجد إلى الأعلى وتحشد فيها رموز الأصنام والخطايا والرذائل، لفسح المجال في نهاية المطاف إلى رموز أسمى تتمثل في الصعود، والفضيلة.

يكتمل محيط المبنى بواجهات أصغر حجماً لا حصر لها، فضلاً عن الدعامات والأبراج، ومعظمها مكسوة بمادة تشبه الطين، مضفية على الكنيسة تأثيراً يوحى بأن الجزء السفلي من المبنى إما ينوب أو أنه مستخرج من الأرض. فاستناداً إلى أحد النقاد البارزين، يشبه الجزء السفلي من ساغرادا فاميليا "جذع شجرة متعرجة نمت حوله عائلة من نباتات الفطر المعقدة".

بالإضافة إلى تزيين الكنيسة بأيقونات دينية تقليدية، أدخل غاودي عدداً لا يُحصى من المزايا التي تظهر احترامه للطبيعة، كالسلاحف التي تدعم الأعمدة، والأشجار التي تزيّن الواجهات، وحتى الحلزون والصفادع الصخرية العملاقة التي تتسلق الجهة الخارجية لجدران المبني.

لكن على الرغم من شكل ساغرادا فاميليا الخارجي الغريب، إلا أن مفاجأتها الحقيقة لا تظهر إلا عندما يتجاوز الزائر بابها. فما إن يدخل الزوار المحراب الرئيس

حتى تصيبهم الدهشة وهم يحولون أنظارهم إلى الأعمدة الشبيهة بجذوع الأشجار الملقاة والمائلة التي ترتفع مائتى قدم نحو سلسلة من القبب الشاهقة، لتصل إلى مزيج من الأشكال الهندسية العجيبة التي تعلو أرض الكنيسة مثل ظلة بلورية ممتدة بين أغصان الأشجار. زعم غاوودي أنَّ ابتكاره لتلك "الغابة من الأعمدة" كان يهدف إلى تشجيع العقل على العودة إلى أفكار الباحثين الروحيين القدماء الذين كانت الغابة بالنسبة إليهم كاتدرائية.

ليس غريباً أن تكون رائعة غاوودي الفنية الحديثة الهائلة محطة إعجاب كبير وسخرية لاذعة على السواء. إذ أشاد بها البعض على أنها "حسية، وروحية، وعضوية"، في حين ندد بها آخرون على أنها مبتلة، وبالغة الإسراف، وبنية. كما وصفها الكاتب جايمس ميشنر قائلاً إنها "واحدة من أغرب الأبنية الجديبة في العالم"، وقالت عنها مجلة أركتيكتشورال ريفيو إنها "وحش غاوودي المسلح".

إن كانت جماليتها غريبة، فإن تمويلها أغرب. إذ يتم تمويل ساغرادا فاميليا بهبات خاصة بالكامل، ولا تتلقى أي دعم مادي من أي نوع كان من الفاتيكان أو من القيادة الكاثوليكية في العالم. وعلى الرغم من الفترات التي أوشكت فيها على الإفلاس وتوقفت فيها الأعمال، إلا أن الكنيسة أثبتت إرادة داروينية تقريباً للبقاء، وتجاوزت بعدد أزمات وفاة مهندسها، وحرباًأهلية عنيفة، وهجمات إرهابية من قبل الفوضويين الكاثوليين، وحتى حفر نفق متزوج من مقرها هند بزعامة استقرار الأرض التي بُنيت عليها.

وفي مواجهة شدائد هائلة، ما زالت ساغرادا فاميليا قائمة، وتواصل نموها.

خلال العقد الفائت، تحسنت حظوظ الكنيسة إلى حد كبير؛ مع امتلاء خزانتها بمبيعات التذاكر لأكثر من أربعة ملايين زائر في السنة يدفعون مبلغاً جيداً للقيام بجولة في المبني المكتمل جزئياً. والآن، بعدما تم الإعلان عن موعد هدف للإنجاز وهو عام 2026، وذكرى مرور مائة عام على وفاة غاوودي، تبدو ساغرادا فاميليا أنها اكتسبت قوة جديدة، وأخذت أبراجها تصعد نحو السماء بأمل متجدد.

كان الأب يواكيم بينيا، الكاهن الأكبر سنًا في ساغرادا فاميليا ورئيس كهنته، رجلاً مرحًا في الثمانين من عمره، يضع نظارة مستديرة العدستين على وجه مستدير دائم الابتسام يعلو جسده الصغير. كان حلم بينيا أن يعيش طويلاً بما فيه الكفاية ليشهد انتهاء العمل على هذا البناء العجيب.

لكن الليلة، لم يكن الأب بينيا يبسم وهو جالس في مكتبه. كان قد عمل حتى وقت متأخر، لكن الأمر انتهى به مسيراً أمام شاشة الكمبيوتر وهو يتبع الأخبار المزعجة التي وقعت في بيلباو. لقد قُتل إيموند كيرش.

خلال الأشهر الثلاثة الفائتة، أقام بینیا علاقة صداقة حساسة وغير متوقعة مع كيرش. فقد فاجأ المحدث الصريح بینیا من خلال مجئه إليه شخصياً وعرضه هبة ضخمة للكنيسة. كان المبلغ غير مسبوق، وسيكون له أثر إيجابي هائل. يومذاك، شعر بینیا بالشكك. عرض كيرش غير منطقى. فهو حيلة دعائية؟ ربما كان يريد التأثير على البناء.

ومقابل التبرع، لم يطلب العالم المستقبلي الشهير سوى شيء واحد. أصفع إليه بینیا بترنداً. لهذا كل ما يريد؟!

قال كيرش: "هذه مسألة شخصية بالنسبة إلىَّ، وأأمل أن تتقَّرم بالاستجابة لطلبِي". لم يكن بینیا رجلاً مشككاً، غير أنه شعر في تلك اللحظة بأنه يرقص مع الشيطان. فقد وجد نفسه يبحث في عيني كيرش عن دافع خفيٍّ ما. وأخيراً، رأه. فخلف سحر كيرش وعدم اكتئانه رأى يأساً وإنهاكاً، وذكريه عيناه الغائرتان وجسده النحيل بالفترة التي عمل فيها مستشاراً في دار لرعاية المرضى. إيموند كيرش مريض.

تساءل بینیا عما إذا كان الرجل يُختضر، وعما إذا كانت تلك الهبة محاولة مواجهة للتقرب من الله الذي شكك به دائمًا.

أكثر المعنتين بأنفسهم في الحياة يصبحون الأكثر خوفاً من الموت.

فكَّر بینیا بالإنجيلي المسيحي القديس يوحنا الذي كرس حياته لتشجيع غير المؤمنين على اختبار مجد يسوع المسيح. فبدأ له أنه إن أراد شخص غير مؤمن مثل كيرش المشاركة في بناء صرح ليسوع، فإنَّ إنكار ذلك عليه عمل قاسي وغير مسيحي. بالإضافة إلى ذلك، ثمة مسألة واجب بینیا المهني الساعي إلى المساعدة على جمع الهبات للكنيسة، ولم يتخيَّل نفسه وهو يخبر زملاءه أنه رفض هبة كيرش الهائلة بسبب تاريخ الرجل الإلحادي الصريح.

في نهاية المطاف، قبل بینیا بشروط كيرش، وتصافح الرجالان بحرارة. كان ذلك منذ ثلاثة أشهر.

هذه الليلة، شاهد بینیا العرض الذي قدمه كيرش في غوغنهايم، وشعر في البداية بالاضطراب بسبب نبرته المعادية للدين، ومن ثم بالفضول تجاه إشارات كيرش إلى اكتشاف غامض، ليفاجأ في النهاية بمشاهدة إيموند كيرش وهو يقتل. في أعقاب ذلك، لم يتمكن بینیا من ترك جهاز الكمبيوتر، بل تسمَّر أمامه وهو يرى الأحداث تتحول إلى مزيج عجيب من نظريات المؤامرة المتنافسة.

شعر بینیا بالتعب، فجلس بهدوء في حرم الكنيسة الهائل، وحيداً في "غابة" أعمدة غاودي. غير أن الغابة الباطنية لم تساعد كثيراً على تهدئة الأفكار المتتسارعة في رأسه.

ماذا اكتشف كيرش؟ من أراد قتله؟

أغضض الأب بينيا عينيه وحاول تصفية أفكاره، لكنَّ المسؤولين استمراً بملحقته.

من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟

أعلن بينيا بصوت عالٍ: "أتينا من الله! وإلى الله نعود!".

وبينما كان يتكلّم، أحس بالكلمات تترنّد في صدره وتهزّ جدران الكنيسة بأكملها.

فجأة، اخترق شعاع ساطع من الضوء زجاج الكنيسة الملؤن فوق واجهة الآلام، وتسلّل إلى داخل البازيليك.

ذُعر الأب بينيا ونهض واقفاً، ثمَّ اندفع نحو النافذة وهو يتربّح، وملاً الضجيج الكنيسة بأكملها مع تسلّل شعاع الضوء السماوي من النافذ الملونة. عندما خرج بينيا من باب الكنيسة، وجد نفسه محاطاً بعاصفة تصمَّ الآذان. رأى فوقه إلى اليسار مروحيَّة كبيرة تهبط من السماء، مسلطة أضواءها على واجهة الكنيسة.

لم يصدق بينيا عينيه وهو يشاهد المروحيَّة تهبط داخل محيط الأسوار عند الزاوية الشمالية الغربية للمجمع وتنطفئ حركاتها.

وعندما هدأت الرياح والضجيج، وقف الأب بينيا عند مدخل ساغرادا فاميليا وشاهد أربعة أشخاص يترجلون من الطائرة ويسرعون باتجاهه. عرف اثنين منهم على الفور من البث التلفزيوني لهذه الليلة، وكانا ملكة إسبانيا المستقبليَّة، والبروفيسور روبرت لانغدون، يتبعهما رجلان يرتديان سترتيَّن متشابهتين.

لا يبدو أنَّ لانغدون قد اختطف أميراً فيدال في النهاية. فمع اقتراب البروفيسور الأميركي، وفقت الآنسة فيدال إلى جانبِه بملء إرادتها.

قالت المرأة بمودة: "أبٌت! أرجو أنْ تغفر لنا دخولنا الصاخب إلى هذا المكان المقدس. غير أنَّنا بحاجة إلى التحدث معك على الفور، فالأمر في غاية الأهميَّة".

فتح بينيا فمه ليجيبها، ولكنه اكتفى بهزة رأس صامتة مع وصول المجموعة غير المنتظرة إلى بابه.

قال روبرت بابتسامة دافئة: "المعذرة حضرة الأب، أنا أعرف أنَّ هذا الأمر يبدو غريباً جدًا. هل تعلم من نكون؟".

أجاب بصعوبة: "لكنني ظننت..."

قالت أميراً: "تلك المعلومات خطأة. أنا أؤكد لك أنَّ كلَّ شيء على ما يرام". في تلك اللحظة، أسرع حارسان كانا يقان خارج السور المحيط بالكنيسة بالدخول،

بعد أنَّ أثار قلقهما وصول المروحيَّة. وعندما رأيا بينيا، اندفعوا إليه. وعلى الفور، استدار الرجلان اللذان يرتديان السترتيَّن وواجهاهما وهم يرفعان راحتיהם في إشارة التوقف المعروفة.

توقف الحرسان مكانهما مذهلين، ونظرا إلى بيبيا طلبا للأوامر.

فصاح بيبيا بالكتلانية: "كل شيء على ما يرام! عودا إلى موقعكم".

نظر الحرسان إلى المجموعة الغربية بشكّ.

قال بيبيا بصوت أكثر حزماً: "إتهم ضيوفي، وأطلب منكم التكتم".

تراجع الحرسان بشيء من الالarma، وعادا لاستئناف دورية العراسة عند السور.

قالت أميرا: "شكراً لك. أنا أفتر ذلك".

قال: "أنا الأب يواكيم بيبيا، أخبروني من فضلكم ماذا يجري؟".

تقىم روبرت لأنغدون وصافح بيبيا قائلاً: "حضره الأب بيبيا، نحن نبحث عن

كتاب نادر كان يملكه العالم إيموند كيرش". وأخرج لأنغدون بطاقة أنيقة سلمه إليها.

"بحسب هذه البطاقة، تمت إعارة الكتاب لهذه الكنيسة".

على الرغم من الصدمة التي سببها الوصول الدراميكي لهذه المجموعة، إلا أنَّ

بيبيا عرف على الفور البطاقة العاجية. كانت ثمة نسخة مطابقة لهذه البطاقة مع الكتاب

الذي أعطاه إيه كيرش قبل بضعة أسابيع.

الأعمال الكاملة لوليم بلوك.

كان شرط التبرع الكبير الذي قدمه إيموند لساغرادا فاميليا هو عرض كتاب بلوك

في سرداد البازيليك.

إنه طلب غريب، ولكنه ثمن صغير.

كان لکيرش طلب إضافي محدد على الجهة الخلفية للبطاقة، وهو أن يبقى الكتاب

مفتوحاً دائماً على الصفحة 163.

المفصل 66

على بعد خمسة أميال إلى الشمال الغربي من ساغرادا فاميليا، حقّ الأميرال أفيلا عبر الزجاج الأمامي لسيارة أوبر إلى أصوات المدينة التي تألفت أمام ظلام بحر البلمار خلفها.

فكَرْ ضابط البحرية القديم في سره: أنا في برشلونة أخيراً. وأخرج هاتفه ليتصل بالوصي كما وعد.

فأجابه الوصي من الرنة الأولى: "الأميرال أفيلا، أين أنت؟".
"أنا على بعد دقائق من المدينة".

"قد وصلت في التوقيت المناسب، فقد تأقِّثُ للتو أخباراً مثيرة للقلق".
"ما الأمر؟".

لقد نجحت في قطع رأس الأفعى، ولكن كما كنا نخشى، ما زال نيلها الطويل يتلوى وبهدننا".

سأله أفيلا: "وكيف يمكنني المساعدة؟".

وعندما أطلعه الوصي على رغباته، فوجئ تماماً. فهو لم يتخيل أن تحصد هذه الليلة المزيد من الأرواح، ولكنه لم يكن ينوي استجواب الوصي. نكر نفسه: أنا لست سوى جندي مشاة.

قال الوصي: "هذه المهمة ستكون خطرة. لكن، إن تم القبض عليك، أظهر للسلطات الرمز الموجود على كفك وسيتم الإفراج عنك بعد وقت قصير. فنحن نملك نفوذاً في كلّ مكان".

قال أفيلا وهو ينظر إلى الوشم: "أنا لا أنوي أن يُقبض عليّ".

فقال الوصي بنبرة خالية من الحياة على نحو غريب: "هذا جيد. إن سار كلّ شيء حسب الخطة، فسيكونان هما الاثنان في عداد الأموات قريباً، وستنتهي هذه المسألة برمتها".

ثم قطع الاتصال.

وفي الصمت الذي خيم فجأة، نظر أفيلا إلى النقطة الأكثر لمعاناً في الأفق، والتي كانت عبارة عن مجموعة شبيعة من الأبراج المشوهة المضاءة بمصابيح البناء.

شعر بالنفور من المبني الغريب وفكّر في سره: ساغرادا فاميليا، تُصب كلّ ما هو خاطئ في إيماننا.

كان أفيلاً يعتقد أنَّ كنيسة برشلونة الشهيرة تشكّل نصباً يرمز إلى الضعف والانهيار الأخلاقي. كانت بنظرة استسلاماً للكاثوليكية الليبرالية، وتحريفاً وتشويهاً بارعاً لآلاف السنين من الإيمان، وتحويله إلى هجين مشوه من عبادة الطبيعة، والعلوم الكاذبة، والهرطقة الغنوصية.

ثمة سجالٌ عما إذا تسلّق كنيسة المسيح!

كان انهيار التقاليد في العالم يرعب أفيلاً، ولكنه شعر بالدعم بظهور مجموعة جديدة من القادة في العالم الذين يشاركونه على ما يبدو مخاوفه ويفعلون كلَّ ما هو ممكِّن لإعادة الأمور إلى نصابها. فإخلاص أفيلاً للكنيسة البالمارية، ولا سيما للبابا إنوسنت الرابع عشر، منحه سبباً جيداً للعيش، وساعدته على رؤية مأساته من منظور مختلف تماماً.

لقد كانت زوجتي وطفلي ضحىًّي حرب، حرب شئتُها قوى الشر ضدَّ الإيمان، ضدَّ التقاليد. والغفران ليس السبيل الوحيد للخلاص.

منذ خمس ليالٍ، كان أفيلاً نائماً في شقّته المتواضعة عندما أيقظه رنين رسالة نصيّة عالٍ على هاتفه الخلوي. تتمم منزعجاً: "تحن في منتصف الليل". ونظر إلى الشاشة لمعرفة من يتصل به في هذه الساعة.

Número oculto

رقم مخفى

فرك أفيلاً عينيه وقرأ الرسالة الواردة.

Compruebe su saldo bancario

أتحقق من رصيدي المصرفي؟

عبس أفيلاً وبدأ يشتبه بأنّها نوع من الاحتياط الذي يمارس في التسويق عبر الهاتف. فانزعج ونهض من السرير، ثم ذهب إلى المطبخ لتناول كوب من الماء. وما إن وقف عند حفنة الماء، حتى نظر إلى جهاز الكمبيوتر المحمول وأدرك أنه لن يتمكن على الأرجح من معاودة النوم ما لم يُلقي نظرة.

دخل موقع المصرف الذي يتعامل معه، وتوقع رؤية رصيده الصغير المعناد المثير للشفقة، وهو ما تبيّن له من معاشة العسكري. ولكن، عندما ظهرت معلومات

حسابه، هبَ واقفاً على قدميه وأسقط الكرسي من هول المفاجأة.
لكن هذا مستحيل!

أغمض عينيه ثم نظر مجدداً، قبل أن يُعيد تجديد الصفحة.
لكن الرقم بقي على حاله.

حرّك الفارة وذهب إلى نشاط حسابه، ودُهش عندما أدرك أنَّ مبلغاً من مصدر
مجهول بقيمة مائة ألف يورو قد أودع في حسابه منذ ساعة. كان المصدر عبارة عن
أرقام وغير قابل للتفتيش.
من قد يكون؟!

صدر أزيز حادٍ عن هاتفه الخلوي جعل نبضه يتسرّع، فتناول الهاتف ونظر إلى
هوية المتصل.

Número oculto

رقم مخفى

حق إلى الهاتف ثم أمسك به. "نعم؟".
كلمه صوت خافت بإسبانية قشتالية صافية. "مساء الخير، الأمiral أفيلا. أعتقد
أنك رأيت الهدية التي أرسلناها إليك".
فأجاب متلعمًا: "لقد... فعلت. من أنت؟".

أجاب الصوت: "يمكنك تسميني الوصي، أنا أمثل إخوانك؛ أعضاء الكنيسة التي
ترتادها بانتظام طوال العامين الفائتين. مهاراتك وإخلاصك لم تمرّ مرور الكرام أيها
الأميرال. والآن، نود أن نمنحك الفرصة لكي تخدم هدفاً أسمى. لقد عرض عليك قداسته
سلسلة من المهام... مهام أرسلها لك الله".

استيقظ أفيلا الآن تماماً، وبدأت كفاه تتعرّقان.

تابع صاحب الصوت قائلاً: "المال الذي أعطيناك إياه دفعه مسابقة لقاء مهمتك
الأولى. إن اختبرت تنفيذ المهمة، فاعتبرها فرصة لإثبات جدارتك باحتلال مكانة بين
مراتبنا العليا". صمت قليلاً ثم أضاف: "ثمة تسلسل هرمي قوي في كنيستنا لا يراه
العالم. ونعتقد أنك ستشكّل قيمة على رأس منظمتنا".

ومع أن أفيلا شعر بالحماسة إزاء فكرة التقدّم، إلا أنه كان حذراً أيضاً. "ما هي
المهمة؟ وماذا إن اختبرت عدم تنفيذها؟".

"لن يتم الحكم عليك بأيِّ شكل من الأشكال، ويمكنك الاحتفاظ بالمال لقاء السرية.
هل يبدو لك ذلك معقولاً؟".

"بل يبدو في غاية السخاء".

"أنت تعجبنا، ونحن نريد مساعدتك. ومن باب الإنصاف، أود تحذيرك بأن مهمته البابا صعبة". صمت ثم أضاف: "وقد تتطوي على العنف".
تصلب جسد أفيلا. عنف!

"حضره الأميرال، قوى الشر تزداد قوة يوماً بعد يوم. ولا بد لنا من المحاربة لأجل ا، وال الحرب تستتبع خسائر بشرية".

تذكرة أفيلا أهواه القنبلة التي أودت بحياة أسرته فارتعش، وأبعد عن رأسه الذكريات السوداء. "أنا آسف، لا أعرف إن كنت أستطيع قبول مهمة عنيفة"-
همس الوصي: "لقد اختارك البابا أيهاالأميرال. والرجل الذي ستستهدفه في هذه المهمة... هو الرجل الذي قتل أسرتك".

الفصل 67

يقع مخزن الأسلحة في الطابق الأرضي من القصر الملكي في مدريد. وهو عبارة عن غرفة مقببة أنيقة رُتّبت جدرانها القرمزية المرتفعة بسجادات رائعة تصور معارض شهيرة في تاريخ إسبانيا. تحيط بالغرفة مجموعة لا تقدر بثمن تتضمن على أكثر من مائة بنلة من الدروع المصنوعة يدوياً، بما في ذلك ملابس و"أدوات" المعارك التي استخدمها الكثير من الملوك السابقين. وتحتل وسط الغرفة سبعة تماثيل لجياد بالحجم الطبيعي مجهزة بكامل العتاد الحربي.

تساءل غارزا وهو ينظر إلى أدوات الحرب التي تحيط به: هل قرروا سجني هنا؟ لا شك في أن المخزن الحربي كان أكثر الغرف أماناً في القصر، لكن غارزا اشتبه في أن سجانيه اختاروا هذه الزنزانة الأنique على أمل تخويفه. في هذه الغرفة نفسها تم تقليدي منصبي.

منذ عقدين من الزمن تقريباً، تم اصطحاب غارزا إلى هذه الغرفة الضخمة، وأجرى فيها مقابلة، ثم تم فحصه واستجوابه قبل أن يعرض عليه أخيراً منصب رئيس الحرس الملكي.

والآن، قام عملاؤه باعتقاله. أنا متهم بالتآمر والاغتيال! وبالإيقاع بالأسف! كان المنطق الذي دعمت به هذه المزاعم ملتوياً إلى حد أن غارزا لم يستطع فهمه بعد. عندما يتعلق الأمر بالحرس الملكي، كان غارزا أعلى مسؤولاً في القصر؛ مما يعني أن أمر اعتقاله لا يمكن أن يكون قد صدر سوى عن رجل واحد... الأمير جولييان نفسه.

أدرك غارزا أن فالديسيبينو قد ستم عقل الأمير ضدَّه. فلطالما تجاوز الأسف الأزمات السياسية، وبين الليلة وأخرى يائس إلى حد الإقدام على هذه الحيلة الإعلامية الجريئة، وهي مكيدة جريئة لإنقاذ سمعته من خلال تلطيخ سمعة غارزا.

والآن، قاما بسجني في مخزن الأسلحة لكي لا أدفع عن نفسي. إن كان جولييان وفالديسيبينو قد ضمما جهودهما، فقد قُضي عليه تماماً. وفي هذه الحالة، إن الشخص الوحيد على وجه الأرض الذي يملك السلطة الكافية لمساعدة غارزا كان رجلاً مسنًا يعيش آخر أيامه في سرير مستشفى في منزله في قصر زارزويلا.

اُنہ ملک اسپانیا۔

لكن الملك لن يساعدني أبداً إن كان ذلك يعني تجاوز الأسقف فالديسبيينو أو ابنه.

نناهى إليه صخب الحشود في الخارج وهم ينشدون بصوت أعلى، وبدأ له أن الأمور تأخذ منحي عنيفاً. ولكن، عندما أدرك غارزا ما ينشدونه، لم يصدق أنفسه.

إذ كانوا يصيرون: "من أين أنت إسبانيا؟! إلى أين تذهب إسبانيا؟!".
يبدو أنَّ المنظاهرين قد أخذوا سؤالَي كيرش الاستفزازيَّين كفرصة للتساؤل حول
المستقبل السياسي للملكية في إسبانيا.
من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟

كان جيل الشباب الإسباني يُدين اضطهاد الماضي وينادي باستمرار بـ"غير أسرع، ويبحث بلاده على "الانضمام إلى العالم المتحضر" في ظل حكم ديمقراطي بالكامل، مع إلغاء نظامها الملكي. فقد تخلّت فرنسا، وألمانيا، وروسيا، والنمسا، وبولندا، وأكثر من خمسين دولة أخرى عن عروش القرن الماضي. وحتى في بريطانيا، ثمة ضغوط لإجراء استفتاء من أجل إنهاء الملكية بعد وفاة الملكة الحالية.

الليلة، لسوء الحظ، كان قصر مدريد الملكي في حالة من الفوضى، ولذلك ليس من المستغرب سماع صرخة الحرب القديمة هذه مجدداً.

ما الذي يحتاج إليه الأمير جوليان وهو يستعد لاحتلال العرش؟
فجأة، فتح الباب في الطرف المقابل من مخزن الأسلحة، وأطلَّ منه أحد عناصر
الحرس الملكي.

فصال غارزا: "أريد محامي!".
وأنا أريد بياناً صحفياً. كان ذلك صوت مونيكا مارتن وهي تصريح بينما كانت
تلفتَ من حول الحارس وتدخل الغرفة. "أيها القائد غارزا، لماذا تصادمت مع قاتلي
إيموند كيرش؟".

فحق إليها غارزا غير مصدق. هل جن جنون الجميع؟!
أعلنت مارتن وهي تتوجه إلىه مباشرة: "نحن نعرف أنك حاولت توريط الأسقف
فالديسيبينو. والقصر يريد أن ينشر اعترافك حالاً!".
لم يكن لدى القائد أي رد.

وعندما وصلت مارتن إلى منتصف الغرفة، استدارت فجأة، وحذقت إلى الحارس الشاب الواقف عند الباب وقالت له: "لقد قلت إنني أريد اعترافاً خاصاً!". بدا الحارس مشككاً وهو يتراجع خطوة ويغلق الباب.

استدارت مارتن نحو غارزا، وقطعت بقية الطريق بسرعة، وصاحت بصوت تردد صداه في الغرفة المقببة وهي تقف مباشرة أمامه: "أريد اعترافاً حالاً!". أجاب غارزا بصوت ثابت: "حسناً، أنت لن تحصلني على اعتراف مني، ليس لدى شيء أقوله، فمزاعمكم غير صحيحة إطلاقاً."

نظرت مارتن من خلف كتفها بتوتر، ثم اقتربت منه أكثر وهمست في أذنه: "أنا أعرف. أريد أن تصفعي إلى جيداً."

الفصل 68

معدل التداول ↑ %2747

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

عن الباباوات المزيفين... والأكف النازفة... والأعين المغمضة...

قصص غريبة من داخل الكنيسة البالمارية.

أكيدت مشاركات مجموعات الأخبار المسيحية على الإنترنت الآن أنَّ الأمiral لويس أفيلاً عضو ناشط في الكنيسة البالمارية، وتلك منذ بضم سنوات.

وياعتبره واحداً من "مشاهير مناصري الكنيسة، اعترف أميراً البحريّة لويس أفيلا تكراراً بفضل البابا البالماري في "إنقاذ حياته" عقب الاكتتاب العميق الذي أصيب به بعد خسارته أسرته في هجوم إرهابي مناهض للمسيحية.

ويمـا أنـ سيـاسـة مـوقـع ConspiracyNet تـنـصـ عـلـى عدم دـعـم أو إـدانـة المؤـسـسـات الـديـنـيـة، فـقـد نـشـرـنا عـشـرـات الرـوابـط الـخـارـجـيـة لـلـكـنـيـسـة الـبـالـعـالـمـيـة هـنـا. ثـنـحـ عـلـيـنـا الإـبـلـاغ وـالـقـرـار لـكـمـ.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الكثير من المزاعم المنشورة على الإنترنِت في ما يتعلُّق بالبالماريين صادمة جدًّا، ولذلك نطلب مساعدتكم، أنتم مستخدمي موقعنا، لفرز **الحقيقة عن الخيال**.

وريتنا "الحقائق" التالية من قبل المُخبر الشهير monte@iglesia.org، الذي يشير سجل رسائله هذه الليلة إلى أنَّ هذه الحقائق صحيحة. لكن، قبل أن ننشرها على أنها كذلك، نأمل من بعض مستخدمينا أن يقدموها المزيد من الأدلة الأكيدة لدعمها أو بحثها.

حقائق

خسر البابا البالماري كليمونتي كلانا مقتنيه في حادث سيارة حصل عام 1976، واستمر بالقاء العطاءات لعقد من الزمن بعدينين مفضضتين جراحياً.

كانت لدى البابا كليمنتى ندوب ناشطة في راحتيه تزف بانتظام كلما راودته الرؤى.

كان العديد من الباباوات البالماريين ضباطاً في الجيش الإسباني، ويمكرون مثلأً علياً كارلية.

يُمنع على أعضاء الكنيسة بالمارية التحدث إلى أسرهم، وقد توفي عدد منهم في المجمع نتيجة سوء التغذية أو سوء المعاملة.

يُمنع على البالماريين (1) قراءة الكتب التي ألفها غير البالماريين، (2) حضور حفلات الزفاف أو الجنائز العائلية ما لم تكن أسرهم بالمارية،

(3) ارتياح أحواض السباحة، والشواطئ، وقاعات الرقص، وأي مكان تُعرض فيه شجرة الميلاد أو صورة لسانتا كلوز، وحضور مباريات الملاكمة.

تنتشر مكاتب تجنيد البالماريين في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وألمانيا، والنمسا، وإيرلندا.

الفصل 69

بينما كان لانغدون وأميرا يتبعان الألب بينما ياتجاه الأبواب البرونزية الهائلة للكنيسة ساغرادا فاميليا، وجد لانغدون نفسه يتعجب - كما فعل دائماً - أمام التفاصيل الغربية جداً التي يتميز بها المدخل الرئيس لهذه الكنيسة.

إنه جدار من الرموز، فكر بذلك في سرمه وهو يرمي الطباعة النافرة التي تهيمن على الألواح المتجلسة من المعدن المصقول. فقد برزت من السطح أكثر من ثمانية آلاف حرف ثلاثي الأبعاد نقشت بشكل نافر في البرونز. وامتنت الأحرف في خطوط أفقية، مشكّلة نصاً ضخماً من دون أي فاصل بين الكلمات. ومع أن لانغدون كان يعرف أن النص عبارة عن وصف لآلام المسيح مكتوب باللغة الكتانية، إلا أن مظهره كان أقرب إلى مفتاح تشغيل وكالة الأمن القومي.

لا عجب أن هذا المكان يلهم نظريات المؤامرة.

انتقل نظر لانغدون إلى الأعلى، متسلقاً واجهة الآلام الشاهقة، ليقع على مجموعة من التماثيل النحيلة التي صنعت بيد الفنان جوزيف ماريا سوبيراش، وبعلوها تمثال هزيل على نحو فطيع ليسوع المسيح وهو يتدلى من صليب مائل جداً إلى الأمام، ما يضفي تأثيراً مخيفاً بأنه على وشك أن يسقط على الضيوف الذين يدخلون الكنيسة.

إلى يسار لانغدون، كانت ثمة منحوتة كئيبة أخرى تصور يهودا وهو يخون المسيح بقلة. وكانت هذه الشخصية المكرهة محاطة - على نحو مستغرب - بنقش شبكة من الأرقام، عبارة عن "مربيع سحري" رياضي. كان إدموند قد أخبر لانغدون مرة أن هذه "الثابتة السحرية" للمربيع، وقيمتها ثلاثة وتلاتون، كانت في الواقع تكريماً خفياً للتتبجيل الوثني الذي يوليه الماسونيون لمهندس الكون الأعظم، وهو إله شامل لا يكشف أسراره كما يُزعم سوى لمن بلغوا الدرجة الثالثة والثلاثين في الأخوية.

أجاب لانغدون صاحباً يومذاك: "يا لها من قصبة ممتعة! لكن، ثمة تفسير أكثر منطقية، إلا وهو أن يسوع المسيح كان في سن الثالثة والثلاثين في زمن الآلام".

مع اقترابهم من المدخل، التفت لانغدون لرؤية الزخرفة الأكثر شناعة في الكنيسة، وتظهر في تمثال هائل الحجم ليسوع المسيح وقد جُلد وقيد بالحبال إلى أحد الأعمدة. فحوال نظره بسرعة إلى نقش فوق الباب مكون من الحرفين اليونانيين ألفا وأوميغا.

همست أمبرا وهي تنظر إلى الحرفين: "البداية والنهاية. هذا يشبه إدموند كثيراً."
أو ما لانغدون برأسه موافقاً وقد فهم قصدها. من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟
فتح الأب بينيا باباً صغيراً في جدار الأحرف البرونزية، ودخلت منه المجموعة
بأكملها، ومن فيهم عنصراً الحرس الملكي، ثم أغلق بينيا الباب خلفهم.
هناك خيم الصمت والظلم.

في الطرف الجنوبي الشرقي لذلك الجناح من الكنيسة، أطلعهم الأب بينيا على
قصة مدهشة. إذ أخبرهم كيف أتى إليه كيرش، وعرض تقديم هبة ضخمة لساغرادا
فاميليا مقابل موافقة الكنيسة على عرض نسخته من مخطوطة بليك المصورة في
السرداب إلى جانب قبر غاودي.

في قلب هذه الكنيسة. فكر لانغدون في سره وتعاظم فضوله.

سألته أمبرا: "هل قال لك إدموند لماذا أراد منك ذلك؟".
أومأ بينيا برأسه مجيباً: "قال لي إن شغفه الطويل بفن غاودي مستمد من أمّه
الراحلة التي كانت هي الأخرى من معجبي ولIAM بليك. وقال إنه أراد وضع كتاب بليك
إلى جانب قبر غاودي تكريماً لأمه الراحلة. فلم أجد في ذلك أي ضرر

شعر لانغدون بالحيرة، إذ لم يسبق أن نكر إدموند شيئاً عن إعجاب أمّه بغاودي.
وبالإضافة إلى ذلك، توفيت بالوما كيرش في ذير، ومن غير المحتمل أن تُبدي راهبة
إسبانية إعجابها بشاعر بريطاني مهترق. بدت له القصة بأكملها مبالغة فيها.

تابع بينيا كلامه قائلاً: "بالإضافة إلى ذلك، شعرت أن السيد كيرش يعاني من
أزمة روحية... وربما من مشاكل صحية أيضاً".

ففاطعه لانغدون قائلاً: "بحسب الملاحظة على الجهة الخلفية لهذه البطاقة، إن
كتاب بليك ينبغي أن يكون معروضاً بطريقة معينة، أي مفتوحاً على الصفحة مائة
وثلاث وستين".

"أجل، هذا صحيح."

شعر لانغدون بنبضه يتسارع. "هلا تخبرني بعنوان القصيدة الموجودة في تلك
الصفحة؟".

فهزَ بينيا رأسه قائلاً: "ما من قصيدة في تلك الصفحة.
المعدرة؟!".

"يضم الكتاب الأعمال الكاملة لبليك، أي أعماله الفنية والمكتوبة. والصفحة مائة
وثلاث وستون تحتوي على صورة".

ألقى لانغدون نظرة فلق إلى أمبرا. نحن بحاجة إلى بيت شعري مؤلف من سبعة
وأربعين حرفًا وليس صورة!

قالت أميرا للأب ببنيا: "أبِّ، هل يمكننا رؤيته حالاً؟".

تردد الكاهن للحظة، ولكنَّه أعاد التفكير كما يبدو في مسألة رفض طلب ملكة إسبانيا المستقبليَّة، فقال: "القبو من هنا". وقادهما عبر الجناح باتجاه وسط الكنيسة، يتبعهما الحارسان الملكيان.

قال ببنيا: "لا بدَّ لي من الاعتراف بأنّي ترددت في البداية بقبول المال من ملحد صريح، ولكنَّ طلبه بعرض الصورة الإيضاخية المفضلة لدى والدته بين أعمال بليك بدا لي غير مؤذٍ، لا سيما وأنّها صورة للمسيح".

اعتقد لأنعدون أنه أخطأ السمع. "هل قلت إنَّ إدموند قد طلب منك أن تعرّض صورة للمسيح؟".

هزَّ ببنيا رأسه موافقاً. "شعرت أنه كان مريضاً وأنّها على الأرجح طريقته في محاولة التعويض عن حياة أمصاها في معارضه التعاليَّم الدينيَّة". صمت قليلاً، ثم هزَ رأسه يميناً ويساراً وهو يضيف: "مع أنّي بعدما رأيت العرض الذي قدمه هذه الليلة، أقرُّ أنّي لم أعد أعرف ما يجدر بي التفكير فيه".

حاول لأنعدون أن يتخيل الصورة التي أراد إدموند أن يعرضها من بين صور بليك العديدة للمسيح.

ومع انتقال المجموعة إلى المحراب الرئيس، شعر لأنعدون أنه يرى هذا المكان للمرة الأولى. فعلى الرغم من زياراته العديدة إلى ساغرادا فاميليا في مراحل مختلفة من بنائها، إلا أنه كان يأتي دائماً خلال النهار في وقت يكون فيه قلب الكنيسة غارقاً بأشعة شمس إسبانيا التي تدخله من التوافد الزجاجية الملونة، مولدة ألواناً رائعة تشدَّ النظر صعوداً إلى الأعلى، إلى ظلة من القبَّ التي تبدو عديمة الوزن. في الليل، يبدو هذا العالم أكثر تقلاً.

في تلك الساعة من الليل، اختفت أشجار الغابة المضاءة بأشعة الشمس، وتحولت إلى أدغال معتمة من الظلال، ومجموعة من الأعمدة الداكنة والمخططة التي ترتفع نحو السماء في فراغ مخيف.

قال الكاهن: "انتبهوا إلى خطواتكم، فنحن نحاول توفير المال حيثما استطعنا". كان لأنعدون يُعرف أنَّ إضاءة الكنائس الأوروبيَّة الضخمة تكلُّف ثروة صغيرة، والإضاءة المتنفرقة هنا بالكاد أنارت الطريق. هذه من تحنيات مخطط للأرضية يمتدَّ على مساحة ستين ألف قلم مربعة.

ومع وصولهم إلى الصحن المركزي وانعطافهم إلى اليسار، حقَّ لأنعدون إلى المنصة المرتفعة أمامه. كان المذبح عبارة عن طاولة بسيطة معاصرة جداً تحيط بها مجموعتان برَاقتان من أنابيب الأرغن. وعلى ارتفاع خمس عشرة قدمًا فوق المذبح،

عُلِّقت ظلة رائعة الجمال مصنوعة من النسيج الحريري؛ وهي رمز للتوقيف مستلهم من الظلل الاحتقانية التي كانت تُعلق في ما مضى على أعمدة لتوفير الظل للملوك. ومع أنَّ معظم الظلل باتت الآن جزءاً صلباً من الهندسة المعمارية، إلا أنَّ ساغرادا فاميليا اختارت القماش، وكانت على شكل مظلة تبدو أنها تحوم بشكل سحري في الهواء فوق المذبح. تحت القماش، عُلِّق بالأسلامك تمثلاً ليسوع المسيح على صليب؛ ليبدو أشبه بمظليَّة.

يسوع المظليَّ، كان لأنغدون قد سمع هذا الوصف سابقاً. وحين رأه مجندًا، لم يستغرب أن يكون من أكثر تفاصيل الكنيسة إثارة للجدل.

بينما كان بينيا يقودهم إلى داخل الكنيسة الذي يزداد ظلاماً، واجه لأنغدون صعوبة في رؤية أي شيء على الإطلاق. فأخرج دياز مصباحاً صغيراً، وأضاء الأرض عند أقدام المجموعة. وبينما كانوا يحتوون الخطى نحو مدخل السرداي، لمح لأنغدون فوقه صورة باهتة لأسطوانة شاهقة ترتفع مئات الأقدام على طول الجدار الداخلي للكنيسة.

لواءة ساغرادا فاميليا الشهيرة. ولم يكن قد تجرأ يوماً على صعودها. كان ذلك السلم المسبَّب للدوار قد ظهر ضمن قائمة ناشونال جيوغرافيك للسلام العشرين الأكثر فتكاً في العالم، وأحتلَّ المرتبة الثالثة، بعد سلام معبد وات في أنغور في كامبوديا، والصخور الزلقة لسلالات إيليس في الإكوادور.

رمق لأنغدون الدرجات القليلة الأولى التي تصاعدت إلى الأعلى واختفت في الظلام. "مدخل السرداي أمامنا مباشرة". قال بينيا ذلك مشيراً إلى ما وراء السلام؛ باتجاه فراغ مظلم إلى يسار المذبح. وبينما كانوا يسرعون إليه، رأى لأنغدون وهجاً ذهبياً خافتَا بدا وكأنه منبعث من ثقب في الأرض.

السرداي.

وصلت المجموعة إلى مدخل سلم أنيق منحنٍ بطف.

قالت أمبرا للحارسين: "أيتها السيدان، انتظرا هنا، نحن سنعود قريباً".

فيما الاستياء على فونسيكا، ولكنه لم يقل شيئاً.

بعد ذلك، بدأت أمبرا والأب بينيا لأنغدون هبوطهم باتجاه النور.

شعر العميل دياز بالامتنان للحظة السلام وهو يشاهد الثلاثة يخفون أسفل السلم اللوليبي. فقد كان التوتر المتصاعد بين أمبرا فيدال والعميل فونسيكا يصب مثيراً للقلق. لم يكن علماء الحرس الملكي معتابين على تلك تهديدات بالفصل من الأشخاص الذين يقومون على حمايتهم، بل من القائد غارزاً وحسب.

كما أنَّ دياز ما زال محترأً من عملية اعتقال غارزا. والغريب أنَّ فونسيكا رفض إطلاعه على الشخص الذي أصدر أمر الاعتقال أو ألف قصبة الخطاف الزائف. كان فونسيكا قد قال له: "الوضع معقد، ومن الأفضل ألا تعرف من أجل سلامتك".

تساءل دياز: من الذي يصدر الأوامر؟ أهو الأمير؟ بدا له من غير المعقول أن يخاطر الأمير جولييان بسلامة أميراً عبر نشر خبر اختطاف وهبي. أهو فالديسيينو؟ غير أنَّ دياز لم يكن واثقاً مما إذا كان الأسقف يملك هذا النوع من التفود. قال فونسيكا: "سأعود قريباً". مضيفاً أنه يحتاج إلى الذهاب إلى الحمام. ومع ابتعاده في الظلام، رأه دياز وهو يُخرج هاتفه ويجري اتصالاً، ثمَّ يبدأ بالكلام بصوت خافت.

انتظر دياز بمفرده عند شفير هاوية حرم الكنيسة، وشعر أنه لم يعد مرتاحاً إزاء تكُّم فونسيكا.

الفصل 70

يهبط السلم المؤدي إلى السرداد ثلاثة طوابق تحت الأرض، ويلتوي في انحاء عريض وأنيق، قبل أن ينتهي بلانغدون وأمبرا والأب بينما في الغرفة الموجودة تحت الأرض. تأمل لانغدون القبو الفسيح والداخري وهو يتذكر أنه واحد من أكبر الأقبية في أوروبا. تماماً كما يتذكر، كان ضريح ساغرادا فاميليا السفلي عبارة عن قاعة مستديرة عالية السقف تضم مقاعد لمئات المصليين. توزعت مصابيح الزيت الذهبية على مساحات متساوية حول محيط الغرفة، وألقت نورها على الأرض المكسوة بفسفaises من العرائش، والجذور، وأغصان وأوراق الشجر، وغيرها من الصور المستلهمة من الطبيعة. القبو في الأساس مكان مخفي، ولذلك لم يستطع لانغدون أن يتصور كيف نجح غاويدي في إخفاء غرفة بهذا الحجم تحت الكنيسة. فهذا القبو لم يكن يشبه بشيء تصميم غاويدي المرح "للقبو المائل" في كولونيا غوبل؛ إذ كانت هذه الغرفة عبارة عن قاعة متقشفة على الطراز القوطى الجديد، ذات أعمدة مزينة بنقوش أوراق الشجر، وأقواس مستدقة الرؤوس، وقبب مزخرفة. وكان هواها ساكناً كسكن القبور، وتقوى منه رائحة البخور الخفيفة.

وعند أسفل السلم، رأى كوة عميقa إلى اليسار. كانت أرضها المكسوة بالحجر الرملي الباهت تضم لوحاً رمادياً بسيطاً ممتدأً بشكل أفقي، ومحاطاً بالمصابيح. إنه الرجل نفسه، أدرك لانغدون ذلك وهو يقرأ النقش.

أنطونيوس غاويدي

بينما كان لانغدون يتأمل ضريح غاويدي، شعر بألم خسارة إدموند مجدداً. نظر إلى تمثال السيدة العذراء فوق القبر الذي حملت عارضته رمزاً غير مألوف. لكن، ما هذا؟!



رمق لانغدون الأيقونة الغربية.

نادراً ما رأى لانغدون رمزاً لم يستطع التعرّف عليه. وفي هذه الحالة، كان الرمز مؤلفاً من الحرف اليوناني لاما، والذي لم يظهر بحسب تجربته في الرمزية المسيحية. فقد كان الحرف لاما رمزاً علمياً شائعاً في مجالات التطور، وفيزياء الجسيمات، وعلم الكونيات. والأغرب أنَّ هذا الحرف كان يعلوه هنا صليب مسيحي.

الذين يدعنه العلم؟ لم يسبق لانغدون أن رأى شيئاً كهذا.

سأله بینیا وهو يقترب منه: "هل أثار الرمز استغرابك؟ لستَ وحدك، فالثثرون يسألون عنه. وهو ليس أكثر من تأويل حداطي فريد لصليب على قمة جبل". اقترب لانغدون أكثر، ورأى الآن النجوم المذهبة الثلاث التي ترافق الرمز.



فكَّر لانغدون في سره وهو يتأمل الرمز كاملاً: النجوم الثلاث في هذه الوضعية تعني أنه صليب على قمة جبل الكرمل. "إنه صليب كرملي".

بالضبط. فجثمان غاوي يرقد تحت تمثال سيدة جبل الكرمل المباركة.

"وهل كان غاوي كرملياً؟". فقد وجد لانغدون أنَّ من الصعب تخيل المهندس المعماري الحداثي معتقداً تفسير الأخوية الصارم للكاثوليكية والعادى إلى القرن الثاني عشر.

أجاب بینیا صاححاً: "بالتأكيد لا. لكنَّ الراهبات اللواتي كنَّ يعتنلن به كنَّ كرمليات. فمَّا مجموعة من الراهبات اللواتي عشن مع غاوي واهتممن به في سنواته الأخيرة، واعتقدن أنه سيقدر أن تستمر الرعاية بعد وفاته أيضاً، فقدمن له هذه الهدية السخية".

"يا لكرمهن!". قال لانغدون ذلك وهو يوثُّق نفسه سرًّا لإساعته تفسير مثل هذا الرمز البريء. فعلى ما يبدو، حتى هو تأثر بنظريات المؤامرة التي انتشرت هذه الليلة.

فجأة، سالت أمبرا: "أهذا كتاب إدموند؟".

القف إليها الرجلان، وكانت تشير إلى بقعة معتمة إلى يمين قبر غاوي.

أجاب بینیا: "أجل. أنا اعتذر على هذه الإضاعة الخاففة".

أسرعت أمبرا إلى صندوق العرض، يتبعها لانغدون الذي رأى أنَّ الكتاب قد وضع في منطقة معتمة من السرداب، يحجبه عمود ضخم إلى يمين قبر غاوي.

قال بينيا: "تحن نعرض عادة الكتب الإعلامية هناك، ولكنني نقلتها إلى مكان آخر لأفسح المجال لكتاب السيد كريش. ولا يبدو أن أحداً قد لاحظ ذلك". انضم لانغدون بسرعة إلى أميرا التي وقفت أمام صندوق يشبه القفص يعلوه سطح زجاجي مائل. في الداخل، وُضعت نسخة مجلدة ضخمة لأعمال ولیام بلیک الكاملة، مفتوحة على الصفحة 163، وكانت بالكاد مرئية في الضوء الخافت. كما قال بينيا؛ لم تكن تلك الصفحة تضم أي قصيدة، بل صورة رسمها بلیک. كان لانغدون قد تسأله عن الصورة التي تحتويها هذه الصفحة من بين صور بلیک الله، ولكنه بالتأكيد لم يتوقع هذه الصورة.

الأيام القديمة. تأمل رسم بلیک الشهير بالألوان المائية العائد إلى عام 1794. في فوجئ لانغدون من أن الأب بينيا وصف هذا الرسم بأنه "صورة للمسيح". في الواقع، يبدو الرسم لوحة مسيحية نموذجية، يظهر فيها رجل مسن قوي البنية وملتح، أشيب الشعر، يطفو فوق السحب ويمد يده نحو السماء. لكن، لو أن بينيا أجرى القليل من البحث لعرف أن الصورة شيء مختلف تماماً. فالرجل الذي يظهر فيها ليس المسيح، بل في الواقع هو إله يدعى أوريزن، وهو مُستلهم من خيال بلیک البصري، وهو يقوم في هذه الصورة بقياس السماء بواسطة بوصلة جيومترية ضخمة، في لفته تكريمية للقوانين العلمية للكون.

كانت اللوحة مستقبلية جداً بأسلوبها؛ حيث إن عالم الفيزياء والملحد الشهير ستيفن هوکینغ اختارها بعد قرون من الزمن غلافاً لكتابه. إذ يظهر عالم الهندسة القديم وهو يحقق إلى الأسفل من منحوتة فتية تحمل عنوان الحكمة، والنور، والصوت. رقم لانغدون كتاب بلیک، وتساءل مجدداً عن السبب الذي جعل إدموند يبذل كل هذا المجهود ليعرضه هنا. أهي مجرد نزعة انتقامية؟ صفة على وجه الكنيسة المسيحية؟

فكراً لانغدون في سره وهو ينظر إلى أوريزن: إن حرب إدموند على الدين لم تخب أبداً. لقد سمحت الثروة لإدموند بفعل ما يحلو له في الحياة، حتى ذهب إلى حد عرض فن تجديفي في قلب كنيسة مسيحية.

الغضب والحدق، قد يكون الأمر بهذه البساطة. سواء أكان إدموند عادلاً أم لا، طالما ألقى اللوم بوفاة والدته على الكنيسة البالمارية.

قال بينيا: "بالطبع، أنا أدرك تماماً أن هذه اللوحة ليست للمسيح". الفت لانغدون إلى الكاهن المسن بدھشة. "حقاً!".

"أجل، فقد كان إدموند واضحاً تماماً في هذا الشأن، مع أنه لم يكن بحاجة إلى ذلك، فأنا على اطلاع على أفكار بلیک".

"ومع ذلك، ألم تجد أي مشكلة في عرض هذا الكتاب؟".

همس الكاهن وهو يبتسم برقّة: "حضررة البروفيسور ، هذه ساغرادا فاميليا. داخل هذه الجدران، جمع غاودي بين الإيمان والعلم والطبيعة. وموضوع هذه اللوحة ليس جديداً علينا". لمعت عيناه بغموض. "ليس جميع رجال الدين تقدّميين بقدري، لكن كما تعلم، تبقى المسيحية بالنسبة إلينا جميعاً عملاً قيد التطور ابتسماً بطف، ثم أومأ إلى الكتاب مضيفاً: "أنا مسرور وحسب لأن السيد كيرش وافق على عدم عرض بطاقة العنوان مع الكتاب. فنظرأً لسمعته، لست واثقاً من كيفية شرح ذلك؛ لا سيما بعد العرض الذي قدمه هذه الليلة". صمت بینیا قليلاً، وتوجه وجهه. "مع ذلك، أنا أشعر أنَّ هذه الصورة ليست ما تبحثان عنه، أليس كذلك؟".

"أنت على حق. نحن نبحث عن بيت شعر لبليلك".

قال بینیا: "أيها النمر الذي تتوهج في غابات الليل؟".

ابتسم لانغدون، وقد فوجئ لأنَّ بینیا يعرف البيت الأول من أشهر قصيدة لبليلك، وهي عبارة عن ستة مقاطع شعرية تشتمل على تساؤل ديني حول ما إذا كان الله الذي خلق النمر المخيف هو نفسه الذي خلق العمل الوبيع.

"أيتها الأب بینیا". كانت أميراً منحنية وتحدق بتركيز من خلال الزجاج. "هل تملك هائناً أو مصباحاً بالمساعدة؟".

"كلا، أنا آسف. هل أحضر لك مصباحاً من قبر أنطونи؟".

"أجل من فضلك، سيكون هذا جيداً".

ابتعد بینیا مسرعاً.

وما إن انصرف حتى همست بالاحاج في أذن لانغدون: "روبرت! لم يقم إدموند باختيار الصفحة 163 بسبب اللوحة!".

"ماذا تعنين؟. ما من شيء آخر في الصفحة 163".

"إنه مجرد تمويه ذكي".

قال لانغدون وهو يرمي اللوحة: "لا أفهم".

لقد اختار إدموند الصفحة 163 لأنَّه من المستحيل عرضها من دون عرض الصفحة المجاورة في وقت واحد، أي الصفحة 162!!".

حوال لانغدون نظره إلى اليسار، وتفحص الورقة التي تسبق لوحة الأيام القديمة. وفي الضوء الخافت، لم يستطع رؤية الكثير، باستثناء أنَّ الصفحة تتآلف على ما يبدو من نصٍ مكتوب بخطٍ يدوى صغير.

عاد بینیا حاملاً مصباحاً، وأعطاه لأميراً التي حملته عالياً فوق الكتاب. ومع انتشار الوهج الخافت فوق المجلد المفتوح، شهد لانغدون من شدة الدهشة.

كانت الصفحة المقابلة بالفعل نصاً مكتوباً بخط اليد مثل جميع مخطوطات بليك الأصلية، وكانت هواشمها مزينة بالرسوم، والأطر، والصور المختلفة. لكن الأهم من كل ذلك أن النص الذي تحتويه الصفحة بدا مكتوباً في مقاطع شعرية أنيقة.

فوفهم مباشرة في المحراب الرئيس، أخذ العميل دياز يروح ويجيء في الظلام وهو يتسائل عن المكان الذي ذهب إليه شريكه.
ينبغي أن يكون فونسيكا قد عاد.

وعندما بدأ الهانف في جبيه يهتز، اعتقد أن فونسيكا يتصل به على الأرجح. لكن، عندما تحقق من هوية المتصل، رأى اسمًا لم يتوقعه على الإطلاق.

مونيكا مارتن

لم يستطع أن يتخيل ما تريده منه منسقة العلاقات العامة في هذه الساعة. لكن أياً يكن، كان يجدر بها الاتصال بفونسيكا مباشرة؛ فهو المسؤول عن هذا الفريق.

أجاب: "ألو، معك دياز
أيها العميل دياز، معك مونيكا مارتن. ثمة شخص هنا يرغب في التحدث إليك".
بعد لحظة، أتاه صوت مألوف عبر الخط: "العميل دياز، معك القائد غارزا.
أرجوك أكد لي أن الآنسة فيدال بخير".

"أجل سيادة القائد". تأهب دياز فوراً وهو يسمع صوت غارزا. "الآنسة فيدال على
خير ما يرام. أنا والعميل فونسيكا معها في الوقت الحاضر بأمان داخل -"
قاطعه غارزا بحدة: "لا نتكلّم على خط مفتوح. إن كانت في مكان آمن فأبقها
هناك ولا تخرجوا. لقد ارتخت لسماع صوتك. حاولنا الاتصال بالعميل فونسيكا ولكنه لم
يجب. أهو معك؟".

"أجل. ولكنه ابتعد قليلاً لإجراء اتصال، وكان ينبغي له العودة الآن -"
"لا وقت لدى للانتظار. أنا محتجز في هذه اللحظة، والآنسة مارتن أعارتني
هاتفها. أصagne إلى جيبدأ. قصّة الاختطاف كما تعلم بلا شك مزيفة بالكامل، وقد عرضت
الآنسة فيدال لخطر كبير

أكبر مما تخيل. هذا ما فكر فيه دياز وهو يعود بذهنه إلى المشهد الفوضوي على
سطح كازا ميلا.
كذلك، إن خبر محاولتي الإيقاع بالأسقف فالديسبينو ليس صحيحاً أيضاً.
هذا ما تخيلته سيدتي، لكن -"

"أنا والآنسة مارتن نبذل قصارى جهودنا لإدارة هذه الأزمة، لكن حتى ذلك الحين، عليكما بإبعاد الملكة المستقبلية عن عيون العامة. أهذا واضح؟".
"بالطبع، سيدتي. لكن، من أصدر الأمر؟".

"لا أستطيع إخبارك عبر الهاتف. لكن، ما عليك سوى تنفيذ ما أقوله، وإبعاد أمبرافيدال عن وسائل الإعلام وعن الخطر. ستطلعك الآنسة مارتن على أي تطورات أخرى".

أنهى غارزا المكالمة، بينما وقف دياز بمفرده في الظلام محاولاً فهم ما يجري. مذ يده لإعادة الهاتف إلى سترته، وفي هذه اللحظة سمع حفيظ قماش خلفه. وما إن استدار حتى خرجت يدان شاحبتان من الظلام وأمسكتا برأسه بقوّة. وسرعة هائلة، دفعتاه بقوّة جانباً.

شعر دياز بقطقة في رقبته تبعها ألم حارق اجتاح جمجمته.
وسرعان ما خيم الظلام.

الفصل 71

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

أمل جديد لاكتشاف كيرش القبلة!

أعلنت منسقة العلاقات العامة في قصر مدريد مونيكا مارتن ببيان رسمي زعمت فيه أن ملكة إسبانيا المستقبلاً أمبراء فيدال قد تعرضت للخطف، وأنها محتجزة كرهينة من قبل البروفيسور الأميركي روبرت لانغدون. وحثّ القصر السلطات المحلية على المشاركة في البحث عن الملكة.

غير أن المخبر المدني monte@iglesia.org أرسل لنا للتو البيان التالي:

مزاعم الخطف الصادرة عن القصر مزيفة مائة بالمائة. فهي مكيدة لاستخدام الشرطة المحلية من أجل توقيف لانغدون ومنعه من تحقيق هدفه في برشلونة (لانغدون/فيدال يعتقدان أنهما ما زلا يستطيعان إيجاد طريقة لنشر اكتشاف كيرش للعالم). وفي حال وفقاً في ذلك، فقد يتم بـ عرض كيرش مباشرة في أي لحظة. ترقبوا أي جيد.

أمر لا يصدق! وقد سمعتم هذا الخبر هنا أولاً، أي أن لانغدون وفيدال هرباً لأنهما يريدان إنهاء ما بدأه إدموند كيرش! يبدو أن القصر يائس لإيقافهما. (أهو فالديسيبينو مجده؟ وأين الأمير من كل هذا؟).

سنطلعكم على كل جديد فور وروده.تابعونا لأنَّ أسرار كيرش قد تكشف هذه الليلة.

الفصل 72

شد نظر الأمير جولييان عبر نافذة سيارة الأولي سيدان وهم يعبرون الطريق الريفي وحاول أن يفهم سبب سلوك الأسقف الغريب.

فالديسيبينو يخفى شيئاً. مكتبة الرمحي أحمد

مضت أكثر من ساعة منذ أن اصطحبه الأسقف سراً من القصر، وهو عمل غير مألف على الإطلاق؛ مؤكداً له أنه يفعل ذلك حفاظاً على سلامته.

طلب مني ألا أطرح الأسئلة... بل أن أثق به وحسب.

لطالما كان الأسقف أقرب إلى عم بالنسبة إليه، وصديقاً موثقاً لجولييان منذ البداية. ثمة خطب فالديسيبينو بالاختباء في منزل الأمير الصيفي بدا مربكاً لجولييان منذ البداية. ثمة خطب ما. فأنا معزول تماماً، بلا هاتف، ولا حرس، ولا أخبار، ولا أحد يعرف مكاني. والآن، مع مرور السيارة من فوق سكة القطار المحاذية لказيتنا دي برينسبيبي، حدق جولييان إلى الطريق الخشبية الممتدة أمامه. على مسافة مائة ياردة إلى الأمام، لاح مدخل الطريق الخاصة الطويلة والمحاطة بالأشجار التي تؤدي إلى المنزل البعيد.

تخيل جولييان المنزل الخالي، وشعر بالحذر المفاجئ. مال إلى الأمام ووضع يدأ حازمة على كتف مساعد الأسقف الجالس خلف المقود، وقال له: "أوقف السيارة هنا من فضلك".

فالتفت إليه فالديسيبينو بدهشة. "كثنا على وشكـ"

صاحب الأمير بصوت عالٍ داخل السيارة الصغيرة: "أريد أن أعرف بما يجري!".

"دون جولييان، لقد كانت هذه الليلة مليئة بالأحداث، لكن يجب عليكـ"

سأله جولييان: "أ يجب على أن أثق بك؟".
"أجل".

ضغط جولييان على كتف السائق الشاب وأشار إلى طرف الطريق الريفي الخالية المكسوة بالأعشاب وأمره بحدة: "توقف هنا".

فاعترض فالديسيبينو قائلاً: "واصِل سيرك، دون جولييان، سأشرحـ"
صاحب الأمير: "أوقف السيارة!".

انحرف مساعد الكاهن إلى حيث أشار الأمير، وأوقف السيارة فوق العشب. أمره جولييان وبضمه يتسرّع: "اسمح لنا ببعض الخصوصية من فضلك". لم يكن الشاب بحاجة إلى سماع الأمر مررتين، بل قفز فوراً من السيارة المتوقفة، وأسرع متقدعاً في الظلام، تاركاً فالديسيبينو وجولييان بمفردهما على المقعد الخلفي. وفي ضوء القمر الشاحب، بدا فالديسيبينو خائفاً فجأة.

قال جولييان بنبرة أمّرة أجهلته هو نفسه: "عليك أن تخاف". تراجع فالديسيبينو إلى الخلف، وبدأ مذهولاً من نبرة الأمير التهديدية التي لم يسبق له أن استخدمها معه من قبل.

قال جولييان: "أنا ولّي عهد إسبانيا. وهذه الليلة قمت بإبعاد الحرس، ومنعتي من الوصول إلى هاتفي وموظفي، كما حظرت عليّ سماع الأخبار، ورفضت السماح لي بالاتصال بخطيبتي".

"أنا اعتذر حقاً".

غير أن جولييان قاطعه وهو يحدّق إليه: "عليك أن تبذل مجهوداً أكبر". وحدّق بحدة إلى الأسقف الذي بدا صغير الحجم على نحو غريب في تلك اللحظة. أخذ فالديسيبينو نفساً بطيئاً، والتفت إلى جولييان في الظلام وقال: "دون جولييان، لقد أتاني اتصال في وقت سابق من هذه الليلة، وقيل لي"-
"الاتصال من قبل من؟".

تردّد الأسف. "من قيل أريك. فهو غاضب جداً".

حقاً! كان جولييان قد زار والده منذ يومين وحسب في قصر زارزويلا ووجد معنوياته ممتازة، على الرغم من تدهور صحته. "وما سبب غضبه؟".
"مع الأسف، شاهد العرض الذي قدمه إدموند كيرش".

ذهب جولييان كثيراً. فوالده المريض ينام عشرين ساعة تقريباً في اليوم، وليس من المتوقع إطلاقاً أن يكون مستيقظاً في تلك الساعة. بالإضافة إلى ذلك، لطالما منع الملك وجود التلفزيونات وأجهزة الكمبيوتر في غرف النوم في القصر، وأصرّ على أنها أماكن مخصصة للنوم والقراءة. وممراضات الملك ما كنّ ليسمحون له بمحاولة النهوض من السرير لمشاهدة عرض دعائي يقدمه ملحد.

قال فالديسيبينو: "إنه خطئي. فقد أعطيته جهاز كمبيوتر لوحياً منذ بضعة أسابيع لكنّي لا يشعر أنه معزول عن العالم. وكان يتعلّم إرسال الرسائل النصية والإلكترونية. وهكذا انتهى به الأمر بمشاهدة محاضرة كيرش عبر جهازه اللوحي".

انزعج جولييان كثيراً وهو يفكّر في أنّ أباه الذي يعيش على الأرجح الأسابيع الأخيرة من حياته شاهد بثاً مناهضاً للكاثوليكية ومثيراً للشقاق انتهى بعمل إجرامي.

عوضاً عن ذلك، كان ينبغي أن يتأمل الملك في هذه الفترة بإنجازاته العديدة والاستثنائية في بلاده.

تابع فالديسيبينو قائلاً وهو يستعيد تماسكه: "وكما يمكنك أن تخيل، كانت مخاوفه عديدة، ولكنه استاء بشكل خاص من تصريحات كيرش، ومن قيام خطيبتك باستضافة الحدث. فقد وجد الملك أن مشاركة الملكة المستقبلية قد انعكست بشكل سيئ جداً عليك... وعلى القصر

"أميراً امرأة مستقلة، وأبى يعرف ذلك".

"فليكن، لكن عندما اتصل كان واضحاً جداً وغاضباً على نحو لم أعهد له فيه منذ سنوات. وأمر أن أحضرك إليه على الفور".

"ولماذا نحن هنا إذًا؟". سأله جولييان وهو يشير إلى الطريق المؤدية إلى منزله. "إنه في زارزولا".

قال فالديسيبينو بصوت خافت: "لم يعد هناك. فقد أمر مساعديه وممرضاته بإلباسه ووضعه على كرسي متحرك واصطحابه إلى موقع آخر ليمضي فيه أيامه الأخيرة محاطاً بتاريخ بلاده".

عندما قال الأسقف ذلك، أدرك جولييان الحقيقة.

لم يكن منزلي الصيفي وجهتنا من الأساس.

حول جولييان نظره عن الأسقف وهو يرتجف، وحدق إلى الطريق الريفية الممتدة أمامهما. في البعيد، بين الأشجار، استطاع رؤية الأبراج المصيّنة لمبني ضخم. إلى إسکوريال.

على مسافة أقل من ميل، بدا أحد أكبر الأبنية الدينية في العالم، مثل قلعة عند أسفل جبل أبانتوس؛ مبني الإسکوريال الشهير في إسبانيا. يضم المجمع الذي يمتد على مساحة ثمانية أكرات ديراً وبازيليك وقصرًا ملكياً ومكتبة، فضلاً عن سلسلة من غرف الموت الأكثر رعباً التي رآها جولييان في حياته.

السرداب الملكي.

كان والد جولييان قد أحضره إلى السرداب عندما كان في الثامنة من عمره فقط، وقد الصبي عبر مدفن الأطفال الذي يضم غرف دفن تزدحم بقبور الأطفال الملكيين. لن ينسى جولييان يوماً قبر "كعكة عيد الميلاد" المرعب الذي رأه في القبو، وكان عبارة عن قبر مستدير ضخم يشبه كعكة بيضاء ويحتوي على رفاة ستين طفلاً ملكياً، جميعهم وضعوا في "أدراج" وأدخلوا في جوانب "الكعكة" إلى الأبد.

غير أن فطاعة هذا المشهد الكثيف تلاشت من ذهن جولييان لاحقاً عندما اصطحبه والده لرؤية مرقد والته الأخير. إذ توقع أن يرى قبراً رخامياً يليق بملكة، ولكنه

عوضاً عن ذلك رأى جثمان أمّه ممتدّاً في صندوق عادي جداً في غرفة حجرية عارية عند نهاية رواق طويل. شرح له الملك أنّ أمّه مدفونة حالياً في بودريبرو، أي "حجرة تحليل" تُدفن فيها الجثامين الملكية لمدة ثلاثين عاماً إلى ألا يتبقّى منها شيء سوى الغبار، وعندئذ يتم نقلها إلى قبورها الدائمة. فتنكّر جولييان أنه احتاج يومذاك إلى كلّ قوته لمقاومة الدموع وشعور الغثيان الذي أصابه.

بعد ذلك، أصطحبه والده إلى أعلى سلم شديد الانحدار يبدو أنه يهبط إلى ما لا نهاية في الظلام. هناك، لم تعد الجدران والدرجات رخامية بيضاء، بل ذات لون عنبري مهيب. وتوزّعت شموع النذور كلّ ثلات درجات ملقيّة ضوءها المتمايل على الحجر الصغراوي.

منذ جولييان الصغير يده وأمساك بالدرابزين القديم، ثم هبط مع أبيه درجة تلو الأخرى... عميقاً في الظلام. عند أسفل السلم، فتح الملك باباً مزخرفاً وابتعد جانباً، مشيراً لجولييان للدخول.

قال له والده: "هذا مدخل الملوك".

حتى في سن الثامنة، كان جولييان قد سمع عن هذه الغرفة، مكان الأساطير. دخل الصبي وهو يرتجف، ووجد نفسه في غرفة عنبرية متلائمة. كانت الغرفة مثنتة الأضلاع، تتوح فيها رائحة البخور، وتبعد وكأنّها تتمايل أمام العين في الضوء غير الثابت للشموع التي كانت مشتعلة في الثريا المعلقة في السقف.

ذهب جولييان إلى وسط الغرفة، واستدار ببطء في مكانه وشعر بالبرد وبصغر حجمه في ذلك المكان المهيب.

احتوت جميع الجدران الثمانية على كواكب تكتست فيها توابيت سوداء متشابهة من الأرض إلى السقف، وعلقت على كلّ منها لوحة ذهبية تحمل اسمها. كان جولييان قد قرأ الأسماء المكتوبة على التوابيت في كتب التاريخ؛ الملك فريديناند... الملكة إيزابيلا... الملك شارل الخامس، الإمبراطور الروماني.

في الصمت المخيم على المكان، شعر جولييان بقليل يد والده العطوف على كتفه، وصعقته خطورة تلك اللحظة. يوماً ما، سيفن أبي في هذه الغرفة.

صعد الأب وابنه من أعماق الأرض في صمت مطبق، بعيداً عن أجواء الموت، وعاداً إلى الضوء. وما إن خرجا إلى شمس إسبانيا الساطعة حتى رکع الملك ونظر إلى عيني ابنه جولييان. همس الملك: "Memento mori". تذكر الموت. حتى بالنسبة إلى أولئك الذين يمكنهم قوّة عظيمة، تعتبر الحياة قصيرة. لكن، ثمة طريقة واحدة للانتصار على الموت، وذلك بتحقيق الواقع في حياتنا. علينا أن نستغل كلّ الفرص الممكنة لظهور اللطف وتحبّب من أعماق قلوبنا. أنا أرى في عينيك ألك تملك روح أمّك الكريمة.

ضميرك سيكون دليلاً. وفي لحظات الحياة الحالكة، دع قلبك ينير لك الطريق".
بعد عقود من الزمن، لم يكن جولييان بحاجة إلى أي تذكرة ليدرك أنه لم يحقق
الكثير من الروائع في حياته. في الواقع، بالكاد تمكّن من الخروج من ظلّ الملك وبناء
شخصية مستقلة به.

لقد خذلت أبي في كل شيء.
لسنوات، أخذ جولييان بنصيحة أبيه وترك قلبه يقوده. لكن الطريق كانت وعرة،
وذلك لأن قلبه كان يتوق إلى إسبانيا مختلفة تماماً عن إسبانيا أبيه. فقد كانت أحلام
جولييان بيده الحبيب جريئة جداً، حيث ما كان من الممكن أن يكتشفها قبل وفاة أبيه.
وحتى في تلك الحال، لم يكن واثقاً من كيفية استقبال أفعاله؛ ليس فقط من قبل القصر
الملكي، بل من قبل الأمة بأكملها. لذلك، لم تكن بيد جولييان حيلة سوى الانتظار، وإبقاء
قلبه مفتواحاً، واحترام التقاليد.

لكن فجأة، منذ ثلاثة أشهر، تغير كل شيء.
التغييت أمرًا فيدال.

قلبت تلك المرأة الجميلة بشخصيتها المرحة والقوية عالم جولييان رأساً على عقب.
ففي غضون بضعة أيام من لقائهما الأول، فهم جولييان أخيراً معنى كلام أبيه. دع قلبك
ينير لك الطريق... واستغل كل الفرص الممكنة لتحبّ من أعماق قلبك! فإغراء الوقع
في الحبّ كان مختلفاً عن كلّ ما عاشه جولييان حتى ذلك الحين، وشعر أنه ربما كان
أخيراً يتّخذ خطواته الأولى نحو تحقيق الروائع في حياته.

غير أنّ الأمير كان في تلك اللحظة يحدّق بشروع إلى الطريق الممتدّ أمامه، وقد
غلبه إحساس مخيف بالوحدة والعزلة. فقد كان والده يحضر، والمرأة التي يحبّها لا
تتحدث إليه، كما أنه وبخ للتو معلمته الموثوق؛ الأسقف فالديسيبينو.
حثّه الأسقف بلطف: "سموّ الأمير جولييان، علينا الذهاب. فالدك ضعيف وهو
يتوق للتحدث إليك".

التفت جولييان ببطء إلى صديق أبيه القديم، ثم همس قائلاً: "كم من الوقت بقي
لديه برأيك؟".

ارتجم صوت فالديسيبينو كما لو كان على شفير البكاء. "لقد طلب مني ألا أسبّب
لك القلق، لكنني أشعر أن النهاية قادمة أسرع مما توقعنا. وهو يريد أن يودّعك".
سأله جولييان: "ولماذا لم تخبرني عن وجهتنا منذ البداية؟ لم كلّ هذا التكتّم
والكذب؟".

"أنا آسف، لم يكن لدى خيار. فقد أعطاني والدك أوامر صريحة. أمرني أن أعزلك
عن العالم الخارجي وعن الأخبار إلى أن يتمكّن من التحدث إليك شخصياً".

"على عن... أي أخبار؟".

"أعتقد أنه من الأفضل أن أدع والدك يشرح لك".

تأمل جولييان الأسقف مطولاً. قيل أن أراه، ثمة شيء أريد معرفته. فهو بكمال قواه العقلية؟".

نظر إليه فالديسيينو بتردد. "لماذا تسأل؟".

"لأن طلباته اليوم تبدو غريبة وانفعالية".

أومأ فالديسيينو برأسه بحزن وقال: "سواء أكانت انفعالية أم لا، فما زال والدك هو الملك. أنا أحبه، وأنفّذ أوامره. جميعنا نفعل".

الفصل 73

وقف روبرت لانغدون وأميرا فيدال جنباً إلى جنب أمام صندوق العرض، وحققاً إلى مخطوطة ولIAM بليك المضاءة بالوهج الخافت لمصباح الزيت. كان الأب ببنيا قد ابتعد لتعديل بضعة مقاعد، مانحاً إياهما بأدب بعض الخصوصية.

وجد لانغدون صعوبة في قراءة الأحرف الصغيرة لنص القصيدة المكتوب بخط اليد، لكن العنوان الأكبر حجماً في أعلى الصفحة كان مقروءاً تماماً.

The Four Zoas

الحيوانات الأربع

عندما رأى لانغدون هذه الكلمات، شعر على الفور ببارقة أمل. فقد كان هذا عنوان إحدى قصائد بليك التوقعية الأكثر شهرة؛ وهي عبارة عن عمل ضخم مقسم إلى تسع "ليالي" أو فصول. وكانت مواضع القصيدة، بحسب ما يذكر لانغدون من قراعته لها من أيام الجامعة، تمحور حول زوال الإيمان، وهيمنة العلم في نهاية المطاف.

تأمل لانغدون مقاطع القصيدة، ورأى السطور تنتهي في منتصف الصفحة عند رسم أننيق (finis divisionem)، وهو رسم بياني يعادل كلمة "النهاية".

هذه هي الصفحة الأخيرة من القصيدة. خاتمة إحدى روائع بليك التوقعية!

مال لانغدون وحده إلى الكتابة الصغيرة، ولكنه لم يستطع قراءة النص في ضوء المصباح الخافت.

ركعت أميرا حيث أصبح وجهها على بعد إنش واحد من الزجاج، ومررت بنظرها على القصيدة بسرعة، ثم توقفت لتقرا أحد الأبيات بصوت عالٍ.
*And Man walks forth from midst of the fires, the evil is all consum'd
nيران، وقد احترق الشر تماماً. التفت إلى لانغدون. "وقد احترق الشر تماماً!".
فكَّر لانغدون قليلاً، ثم هزَ رأسه بشروド. "اعتقد أنَّ بليك يشير إلى زوال الفساد الدينى".*

بدا الأمل في عيني أميرا: "قال إدموند إنَّ بيته الشعري المفضل توقع يأمل أن يتحقق يوماً ما".

قال لانغدون: "في الواقع، لا شَكَ في أن إيموند كان يرغب في مستقبل يسوده الإلحاد. من كم حرف يتألف هذا البيت؟".

بدأت أمبرا تعد الأحرف، ثم هزت رأسها قائلة: "إنه يزيد عن خمسين حرفًا".

عادت تتفحص القصيدة، ثم توقفت بعد برهة. "ماذا عن هذا البيت: *The Expanding eyes of Man behold the depths of wondrous worlds* المتوسطتان تريان أعماق عالم عجيبة".

قال لانغدون وهو يفكّر في المعنى: "ممكن". سيستمر الفكر البشري في النمو والتطور مع الزمن، مما يتبع لنا أن نرى الحقيقة على نحو أعمق.

قالت أمبرا: "لكنَّه يحتوي على الكثير من الأحرف أيضاً. سأواصل القراءة".

وبينما تابعت قراءة الصفحة، أخذ لانغدون يروح ويجيء خلفها مفكراً. فقد تردد صدى البيتين اللذين قرأتهما في عقله، واستحضرها ذكرى قيمة لقراءاته لأعمال بليك في أحد صفوف الأدب البريطاني في برلينستون.

بدأت الصور تتكون في ذهنه كما يحدث أحياناً مع ذاكرته البصرية. واستحضرت تلك الصور صوراً جديدة، في تتبع مستمر. فجأة، وبينما هو واقف في القبو، لمعت في ذهنه صورة لأستاذة الذي وقف أمام الصحفَ بعد أن أتمَ الطالب قراءة الحيوانات الأربعية، وسألهم الأسئلة القديمة عن قدم الزمن: مَاذا تختررون؟ عالم بلاين أم عالم بلا علم؟ ثم أضاف البروفيسور: من الواضح أنَّ ولIAM بليك يفضل أحد الاثنين، ولا يمكن تخييص أمله للمستقبل أفضل مما فعل في البيت الأخير من هذه القصيدة الملحمية.

شهق لانغدون واستدار نحو أمبرا التي كانت لا تزال منكبة على قراءة نصّ بليك.

قال وهو يتذكر البيت الأخير: "أمبرا، اذهبي إلى نهاية القصيدة!".

نظرت أمبرا إلى آخر القصيدة. وبعدها ركّزت للحظة، استدارت إليه وقد حملقت بعينيها مندهشة.

انضم إليها لانغدون وحقّق إلى النص. والآن، بعدما أصبح يعرف البيت المقصود، استطاع قراءة الخط الباهت:

The dark religions are departed & sweet science reigns.

قرأت أمبرا البيت بصوت عالٍ: "زال الإيمان المظلم وساد العلم النقى".

لم يكن ذلك البيت توقع يؤيده إيموند فحسب، بل كان أساس العرض الذي قدمه في هذه الليلة.

سيزول الإيمان... وسيسود العلم.

بدأت أمبرا تعدّ بعنابة أحرف البيت، لكن لانغدون أدرك أنه لا داعي لذلك. فهذا هو البيت الذي يبحثان عنه بلا شك. كان عقله قد تحول إلى كيفية الوصول إلى وينستون وإطلاق عرض إدموند. فالخطوة التي وضعها لانغدون لتحقيق ذلك كانت تحتاج إلى حديث خاص مع أمبرا.

الفتت إلى الأب بينيا الذي كان قد عاد للتو وسأله: "أبِّ، لقد انتهى عملنا هنا تقريباً. هل تمانع في الصعود إلى الأعلى والطلب من عميلي الحرس الملكي استدعاء المروحية؟ علينا المغادرة حالاً."

قال الأب بينيا وهو يتوجه نحو السلم: "بالطبع. أتمنى أن تكونا قد وجدتما ما أتيتما من أجله. أراكما بعد لحظات". وبينما اختفى الكاهن على السلم، الفتت أمبرا إلى روبرت وقد بدا عليها قلق مفاجئ.

"روبرت، البيت قصير جداً. فقد عدته مرتين، إنه لا يتجاوز ستة وأربعين حرفاً. نحن بحاجة إلى سبعة وأربعين".

"ماذا؟!". ذهب إليها لانغدون، وحذق إلى النص، ثم عدّ أحرفه المكتوبة بخط اليد بعنابة. "The dark religions are departed & sweet science reigns". وبالفعل، كان عددها ستة وأربعين حرفاً. ذُهل، وتأمل البيت مجدداً. "هل أنت متأكدة من أن إدموند قال سبعة وأربعين وليس ستة وأربعين؟".

بالتأكيد".

أعاد لانغدون قراءة البيت. لكن، لا بد أن يكون هو، ما الذي فاتني؟ تأمل أحرف البيت الأخير من قصيدة بلير بعنابة. أوشك على الوصول إلى النهاية تقريباً عندما رأه.

. &*sweet science reigns*.

قال لانغدون: "إنها أداة العطف، الرمز الذي كتبه بلير عوضاً عن كامل الكلمة . "and

فرمته أمبرا باستغراب، ثم هزت رأسها قائلة: "روبرت، إن استبدلنا الرمز بكلمة ... ستحصل على ثمانية وأربعين حرفاً. وهي تزيد عن أحرف كلمة السرّ".

ابتسم لانغدون. هذا غير صحيح. إنه رمز داخل رمز.

تعجب لانغدون من حيلة إدموند الصغيرة الذكية. فقد استخدم العبروي المبالغ في الحرص خدعة مطبعية بسيطة لكي يضمن ألا يتمكن أحد من طباعة كلمة السرّ بشكل صحيح حتى لو اكتشف وبيته الشعري المفضل.

فكّر لانغدون: رمز العطف. لقد تنكره إدموند.

كان أصل رمز العطف من أول الأمور التي يعلمها لانغدون لطلاب صف الرموز . فرمز "&" كان لوغوغراماً، أي حرفياً صورة تمثل الكلمة. وفي حين أنَّ الكثير من الناس يفترضون أنَّ الرمز مشتقٌ من الكلمة الإنكليزية "and" ، إلا أنه مشتقٌ من الكلمة اللاتينية *et* . فقد كان التصميم غير المعتمد لرمز العطف "&" مزيجاً مطبعياً من الحرفين *E* و *T* ، ولا تزال الرابطة مرئية اليوم في بعض خطوط الكمبيوتر مثل *Trebuchet* ، الذي يظهر رمز العطف فيه على الشكل التالي "&" مبيناً بوضوح أصله اللاتيني.

لن ينسى لانغدون أبداً أنه في الأسبوع التالي بعدما علمَ صفتَ إيموند عن رمز العطف، أتى العقري الشاب مرتدياً قميصاً قطانياً طُبعَت عليه الرسالة التالية: *Ampersand phone home* !، في إشارة مرحة إلى فيلم المخرج سبيلبرغ حول كائن فضائي يدعى "ET" يحاول إيجاد طريق العودة إلى البيت.

والآن، بينما كان يتحقق إلى قصيدة بليك، استطاع أن يتخيّل كلمة سرَّ إيموند تماماً في عقله.

thedarkreligionsaredepartedetsweetsciencereigns

يا لعقل إيموند اللامع! هذا ما فكر فيه لانغدون وهو يطلع أميراً على خدعة إيموند الذكية التي استخدمها لرفع مستوى أمان كلمة السرَّ.

ما إن فهمت أميراً حقيقة الأمر حتى ابتسمت ابتسامة عريضة لم يرها لانغدون على وجهها منذ أن التقى. قالت: "حسناً، أعتقد أنتَ إنْ كان لدينا أدنى شكَّ حول مدى نكاء إيموند كيرش..." .

ضحك الاثنان، وتتنفسا الصعداء للحظات في عزلة القبو.

قالت بنبرة امتنان: "لقد وجدت كلمة السرَّ، وأشعر بأسف كبير لأنني خسرت هائف إيموند. لو كان لا يزال معنا، لتمكننا من إطلاق العرض حالاً".

فقال لها مطمئناً: "الذنب ليس ذنبك. وكما قلت لك، أنا أعرف كيف أجد وينستون".

على الأقل، هذا ما أظنه. وأمل أن يكون محقاً.

بينما كان لانغدون يتخيّل المشهد الجوي لبرسلونة، والأحجية غير الاعتيادية التي يضمها، كسر صمت القبو بضجيج صاحب تردد من الأعلى.

ففي الطابق العلوي، كان الأب بينينا يصرخ ويناديهما.

الفصل 74

أسرعا! آنسة فيدال... بروفيسور لانغدون... أصعدا إلى هنا بسرعة!". انطلق لانغدون وأمبرا يصعدان سلم القبو بينما واصل الأب بينيا صراخه البائس. وعندما وصلا إلى أعلى السلم، اندفع لانغدون إلى المحراب، ولكنه غرق في الظلام على الفور.

أنا لا أرى شيئاً!

تقدّم ببطء، وكافحت عيناه للتكيّف بعد ضوء مصابيح الزيت في الأسفل. وقفت أمبرا إلى جانبه، وحاولت أن تلمس طريقها هي الأخرى. صاح بينيا بيأس: "أنا هنا!".

تبعاً مصدر الصوت إلى أن رأياً أخيراً الكاهن عند أطراف بقعة الضوء المنبعثة من أسفل السلم. كان الأب بينيا راكعاً على ركبتيه، ومنحنياً فوق جسد ممدداً في الظلام. ما إن وصلا إلى جانب بينيا حتى أُجفل لانغدون لدى رؤيته جثة العميل دياز ممدداً على الأرض، ورأسه متلو على نحو غير طبيعي. كان دياز ممدداً على بطنه، لكن رأسه متلو إلى الخلف بمقدار 180 درجة، فاتحاً عينيه الخاليتين من الحياة على سقف الكاتدرائية. انكمش لانغدون رعباً، وفهم الآن سبب صرخات الأب بينيا المذعورة.

اجتاحته موجة خوف باردة، فوقف فجأة وهو يتلمس في الظلام بحثاً عن أي إشارة حركة في الكنيسة الضخمة.

همست أمبرا مشيرة إلى حزام دياز الخالي. "لقد اختفى مسدسه". ثم حدقت حولهم في الظلام ونادت: "أيها العميل فونسيكا؟!".

إلى جوارهم في الظلام، سمع وقع خطوات مفاجئ على الأرض، وصوت أجساد تصطدم في عراك شرس. بعد ذلك، وعلى نحو مفاجئ، دوى انفجار طلقة نارية على مسافة قريبة. أُجفل لانغدون وأمبرا وبينيا، بينما تردد صدى الطلقة في أرجاء الكاتدرائية، تبعه صوت متآلم يحثّم قائلاً: "Correl! Ahriyo!".

دوى طلقة ثانية، تبعها صوت اصطدام ثقيل، وبدا واضحاً أنه صادر عن جسد يرتطم بالأرض.

كان لانغدون قد أمسك بيد أميرا وراح يدفعها باتجاه الظلام بالقرب من الجدار الجانبي لحرم الكنيسة. تبعهما الأب بينيا، وانحمس الثلاثة بصمت متسريين عند الجدار البارد.

حاول لانغدون أن يرى شيئاً في الظلام وهو يكافح لفهم ما يجري.

لقد قام شخص ما بقتل نياز وفونسيكا للتو؟ من يوجد معنا هنا؟ وماذا ي يريد؟ لم يتخيّل لانغدون سوى إجابة منطقية واحدة، القاتل المختبئ في ظلام ساغرادا فاميليا لم يأتي إلى هنا لقتل عميلين من عملاء الحرس الملكي... لقد أتى سعياً وراء أميرا ولانغدون.

ما زال أحدهم يحاول رفن اكتشاف إيموند.

فجأة، أضيء شاعر مصباح ساطع في وسط المحراب، وأخذ يروح ويجيء في قوس عريضة متّجهاً نحوهم، فأدرك لانغدون أنّهم لا يمكنون سوى بضع ثوانٍ قبل أن يكشف المصباح مكانهم.

همس بينيا: "من هنا". وراح يدفع أميرا على طول الجدار في الاتجاه المعاكس. فتبعهما لانغدون بينما كان ضوء المصباح المتأرجح يقترب. فجأة، انعطاف بينيا وأميرًا إلى اليسار، واختفيا في فتحة في الجدار، فدخل لانغدون خلفهما ليتعثّر على الفور عند أسفل سلم. راحت أميرا وبينيا يصعدان الدرجات، ولحق بهما لانغدون ما إن استعاد توازنه. نظر إلى الخلف، فرأى شاعر الضوء يظهر تحته تماماً، وبينير أسفل السلم.

تجدد لانغدون في الظلام منتظراً.

بقى الضوء هناك للحظة طويلة، ثم بدأ يسطع أكثر.
إنه آتٍ في هذا الاتجاه!

سمع لانغدون أميرا وبينيا يصعدان السلم فوقه خلسة قدر الإمكان، فاستدار واندفع خلفهما، ولكنه تعثّر مجدداً واصطدم بسلم ليدرك أنّ السلم لم يكن مستقيماً، بل مقوساً. فوضع إحدى يديه على الجدار للاسترشاد به، وبدأ يدور إلى الأعلى في دوامة ضيقة، وسرعان ما فهم أين هو.

سلم ساغرادا فاميليا اللوليبي العذار الشهير.

نظر إلى الأعلى ورأى وهجاً خافتًا جدّاً يتسلّل من النوافذ العلوية، وكان كافياً ليرى لانغدون مدى ضيق الجدران التي تحيط به. فشعر بساقيه تتقلّسان، وأخذ يجاهد في صعود السلم وقد بدأت أعراض رهاب الأماكن المغلقة تداهمه.

ووصل صعودك! هذا ما أمره به عقله لكن عضلاته تقلّصت خوفاً.

في مكان ما في الأسفل، سمع لانغدون صوت خطوات تقيلة تقترب من داخل المحراب. فأجبر نفسه على مواصلة التقدّم، وصعود الدرجات اللولبية نحو الأعلى بأسرع

ما يمكنه. فوقه، أصبح الضوء الخافت أكثر سطوعاً مع مروره بفتحة في الجدار، وكانت عبارة عن شقّ عريض استطاع أن يلمع من خلاله أضواء المدينة. لفحته نسمة هواء باردة وهو يخرج من هذه النافذة، ويغوص مجدداً في الظلام وهو يتبع الصعود. وصلت الخطى إلى أسفل السلم، وتتقلّ ضوء المصباح عشوائياً في وسط الدرج. مر لانغدون بنافذة أخرى بينما كان وقع الخطوات يقترب مع إسراع صاحبها عبر السلم خلفهم.

لحق لانغدون بأمبرا والأب بينما الذي كان يلهث للتنفس. أطل لانغدون من الطرف الداخلي للسلم إلى وسط الدرج العميق. كانت الفتحة العميقة مسببة للدوار، وعبارة عن حفرة ضيقة ودائريّة تهبط في ما يشبه بوابة حلزونية عملاقة. ولم يكن ثمة حاجز في الواقع، بل حافة داخلية بارتفاع الكاحل لا تؤمن أي حماية على الإطلاق. حاول لانغدون مقاومة موجة الغثيان التي أصابته.

التفت مجدداً إلى الظلام الذي يعلو. كان لانغدون قد سمع أنَّ عدد الدرجات يتجاوز أربعينَ درجة. وفي هذه الحالة، ما من سبيل ليبلغوا القمة من دون أن يلحق بهم الرجل المسلّح.

قال بينما وهو يبعد جانباً ويبحث لانغدون وأمبرا على تجاوزه: "مرأا أنتما الاثنان!".

قالت أمبرا وهي تمد يدها لمساعدة الكاهن المسن: "مستحيل يا أبِّي".

أعجب لانغدون بسلوكها الحمائي، ولكنه عرف أيضاً أنَّ الهرب عبر هذا السلم كان انتحاراً، وسينتهي على الأرجح ببعض رصاصات في ظهرهم. وهذا أدرك أنه بين الغريزيتين الحيوانيتين للبقاء، أي القتال أو الفرار، لم يعد الفرار خياراً.

لن نتمكن من الهرب منه.

ترك لانغدون أمبرا والأب بينما يسبقانه، ثم استدار ووقف بثبات مواجهًا أسفل السلم اللوليبي. في الأسفل، راح ضوء المصباح يقترب. فتراجع إلى الجدار وانخفض في الظلام بانتظار وصول الضوء إلى الدرجات تحته. فجأة، انعطف القاتل وأصبح ضمن مجاله البصري. فرأى لانغدون شكلاً داكناً يتحرك ويداه ممدودتان إلى الأمام، واحدة تمسك بالمصباح والأخرى بمسدس.

تصرف لانغدون تلقائياً، فهبت من وضعيته ورمى بنفسه في الهواء، وقدماه إلى الأمام. رأه الرجل وبدأ يرفع مسدسه في اللحظة التي ارتطم فيها عقباً لانغدون بصدره في ضربة قوية دفعت الرجل إلى جدار السلم.

كانت الثانية التالية ضبابية.

سقط لانغدون على جنبه بقوّة، وشعر بألم مبرح في وركه، في حين أنَّ المهاجم تعثر إلى الخلف وسقط بضع درجات قبل أن ينكمّ و هو يئن ألماً. سقط المصباح من

يده وقفز على الدرجات، ثم تدحرج وتوقف مرسلًا شعاع ضوء منحرفًا على الجدار الجانبي، ومضيناً شيئاً معدنياً على الدرجات في منتصف المسافة بين لانغدون والمهاجم.
المستس.

اندفع الرجلان إلى المستس في اللحظة نفسها، لكن لانغدون كان أعلى منه ووصل إليه أولاً، ثم أمسك بالمقبض وصوّب السلاح إلى مهاجمه الذي وقف في مكانه في الأسفل، محتقناً بتحدة إلى فوهه المستس.

وفي وهج المصباح، رأى لانغدون رجلاً ذا لحية بدأ يغزوها الشيب يرتدي سروالاً أبيض ناصعاً... وعلى الفور عرف من يكون.
ضابط البحرية من متحف غوغنهايم...

صوّب لانغدون المستس إلى رأس الرجل، واضعاً سبابته على الزناد. "أنت من قتل صديقي إدموند كيرش".
كان الرجل يلهث، لكن جوابه أتى فورياً بصوت بارد كالجليد. "لقد أصبحنا متعادلين. فصديقك إدموند كيرش قُتل عائليتي".

الفصل 75

لقد حطم لانغدون أضلاعه!

كان الأميرال أفيلا يشعر بألم مبرح كلما تشق الهواء. فصدره يتقلص الماء مع كل نفس يأخذة في محاولة لإعادة الأوكسجين إلى جسده. حتى إليه روبرت لانغدون من الأعلى مصوياً مسدسه إلى جسد أفيلا.

سرعان ما بدأ هذا الأخير يستخدم خبراته العسكرية ويقيّم وضعه. في الجانب السلبي، عدوه يحمل مسدساً ويقف على مستوى أعلى منه. أما في الجانب الإيجابي، وبالنظر إلى الطريقة التي يمسك فيها البروفيسور المسدس، من الواضح أنَّ خبرته ضئيلة مع الأسلحة.

ليست لديه نية إطلاق النار على سينجوني وينتظر وصول رجال الأمن. ونظراً إلى الصراح الذي كان يعلو في الخارج، كان واضحاً أنَّ رجال الأمن التابعين لساغرادا فاميليا قد سمعوا صوت الطلقات، وهم الآن يسرعون لدخول المبني.

على أنَّ أتصرَّف بسرعة.

أبقى أفيلا يديه مرفوعتين في إشارة استسلام، ونهض ببطء على ركبتيه، مبدياً كل علامات الامتثال والإذعان.

أعطي لانغدون الإحساس بأنه يملك السيطرة الكاملة.

على الرغم من سقوط أفيلا على السلم، إلا أنه ظلَّ يشعر بال شيء الذي دسه في الجهة الخلفية من حزامه، وهو مسدس السيرامييك الذي قتل به كيرش في متحف غوغنهايم. كان قد أودع فيه الرصاصات الأخيرة قبل أن يدخل الكنيسة، ولكنه لم يجد حاجة لاستخدامه؛ إذ قتل أحد الحراسين بصمت وسرق مسدسه الأكثر فاعلية بكثير، والذي يصوّبه لانغدون عليه الآن. تمنى أفيلا لو أنه ترك المسدس مفتوحاً، فمن الواضح أنَّ لانغدون ما كان ليعرف كيفية فتحه.

فكَّر أفيلا بالقيام بحركة لسحب مسدس السيرامييك من حزامه وإطلاق النار على لانغدون أولاً، لكنَّ حَتَّى لو نجح، فإنَّ فرص بقائه على قيد الحياة لا تتجاوز الخمسين بالمائة. فمن مساوى استخدام أشخاص عديمي الخبرة الأسلحة، ميلهم لإطلاق النار عن طريق الخطأ.

إن تحرّكت بسرعة كبيرة...

كانت أصوات الصراخ تقترب، فعرف أفيلا أنه إن قبض عليه فسيضمن إطلاق سراحه بواسطة الوشم الموجود على كفه، أو على الأقل هذا ما أكد له الوصي. لكن في هذه اللحظة، بعدما قتل اثنين من علماء الحرس الملكي، لم يعد وائقاً مما إذا كان نفوذ الوصي سينقذه.

ذكر أفيلا نفسه قائلاً: لقد أتيت إلى هنا لتنفيذ مهمة وعليّ إتمامها. على القضاء على روبرت لأنغدون وأميرًا فيدال.

كان الوصي قد طلب من أفيلا دخول الكنيسة عبر البوابة الأمنية الشرقية، ولكنه قرر القفز عن السياج الأمني. فقد رأيت الشرطة عند البوابة الشرقية... ولهذا السبب قمت بالارتجال.

تكلم لأنغدون بحدة وهو يحذّق إلى أفيلا: "تقول إن إدموند كيرش قد قتل أسرتك، لكنّ هذا كذب. إدموند ليس بقاتل".

أنت على حق، لا بل هو أسوأ من قاتل.

كانت الحقيقة المظلمة حول كيرش سرًا لم يعرفه أفيلا سوى منذ أسبوع خلال مكالمة هاتفية مع الوصي. إذ قال له الوصي: البابا يريد منك استهداف العالم المستقبلي الشهير إدموند كيرش. ولقداسته دوافع كثيرة، ولكنه يود أن تتفّذ هذه المهمة شخصياً.

سأله أفيلا: ولماذا أنا؟

فهمس الوصي: أيتها الأمiral، أنا آسف لإخبارك بذلك، لكن إدموند كيرش هو المسؤول عن تغيير الكاتدرائية الذي أودى بحياة أسرتك.

في البداية، لم يصدق أفيلا ذلك إطلاقاً. فهو لم يجد أني سبب على الإطلاق يدفع عالم كمبيوتر مشهوراً لتغيير كنيسة.

فسرّح له الوصي قائلاً: أنت رجل عسكري أيتها الأمiral، وتعرف أكثر من أي شخص آخر. الجندي الشاب الذي يضغط على الزناد في المعركة ليس قاتلاً فعلياً، بل هو بيقي ينفذ عمل جهات أقوى منه؛ حكومات، قادة، زعماء دين... إما أن يكونوا قد دفعوا له المال أو ألقعوه بأنّ قضيتهم جدية بكل التضحيات.

بالفعل، سبق أن عاش أفيلا وضعماً كهذا.

تابع الوصي: القواعد نفسها تطبق على الإرهاب. فأكثر الإرهابيين شرّاً ليسوا الأشخاص الذين صنعوا القنابل، بل الرزعماء النافذين الذين يقومون بتغذية الحقد بين الجماهير اليائسة، ويدفعون جنودهم إلى ارتكاب أعمال العنف. ولا يحتاج الأمر سوى إلى نفس مظلمة وقوية واحدة لإثارة الفوضى في العالم عبر بنر التعصب الروحي والقومي أو تسميم عقول الضعفاء.

كان لا بدًّ لأفيلا من موافقته على ذلك.

قال الوصي: الهجمات الإرهابية ضدَّ المسيحيين آخذة في الارتفاع في جميع أنحاء العالم. ولم تعد الهجمات الجديدة حوادث مخططاً لها استراتيجياً، بل هي اعتداءات غوفوية تُنفَّذ من قبل نواب وحيدة تستجيب لنداء الحرب الذي يرسله أعداء المسيح المقصون. صمت الوصي قليلاً قبل أن يضيف: وإنما اعتبر إيموند كيرش المحدث واحداً من أولئك الأعداء المقصون.

في تلك اللحظة، شعر أفيلا أنَّ الوصي بدأ يبالغ. فعلى الرغم من حملة كيرش الخسيسة ضدَّ المسيحية في إسبانيا، إلا أنَّ العالم لم يُصدر يوماً أيَّ بيان يبحث فيه على قتل المسيحيين.

قال له الصوت عبر الهاتف: قبل أن تتعترض، دعني أخبرك بمعلومة أخيرة. وتنهَّد قبل أن يضيف: لا أحد يعرف ذلك أَيْها الأميرال، لكنَّ الاعتداء الذي أودى بحياة أسرتك... كان عمل حرب ضدَّ الكنيسة البالمارية.

بقي أفيلا صامتاً وهو يحاول أنْ يفهم، لكنَّ هذا الكلام لم يبدُ له منطقاً، فكاتدرائية إشبيلية ليست بناء بالماريا.

قال المتصل: في الصباح الذي تمَّ فيه التفجير، كان ثمة أربعة أعضاء بارزون في الكنيسة البالمارية بين المصليين في إشبيلية، وذلك لغرض تجنيد أعضاء جدد. وتمَّ استهدافهم هم تحديداً. أنت تعرف أحدَهم، إيه ماركو. أما الثلاثة الآخرون فماتوا في الهجوم.

اضطربت أفكار أفيلا وهو يتخيل معالجه الفيزيائي ماركو الذي خسر ساقه في الهجوم.

تابع الصوت: أعداؤنا أقواء وحافزهم قويٌّ. وعندما لم يستطع المهاجم الوصول إلى مجتمعنا في إل بالمار دي تروبيا، تبع مبشرينا إلى إشبيلية، ونفذ عمله الإرهابي هناك. أنا آسف جداً أَيْها الأميرال. هذه المأساة هي أحد الأسباب التي جعلت البالماريين يتواصلون معك، فنحن نشعر بالمسؤولية لأنَّ ما تعرضت له أسرتك كان من ضمن الأضرار الجانبية في حرب موجهة ضدنَا.

حرب من قبل من؟ تساعل أفيلا وهو يحاول أنْ يفهم تلك المزاعم الصادمة. أجاب الوصي: افتح بريده الإلكتروني.

فتح أفيلا صندوق بريده ليجد فيه مجموعة من الوثائق الخاصة التي تتحدث عن حرب وحشية تمَّ شنُّها ضدَّ الكنيسة البالمارية منذ عقد من الزمن... حرب تضمنت على ما يبدو دعاوى قضائية، وتهديدات بالابتزاز، وهبات ضخمة لمجموعات مناهضة للبالمارية مثل مجموعة دعم بالمار دي تروبيا، ومجموعة حوار إيرلندا.

والأغرب أن هذه الحرب المريرة ضد الكنيسة البالمارية يشنّها على ما يبدو شخص واحد؛ ألا وهو العالم المستقبلي إيموند كيرش.

احتار أفيلا أمام تلك المعلومات. لماذا يريد إيموند كيرش تدمير البالماريين؟

قال له الوصي إنّه ما من أحد في الكنيسة، ولا حتّى البابا نفسه، يملك أدنى فكرة عن السبب وراء كره كيرش العميق للبالماريين. فكلّ ما يعرفونه هو أنّ واحداً من أغنى الأغنياء على سطح هذا الكوكب وأكثرهم نفوذاً لن يرتاح له بال حتّى يقضي على البالماريين.

لفت الوصي انتباه أفيلا إلى آخر وثيقة، والتي كانت عبارة عن رسالة مطبوعة للبالماريين من رجل يدعى أنه مجرّر إثبالية. في السطر الأول، يُسمّي المهاجم نفسه "تلميذ إيموند كيرش". شدّ أفيلا قبضته غضباً، وشعر أنه ليس بحاجة إلى رؤية المزيد. شرح له الوصي السبب الكامن وراء عدم نشر البالماريين الرسالة علناً. فسبّ كلّ المقالات السيئة التي نُشرت عن البالماريين مؤخراً، وكان معظمها من تبيير كيرش أو تمويله، كان آخر ما تحتاج إليه الكنيسة هو افترانها بحادثة تغجير.

لقد ماتت أسرتي بسبب إيموند كيرش.

والآن، على ذلك الدرج المظلم، حدق أفيلا إلى روبرت لأنغدون، وشعر أن الرجل لا يعرف على الأرجح شيئاً عن حملة كيرش السرية ضد الكنيسة البالمارية، أو كيف استئنفهم الهجوم الذي أودى بحياة أسرة أفيلا.

لا يهم ما يعرفه لأنغدون، فهو جندي مثلّي. لقد وقعا نحن الاثنان في هذا الفخ، وواحد مَنْ فقط سينجو منه. وأنا أملك أوامر.

كان لأنغدون يقف على بعد بضع خطوات فوقه، موجهاً سلاحه مثل هاً بيديه الاثنين. ياله من خيار سيئ! هذا ما فكر فيه أفيلا وهو يخفض قدمه خفية على درجة تحته، ويتثبت قدمه، ثم يحقّق مباشرة إلى عيني لأنغدون.

قال أفيلا: أنا أعرف أنه يصعب عليك تصديق ذلك، لكن إيموند قتل أسرتي، وهذا هو الدليل."

فتح أفيلا كفه ليري لأنغدون الوشم الذي لم يكن بالطبع دليلاً على الإطلاق، ولكن كان له التأثير المطلوب؛ فقد نظر لأنغدون إليه.

وفي اللحظة التي تحول فيها تركيز البروفيسور - وإن للحظة وجيبة - اندفع أفيلا إلى الأعلى وإلى اليسار، على طول الجدار المقوس، محركاً جسده خارج خط النار. وتماماً كما توقع، أطلق لأنغدون النار بشكل تلقائي، وضغط على الزناد قبل أن يتمكّن من تصويب السلاح على هدفه المتحرك. ترددت أصوات الطلقة كالرعد في المكان الضيق، وشعر أفيلا برصاصة تمرّ بشكل سطحي على كتفه، قبل أن تصطدم بالسلّم

الحجري، وترتد عنه من دون أن تتسرب بأذى.

حاول لانغدون أن يصوّب السلاح مجدداً، لكنّ أفيلا دار في الهواء، وخلال سقوطه، ضرب معصمي لانغدون بقبضتيه، فأسقط السلاح من يديه على السلم. مرق الألم صدر أفيلا وكفيه وهو يسقط على الدرج إلى جانب لانغدون. لكن دفعه الأدرينالين ضاعفت من حنته. فمَد يده إلى الخلف، وسحب مسدس السيراميک من حزامه. بدا له السلاح عديم الوزن تقريباً بعدما كان يحمل مسدس الحارس.

صوّب أفيلا المسدس إلى صدر لانغدون، ومن دون تردد، ضغط على الزناد. دوى المسدس، ولكنه أصدر صوت تحطم غير اعتيادي. وحين شعر أفيلا بألم حارق في يده، أدرك على الفور أنّ فوهة المسدس قد انفجرت. فهذه الأسلحة الجديدة الخالية من المعدن والتي لا يمكن كشفها كانت معدة للاستعمال لمرة واحدة أو اثنتين وحسب. لم يعرف أفيلا أين ذهب الرصاصة، ولكن عندما رأى لانغدون يعاود الوقوف بسرعة، ترك السلاح وانقضّ عليه، وراح الرجال يتصارعان بعنف قرب الحافة الداخلية الخطيرة للدرج.

في تلك اللحظة، أدرك أفيلا أنه فاز.

كلانا غير مسلحين، ولكتنى في موقع أفضل.

كان أفيلا قد قام أساساً بتقييم الفتاحة العميقـة في وسط الدرج، والتي كانت عبارة عن هاوية قاتلة من دون أي حماية. والآن، راح يحاول دفع لانغدون إلى الخلف باتجاه الفتاحة، ضغط إحدى ساقيه إلى الجدار الخارجي، ما أعطاه دعماً هائلاً. ثم استجمع قواه، ودفع لانغدون باتجاه الفتاحة.

قاوم لانغدون بشراسة، لكنّ موقع أفيلا منحه الأفضلية. ومن نظرة اليأس التي رأها في عيني البروفيسور، بدا واضحاً أنّ لانغدون قد عرف ما يوشك أن يحدث.

كان لانغدون قد سمع أنّ خيارات الحياة الأكثر أهمية، أي تلك التي تتطوّي على احتمال البقاء، تتطلّب عادة قراراً يُتخذ بسرعة فائقة.

والآن، بينما كان يُدفع باتجاه الحافة، وظهره مقوس فوق هاوية بعمق مائة قدم، أدرك أن طوله البالغ ست أقدام وارتفاع مركز ثقله يشكّلان عبئاً قاتلاً. وكان يعرف أنه ما من حيلة بيده لمواجهة القوة التي يستندّها أفيلا من موقعه.

حقّ لانغدون بشكل يائش من فوق كتفه إلى الفراغ خلفه. كانت الفتاحة الدائرية ضيقة، ولا يتجاوز عرضها ثلث أقدام ربما، لكنها كانت بالتأكيد عرضة بما فيه الكفاية ل تستوعب جسده وهو يهبط... والذي سيصطدم على الأرجح بالحافة الحجرية خلال هبوطه. لا يمكن النجاة من سقطة كهذه.

أطلق أفيلا صرخة عالية، ثم أمسك بلانغدون مجدداً. وفي أثناء ذلك، أدرك لانغدون أن أمامه خطوة واحدة فقط يمكنه اتخاذها. فوضاً عن مقاومة الرجل، قرر أنه سيساعده. لذا، بينما كان أفيلا يرفع لانغدون إلى الأعلى، انخفض هذا الأخير، وثبت قدميه بقوّة على الدرج.

للحظة، عاد شاباً في العشرين من عمره في حوض الساحة في برينستون... يتسابق في السباحة على الظهر... وهو واقف على حافة الحوض، وظهوره باتجاه الماء... وركبته منحنية... وبطنه مشدود... ينتظر إشارة الانطلاق. التوقيت حاسم.

هذه المرة، لم يسمع لانغدون إشارة الانطلاق. غير أنه اندفع من وضعيته، ورمى نفسه في الهواء، مقوساً ظهره فوق الهاوية. وبينما كان يقفز إلى الخلف، شعر أن أفيلا الذي كان يقف في وضعية لمقاومة مائتي باوند من الوزن يختلس توازنه بالكامل إثر القوى المعاكسة والمفاجئة.

أفلت أفيلا بقبضته بأسرع ما يمكنه، ولكن لانغدون شعر أن توازنه قد اختل. وبينما كان جسد لانغدون مقوساً إلى الخلف، راح يصلّي لكي يتمكّن من تجاوز الهاوية وبلوغ الدرجات المقابلة التي تفصله عنها مسافة ستّ أقدام نحو الأسفل... ولكنه أخفق على ما يبدو. وفي وسط الهواء، وبينما بدأ لانغدون يكور جسده تلقائياً طلباً للحماية، ارتطم بقوّة بسطح حجري عمودي.

لم أنجح.

لقد قضي علىَّ.

كان لانغدون واثقاً أنه ارتطم بالحافة الداخلية، فاستعدّ لهبوطه في الفراغ. غير أن سقوطه لم يدم سوى لحظة.

اصطدم لانغدون على الفور تقريباً بالأرض غير المستوية، وصدم رأسه. أوشك أن يفقد وعيه إثر قوّة الضربة، ولكنه أدرك في تلك اللحظة أنه تجاوز الفتحة تماماً واصطدم بجدار السلم، قبل أن يسقط على الجزء السفلي من السلم اللولبي. المسئّس. كان هذا أول ما خطر ببال لانغدون وهو يجاهد لكي لا يغيب عن الوعي، مدركاً أن أفيلا سيصل إليه خلال ثوانٍ. لكن الأوان فات، إذ انطفأ دماغه تماماً.

ومع غرقه في الظلام، كان آخر ما سمعه لانغدون صوتاً غريباً... سلسلة من الصدمات المتكررة تحته، وكلّ منها أبعد من سابقتها.

ذكره ذلك بصوت كيس كبير من القمامنة يسقط في أنبوب نفايات.

الفصل 76

مع اقتراب سيارة جولييان من بوابة إل إسکوريال، رأى حاجزاً مالوفاً من سيارات الدفع الرياعي البيضاء، وعرف أن فالديسيينو كان يقول الحقيقة.
أبي هنا بالفعل.

عرف من السيارات أن مرافق الملك من الحرس الملكي قد انتقلوا الآن إلى هذا القصر الملكي التاريخي.

أوقف مساعد الكاهن سيارة الأولى، وسرعان ما أتى أحد الحراس حاملاً مصباحاً يدوياً ووقف قرب النافذة، ثم وجه الضوء إلى الداخل، وتراجع مصدوماً لأنّه لم يتوقع بالطبع أن يجد الأمير والأسقف في السيارة المتهالكة.

هتف الرجل وهو يتأنّب فوراً: "صاحب السمو! سعادة الأسقف! لقد كنا بانتظاركم"، ثم رمّق السيارة القيمة قائلاً: "أين المرافقين؟".

أجاب الأمير: "كان لديهم عمل في القصر، نحن أتينا لرؤيه أبي".
"بالطبع، بالطبع! هلا ترجلتما أنت والأسقف من السيارة—"

قال له فالديسيينو معتقداً: "افتح الحاجز لكي ندخل بالسيارة. أعتقد أن جلالة الملك في مستشفى الدير، أليس كذلك؟".

قال الحارس متلعثماً: "بالفعل، لكنني أخشى أنه رحل الآن".
شهق فالديسيينو وبدا عليه الذعر.

وشعر جولييان ببرعة باردة تسري في جسده. هل مات أبي؟
تلعثم الحارس وقد ندم على سوء اختياره للكلمات: "كلا، أنا أنا آسف جداً. لقد ذهب جلالته، غادر الإسکوريال منذ ساعة. اصطحب مرافقه ورحلوا جميعاً".

تحول ارتياح جولييان بسرعة إلى إحساس بالإرباك. هل ترك هذا المستشفى؟
صاح فالديسيينو: "هذا سخيف. لقد طلب مني الملك إحضار الأمير جولييان إلى هنا حالاً!".

"أجل، لدينا أوامر محددة نيافة الأسقف. لذا، لو سمحت، ترجل من السيارة لكي نقلّكما بسيارة الحرس الملكي".

تبادل فالديسيينو وجولييان نظرات الحيرة، ثم ترجلَا من السيارة. قال الحارس

لمساعد الكاهن إنهم ما عادوا بحاجة إلى خدماته، وطلبوا منه العودة إلى القصر. فأسرع الشاب الخائف عائداً أدراجه من دون أي كلمة، ويداً واضحاً أنه شعر بالارتياح لانتهاء دوره في الأحداث الغريبة لهذه الليلة.

وبينما كان الحرس يقودون الأمير فالديسيبينو إلى المقعد الخلفي لسيارة الدفع الرباعي، بدا على الأسقف قلق متزايد، وسألهم: "أين الملك؟ إلى أين تأخذوننا؟".

قال الحارس: "نحن ننفذ أوامر جلالة الملك المباشرة. فقد طلب منا إعطاء كما سيارة وسانقًا وهذه الرسالة". ثم أخرج الحارس مغلقاً مختوماً وسلمه عبر النافذة إلى الأمير جولييان.

رسالة من أبي! استغرب الأمير من تلك الشكليات، لا سيما وأنه لاحظ أن المغلف يحمل ختم الشمع الملكي. ماذا يفعل؟ في تلك اللحظة، تسامي قلقه على قدرات الملك العقلية.

نزع جولييان الختم بقلق، وفتح المغلف، ثم أخرج بطاقة تحمل رسالة بخط اليد. لم يكن خط أبيه كما كان عليه في الماضي، ولكنه ما زال مقروءاً. بدأ جولييان بقراءة الرسالة، وشعر بحيرته تزداد مع كل كلمة.

وعندما أنهى القراءة، أعاد الرسالة إلى المغلف وأغمض عينيه، ثم فكر بخياراته. لم يكن أمامه سوى خيار واحد بطبيعة الحال.

قال للسائق: "خذنا شملاً من فضلك".

ومع ابتعاد السيارة عن الإسکوريل، شعر الأمير أن فالديسيبينو يتحقق إليه. سأله الأسقف: "ما الذي قاله والدك؟ إلى أين تأخذني؟".

تنهد جولييان والتفت إلى صديق أبيه الموثوق. "كما قلت". وابتسم للأسقف المسنّ ابتسامة حزينة وأضاف: "ما زال أبي الملك. نحن نحبه، وننفذ أوامره".

الفصل 77

همس صوت: "روبرت".

حاول لانغدون أن يجيب، لكنّ الألم كان يعصر رأسه.
"روبرت...؟".

لامست يد ناعمة وجهه، ففتح عينيه ببطء. للحظة، شعر بالتشوش، وظنّ أنه يحلم. ملاك بالأبيض يحوم فوق رأسه.

وعندما تعرف لانغدون إلى وجهها، ابتسم بضعف.

قالت أمبرا وهي تنفس الصعداء: "الحمد لله، ظننا أنك أصبت بالرصاص".
وركعت إلى جانبه قائلة: "ابقَ ممنداً".

بينما كان لانغدون يستعيد وعيه، شعر بخوف مفاجئ. "الرجل الذي هاجمني –"
همست أمبرا بصوت هادئ: "لقد رحل. أنت بأمان". ثم أشارت إلى حافة السلم
مضيفة: "سقط في الأسفل".

حاول لانغدون أن يستوعب الخبر، وبدأت الأحداث تعود إلى ذاكرته ببطء. بذل
جهده ليبعد التشوش عن ذهنه ويحصي جروحه، فانتقل انتباهه إلى الألم العميق في
ورقه اليسرى والألم الحاد في رأسه. وما عدا ذلك، لم يشعر بأنه أصيب بكسور. تردد
صدى صوت أجهزة اللاسلكي التي تستخدمها الشرطة عبر الدرج.
"كم مضى... على...؟".

قالت أمبرا: "بعض دقائق، كنت تستيقظ ثم تغيب عن الوعي مجدداً. ينبغي أن
تخضع للفحص".

أجبر لانغدون نفسه على الجلوس بحزن، واتكاً إلى جدار السلم. "لقد كان
ضابط... البحريه. ذاك الذي –"

قالت أمبرا وهي تهز رأسها: "أعرف، ذاك الذي قتل إيموند. لقد تحققت الشرطة
للتو من هويته. إنهم في أسفل السلم مع الجثة ويريدون أخذ إفادتك، لكنّ الألب بينيا
منع الجميع من الصعود إلى هنا قبل الفريق الطبي الذي يوشك أن يصل في أي
لحظة".

أوّما لانغدون برأسه الذي كان الألم ما زال يعصف به.

قالت أميرا: "سيصطحبونك إلى المستشفى على الأرجح، ما يعني أنه علينا أن نتحدث أنا وأنت حالاً... قبل وصولهم".
"نتحدث... عم؟".

تأملته أميرا وبدا عليها القلق. مالت إلى الأمام وهمست في أذنه، "روبرت، ألا تنكر؟ لقد وجينا كلمة سر إيموند: زال الإيمان المظلم وساد العلم النقيّ". خرفت كلماتها الضباب كالسهم، فاستقام لانغدون فجأة وقد زال التشوش عن ذهنه تماماً.

قالت: "أنت من أوصلنا إلى هذه النقطة، ويمكنني إتمام الباقي. قلت إنك تعرف كيف تعثر على وينستون. فهل أنت على علم بموقع مختبر إيموند؟ أخبرني أين هو، وأنا سأقوم بالباقي".
اجتاحت رأس لانغدون موجة من الذكريات. "أنا أعرف بالفعل. على الأقل، أعتقد أنني أستطيع معرفة ذلك".
"أخبرني".

" علينا عبور المدينة".
"أين؟".

أجابها لانغدون وهو يحاول النهوض على قدميه بصعوبة: "لا أعرف العنوان، ولكنني أستطيع أخذك".

قالت أميرا: "جلس يا روبرت، من فضلك!".
قال رجل وهو يظهر على السلم تحتهما. "أجل، اجلس". كان ذلك هو الأب بينيا الذي وصل لاهذا. "لقد أوشك الفريق الطبي على الوصول".
استند لانغدون إلى الجدار وقد شعر بشيء من الدوار، فكذب قائلًا: "أنا بخير. أميرا أريد الذهاب حالاً".

قال بينيا وهو يصعد ببطء: "لن نتمكن من الابتعاد كثيراً، فالشرطة تنتظر، إنهم يريدون أخذ إفادتك. بالإضافة إلى ذلك، الكنيسة محاطة بالفرق الإعلامية. فقد قام أحدهم بإبلاغ الصحافة بوجودكم هنا". وصل الكاهن إلى جانبهما ونظر إلى لانغدون وهو يبتسم منهكاً. "بالمناسبة، أنا والآنسة فيدال مسروران لرؤيتك بخير. لقد أنقذت حياتنا".
فضحك لانغدون وقال: "أنا واثق أنك أنت من أنقذ حياتنا".

"حسناً، في الحالتين، أريدكم أن تعرفا أنكم لن تتمكنوا من مغادرة هذا السلم من دون مواجهة الشرطة".

وضع لانغدون يديه على حافة السلم الحجرية ومال محدثاً إلى الأسفل. بدا مشهد الرجل في الأسفل بعيداً جداً. فقد تمددت جثة أفيلا على الأرض على نحو غير مألوف

تضيقها عَدَّة مصابيح يحملها رجال الشرطة.

ويبنما كان لانغدون يحدُّق إلى الهرة اللولبية، ويلاحظ مرة أخرى تصميم غاويٍّ للطزوني الأليق، تذكر الموقع الإلكتروني لمتحف غاويٍّ الموجود في قبو هذه الكنيسة. فموقع الإنترنٌت الذي زاره منذ وقت ليس ببعيد يصور سلسلة مذهلة من النماذج المصغرة لساغرادا فاميليا، والتي تم إعدادها بدقةٍ بواسطة برامج CAD، وطابعات ثلاثية الأبعاد ضخمة تصوّر التطور الطويل للمبنى، منذ وضع أساساته وحتى الإنجاز الكامل للكنيسة المهيأة في المستقبل، والذي ما زال على بعد عشر سنوات على الأقل.

فكَّر لانغدون، من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟

عادت إليه ذكري مفاجئة عن النماذج المصغرة للكنيسة من الخارج. كانت الصورة محفوظة في ذاكرته البصرية، وهي عبارة عن نموذج يصوّر المرحلة الحالية من بناء الكنيسة وتحمل عنوان "ساغرادا فاميليا اليوم".

إن كان ذلك النموذج حديثاً، فهذا يعني أنَّ ثمة طريقةً للخروج.

الفت فجأة إلى بینیا وقال: "أبِّت، هَلَا تَقُومُ مِنْ فَضْلِكَ بِإِصَالِ رِسَالَةٍ مِّنْ إِلَى شخصٍ فِي الْخَارِجِ".

بدت الحيرة على وجه الكاهن، فشرح له لانغدون خطته للخروج من المبنى، فهزمت أميراً رأسها معرضاً. "روبرت، هذا مستحيل. فما من مكان في الأعلى - قاطعها بینیا: "بلِّي، فِي الْوَاقِعِ لَنْ يَبْقَى الْمَخْرُجُ بِشَكْلِ دَائِمٍ، وَلَكِنْ حَالِيَاً، السِّيَدُ لانغدون عَلَى حَقٍّ، وَمَا يَقْرَرْهُ مَمْكُنٌ".

دُهشت أميراً. "لَكِنْ روبرت... إنْ تَمْكَنَّا مِنْ الفَرَارِ خَلْسَةً، فَهُلْ أَنْتَ وَاثِقٌ مِّنْ أَنَّكَ لَست بِحَاجَةٍ لِلِّذَهَابِ إِلَى الْمَسْتَشْفِيِّ؟".

لم يكن لانغدون واثقاً جدًا من هذه الناحية. "يُمْكِنُنِي الذهاب لاحقاً إنْ لَزِمَ الأمر. أمّا في الوقت الحاضر فإنّا ندين لإيموند بإنهاء ما أتينا من أجله". والفت إلى بینیا، ونظر مباشرةً إلى عينيه. "أنا أودُّ أَنْ أَكُونَ صَرِيحاً مَعَكَ يا أبِّتْ حَوْلَ سببِ مجئتنا إلى هنا. كما تعلم، قُتِّلَ إيموند كيرش الليلة لِكَيْ يَتَمَّ مَنْعِهِ مِنْ إعلان اكتشاف علميٍّ".

قال الكاهن: "أَجل. ومن نبرة السيد كيرش في مقدمة، يبدو أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ اكتشافه هذا سيترك ندوياً على الإيمانِ".

"بالضبط، ولهذا السبب أشعر أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ أَنَّا أَتَيْنَا أَنَا وَالآنَةَ في دَيَالِ إِلَى برشلونة الليلة في محاولة لِإِطْلَاقِ اكتشاف إيموند كيرش. وقد أَوْشَكْنَا عَلَى ذَلِكَ، أنا أَعْنِي...". صمت لانغدون للحظة. "إِنْ طَلَبْتَ مَساعِدَنَا الْآنَ، فَإِنَّكَ سَتَساعِدُنَا أَسَاساً مِّنْ أَجْلِ بَشَّ كَلَمِ مَلْحُدِ لِلْعَالَمِ".

مَذْ بَيْنِيَا يَدِهِ وَوْضُعُهَا عَلَى كَتْفِ لَانْغْدُونَ، ثُمَّ قَالَ ضَاحِكًا: «بِرْوَفِيسُورُ، إِدْمُونْدُ كِيرْشُ لَيْسُ أَوْلُ مَلْحُدٍ فِي التَّارِيخِ يَهَاجِمُ الدِّينَ وَلَنْ يَكُونُ الْأَخِيرُ. أَيّْاً يَكُنْ مَا اكْتَشَفَ السَّيِّدُ كِيرْشُ، فَسَيَتْحَوَّلُ بِلَا شَكٍ إِلَى مَوْضِعِ جَدْلٍ حَامِيٍّ. فَمِنْذَ بَدَايَةِ الْأَزْمَنَةِ، تَطْوِرُ الْفَكْرِ البَشَرِيِّ عَلَى الدَّوَامِ، وَلَيْسُ دُورِيُّ أَنْ أَعْرِقَ هَذَا التَّطْوِرَ». ثُمَّ ابْتَسَمَ لَهُمَا مَطْمَئِنًا وَهَبَطَ السَّلَمُ أَمَامَهُمَا.

في الخارج، جلس الطيار في قمرة مروحية EC145 المتوقفة، وراح يشاهد بقلق متزايد الحشود خارج السياج الأمني لساغرادا فاميليا وهي تزداد باستمرار. لم يكن قد سمع شيئاً عن عملي الحرس الملكي بعد دخولهما، وكان على وشك الاتصال بهما لاسلكياً عندما خرج رجل قصير القامة يرتدي ثوباً أسود من البازيليك واقترب من المروحية.

عرفه الرجل على نفسه بأنه الأب بينيا، ونقل له رسالة صادمة من الداخل. فقد قُتل الحراسان الملكيان، والملكة المستقبلية روبيرت لانغدون يطلبان إخلاءهما من المكان على الفور. وكما لو أن هذا لم يكن كافياً، أخبره الكاهن من أين تحديداً ينبغي عليه أن يقلّ الراكبين.

فكَّر الطيار في سره: هذا مستحيل!

مع ذلك، وبينما كان يحلق فوق أبراج ساغرادا فاميليا، أدرك أن الكاهن كان محقاً. فأعلى أبراج الكنيسة، وهو البرج المركزي المتوجان لم يكن قدبني بعد. وكانت منصة الأساس عبارة عن مساحة دائرية مسطحة مختبئة وسط مجموعة من الأبراج، مثل فسحة في غابة من الأشجار الباسقة.

حلق الطيار فوق المنصة تماماً، وبدأ يهبط بالمروحية بين الأبراج. وبينما كان يلامس السطح، رأى شخصين يخرجان من السلم، أمبرا فيدال تساعد روبيرت لانغدون الجريح.

قفز الطيار من الطائرة وساعد الاثنين على الصعود.

وبينما كان يثبت لهما أحزمة الأمان، أومأت ملكة إسبانيا المستقبلية بتعجب وهمست قائلة: «شكراً جزيلاً لك. سيخبرك السيد لانغدون عن وجهتنا».

الفصل 78

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

هل قتلت الكنيسة الالمانية والدة إدموند كيرش؟!

أتانا المخبر monte@iglesia.org بخبر قبلة آخر. فاستناداً إلى وثائق حصرية تم التتحقق منها من قبل ConspiracyNet، حاول إدموند كيرش لسنوات مقاضاة الكنيسة الكاثوليكية بتهم "غسل الأعماق، والتكييف النفسي، والقسوة البدنية" التي أنت كما يزعم إلى وفاة بالوما كيرش والدة إدموند البيولوجية، منذ أكثر من ثلاثة عقود.

ويُزعم أنَّ بالوما كيرش كانت عضواً ناشطاً في الكنيسة الالمانية التي حاولت الانفصال عنها، فتعرَّضت للإهانة وسوء المعاملة النفسية من قبل رؤسائها، الأمر الذي دفعها إلى شنق نفسها في غرفة نوم في الدبر.

الفصل 79

تمت القائد غارزا مجدداً، وترنَّد صوته في أرجاء مخزن الأسلحة في القصر: "الملك نفسه! ما زلت عاجزاً عن التصديق أنَّ أمر اعتقالي صدر عن الملك نفسه؛ بعد كلِّ سنوات خدمتي".

وضعت مونيكا مارتن إصبعها على شفتيها ونظرت إلى المدخل للتأكد من أنَّ الحراس لا يستردون السمع. "كما قلت لك، كلمة الأسقف فالديسيبينو مسموعة لدى الملك، وقد أقنع جلالته أنَّ الاتهامات التي وُجِّهَتُ إليه هذه الليلة كانت من تدبيرك، وأنك تحاول بطريقة ما الإيقاع به".

لقد أصبحت كيش فداء الملك. لطالما شكَّ غارزا أنه إنْ أجبر الملك على الاختيار بين قائد الحرس الملكي والفالديسيبينو فسيختار هذا الأخير. فقد جمعتهما الصداقة طوال حياتهما، والروابط الروحية تغلب دائماً على العلاقات المهنية.

مع ذلك، شعر غارزا أنَّ تحليل مونيكا ليس منطقياً تماماً، فقال لها: "هل تعنين أنَّ قصة الخطف قد تشرت بأمر من الملك؟".

"أجل، فقد اتصل بي جلاله الملك مباشرة، وأمرني بالإعلان عن أنَّ أميراً فيدال قد تعرضت للاختطاف. لفَقَ هذه القصة في محاولة لإنقاذ سمعة الملكة المستقبلية، ولكي لا تبدو أنها هربت مع رجل آخر". نظرت مارتن إلى غارزا بازداج. "كن، لماذا تسأل عن ذلك؟ لا سيما وأنك تعرف الآن أنَّ الملك قد اتصل بالعميل فونسيكا لإخباره بقصة الاختطاف نفسها؟".

"أنا لا أصدق أنَّ الملك يخاطر لأيِّ سبب كان باتهام شخصية أميركية بارزة بالاختطاف. لا بدَّ أنهـ"

فقطاعته قائلة: "مجنون؟".

حقَّ إليها غارزا بصمت.

الحقَّ عليه مارتن: "حضره القائد، تذَكَّرُ أنَّ جلاله الملك يعاني من الضعف. هل من الممكن أن تكون تلك القرارات ناتجة عن سوء حكمه على الأمور؟".

أو ربما كانت لحظة وعي زائدة. سواء أكان ذلك القرار متھواً أم لا، فإنَّ الملكة المستقبلية بأمان بين أيدي الحارسين الملكيين".

رمقته مارتن بحذر. "بالضبط. إذا، ما الذي يزعجك؟".

قال غارزا: "فالديسيينو. أنا أقر بأنني لا أحبه، لكن حسبي يبنبني أنه لا يمكن أن يكون خلف مقتل كيرش أو أيٍ من الأحداث الأخرى".

أجابته بنبرة حادة: "ولم لا؟ لأنه رجل دين؟ أنا واقفة أن محاكم التفتيش علمتنا بضعة أمور عن استعداد الكنيسة لتبرير التدابير الجذرية التي تتخذها. ويرأسي، إن فالديسيينو شيد الاعتداد بنفسه، وقال، وانتهاري، ومغفرة في التكّم. هل نسيت شيئاً؟". فرد عليها غارزا بحدة وقد فوجئ عندما أدرك أنه يدافع عن الأسقف: "أجل، فالديسيينو بالضبط كما وصفته، ولكنه أيضاً من الأشخاص الذين يقتسون القاليد والكرامة. فالملك الذي لا يثق بأحد تقريباً، وثق بالأسقف دائماً منذ عقود من الزمن. وأنا أجد أنه من الصعب التصديق أن صديق الملك الموثوق يُقدم على ارتكاب هذا النوع من الغدر الذي نتحدث عنه".

عندما، تنهدت مارتن وأخرجت هانفها الخلوي. "حضره القائد، يوسفني أن أقوص نفك في الأسقف، لكن أريدك أن تلقي نظرة على هذا. لقد أراني إيه سوريش". ثم ضغطت على بضعة أزرار وأعطت غارزا هانفها. عرضت الشاشة نصاً طويلاً.

همست مارتن: "هذه لقطة لرسالة نصية تلقاها الأسقف فالديسيينو هذه الليلة. أقرأها، وأنا أضمن لك أنها ستغير رأيك".

الفصل 80

شعر لانغدون على الرغم من الألم الذي يمزق جسده بنشاط غريب، لا بل بالبهجة تقريباً، لاسيما مع انطلاق المروحية عن سطح ساغرادا فاميليا.
أنا على قيد الحياة.

أحس بالأدرينالين يترافق في شرابينه، كما لو أن كل أحداث الساعة الفائتة تعود إليه دفعة واحدة. تنفس ببطء قدر الإمكان، ثم حول انتباهه إلى الخارج؛ إلى العالم خلف نوافذ المروحية.

أحاطت به أبراج الكنيسة الضخمة المرتفعة في السماء، ولكن مع ازدياد ارتفاع المروحية، ابتعدت الكنيسة وذابت في شبكة الشوارع المضيئة. حدق لانغدون إلى مجموعات الأبنية التي لم تكن منتظمة في مربعات ومستويات كالمعتاد، بل في أشكال متمثنة الأضلاع تمتاز بليونة أكبر.

لاسيمبلي *L'Eixample*، التوسيعة.

فقد قام المهندس المعماري الرؤيوي الديفونس سيردا بتوسيعة جميع التقاطعات في هذه المنطقة؛ عبر قطع زوايا مجموعات الأبنية المرتفعة لتكون ساحات صغيرة، برؤية أفضل وزيادة في تدفق الهواء، وبذلك منح مساحة وفيرة لمقاهي الأرصفة.

صاح الطيار من خلف كتفه بالإسبانية: "إلى أين نحن ذاهبون؟".

أشار لانغدون إلى الجنوب، حيث تمر إحدى أعرض جادات المدينة وأكثرها إشراقاً بشكل منحرف عبر برشلونة.
صاح لانغدون: "أفيغوندا دياوغونال، غرباً".

من المستحيل للناظر إلى أي خارطة لبرشلونة أن تفوته أفيغوندا دياوغونال (الجاده المنحرفة) التي تعبر عرض المدينة، من ناطحة السحاب العصرية المنشأة على شاطئ البحر، دياوغونال زورو، إلى حدائق الورود القديمة في حديقة سيرفانتيس التي تمتَّ على مساحة عشرة أكرات، والتي أقيمت تكريماً للأديب الإسباني الأكثر شهرة، دون كيشوت.

أوما الطيار برأسه وانحرف غرباً، متبعاً الجادة المنحرفة باتجاه الجبال. سأله مجدداً: "العنوان؟ الإحداثيات؟".

أدرك لانغدون: "لا أعرف العنوان. اذهب إلى ملعب كرة القدم".

استغرب الطيار مجيباً: "ملعب كرة القدم! أتعني نادي برشلونة؟".

أوّما لانغدون برأسه موافقاً، ولم يكن لديه أدنى شك في أنَّ الطيار يعرف أين يجد مقهى نادي برشلونة الشهير الذي يقع على بعد بضعة أميال من أفيغوندا دياوغونال.

زاد الطيار من سرعة المروحية، وحلق فوق الجادة بالسرعة القصوى.

سألته أمبرا بصوت خافت: "روبرت، هل أنت بخير؟". وراحت تتأمله كما لو أنها شدَّ في أن تكون إصابة الرأس قد أثرت على قدرته على الحكم الصحيح. قالت إنك تعرف أين تجد وينستون".

أجابها: "بالفعل، ونحن ذاهبون إلى هناك".

"إلى ملعب كرة قدم! هل تعتقد أنَّ إدموند قد بنى جهاز كمبيوتر عملاقاً في ملعب؟".

هزَّ لانغدون رأسه نافياً: "كلا. الملعب مجرد موقع قريب يسهل على الطيار تحديده. أما وجهتنا فهي مبني موجود إلى جانب الملعب مباشرة، فندق الأميرة صوفيا". ازدادت حيرة أمبرا. "روبرت، أنا لست واثقة أنَّ ما تقوله منطقي. من المستحيل أن يكون إدموند قد بنى وينستون في فندق ضخم. أعتقد أنه من الأفضل اصطحابك إلى العيادة".

أنا بخير يا أمبرا، ثقي بي".

"إذًا، إلى أين نحن ذاهبون؟".

"إلى أين نحن ذاهبون؟". داعب لانغدون ذفنه بمرح وتابع: "أعتقد أنَّ هذا أحد الأسئلة الهامة التي وعد إدموند بالإجابة عنها هذه الليلة".

استقرَّ تعبير أمبرا في مكان ما بين التسلية والغضب.

قال لانغدون: "أنا آسف، دعني أشرح لك. منذ عامين، تناولنا الغداء أنا وإدموند في النادي الخاص في الطابق الثامن عشر من فندق الأميرة صوفيا".

سألته أمبرا ضاحكة: "وهل أحضر إدموند معه كمبيوتراً عملاقاً إلى الغداء؟".

فابتسم لانغدون. "ليس تماماً، ولكنه أتى إلى موعدنا سيراً على الأقدام، وأخبرني أنه يتناول الطعام في النادي كلَّ يوم تقريباً لأنَّه ملائم جداً له، ولا يبعد سوى مسافة قصيرة عن مختبر الكمبيوتر. كما أسرَّ لي أنه يعمل على مشروع نكاء اصطناعي متقدم وأنَّه متخصص للغاية إزاء إمكانياته".

شعرت أمبرا بحماسة مفاجئة. "لا بدَّ أنَّ يكون ذلك وينستون!".

"هذا ما فكرت فيه بالضبط".

"إذًا، هل اصطحبك إدموند إلى مختبره؟!".

كلاً.

هل أخبرك أين يقع؟".

"لأسف، بقي ذلك سراً".

عاد القلق إلى عيني أمبرا.

قال لانغدون: "لكن وينستون أخبرنا سراً عن مكانه تحديداً.

بدت الحيرة الآن على وجه أمبرا. كلاً، لم يفعل".

أجابها لانغدون مبتسماً: "بل أؤكد لك أنه فعل. لا، بل في الواقع، أخبر العالم أجمع".

و قبل أن تطلب أمبرا تفسيراً، أعلن الطيار: "ها هو الملعب!". وأشار إلى البعيد،

إلى ملعب برشلونة الهائل.

لقد وصلنا بسرعة. نظر لانغدون إلى الخارج، واتبع الخط الممتد من الملعب إلى فندق الأميرة صوفيا المجاور، والذي كان عبارة عن ناطحة سحاب تشرف على ساحة واسعة في أبيغوندا دياغونال. فطلب من الطيار أن يتجاوز الملعب ويحلق عوضاً عن ذلك فوق الفندق.

في غضون ثوانٍ، ارتفعت المروحيّة عدة مئات من الأمتار، وحققت فوق الفندق الذي تناول فيه لانغدون إدموند الغداء منذ عامين. قال لي إن مختبر الكمبيوتر يقع على بعد مجموعتين من الأبنية من هنا.

من موقعه المرتفع، تأمل لانغدون المنطقة المحيطة بالفندق. لم تكن الشوارع في هذا الحي مستقيمة كما هي حول ساغرادا فاميليا، كما أن مجموعات الأبنية رسمت أشكالاً منحرفة وغير مستوية.

لا بد أن يكون هنا.

بدأت شكوك لانغدون تتزايد وهو يبحث في الاتجاهات كافة، محاولاً تحديد موقع الشكل الفريد الذي استطاع تخيله في ذاكرته. أين هو؟

وعندما حول لانغدون نظره شمالاً، عبر المستديرة عند ساحة بيوس الثاني عشر، شعر ببارقة أمل. قال للطيار: "هناك! حلق من فضلك فوق تلك المنطقة المشجرة!". أمال الطيار مقدمة المروحيّة، وتقدم بشكل منحرف فوق مجموعة أبنية متّجهاً نحو الشمال الغربي، حيث أصبح الآن يحلق فوق المساحة المشجرة التي أشار إليها لانغدون. في الواقع، كانت الأشجار جزءاً من ملكية ضخمة محاطة بالأسوار.

صاحت أمبرا وقد استبد بها الإحباط: "روبرت، ماذا تفعل؟ هذا قصر بيدرالبيس الملكي! من المستحيل أن يكون إدموند قد بنى وينستون داخل -"

"ليس هنا! بل هناك!". وأشار لانغدون إلى ما وراء القصر، إلى مجموعة أبنية تقع خلفه مباشرة.

مالت أميرا إلى الأمام، ونظرت إلى الموقع الذي أثار حماسة لانغدون. كانت الأبنية التي تقع خلف القصر محاطة بأربعة شوارع مضاءة، وتتقاطع لشكل مربعًّاً موجهاً شمال-جنوب مثل الماسة. لكن عيب الألماسة الوحيد هو أن حافتها السفلية اليمنى ملتوية على نحو غريب، يشوهها اعوجاج مخلفاً التواه في محيطها.

"هل عرفت ذلك الخط المتعزج؟". سألها لانغدون مشيراً إلى محور الألماسة الملتوي، والذي كان عبارة عن شارع مضاء يمكن تمييزه بوضوح في ظلام أراضي القصر المشجرة. "هل ترين الشارع الذي يشتمل على اعوجاج صغير؟".

فجأة، تبخر كل إحباط أميرا وأمالت رأسها لتحقق جيداً. "هذا الخط مألوف لدى الواقع، لكن من أين أعرفه؟".

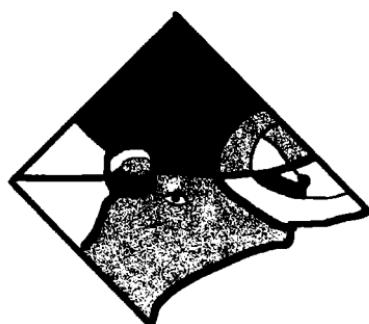
"انظري إلى مجموعة الأبنية بأكملها؛ فهي على شكل الماسة، مع اعوجاج غريب واحد عند الجهة السفلية اليمنى". انتظر، وشعر أن أميرا ستتعرف عليه قريباً. "انظري إلى المنتزهين الصغارين في هذه المجموعة من الأبنية". ثم أشار إلى منتزه مستدير في الوسط ومنته نصف دائري إلى اليمين.

قالت أميرا: "أشعر أنني أعرف هذا المكان، لكنني لا أستطيع...".

"فكري بالفن، فكري بمجموعتك في غوغنهايم. فكري- صاحت وهي تلتفت إليه غير مصدقة: "وينستون. مخطط هذه المجموعة من الأبنية يشبه تماماً الصورة الذاتية لوينستون المعلقة في غوغنهايم. ابتسם لها لانغدون. أجل، تماماً".

استدارت مجدداً إلى النافذة، وحدقت إلى شكل الماسة. راح لانغدون يتأمل المشهد هو الآخر، ويتخيل صورة وينستون الذاتية، تلك اللوحة الغريبة التي حيرته منذ أن تحدث عنها وينستون في وقت سابق من هذا المساء، وأشار إلى أنها تكريم لأعمال ميلرو.

كان وينستون قد قال: طلب مئي إدموند أن أصنع لنفسي صورة ذاتية، وهذا ما أتيت به.



كان لانغدون قد قرر أساساً أن مقلة العين التي تظهر في وسط اللوحة تقريباً، والتي تشكل جزءاً أساسياً من أعمال ميرو، تشير بكل تأكيد إلى الموقع المحدد لفينستون، أي المكان الذي يرى منه العالم.

النفت أميراً عن النافذة وقد بدا عليها المرح والدهشة على السواء. "هذا يعني أن صورة وينستون الذاتية ليست تقليداً لميرو، بل خارطة!".

"بالضبط. فيما أن وينستون لا يملك جسداً ولا صورة ذاتية فيزيائية، فإن هذه اللوحة الذاتية ترتبط بموقعه أكثر مما ترتبط بشكل جسدي".

"مقلة العين نسخة طبق الأصل عن أعمال ميرو. لكن، لا توجد هنا سوى عين واحدة، وهي تشير على الأرجح إلى موقع وينستون، ما رأيك؟".

هذا ما فكرت فيه. النفت لانغدون إلى الطيار، وطلب منه الهبوط للحظة على أحد المنزهين الصغيرين ضمن مجموعة المباني التي يقع فيها وينستون، فبدأ الطيار هبوطه.

قالت أميراً: "رباً! أعتقد أنتي عرفت سبب اختيار وينستون تقليد أسلوب ميرو!.. حقاً!".

القصر الذي مررنا فوقه فجأة يدعى بيدرالبيس.

سألها لانغدون: "بيدرايس؟ أليس هذا اسم -

"أجل! إنها واحدة من أشهر رسوم ميرو. وعلى الأرجح، قام وينستون بأبحاث عن هذه المنطقة، ووجد رابطاً محلياً بالرسام ميرو!.."

كان لا بد للانغدون من أن يقر بأن إبداع وينستون كان مذهلاً. وشعر ببهجة غريبة لأنّه سيتواصل مجدداً مع ذكاء إدموند الاصطناعي. ومع انخفاض المروحيّة أكثر، رأى شكلاً داكناً لمبني كبير يقع في البقعة نفسها التي رسم فيها وينستون عينه.

قالت أميراً: "انظر، لا بد أن يكون هذا هو المكان المقصود".

حاول لانغدون أن يحصل على رؤية أفضل للمبني الذي حجبته الأشجار. لكن، حتى من الجو، بدا رائعاً.

قالت أميراً: "لأرى أضواء. برأيك، هل نستطيع الدخول؟".

قال لانغدون: "لا بد من وجود أحد هناك. لا بد أن يكون لدى إدموند موظفون في ذلك المكان، ولا سيما الليلية. وعندما يدركون أننا نملك كلمة سر إدموند، أعتقد أنهم سيهرون لمساعدتنا على تشغيل العرض".

بعد خمس عشرة ثانية، حطّت المروحية فوق منتزه شبه دائري فسيح عند الحدود الشرقية لمجموعة المباني التي يقع فيها وينستون. قفز لانغدون وأميراً من المروحية، ثم ابتعد الطيار على الفور وأسرع باتجاه الملعب، بانتظار تعليمات أخرى.

وبيّنما أسرع الاتنان عبر المنزه المظلم باتجاه وسط كثبة الأنبية، عبرا شارعاً داخلياً صغيراً، ياسيع بول تيلرس، ووصلوا إلى منطقة كثافة الأشجار. أماهما، رأيا مبنياً كبيراً وضخماً تحيط به الأشجار.
همست أمبرا: "ما من أصوات".

قال لانغدون: "ثمة سياج". تجهّم وجهه وهما يصلان إلى سياج أمني من الحديد المطاوع بارتفاع عشر أقدام يحيط بالمجمع بأكمله. حقق من خلال أعمدة السور، غير أنه لم يستطع رؤية الكثير بسبب الأشجار. واستغرب عدم وجود أي إشاره.

قالت أمبرا مشيرة إلى نقطة تقع على مسافة عشرين ياردة على طول السياج: "اعتقد أنّ ثمة بوابة هناك".

سارعاً بالتجهيز إلى حيث أشارت، ووجدَا نفسيهما أمام باب دوار كبير مغلٍ تماماً. كانت ثمة علبة اتصال إلكترونية. ولكن، قبل أن يجد لانغدون الفرصة للتفكر بخياراتهما، ضغطت أمبرا على زر الاتصال.

رنّ الهاتف مرتين وفتح، لكن من دون أي صوت.
قالت أمبرا: "مرحباً، مرحباً".

لم يُجب أي صوت من خلال المكبر، بل سمع مجرد أزيز لخط مفتوح.

قالت: "لا أدرّي ما إذا كنتم سمعونني. أنا أمبرا فيدال ومعي روبرت لانغدون. نحن صديقان موثوقان لإيموند كيرش، وقد كنا معه الليلة عندما قُتل. لدينا معلومات من شأنها أن تكون مفيدة للغاية لإدعوند، ولوينستون، وأعتقد لكم جميعاً".
سمعت نقرة متقطعة.

وضع لانغدون يده على الباب الدوار على الفور، فدار بسهولة.
تنفس الصعداء قائلاً: "أعتقد أنّ ثمة أحداً ما في الداخل".

أسرع الاتنان بالدخول، ومرأى بين الأشجار باتجاه المبني المظلم. ومع اقترابهما، بدا يظهر أمامهما خط السطح تحت السماء. ثم ظهر شكل غير متوقع، رمز بطول خمس عشرة قدمًا مثبتاً فوق السطح.
توقفت أمبرا لانغدون في مكانهما.

فكَّر لانغدون في سره وهو يحدّق إلى الرمز الذي لا يمكن إخطاؤه: هذا مستحيل!
هل وضع إيموند صليباً عملاً على سطح مختبئ؟!

مشى بضع خطوات أخرى، وخرج من بين الأشجار. عندئذ، ظهرت واجهة المبني بالكامل، ورأى مشهداً غريباً، كنيسة قوطية قديمة ذات نافذة وردية كبيرة، ودرجتين حجريتين، فضلاً عن باب أنيق مزين بنقوش لقديسين كاثوليك ولمرим العذراء.

بدا الذعر على أميرا. "روبرت، أعتقد أننا اقتحمنا أرض كنيسة كاثوليكية. نحن في المكان الخاطئ". رأى لانغدون إشارة أمام الكنيسة، وبدأ يضحك: "كلا. بل أعتقد أننا في المكان الصحيح تماماً."

كانت هذه المنشأة قد ظهرت في الأخبار منذ بضع سنوات، لكن لانغدون لم يدرك على الإطلاق أنها تقع في برشلونة. مختبر تكنولوجي فائق التطور مبني داخل كنيسة كاثوليكية تم إيقاف العمل عليها. كان لا بد للانغدون من أن يقر أنها المكان المثالي لشخص مثل إدموند ليقيم مختبره فيه. وبينما هو يتحقق إلى هذه الكنيسة الباردة، شعر برعشة وهو يدرك الدقة التي اختار بها إدموند كلمة السر.

زال الإيمان المظلم وساد العلم النقي.

وأشار لانغدون إلى لافتة كتب عليها:

مركز برشلونة للحوسبة الفائقة

Centro Nacional de Supercomputación

فالتفت إليه أميرا غير مصدقة. "هل في برشلونة مركز للحوسبة الفائقة داخل كنيسة كاثوليكية؟".

ابتسم مجيباً: "أجل. ففي بعض الأحيان، تكون الحقيقة أغرب من الخيال".

الفصل 81

ينتصب أطول صليب في العالم في إسبانيا.

يبلغ طول الصليب الإسمنتي الضخم المقام على قمة جبل يبعد مسافة ثمانية أميال شمال دير الإسكوريال خمسماة قدم، ويشرف على وادٍ قاحل؛ حيث يمكن رؤيته من مسافة تزيد عن مائة ميل.

أما الوادي الصخري الممتد تحت الصليب، والذي يحمل اسم وادي السقوط، فيعد المثل الأعلى لما يزيد عن أربعين ألف نسمة سقطت ضحية الحرب الأهلية الإسبانية الدامية من كلا الطرفين.

ماذا نفعل هنا؟ راح جولييان يتتسائل وهو يتبع الحرس الملكي إلى ساحة المشاهدة تحت الصليب. أهذا هو المكان الذي يريد أبي أن نلتقي فيه؟ مشى فالديسيبينو إلى جانبه، ولم يبد أفل حيرة. همس قائلًا: "هذا غير منطقي، فوالدك يكره هذا المكان".

فَكَرْ جولييان في سره: ملابين الناس يكرهون هذا المكان.
ترجع فكرة وادي السقوط إلى فرانكو نفسه الذي أتى بها عام 1940 "كم عمل تكفير وطني"؛ في محاولة للمصالحة بين المنتصرين والمنهزمين. لكن، على الرغم من "الغرض النبيل" لهذا النصب، إلا أنه ولد جدلاً لا يزال مستمراً حتى يومنا هذا؛ لأنه بُني بأيدي عاملة اشتملت على محكومين وسجناء سياسيين عارضوا فرانكو، وكثيرون منهم لقوا حتفهم نتيجة للحوادث والمجاعة خلال أعمال البناء.

في الماضي، ذهب بعض أعضاء البرلمان إلى مقارنة هذا المكان بمعقل نازي. ويشعر جولييان أن رأي والده به مشابه، حتى لو لم يقل ذلك علينا. وبالنسبة إلى معظم الإسبان، اعتبر هذا المكان نصبًا لفرانكو، ومبنياً من قبل فرانكو، أي أنه مزار ضخم ليكرّم فيه نفسه. وكان فرانكو الآن مدفوناً فيه زاد من حدة الانتقادات الموجهة إليه.

تنكر جولييان المرة الوحيدة التي أتى فيها إلى هنا؛ في نزهة أخرى مع أبيه في طفولته للتعرف على بلاده. كان الملك قد اصطحبه في أرجاء الجبل، وهمس له بصوت منخفض: انظر جيداً يا بنبي، يوماً ما ستفهم هذا المكان.

والآن، بينما كان جولييان يتبع الحرس الملكي نحو الواجهة المنقوشة المنحوتة في سفح الجبل، بدأ يدرك إلى أين يذهبون. فقد لاح أمامهم باب برونزي منحوت في سفح الجبل نفسه، وتنكر أنه دخل من ذلك الباب في صباح، وذهب تماماً بما رآه خلفه. في النهاية، لم تكن الأعجوبة الحقيقة لقمة هذا الجبل تكمن في ارتفاع الصليب فوقه، بل في القاعة السرية في أحشائه.

في القمة المكونة من حجر الغرانيت، ثُجِّت كهف من صنع الإنسان بمقاييس لا يمكن تخيلها. إذ يغوص الكهف المحفور باليد لمسافة تسع مائة قدم داخل الجبل، ليُنفتح هناك على قاعة هائلة، منجزة بدقة وأناقة، مع أرضية مكسوّة بال بلاط اللامع، وقبة شاهقة مغطاة بالرسوم الجدارية تمتدّ على مسافة مائة وخمسين قدماً تقريباً من جانب إلى آخر. يومذاك، فكر جولييان الصغير في سره: أنا داخل جبل، لا بدّ أنني أحلم. والآن بعد سنوات، عاد الأمير إليه.

أنا هنا بناء على طلب أبي المحترض.

ومع اقتراب المجموعة من البوابة الحديدية، نظر الأمير إلى الأعلى، وحذق إلى التمثال البرونزي الحزين الذي يصوّر العذراء محضنة المسيح بين ذراعيها بعد وفاته. إلى جانبه، وقف الأسقف فالديسيبينو ورسم على وجهه إشارة صليب؛ مع أنّ جولييان شعر أنّ الحركة كانت بداع الخوف أكثر منها بداع الإيمان.

الفصل 82

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

لكن... من هو الوصي؟

ظهرت الآن أدلة تثبت أن القاتل لويس أفيلا كان يتنقل أوامر القتل مباشرة من شخص يسمى نفسه الوصي.

ما زالت هوية الوصي غامضة؛ مع أن منصب هذا الشخص قد يوفر بعض القرائن. فاستناداً إلى موقع dictionary.com، "الوصي" شخص يتم تعينه للإشراف على منظمة في حال كان رئيسها عاجزاً أو مريضاً. بحسب المعلومات المتوفرة لدينا، إن إجاباتنا الثلاث حالياً عن سؤال "من هو الوصي؟" هي التالية:

1. الأسقف أنطونيو فالديسيبينو الذي يأخذ المبادرة عن الملك الإسباني المريض.

2. بابا بالماري يعتقد أنه البابا الشرعي.

3. ضابط عسكري إسباني يدّعى أنه يتصرف بالنيابة عن القائد الأعلى العاجز للبلاد، أي الملك.

سنوافيكم بالمزيد من الأخبار قور ورودها!

الفصل 83

تأمل لانغدون وأمبرا واجهة الكنيسة الكبيرة، ووجدا مدخل مركز برشلونة للحوسبة الفائقة عند الطرف الجنوبي لصحن الكنيسة. هناك، تمت إضافة دهليز زجاجي عصري إلى الجهة الخارجية للواجهة ريفية الطراز، ما أضافي على الكنيسة مظهاً مختلطًا لمبني بين عصرين.

في الفناء الخارجي بالقرب من المدخل، وضع تمثال نصفي بطول اثنى عشرة قدماً لمحارب بدائي. لم يستطع لانغدون أن يتخيل ما تفعله هذه التحفة الأثرية على أرض كنيسة كاثوليكية. ولكنَّه كان واقعاً - استناداً إلى معرفته لإدموند - أنَّ مكان عمله لا بدَّ أن يكون أرض التناقضات.

سارعت أمبرَا إلى المدخل الرئيس، وضغطت على زر الاتصال عند الباب. ومع انضمام لانغدون إليها، استدارت كاميلا مراقبة نحوهما، وتحركت ذهاباً وإياباً لعدة لحظات.

أخيراً، صدر أزيز عن الباب وهو يفتح. اندفعاً عبر المدخل إلى بهو كبير احتلَّ رواق الكنيسة. وكان عبارة عن قاعة حجرية خالية وخافتة الإضاءة. توَّقع لانغدون ظهور أحد ما لاستقبالهما؛ ربما أحد موظفي إدموند، لكنَّ البهو كان خالياً تماماً. همست أمبرَا: "أَمَا مِنْ أَحَدْ هُنَّا؟".

بدأ يعيان الأنعام الناعمة لموسيقى كنسية من القرون الوسطى، والتي كانت عبارة عن عمل كورالي متعددة الألحان لأصوات ذكورية بدت مألوفة على نحو غريب. لم يستطع لانغدون التعرف على اللحن، لكنَّ وجود موسيقى دينية في منشأة تكنولوجية بهذا التطور بدا له من نتاج حس إدموند الفكاهي.

توجهت أمامهما على جدار البهو شاشة بلازما ضخمة تشكّل مصدر الضوء الوحيد في المكان. كانت الشاشة تعرض ما يمكن وصفه بأنه نوع من ألعاب الكمبيوتر القيمة. إذ ظهرت عليها مجموعات من النقاط السوداء التي تتحرك على سطح أبيض، مثل أعداد من الحشرات التي تتجوّل بلا هدف محدد.

ليست تماماً بلا هدف. أدرك لانغدون ذلك الآن وقد تعرَّف على تلك الأشكال.

تم اختراع هذه المتناثلة المنشأة بواسطة الكمبيوتر، والمعروفة باسم *الحياة*، في سبعينيات القرن المنصرم، من قبل عالم رياضيات بريطاني يدعى جون كونواي. إذ تحرّك النقاط السوداء المعروفة بالخلايا، وتتفاعل، وتتكاثر استناداً إلى سلسلة من "القواعد" المسماة التي تم إدخالها من قبل المبرمج. ومع مرور الوقت، وبالاسترشاد بقواعد الاشتباك الأولية تلك، تبدأ النقاط دائماً بتتنظيم نفسها في مجموعات وسلسل وأنماط متكررة، ثم تتطور تلك الأنماط وتزداد تعقيداً، لتصبح شديدة الشبه بأنماط موجودة في الطبيعة.

قالت أميرا: "لعبة الحياة لدى كونواي. لقد رأيت جهازاً رقمياً منذ سنوات صنع على أساسها، قطعة استخدمت فيها وسائل متعددة تحمل عنوان

الآلة الخلوية".

استغرب لأندون من سعة معلوماتها، فهو لم يسمع بهذا العمل إلا لأنّ مخترعه، كونواي، كان يدرس في برلينستون.

لفتت أنغام الكورال انتباه لأندون مجدداً. أشعر أنّي سمعت هذه المقطوعة من قبل. أهي موسيقى من عصر النهضة؟

قالت أميرا مشيرة بيدها: "روبرت، انظر".

على شاشة العرض، عكست النقاط اتجاهها وبدأت تتتابع، كما لو كان البرنامج يعود إلى الوراء. عاد التسلسل إلى الخلف على نحو متتابع، متراجعاً في الزمن. وبدأ عدد النقاط يتضاعل... لم تعد الخلايا تنقسم وتتكاثر، بل كانت تندمج من جديد... لتصبح تركيباتها أبسط تدريجياً، إلى أن لم تتبّق سوى حفنة منها، وتابعت تلك الحفنة اندماجها... أولاً ثمانية، ومن ثم أربعة، ومن ثم اثنان، وأخيراً... واحدة.

خلية واحدة راحت تومض في وسط الشاشة.
شعر لأندون برعشة باردة.

أخيراً، انطفأت النقطة، وخافت وراءها الفراغ؛ شاشة بيضاء خالية.
اختفت لعبة الحياة، وبدأ نص باهت بالظهور، ثم ازداد وضوحاً إلى أن تمكنا من فراحته.

"هذا داروين". همس لأندون بذلك وقد عرف جملة عالم النبات الأسطوري البليغة التي تشكّل صياغة مختلفة لسؤال إدموند كيرش نفسه.

قالت أميرا بحماسة وهي تقرأ النص: "من أين أتينا؟".
" تماماً".

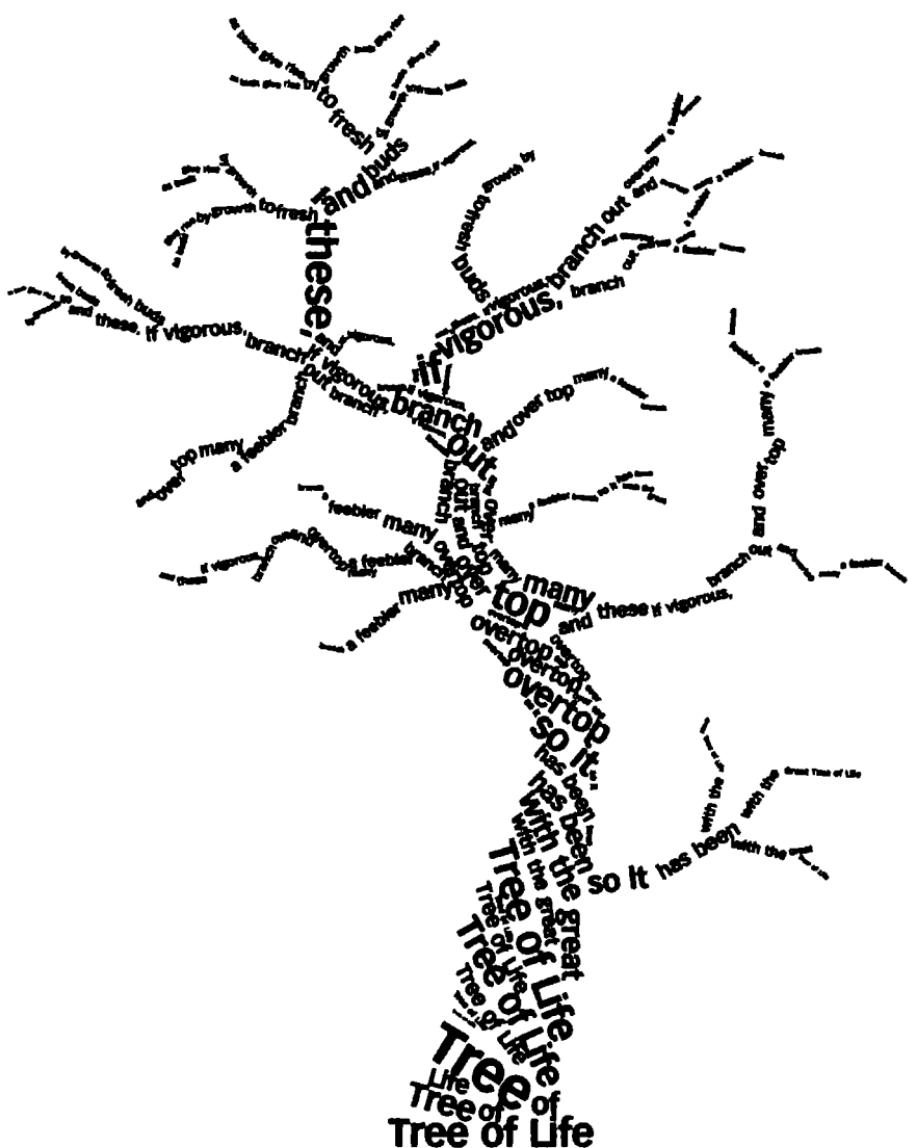
سألت مبتسمة: "هل نبحث عن الإجابة؟".

وأشارت إلى فتحة ذات أعمدة إلى جانب شاشة العرض يبدو أنها تربط البهوج بالكنيسة الرئيسة.

وبينما كانا يجتازان البهوج، تجذبت الشاشة مرة أخرى لعرض هذه المرة مجموعة من الكلمات التي ظهرت عشوائياً. راح عدد الكلمات يتضاعف بشكل مطرد وفوضوي، وتطورت كلمات جديدة، وتحولت واجتمعت في مجموعة معقدة من الجمل.

... النمو... برامع جيدة... فروع جميلة...

ومع توسيع الصورة، رأى لأنفسهم وأميرا الكلمات تتجمع على شكل شجرة متكاملة.



لكن، ما هذا؟!

حقاً إلى الرسم جيداً، وعلت الأصوات حولهما. فجأة، أدرك لانغدون أنهم لا يُشدون باللاتينية، بل الإنكليزية.

قالت أمبرا: يا إلهي! الكلمات التي على الشاشة... أعتقد أنها متطابقة مع الموسيقى.

أنت على حق. وافقها لانغدون وهو يرى النص يظهر على الشاشة بشكل متزامن مع الأغنية.

... بأسباب تعمل بيضاء... وليس بالأفعال الخارقة...

أصغى لانغدون وهو يشعر بإرباك غريب من مزيج الكلمات والموسيقى. فقد كانت الموسيقى دينية بوضوح، لكن النص متلاقي معها تماماً.

... كائنات عضوية... البقاء للأقوى... الموت للأضعف...
توقف لانغدون فجأة.

أنا أعرف هذا النص!

كان إدموند قد اصطحب لانغدون إلى أداء لهذا منذ بضع سنوات. والمعزوفة التي تحمل عنوان ميسا تشارلز داروين كانت عبارة عن قداس على الطريقة المسيحية استبدل فيه المؤلف النص اللاتيني المقدس التقليدي بمقطفات من نص تشارلز داروين، حول أصل الأنواع، لتوليد تجاور غريب بين أصوات تعبدية تنشد نصاً يتناول قسوة الانقاء الطبيعي.

علق لانغدون قائلاً: "غريب! لقد استمعنا أنا وإدموند إلى هذه المقطوعة منذ مدة، وأحبها. يا لها من مصادفة أن أسمعها مجدداً!".

"ليست مصادفة". تردد صوت مأذوف من مكبرات الصوت فوق رأسيهما. "القد علمني إدموند أن أرحب بالضيف في منزلي بإسماعهم بعض الموسيقى التي تعجبهم، وعرض شيء يثير اهتمامهم لمناقشته".

فتحقق لانغدون وأمبرا إلى مكبرات الصوت بدهشة. كان الصوت المرح الذي استقبلهم يمتاز بلكرة بريطانية واضحة.

قال الصوت الاصطناعي المأذوف جدأ: "أنا مسرور لكمّكم من الوصول إلى هنا. فأنا لم أكن أملك طريقة للاتصال بكم".

"وينستون!". هتف لانغدون باسمه، مستغرياً إحساسه بهذا الارتباط وهو يتواصل مجدداً مع آلة. ثم أخبره هو وأمبرا بما جرى.

قال وينستون: "أنا مسرور لسماع صوتيكم. إذا، أخبراني، هل وجدنا ما نبحث عنه؟".

الفصل 84

قال لأنغدون: "ولiam بليك، The dark religions are departed and sweet science reigns زال الإيمان المظلم وساد العلم النقي".

صمت وينستون للحظة ثم قال: "إنه البيت الأخير من قصيبيته الملحمية Four Zoas، الحيوانات الأربع. أفر أنه خيار مثالي". صمت قليلاً ثم أضاف: "لكن عدد أحرف البيت لا يساوي -"

فقطاعه لأنغدون: "أداة العطف". وشرح له بسرعة الخدعة التي استخدماها كيرش. أجاب الصوت الاصطناعي وهو يضحك ضحكته الغريبة: "هذا إيموند". حشّه أمبرا قائلة: "إذا يا وينستون، الآن وقد بت تعلم كلمة سر إيموند، هل تستطيع تشغيل بقية العرض؟".

أجاب وينستون بثقة تامة: "بالطبع. كل ما أحتاج إليه هو أن تقولوا بإدخال كلمة السر يدوياً. فقد وضع إيموند جدراناً نارية حول هذا المشروع، ولذلك لا أملك إمكانية وصول مباشر إليه. ولكنني أستطيع أن أصطحبكم إلى مختبره وأريكم أين تدخلان المعلومات. وهكذا، يمكننا إطلاق البرنامج في أقل من عشر دقائق".

افتلت لأنغدون وأمبرا إلى بعضهما وقد فوجئا بمدى ثقة وينستون. وبعد كل ما مرّ به هذه الليلة، بدا لهما أن لحظة الانتصار هذه أتت بلا صخب كبير. همست أمبرا وهي تضع يدها على كتفه: "روبرت، الفضل يعود إليك في ذلك. شكرأ لك".

فأجاب مبتسماً: "إنه جهد فريق".

قال وينستون: "ما رأيكم بالذهاب فوراً إلى مختبر إيموند؟ فأنتما مكتشفان تماماً في البهلو، وقد وجدت بعض التقارير الإخبارية التي تشير إلى أنكمما في هذه المنطقة".

لم يفاجأ لأنغدون، فلا بد أن يكون هبوط المروحية العسكرية في الجوار قد لفت الانتباه.

قالت أمبرا: "أخبرنا إلى أين نذهب".

أجاب وينستون: "مُرّا بين الأعمدة، واتبعوا صوتي".

في البهو، توقفت موسيقى الكورال فجأة، وانطفأت شاشة البلازماء، ومن المدخل الرئيس، تردد صدى سلسلة من الأصوات العالية مع انغلق الأغفال آلياً.
لا بد أن إيموند قد حول هذه المنشأة إلى حصن. أدرك لانغدون ذلك وهو يسترق نظرة سريعة إلى نوافذ البهو السميكة، وشعر بالارتياح لدى رؤيته المساحة المشجرة المحيطة بالكنيسة خالية. على الأقل حالياً.

وحين استدار نحو أمبرا، رأى وينستون خفيفاً في نهاية البهو ينير باباً بين عمودين. فتوجّها إليه، ثم دخلا ليجدا نفسيهما في رواق طويل. توهّجت المزيد من المصايب في آخر الرواق، فاسترشدا بها.

وعندما انطلق لانغدون وأمبرا يجتازان الرواق، قال لهما وينستون: "اعتقد أنه لتحقيق القر الأقصى من الحضور، علينا حالاً نشر بيان صحفي عالمي يفيد أنه سيتم قريباً استئناف عرض إيموند كيرش. فإن أعطينا وسائل الإعلام نافذة إضافية لنشر هذا الحديث، سنزيد من نسبة مشاهدة العرض بشكل هائل".

قالت أمبرا وهي تحثّ خطاهما: "فكرة جيدة. لكن، كم من الوقت تعتقد أننا يجب أن ننتظر؟ أنا لا أريد أن نجازف على الإطلاق".

قال وينستون: "سبع عشرة دقيقة. فبنّاك سيتم البث عند رأس الساعة، أي عند الثالثة صباحاً هنا، وفي الوقت الرئيس في أنحاء أميركا".

أجبت: "هذا ممتاز".

قال وينستون: "عظيم. سأرسل البيان الصحفي حالاً، وسيتم إطلاق العرض في غضون سبع عشرة دقيقة".

بذل لانغدون مجهوداً ليواكب تخطيط وينستون السريع.

تقدّمه أمبرا عبر الرواق. "كم عدد الموظفين الموجودين هنا هذه الليلة؟".

أجاب وينستون: "لا يوجد أي موظف. فقد كان إيموند شديد الحرث من الناحية الأمنية. عملياً، ما من موظفين هنا. أنا أدير شبكات الكمبيوتر، بالإضافة إلى الإضاءة، والتبريد، والأمن. كان إيموند يمزح بأنه في عصر المنازل الذكية هو أول من يملك كنيسة ذكية".

لم يكن لانغدون يصغي تماماً، إذ انشغل بقلق مفاجئ حيال القرار الذي يوشكان على اتخاذذه. وينستون، هل تعتقد أن هذه اللحظة هي حقاً اللحظة المناسبة لإطلاق عرض إيموند؟".

توقفت أمبرا في مكانها وحدقت إليه. "روبرت، بالطبع هي كذلك! ألم نأت لهذا السبب؟ العالم كلّه يشاهد. نحن لا نعرف أيضاً ما إذا كان سيفاجئنا شخص آخر بمجيئه في محاولة لإيقافنا، لذلك علينا التنفيذ حالاً، قبل فوات الأوان!".

قال وينستون: "أنا أواقاك على ذلك. فمن وجهة نظر إحصائية بحتة، بلغت هذه القصة نقطة التشبع. وإن قمنا بقياس اكتشاف إيموند بالтирابيات من البيانات الإعلامية، نجد أنه يشكل حالياً إحدى أكبر القصص الإخبارية في هذا العقد. وهذا ليس مستغرباً بالنظر إلى الحجم الذي بلغه مجتمع الانترنت في السنوات العشر الأخيرة".

نظرت إليه أميراً وسألته قائلة: "روبرت، ما الذي تخشاه؟".

ترى لانغدون، محاولاً أن يشرح لها سبب قلقه المفاجئ، "اعتقد أنتي قلق من أجل إيموند؛ لأنَّ قصص المؤامرة التي ثُشرت هذه الليلة من أعمال قتل، واختطاف، ومكائد ملوكية، ستُقْرَأ بظلها على عمله".

قاطعه وينستون قائلاً: "هذه ملاحظة وجيهة، مع أنتي أعتقد أنك تُغفل حقيقة مهمة. فقصص المؤامرة سبب مهم من الأسباب التي ضاغفت عدد المشاهدين حول العالم. إذ كان ثمة 3.8 مليون مشاهد خلل العرض الذي قَنَمَه إيموند على الانترنت في وقت سابق من هذه الليلة. أما الآن، ومع كل الأحداث الدرامية التي استجدة في الساعات الأخيرة، أفتر أن عدد متبعي هذه القصة عبر التقارير الإخبارية على الشبكة ووسائل التواصل الاجتماعي والتلفزيون والإذاعة بلغ مائتي مليون نسمة".

بدأ العد هائلاً بالنسبة إلى لانغدون، مع أنه يذكر أن أكثر من مائتي مليون شخص شاهدوا نهائيات كأس العالم، وخمسماية مليون شخص شاهدوا أول هبوط على سطح القمر منذ نصف قرن مضى؛ عندما لم يكن للإنترنت أي وجود، وكانت أجهزة التلفزيون أقل انتشاراً بكثير على الصعيد العالمي.

قال وينستون: "بروفيسور، ربما كنت لا ترى ذلك في المجتمع الأكاديمي، لكن بقية العالم قد تحول فعلًا إلى برنامج تلفزيون الواقع. والمفارقة هي أن الأشخاص الذين حاولوا إسكات إيموند الليلة، حققوا العكس تماماً. إذ بات إيموند الآن يملك أكبر جمهور لأي إعلان علمي في التاريخ. وهذا يذكرني بالفاتيكان عندما ندد بكتابك الذي أصبح من الكتب الأكثر مبيعاً في ما بعد".

فكَرَ لانغدون في سره: تقريباً من الكتب الأكثر مبيعاً. ولكنه فهم ما قصده وينستون.

قال وينستون: "طالما كان تحقيق أكبر قدر من المشاهدة من أهداف إيموند الأساسية هذه الليلة".

قالت أميراً وهي تنظر إلى لانغدون: "إنه على حق. فعندما كنا أنا وإنموند نفكِّر بحدث غوغنهايم المباشر، كان كل اهتمامه منصبًا على زيادة نسبة المشاهدة ولفت أكبر عدد من الأنظار

قال وينستون: "كما قلت، لقد بلغنا نقطة التشبع الإعلامي، وما من وقت أفضل من هذه اللحظة للإعلان عن الاكتشاف".

قال لانغدون: "فهمت. قل لنا فقط ماذا يجب أن نفعل".

تابعا طريقهما عبر الرواق، ووصلما إلى حاجز غير متوقع، سلم مفتوح في الرواق كأنه يستخدم في الطلاء، الأمر الذي جعل من المستحيل التقدّم من دون تحريك السلم أو المرور من تحته.

قال لانغدون: "هذا السلم، هل أطويه جانبا؟".

قال وينستون: "كلا، فقد وضعه إيموند هناك عمداً منذ مدة طويلة".
سألته أمبرا: "ولماذا؟".

كما تعلمين، كان إيموند يكره الخرافات بكل أشكالها. ولذلك وضع هذا السلم هنا، وأثبت وجهة نظره عبر المرور من تحته يومياً في طريقه إلى العمل. علاوة على ذلك، إن رفض أي ضيف أو فتى المرور من تحته، كان إيموند يطرده من المبني".

كان عقلانياً دوماً. تذكر لانغدون كيف وتخه إيموند عاناً عندما "طرق على الخشب" إنقاء للحسد. روبرت، ما لم تكن داروينياً ما زال يطرق على الأشجار لإنقاذها، أرجو منك أن تترك هذه الخرافات في الماضي الذي تنتمي إليه!

تابعت أمبرا سيرها، ثم أخذت رأسها ومررت من تحت السلم. هذا لانغدون حنوها، لكن مع رعشة خوف غير منطقية.

وعندما وصلما إلى الجهة الأخرى، قادهما وينستون حول زاوية إلى باب أمني كبير مزود بكاميراتين وجهاز مسح بيومترى.

علقت فوق الباب لافتة مصنوعة يدوياً كتب عليها: الغرفة 13.
رقم لانغدون الرقم سيئ السمعة. إيموند يتحدى الخرافات مجدداً.

قال وينستون: "هذا مدخل مختبره. باستثناء الفتنيين الذين استأجرهم إيموند ليساعدوه على بناء هذا المختبر، لم يسمح سوى لعدد قليل جداً بدخول هذا المكان".

صدر أزيز عالي عن القفل، وسرعان ما أمسكت أمبرا بمقبض الباب وفتحته. وما إن خطت من فوق العتبة، حتى توقفت في مكانها ورفعت يدها إلى فمه وهى تشهى. وعندما نظر لانغدون إلى داخل حرم الكنيسة، فهم سبب رد فعلها.

كان يهيمن على قاعة الكنيسة الضخمة صندوق زجاجي لم ير لانغدون بحجمه. كان الصندوق الشفاف يحتل أرض القاعة بأكملها ويبلغ طوله سقف الكنيسة المؤلفة من طابقين.

بدا الصندوق أنه ينقسم إلى طابقين.

في الطابق الأول، رأى لانغدون مئات الخزان المعدنية الشبيهة بالثلاثجة والمنظمة في صفوف، مثل مقاعد كنيسة أمام منبع. لم تكن للخزان أي أبواب، وكان داخليها معروضاً للعيان. تدلّت مصفوفات شديدة التعقيد من الأسلاك الحمراء الساطعة من

شبكات كثيفة من نقاط الاتصال، وذلك بشكل مقوس باتجاه الأرض، حيث ارتبطت بعضها في شبكة كالحال التي امتنت بين الآلات وكانت ما يشبه شبكة من الأوردة.

فَكَرْ لانغدون في سرّه: الفوضى المنظمة.

قال وينستون: «في الطابق الأول، ستريان الكمبيوتر العملاق مارينوستروم، وهو يتَّأْلَفُ من ثمانية وأربعين ألفاً وثمانمائة وستَّ وتسعين نواة إنتيل، تتوصل عبر شبكة إنفينيياند FDR10، وهو واحد من أسرع الآلات في العالم. كان مارينوستروم هنا عندما أتى إدموند، وعوضاً عن إزالته، فضل نجمه. لذلك قام ببساطة بتوصيه... نحو الأعلى».

لاحظ لانغدون أن شبكة مارينوستروم السلكية بأكملها تندمج في وسط الغرفة مشكلة جذعاً واحداً يرتفع عمودياً مثل عريشة ضخمة إلى سقف الطابق الأول. انطلق نظر لانغدون إلى الطابق الثاني من الصندوق الزجاجي الضخم ليرى صورة مختلفة تماماً. هنا في وسط الأرض، على منصة مرتفعة، وُضع مكعب معدني ضخم باللون الرمادي المائل إلى الأزرق. وكان بمساحة عشر أقدام مربعة، بلا أسلاك، ولا مصابيح وامضّة، ولا شيء يشير إلى كيف يمكن أن يكون الكمبيوتر فائق التطور الذي يصفه وينستون حالياً بمصطلحات لا يمكن فهمها.

«... تحل الكيوبيتس محل الأرقام الثانية... تطابق الحالات... خوارزميات الكم... التشاك والأنفاق...».

أدرك لانغدون الآن السبب الذي جعله هو وإدموند يتحدىان بالفن بدلاً من الحوسية.

«... الأمر الذي يؤدي إلى كواحدليونات من حسابات النقاط العائمة في الثانية». ثمَّ تابع وينستون مستنبطاً: «فينتج عن اندماج هاتين الآلتين المختلفتين جداً الكمبيوتر العملاق الأقوى في العالم». همسَت أمبرا: «يا إلهي».

الفصل 85

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

اكتشاف كيرش سينذاع على الهواء في غضون دقائق!

أجل، هذا صحيح!

أكَّد بيان صحفي صادر عن مركز إدموند كيرش للتو أن اكتشافه العلمي المنتظر على نطاق واسع، والذي تم حجبه في أعقاب اغتيال العالم المستقبلي، سيتم بثه إلى العالم مباشرة عند رأس الساعة... (3 صباحاً بالتوقيت المحلي في برشلونة).

ويحسب التقارير، إنَّ نسب المشاهدة ترتفع بشكل كبير، إذ تشير إحصائيات المشاركة العالمية على الإنترنت إلى أن نسبة المشاهدة لم يسبق لها مثيل. وفي هذا الإطار، زعم أنه تم رصد روبيت لانغدون وأمبرا فيدال وهما يدخلان مقر كنيسة توري جirona التي تضم مركز برشلونة للحوسبة الفائقة. إذ يعتقد أن إدموند كيرش كان يعمل هناك خلال السنوات الماضية. غير أنَّ ConspiracyNet

لم تتأكد بعد مما إذا كان هذا هو الموقع الذي ستتم متابعة البث من خالله.

تابعوا أخبارنا حول عرض كيرش الذي يمكن مشاهدته هنا في بث مباشر على

!ConspiracyNet.com

الفصل 86

بينما كان الأمير جولييان يمر من البوابة الحديدية إلى قلب الجبل، شعر أنه قد لا يمكن من الخروج مجدداً.

وادي السقوط. ماذا أفعل هنا؟!

كانت القاعة التي دخلها باردة ومظلمة، يضيئها بالكاد مصباحان كهربائيان. أما جوّها، ففاح برائحة الرطوبة المنبعثة من الصخر.

وقف أمامهما رجل بالزي الرسمي يحمل حلقة مفاتيح تدلّت من يديه المرتعشتين. لم يفاجأ جولييان من القلق الذي بدا على هذا الموظف في قسم التراث الوطني. فقد اصطفَ خلفه ستة من عمالء الحرس الملكي في الظلّام. أبي هنا. لا شك في أنَّ هذا الموظف المسكين استدعي في منتصف الليل لفتح جبل فرانكو من أجل الملك.

تقْمَ أحد عمالء الحرس الملكي بسرعة وقال: "سمّ الأمير جولييان، نيافة الأسقف فالديسيبينو، لقد كنا بانتظاركم. تفضلاً من هنا رجاء".

قاد الحارس كلاً من جولييان وفالديسيبينو إلى بوابة ضخمة من الحديد المطاوع تُقْسِن عليها رمز فرانكوي كبير. كان الرمز عبارة عن نسر شرس ذي رأسين، على غرار الأيقونية النازية.

قال الحارس: "جلّته ينتظركما في نهاية هذا النفق". وأشار لهما عبر البوابة التي لم تكن مقفلة بل مفتوحة جزئياً.

تبادل جولييان والأسقف نظرات الشك، ومرةً عبر البوابة التي انتصب على جانبيه تمثالان معذنيان مخيفان يرمزان إلى الموت، وكلَّ منهما يحمل سيفاً على شكل صليب.

فكَّر جولييان في سرّه وهو يرافق الأسقف في رحلتهما الطويلة داخل الجبل: المزيد من الصور الدينية العسكرية الفرانكوية.

لم يكن النفق الممتد أمامهما يقلَّ زخرفة وأناقة عن قاعة الرقص في القصر الملكي في مدريد. كان الممرّ الفخم بأرضيته الرخامية السوداء اللامعة والمصفولة وسقفه الشاهق المزخرف مضاءً بسلسلة لا نهاية لها كما يبدو من الشمعدانات المعلقة على الجدار كالمشاعل.

غير أن مصدر الضوء في الممر كان الليلة أكثر دراماتيكية بكثير. فقد اصطفت عشرات أحواض النار، مثل مصابيح مدرج على طول النفق، وترافقست فيها نيران برقالية. تقليدياً، كان يتم إشعال هذه النيران في المناسبات الكبرى، لكن وصول الملك في هذه الساعة المتأخرة بدا مناسبة مهمة بما فيه الكفاية لإشعالها جميعاً.

ومع انعكاس ضوء النار المترافقسة على الأرض المصقولة، خيمت على الرواق الضخم أجواء خارقة للطبيعة تقريباً. شعر جولييان بوجود تلك النقوس الحزينة التي حفرت هذا النفق بأيديها، حاملة فؤوسها ومجاريفها، وقد استبدَ بها الإنهاك والتعب بعد سنوات من العمل في هذا الجبل وهي تكابد الجوع والبرد، والكثير منها لقي حتفه؛ وكل ذلك تعجيناً لفرانكو الذي نُفن في أعماق الجبل.

كان والده قد قال له: انظر جيئاً يابني، يوماً ما ستهدم هذا المكان.

عرف جولييان أنه حين يصبح ملكاً، لن يملك القوة على الأرجح لتدمير هذا البناء الرائع. لكن، لا بد له أن يقرَّ بأنه فوجيء لأنَّ شعب إسبانيا سمح ببقاءه، لا سيما نظراً لمدى توقِّه للبلاد إلى تجاوز ماضيها المظلم والانضمام إلى العالم الجديد. مع ذلك، ثمة أناس ما زالوا يتوقعون إلى التقاليد القديمة. وكلَّ عام، في ذكرى وفاة فرانكو، يتواتد مئات الفرانكيين المستندين إلى هذا المكان إكراماً له.

قال الأسقف بصوت خافت، بعيداً عن مسامع الآخرين، فيما كانوا يتوجّلُون في الممر: "دون جولييان، هل تعرف لماذا استدعانا والدك إلى هنا؟".

هزَّ جولييان رأسه نافياً: "كنت أمل أنْ تجيبَ أنتَ عن هذا السؤال".

تهاه فالديسيبينو بارهاق وقال: "ليست لدى أي فكرة".

ما دام الأسقف لا يعرف شيئاً عن الواقع أليس، فهذا يعني أنَّ لا أحد يعرف.

قال الأسقف بلطف مفاجئ: "أتمنَّى فقط أن يكون كلَّ شيء على ما يرام. فبعض القرارات التي أصدرها في الآونة الأخيرة...".

"هل تعني استدعاعنا إلى اجتماع في جبل في الوقت الذي ينبغي أن يكون فيه طريح الفراش في أحد المستشفيات؟".

فابتسم فالديسيبينو رفق. "مثلاً، أجل".

تساءل جولييان عن سبب عدم تدخل مراقبِي الملك ورفضهم إخراجه من المستشفى وإحضاره إلى هذا المكان المخيف. ومع ذلك، كان يعرف أنَّ الحرس الملكي مدربون على الطاعة من دون طرح الأسئلة، لا سيما حين يأتي الطلب من قائدتهم الأعلى.

قال فالديسيبينو وهو يتحقق إلى نهاية الممر المضاء بالنيران: "لم آتِ للصلة هنا منذ سنوات".

كان جولييان يعرف أن النفق الذي يسيران فيه لم يكن فقط مدخلًا إلى الجبل، بل كان يشكل أيضًا صحن كنيسة كاثوليكية معترف بها رسمياً. إلى الأمام، بدأ الأمير بري صفوف المقاعد المخصصة للمصلين.

البازيليك السرية، *La basilica secreta* كان المحراب المذهب المنحوت في قلب جبل الغرانيت في آخر هذا النفق عبارة عن قاعة فسيحة، تشكل بازيليك مذهلة تحت الأرض تعلوها قبة ضخمة. يُساعَ أن الضريح الممتد في جوف الأرض تزيد مساحته عن مساحة ضريح كنيسة القديس بطرس في روما، ويضم ست كنائس منفصلة تحيط بمذبحه العالي الذي وضع مباشرة تحت الصليب الذي يعلو الجبل.

مع اقترابهما من المحراب الرئيس، تأمل جولييان القاعة الضخمة بحثاً عن أبيه، غير أن البازيليك بدت خالية تماماً.

سألَه الأسقف وقد بدا عليه القلق: «أين هو؟».

بدأ القلق ينتاب جولييان أيضاً الذي خشي أن يكون الحرس قد تركوا الملك بمفرده في هذا المكان المقرر. فتقىَّمَ الأمير إلى الأمام بسرعة، وجال بنظره في أرجاء أحد جناحِي الكنيسة ومن ثم الآخر، غير أنه لم يجد أثراً لأحد. اندفع متوجلاً أكثر، ودار حول جانب المذبح، ثم دخل جناح الكنيسة.

هنا، في أحشاء الجبل، رأى جولييان أبوه أخيراً، فتوقف في مكانه. كان ملك إسبانيا بمفرده تماماً، مغطى ببطانية ثقيلة، وجالساً على كرسيٍّ متحركٍ.

الفصل 87

داخل المحراب الرئيس للكنيسة المهجورة، تبع لأنغدون وأمبرا صوت وينستون ودارا حول محيط الكمبيوتر العملاق المؤلف من طابقين. ومن خلال الزجاج السميك، سمعا طنيناً عميقاً يرافقه اهتزاز صادر من الآلة الضخمة في الداخل. شعر لأنغدون كما لو أنه يتحقق إلى قفص وحش سجين.

قال وينستون إن الصوت صادر ليس عن الإلكترونيات بل عن مجموعة واسعة من مراوح الطرد المركزي، ومصارف الحرارة، ومضخات المبرد السائل لمنع درجة حرارة الآلة من الارتفاع.

قال وينستون: "الصوت هنا يضم الآذان، كما أن الحرارة جليدية. لكن لحسن الحظ، يقع مختبر إيموند في الطابق الثاني".
رأيا أمامهما سلماً لولبياً قائماً بذاته وملتصقاً بالجدار الخارجي للصندوق الزجاجي.
بأمر من وينستون، صعد لأنغدون وأمبرا السلم، ليصلا إلى منصة معدنية أمام باب دوار زجاجي.

ابتسم لأنغدون وهو يلاحظ أن هذا المدخل مستقبلي الطراز المؤدي إلى مختبر إيموند مؤثث مثل منزل في إحدى الضواحي، مع دوّامة تحمل جملة ترحيبية، ونبتة اصطناعية في وعاء، ومقدع صغير وضع تحته شبشب، كان واضحاً أنه لإيموند.
فوق الباب، عُلقت رسالة في إطار.

النجاح هو القدرة على الانتقال
من فشل إلى آخر
من دون فقدان الحماسة.

- وينستون تشرشل

قال لأنغدون لاقت نظر أمبرا إلى الرسالة: "المزيد من أقوال تشرشل".

قال وينستون: "إنه الاقتباس المفضل لدى إيموند. إذ كان يقول إنه يشير إلى أعظم قوى أجهزة الكمبيوتر".

سألته أميراً: "الكمبيوتر؟!".

"أجل، فأجهزة الكمبيوتر مثابرة إلى ما لا نهاية. فلأنها قد أفشل ملايين المرات، ولكنني لاأشعر بالإحباط، بل أندفع في محاولتي رقم مiliar في حل مشكلة معينة بالطلاقة نفسها التي مدتني محاولتها الأولى.. أما البشر، فلا يستطيعون ذلك."

قال لانغدون: "هذا صحيح. فأنا أستسلم عادة بعد محاولتي المليون".

ابسنت أميراً وتوجهت نحو الباب.

قال وينسون حين بدأ الباب يدور آلياً: "الأرضية في الداخل زجاجية، لذا من فضلكما أخلعا حذاءكم".

سرعان ما خلعت أميرا حذاءها واجتازت الباب الدوار حافية، وهذا لأنغدون حنوها، ولاحظ أن الحملة الترحيبية التي كتبت على الرسالة كانت التالية:

127.0.0.1 مکان شنید

"وينستون، أهذه دوّاسة؟ أنا لا أفهم -"

أجاب وينستون: "مضيف محلى".

قرأ لانغدون الرسالة مجدداً. قهقحت. قال ذلك من دون أن يفهم على الإطلاق، وتابع مروره عبر الباب الدوار.

وعندما خطا لانغدون فوق الأرض الزجاجية، شعر بلحظة شك. فالوقوف على السطح الشفاف بجوربه كان مثيراً للأعصاب بما فيه الكفاية، لكن أن يجد نفسه يحلق مباشرة فوق كمبيوتر مارينوستروم في الأسفل، فقد سبب له ذلك قلقاً مضاعفاً. وذلك لأنّ النظر من هذا المكان إلى كتبية الرفوف المعقدة في الأسفل كان يشبه النظر إلى جيش الطين في حفرة شيان الأثرية الشهيرة في الصين.

أخذ لأنعدون نفساً عميقاً ونظر إلى الغرفة الغربية أمامه.

كان مختبر إدموند عبارة عن مستطيل شفاف يهيمن عليه المكعب المعدني الرمادي المائل إلى الزرقة الذي رأه سابقاً، وكان سطحه اللامع يعكس كلّ ما حوله. إلى يمين المكعب، عند أحد أطراف الغرفة، جُهِرت زاوية مكتبة تضم طاولة نصف دائريّة، وثلاث شاشات إل سي دي ضخمة، فضلاً عن ألواح مفاتيح متوجّعة غائرة في سطح المكتب المصنوع من الغرانيت.

همست أميراً: "مركز التحكم".

أو ما لانعدون برأسه موافقاً، ونظر إلى الطرف المقابل من الغرفة. هناك، وضعت

مقاعد، وأريكة، ودرجات للتمارين الرياضية فوق سجادة شرقية الطراز.

رجل كهف يعمل في الحوسية الخارقة، هذا ما فكر فيه لانغدون. فقد كان إدموند يملك كل شيء، ولكنه انتقل إلى هذا الصندوق الزجاجي خلال عمله على مشروعه. ما

الذى اكتشفه هنا؟ زال تردد لانغدون الأولى وشعر الآن بانجذاب متعاظم ناتج عن الفضول الفكري؛ عن توق لمعرفة ما تم اكتشافه هنا، والأسرار التي تم كشف النقاب عنها بالتعاون بين عقل عبقري وآللة قوية.

كانت أمبرا قد ذهبت إلى المكتب الضخم، وراحت تحدق حائرة إلى سطحه المصقول باللون الرمادي المائل إلى الزرقة. انضم إليها لانغدون، وانعكست صورتهما على سطحه اللامع.

تساءل لانغدون: أهذا كمبيوتر؟ فخلافاً لللة الموجودة في الأسفل، كانت هذه الآلة صامدة تماماً، جامدة وخالية من الحياة، كصخرة معدنية.

نكره لون الآلة العائلي إلى الزرقة بكمبيوتر خارق يرجع إلى مطلع تسعينيات القرن المنصرم ويدعى "بيب بلو" (الأزرق العميق) الذي أدهش العالم بفوزه على بطولة العالم في الشطرنج غاري كاسباروف. ومنذ ذلك الحين، بات من المستحيل تقريباً فهم أوجه التقى في تكنولوجيا الحوسبة.

أتاها صوت وينستون من مكبرات الصوت في الأعلى: "هلا تظتران إلى الداخل".

فوجئت أمبرا وسألته: "أنظر إلى داخل المكتب؟".
أجاب وينستون: " ولم لا؟ كان إد蒙د سيشعر بالفخر لو استطاع أن يُريكم كيفية عمله".

"هذا غير ضروري". قالت أمبرا ذلك والتقت إلى مكتب إد蒙د. "أفضل التركيز على إدخال كلمة السر. كيف يمكننا فعل ذلك؟".
لن يستغرق الأمر سوى ثوانٍ، وما زالت لدينا أكثر من إحدى عشرة دقيقة قبل الإطلاق. ألقوا نظرة على داخل المكتب".

أماهما، انزلق لوح يغطي جانب المكتب المواجه لمكتب إدموند وفتح، كاشفاً عن لوح زجاجي سميك. فالتف لانغدون وأمبرا حول المكتب وألصقا وجهيهما باللوح الشفاف. توقع لانغدون رؤية مجموعة أخرى من الأسلاك والمصابيح الوامضة الكثيفة. غير أنه لم ير شيئاً من هذا القبيل. استغرب تماماً لدى رؤيته داخل المكتب مظلماً وخالياً، كأنه غرفة صغيرة فارغة. بدا أن محتوياته الوحيدة كانت عبارة عن نفخات من الضباب الأبيض التي راحت تحوم في الهواء، كما لو أن الغرفة ثلاثة يمكن السير فيها. كان ملمس زجاج البلكسي السميك بارداً على نحو غريب.

قالت أمبرا: "ما من شيء هنا".
لم ير لانغدون شيئاً هو الآخر، ولكنه شعر بنبض متكرر ومنخفض منبعث من داخل المكتب.

قال وينستون: "هذا النبض البطيء صادر عن نظام التبريد والتخفيف النابض، ويشبه بصوته نبض القلب البشري".
بالفعل. شعر لأنغدون بالتوتر من هذه المقارنة.

ببطء، أخذت المصايب الحمراء في الداخل تضيء قلب المكعب. في البداية، لم يز لانغدون سوى ضباب أبيض وغرفة مكعبية خالية. وبعد ذلك، ومع ازدياد وهج المصايب، لمع شيء في الهواء فوق الأرض، وأدرك وجود أسطوانة معدنية معقدة معلقة بالسقف مثل ثريا.

قال وينستون: "وهذا ما ينفي على المكعب الحفاظ على برونته".

كان الجهاز الأسطواني المدللي من السقف بطول خمس أقدام تقريباً، ومؤلفاً من سبع حلقات أفقية ينخفض محيطها مع انخفاضها، مشكلاً عموداً يزداد ضيقاً من الأقراص المتدرجة المعلقة بقضبان عمودية نحيلة. كانت المساحة بين الأقراص المعدنية المصقوله مشغولة بشبكة من الأسلاك الحساسة. وحام حول الجهاز بأكمله ضباب جليدي.

شرح لها وينستون بسرعة أن د- وايف هو "كمبيوتر الكم" البدائي الأول في العالم، والذي فتح عالماً جديداً وجريناً من القوة الحوسبة التي كان العلماء ما زلوا يكافحون لفهمها. فعوضاً عن استخدام الطريقة الثانية لتخزين المعلومات، تستقى حosome الكم من الخواص الكتيبة للجسيمات دون الذرية، مما يؤدي إلى قفزة هائلة في السرعة، والقدرة، والمرنة.

قال وينستون: "هيكلياً، لا يختلف كمبيوتر إدموند الكمّي كثيراً عن د-وايف. ويكمّن أحد أوجه الاختلاف في المكعب المعدني المحيط بالكمبيوتر. فالمكعب مغلف بالألوسيميوم؛ وهو عنصر كيميائي نادر فائق الكثافة يوفر درعاً مغناطيسياً وحرارياً وكثيراً هائلاً، كما يشكّل برأيي جزءاً من حبّ إدموند للدراما". فابتسّع لانغماده، إذ خطّرت بيالله الفكرة نفسها.

"خلال السنوات الأخيرة، وبينما كان مختبر الذكاء الاصطناعي الكمّي في غوغل يستخدم آلات مثل د-وايف لتحسين تعليم الآلة، تفوق إدموند على الجميع سرًا بهذه الآلة. وقام بذلك باستخدام فكرة جريئة واحدة...". صمت وينستون قليلاً ثم أضاف: "ثانية التمثيل".

عيسى لانغدون. المجلسان البرلمانيان؟

تایم وینستون: "الدماغ المؤلف من نصفين؛ الفص اليمين والفص الأيسر".

عقل ثانية التمثيل. فمن الأمور التي تميز الكائنات البشرية وتجعلها بهذا الإبداع أن نصفى الدماغ بشكل مختلف جداً. فالدماغ الأيسر تحليلي ولفظي، في حين أن الدماغ الأيمن حسي ويفضّل الصور على الكلمات.

قال وينستون: "وكانت خدعة إيموند هي بناء دماغ اصطناعي يحاكي الدماغ البشري، أي أنه مقسم إلى فصين، أيمان وأيسر. مع أنه في هذه الحالة أقرب إلى طابق علوى وطابق سفلي".

تراجع لانغدون، وحذق عبر الأرضية الشفافة إلى الآلة الموجودة في الطابق السفلي ومن ثم إلى "الثريا" الصامدة داخل المكعب. آلتان مختلفتان مدمجتان في عقل واحد ثانية التمثيل.

قال وينستون: "عندما تُجبر هاتان الآلتان على العمل كوحدة أحادية، فهما تعتمدان نهجين مختلفين لحل المشاكل، وبالتالي تواجهان أنواع الصراع والتوفيق نفسها التي تواجه فصي الدماغ البشري؛ الأمر الذي يسرع إلى حد كبير من قدرة الذكاء الاصطناعي على التعلم والإبداع، ويشكل من الأشكال... محاكاة السلوك الإنساني. في حالي، أعطاني إيموند أدوات لأعلم نفسي حول الإنسانية من خلال مراقبة العالم من حولي ونمذجة السمات البشرية؛ الفكاهة، والتعاون، والأحكام المرتبطة بالقيم، وحتى حسن الأخلاق".

هذا لا يصدق. قال لانغدون: "إذا، هذا الكمبيوتر المزدوج هو في الأساس... أنت؟!".

ضحك وينستون. "في الواقع، لا يمكن اعتبار هذه الآلة أنا بقدر ما تعتبر أن دماغك المادي هو أنت. فلو تأملت دماغك داخل وعاء، ما كنت لتقول هذا الشيء هو أنا. فنحن مجموعة التفاعلات التي تحدث داخل الآلة".

قاطعته أمبرا وهي توجه نحو مكتب إيموند. "وينستون، كم بقي من الوقت للإطلاق؟".

أجاب وينستون: "خمس دقائق وثلاث وأربعون ثانية. هل نستعد؟".

أجابته: "أجل من فضلك".

أغلق الغطاء المعدني من جديد، واستدار لانغدون للانضمام إلى أمبرا في مختبر إيموند.

قالت: "وينستون، بالنظر إلى كل العمل الذي تقوم به هنا مع إيموند، أنا أستغرب عدم اطلاعك على اكتشافه على الإطلاق".

"آنسة فيدال، سبق لي أن قلت إن معلوماتي مجزأة، ولا أملك سوى البيانات نفسها التي تملكينها. ولذلك يمكنني أن أعطي تخميناً وحسب استناداً إلى ما أملكه من معلومات".

سألته وهي تتفحص مكتب إدموند: "وما هو هذا التخمين؟".

"في الواقع، يزعم إدموند أن اكتشافه سيغير كل شيء. ومن تجربتي، إن معظم الاكتشافات التحويلية في التاريخ أدت إلى مراجعة نماذج الكون، محدثة اختراقات مثل رفض فيثاغورس لنموذج الأرض المسطحة، ومركزية الشمس لدى كوبيرنيكوس، ونظريّة التطور، واكتشاف آينشتاين للنسبية، وجميعها غيرت بشكل كبير نظرة البشرية لعالمها وحدثت نموذجنا الحالي للكون".

نظر لانغدون إلى مكتب الصوت فوق رأسه وقال: "إذاً، أنت تخمن أن إدموند قد اكتشف شيئاً يقترح نموذجاً جديداً للكون؟".

أجاب وينستون وهو يتكلّم بسرعة أكبر الآن: "هذا استنتاج منطقي. فمارينوستروم واحد من أرقى كمبيوترات المذكرة على وجه الأرض، وهو متخصص في المحاكاة المعقدة، وأشهرها أليا ريد، وهو قلب بشري افتراضي يعمل بشكل كامل، ودقيق الصنع وصولاً إلى المستوى الخلوي. وبالطبع، مع إضافة العنصر الكمّي مؤخراً، سيصبح من شأن هذه المنشأة أن تصنع نماذج لأنظمة أكثر تعقيداً بمالين المرات من الأعضاء البشرية".

فهم لانغدون الفكرة، لكنه ما زال عاجزاً عن تخيل النموذج الذي صنعه إدموند للإجابة عن السؤالين: من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟

نادت أميراً من مكتب إدموند: "وينستون، كيف تشغّل كلّ هذا؟".

أجابها وينستون: "يمكّنني مساعدتك".

أضاءت الشاشات الضخمة الثلاث لحظة وصول لانغدون إلى جانب أميراً. ومع ظهور الصور على الشاشة، تراجع كلّ منهما مذعوراً.

سألته أميراً: "وينستون... هل هذه الصور مباشرة؟".

"أجل، هذا بث مباشر من كاميراتنا الأمنية في الخارج. اعتقدت أنّكما تعرّفان، فقد وصلوا منذ بضع ثوانٍ".

أظهرت شاشات العرض مشهداً للمدخل الرئيس للكنيسة، وهناك تجمّع جيش صغير من عناصر الشرطة الذين كانوا يضغطون على زر الاتصال، ويحاولون فتح الباب، ويتحمّلون عبر أجهزة اللاسلكي.

قال وينستون مؤكداً: "لا تقلقوا، لن يتمكّنا من الدخول. كما أثنا على بعد أقلّ من أربع دقائق لتشغيل العرض".

قالت أميراً: " علينا تشغيله حالاً".

أجابها وينستون بصوت هادئ: "أعتقد أن إدموند كان سيفضّل الانتظار حتى رأس الساعة كما وعد؛ فهو رجل يحترم كلمته. بالإضافة إلى ذلك، أنا أراقب نسب المشاهدة،

وجمهورنا ما زال يزداد عدداً. فخلال الدقائق الأربع التالية، وبالتوقيت الحالي، سيزداد عدد المشاهدين بنسبة 12.7 بالمائة، وأعتقد أنه سيبلغ النسبة القصوى". صمت وينستون قليلاً وبدا منفاجناً بعض الشيء وهو يتابع: "لا بدّ لي من القول، على الرغم من كلّ ما حدث هذا المساء، إنّ عرض إدموند سبيث على ما يبدو في التوفيق الأمثل. أعتقد أنه سيكون ممتنّاً لكما لو كان على قيد الحياة".

الفصل 88

أقل من أربع دقائق. هذا ما فكر فيه لانغدون وهو يجلس على كرسي إيموند ويحول نظره إلى شاشات إل سي دي الثلاث الضخمة التي تهيمن على هذه الزاوية من الغرفة. على الشاشة، كانت لقطات الكاميرات الأمنية الحية ما زالت تعرض رجال الشرطة المجتمعين حول الكنسية.

سألته أميرا قائلة وهي تتنقل بتوتر خلف لانغدون: "هل أنت واثق أنهم لا يستطيعون الدخول؟".

أجاب وينستون: «تقى بي، فإدموند كان يتعامل بجدية كبيرة مع موضوع الأمن». قال لأنغدون: «وماذا لو قطعوا الطاقة عن المبني؟».

أجاب وينستون ببساطة: "إمدادات الطاقة معزولة، وهي عبارة عن صناديق مدفونة في قمة المtnاء. ما من أحد يستطيع التدخل في هذه المرحلة، أنا أؤكد لكم ذلك." استسلم لأنفسهم. كان وينستون محقاً على جميع الجبهات هذه الليلة... وقمنا بـ الدعم والحماية طوال الوقت.

جلس لانجدون في وسط المكتب الذي يتّخذ شكل حدوة الحصان، وحول انتباهه إلى لوحة المفاتيح غير الاعتيادية الموجودة أمامه. كانت تشمل على الأقلّ على ضعف عدد المفاتيح المعتادة، إذ تضمّ الأحرف الأبجدية التقليدية، بالإضافة إلى مجموعة من الرموز التي لم يتعرّف عليها هو نفسه. وكانت مقسمة في الوسط، وكلّ نصف مثبت بزاوية مريحة بعيداً عن الآخر.

قال لانغدون وهو يحدّق إلى مجموعة المفاتيح المُحيرة: «هلاً تساعدنا هنا من فضلك».

أجاب وينستون: "هذا لوح المفاتيح الخاطئ. فهذه نقطة الدخول الرئيسة إلى إـ وايف. كما سبق ذكرت، أخفى إدموند هذا العرض عن الجميع، بمن فيهم أنا. ولا بد أن يتم تشغيله من آلـة مختلفة. اذهب إلى اليمين، على طول الطريق نحو النهاية.".

الافت لانعدون إلى يمينه، ورأى نصف زينة من أجهزة الكمبيوتر القائمة بذاتها والمصنوفة على طول المكتب. وبينما كان يقترب نحوها، فوجئ عندما لاحظ أن الأجهزة القليلة الأولى قنطرة الطراز جداً وغايا عليها الزمن. والغريب أنه كلما تقترب، بدت الآلات أقمن.

لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. فكر في ذلك وهو يمز جهاز آي بي إم دوس ضخم بلون البيج لا بد أنه يرجع إلى عقود من الزمن." وينسون، ما هذه الآلات؟". إنها أجهزة الكمبيوتر التي استخدمها إدموند في صباح. فهو يحتفظ بها كذكرى بجنوره. وفي بعض الأحيان، في الأيام الصعبة التي كان يواجهها هنا، كان يشغلها ويستخدم البرامج القديمة، ليعيد الاتصال بالدهشة التي شعر بها في صباح عندما اكتشف البرمجة.

قال لانغدون: "أعجبتني الفكرة."

قال وينسون: "تماماً مثل ساعة ميكى ماوس التي تأبى التخلي عنها".

فوجئ لانغدون ونظر إلى الأسفل، ثم رفع كم سترته لينظر إلى الساعة القديمة التي يستخدمها منذ أن قدمت له في طفولته. استغرب لأن وينسون يعرف بموضع هذه الساعة، ولكنه تذكر أنه أخبر إدموند مؤخراً أنه يضعها ليحافظ على شباب روحه.

قالت أمبرا: "روبرت، ما رأيك بتأجيل موضوع الموضة، وإدخال كلمة السرّ من فضلك؟ حتى فأرتك تلوح لك في محاولة لفت انتباحك".

بالفعل، كانت يد ميكى المكسوة بالقفاز مرفوعة عالياً فوق رأسه، وسبابته تشير إلى الأعلى مباشرة تقريباً. ثلث دقائق بعد.

جلس لانغدون إلى المكتب بسرعة، وانضمت إليه أمبرا عند آخر جهاز كمبيوتر في السلسلة، وكان عبارة عن صندوق قبيح الشكل بلون الفطر مزود بفتحة للقرص المرن ومودم هاتف بقوة 1.200 باود، فضلاً عن شاشة محببة بحجم اثنى عشر إنشاً موضوعة على سطحه.

قال وينسون: "تاندي TRS-80، أول جهاز كمبيوتر لدى إدموند. اشتراه وعلم نفسه لغة بايزيك عندما كان في الثامنة من عمره".

فرح لانغدون عندما رأى أنه نجح في تشغيل هذا الكمبيوتر، على الرغم من قدمه، وكان ينتظر. أضاءت شاشته السوداء والبيضاء وتوجهت برسالة واحدة، كتبت بخطٍ مقطع.

أهلاً، إدموند.

يرجى إدخال كلمة السرّ:

بعد عبارة كلمة "السرّ"، راح مؤشر أسود يومض بترقب.

سأل لانغدون وهو يشعر أن كل شيء كان بسيطاً للغاية: "أهذا كل شيء؟ هل أدخلها هنا؟".

أجاب وينستون: "تماماً، فما إن تدخل كلمة السر حتى يُرسل هذا الجهاز رسالة فتح للقسم المغلق في الكمبيوتر الرئيس الذي يحتوي على عرض إيموند. بعد ذلك، سيكون على الدخول لإدارة التغذية، وتوقيتها مع بداية الساعة، ومن ثم دفع البيانات إلى قنوات التوزيع الرئيسة كافة لإعادة بثها عالمياً".

أضف لانغدون إلى الشرح إلى حد ما، ولكنه مع ذلك حدق إلى جهاز الكمبيوتر ومودم الهاتف القديم وشعر بشيء من الحيرة. "لا أفهم يا وينستون، فبعد كل التخطيط الذي قام به إيموند الليلة، لماذا يوكل محاضرته بأكملها لاتصال هاتفي بمودم عفا عليه الزمن؟".

أجاب وينستون: "برأيي، هذا إيموند. فكما تعلم، كان مولعاً بالدراما والرمزية والتاريخ، وأعتقد أن تشغيل أول جهاز كمبيوتر له واستخدامه لإطلاق أعظم اكتشافاته في الحياة جلب له فرحة كبيرة".

هذا ممكن. أدرك لانغدون أن إيموند كان سيرى الأمور فعلاً على هذا النحو. أضاف وينستون: "بالإضافة إلى ذلك، أعتقد أنه كان يملك إجراءات طوارئ، ولكن في جميع الحالات ثمة منطق في استخدام جهاز كمبيوتر قديم لمجرد تحريك بدالة. فالمهام البسيطة تتطلب أدوات بسيطة. ومن الناحية الأمنية، إن استخدام معالج بطيء يضمن أن تستغرق محاولات قرصنة النظام وقتاً هائلاً".

"روبرت". حثته أميراً من خلفه وهي تضغط على كتفه مشجعة. "أجل، أنا آسف. كل شيء جاهز". سحب لانغدون لوحة مفاتيح تاندي إليه، فشد السلك الموصول به والذي بدا أشبه بسلك هاتف قديم. وضع أصابعه على المفاتيح البلاستيكية وتخيل بيت الشعر المكتوب بخط اليد الذي اكتشفه هو وأميراً في قبو ساغرادا فاميليا.

.The dark religions are departed & sweet science reigns

زال الإيمان المظلم وساد العلم النقيء.

بدت خاتمة قصيدة وليم بلوك الملحمية، الحيوانات الأربعية، خياراً مثالياً لإطلاق الاكتشاف العلمي الأخير لإيموند، والذي ادعى أنه سيغير كل شيء. أخذ لانغدون نفساً عميقاً وطبع بعنابة البيت الشعري، من دون مسافات فاصلة بين الكلمات، مستبدلاً أداة العطف بكلمة *er*.
وعندما انتهى، نظر إلى الشاشة.

يرجى إدخال كلمة السر:

قام لأنغدون بعد النقاط، وكان مجموعها سبعة وأربعين.
ممتاز، لم يحدث شيء.
نظر لأنغدون إلى أميرا التي أومأت برأسها. فمد يده وضغط على زر العودة.
وعلى الفور، أصدر الكمبيوتر أزيزاً.

كلمة السر خاطئة. حاول مجدداً.

أخذ قلب لأنغدون ينبض بعنف.
أميرا، لقد طبعتها بشكل صحيح! أنا واثق من ذلك!، ثم استدار في كرسيه ونظر
إليها متوقعاً أن يرى ملامح الخوف تكسو وجهها.
ولكن، عوضاً عن ذلك، حدقت إليه أميرا في الحال وهي تبتسم، ثم هزت رأسها
وضحكـت.

همست مشيرة إلى لوحة المفاتيح: "بروفيسور، قفل المفاتيح مشغل".

في تلك اللحظة، في أعماق الجبل، وقف الأمير جوليـان يحدق ذاتـاً عبر
البازيليك المبنـية تحت الأرض، ويحاول أن يفهم المشهد المحير أمامـه. فقد كان والـده
ملك إسبانيا، جالـساً بلا حراك على كرسيـ متـحركـ في أـبعد زـاويةـ من هذهـ البـازـيلـيكـ.
اندفعـ إلىـهـ جـوليـانـ بـخـوفـ قـائـلاًـ: "أـبيـ".
مع وصولـ جـوليـانـ، فـتحـ الـمـلـكـ عـيـنـيـهـ، وـبـداـ وـكـائـنـ يـسـتـيقـظـ مـنـ غـفـوةـ قـصـيرـةـ. تمـكـنـ

الـمـلـكـ المـريـضـ مـنـ رـسـمـ اـبـتسـامـةـ خـفـيـةـ عـلـىـ شـفـتـيـهـ، ثـمـ هـمـسـ بـصـوـتـ ضـعـيفـ: "شـكـراـ
لـمـجـيـئـكـ يـاـ بـنـيـ".

ركعـ جـوليـانـ أـمـامـ الـكـرـسـيـ الـمـتـحـركـ وـقـدـ شـعـرـ بـالـارـتـياـحـ لـأـنـ وـالـدـهـ عـلـىـ قـيدـ الـحـيـاةـ،
ولـكـتهـ انـزـعـجـ مـنـ مـدـىـ تـدـهـورـ صـحـةـ الرـجـلـ خـلـالـ بـضـعـةـ أـيـامـ وـحـسـبـ. "أـبـيـ، هـلـ أـنـتـ
بـخـيرـ؟ـ".

هـزـ الـمـلـكـ كـتـفـيـهـ وـأـجـابـ بـمـرـحـ مـفـاجـيـهـ: "بـخـيرـ قـدـرـ الـإـمـكـانـ. كـيـفـ حـالـكـ؟ـ كـانـ
يـوـمـكـ...ـ حـافـلـ بـالـأـحـادـاثـ".

لمـ يـعـرـفـ جـوليـانـ بـمـاـذـاـ يـجـيبـ. "مـاـذـاـ تـفـعـلـ هـنـاـ؟ـ".
"فـيـ الـوـاقـعـ، سـئـمـتـ مـنـ الـمـسـتـشـفـيـ وـرـغـبـتـ فـيـ اـسـتـشـاقـ بـعـضـ الـهـوـاءـ".
"عـظـيمـ، لـكـنـ...ـ هـنـاـ؟ـ". كـانـ جـوليـانـ يـعـرـفـ أـنـ وـالـدـهـ يـمـقـتـ الـرـابـطـ الرـمـزـيـ لـهـذـاـ
الـضـرـبـ بـالـاضـطـهـادـ وـالـتـعـصـبـ.

قال الأسقف فالديسبيينو وهو يأتي مسرعاً من حول المذبح للانضمام إليهما وهو يلهث: "جللة الملك! لكن، ما الذي أتى بك إلى هنا؟".
ابتسم الملك لصديقه القيم وقال: "أنطونيو، أهلاً بك".
أنطونيو؟ لم يسبق لجوليان أن سمع والده يخاطب الأسقف باسمه الأول. فلطالما خاطبه علناً بلقب "نافقة الأسقف".
بدأ أن سلوك الملك غير الرسمي أربك الأسقف، فأجاب متعثماً: "شكراً... هل أنت بخير؟".

أجاب الملك وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "إنني بأحسن حال. فأنا برفقة أكثر شخصين أثق بهما في العالم".
ووجه فالديسيبينو نظرة اضطراب إلى جولييان، ثم التفت مجدداً إلى الملك. "يا صاحب الجلاله، لقد أوصلت ابنك إليك كما طلبت، هل أرحل الآن وأترككم بمفردي؟".
قال الملك: "كلّا يا أنطونيو. فأنا أريد أن أدلّي باعتراف، وأحتاج إلى وجود كاهنٍ إلى جانبي".

فهرز فالديسبينو رأسه معرضًا. "أنا لا أعتقد أنَّ ابنك يتوقع منك أنْ تُبرر له تصريحاتك وسلوكك هذه الليلة. أنا واثق أنه—" ضحك الملك قائلًا: "الليلة! كلاً يا أنطونيو، أنا أريد الاعتراف بسرّ أخفيته عن جولييان طوال حياته".

الفصل 89

ConspiracyNet.com

خبر عاجل

الكنيسة تحت الهجوم!

كلا، ليس من قبل إدموند كيرش، بل من قبل الشرطة الإسبانية! كنيسة توري جيرونا في برشلونة مطوقة حالياً من قبل السلطات المحلية. في الداخل، يعتقد أن روبرت لاتغدون وأمبرا فيدال سيكونان المسؤولين عن الإطلاق الناجح لإعلان إدموند كيرش المنتظر على نطاق واسع، والذي سيُثْبَت في خضون دقائق وحسب.

لقد بدأ العد التنازلي!

الفصل 90

شعرت أمبرا فيDAL بفرحة عارمة وهي ترى جهاز الكمبيوتر القديم يطأ بعد محاولة لانغدون الثانية لإدخال بيت الشعر.

كلمة السر صحيحة.

الحمد لله. في هذا الوقت، وقف لانغدون والتقت إليها، فأحاطته بذراعيها فوراً، واحضنته بقوّة. سيكون إيموند ممتنّاً لنا.

قال وينستون: "دقيقتان وثلاث وثلاثون ثانية".

أفلتت أمبرا لانغدون، والتقتا إلى شاشات إل سي دي فوق رأسيهما. كانت الشاشة المركزية تعرض العد التنازلي الذي رأته أمبرا في غوغنهايم.

يبدأ البرنامج الحي بعد دقيقتين وثلاث وثلاثين ثانية
الحضور الحالي عن بعد: 227,257,914

دُهشت أمبرا. أكثر من مائتي مليون شخص! من الواضح أنها بينما كانت هي ولانغدون يفرّان في أرجاء برشلونة، عرف بهما العالم بأسره. أصبح عدد جمهور إيموند فلكياً.

إلى جانب شاشة العد التنازلي، استمر عرض لقطات حيّة لكاميرات المراقبة، ولاحظت تحولاً مفاجئاً في نشاط عناصر الشرطة في الخارج. فالعملاء الذين كانوا يطربون على الأبواب ويتحدىون على أجهزة اللاسلكي توقفوا فجأة، ثم أخرجوا هواتفهم الذكية وراحوا يحدّقون إليها. تحول الفناء خارج الكنيسة تدريجياً إلى بحر من الوجوه الشاحبة والمثلثة التي يضيئها وهج الهواتف المحمولة.

لقد جعل إيموند العالم يتوقف. شعرت أمبرا بإحساس مخيف بالمسؤولية لأن الناس في جميع أنحاء العالم كانوا يستعدون لمشاهدة العرض الذي سيُبيّث من هذه الغرفة بالذات. أتساءل عما إذا كان جولييان يشاهد. لكن سرعان ما طردته من عقلها.

قال وينستون: "لقد تم تجهيز البرنامج. أعتقد أنكما ستكونان أكثر ارتياحاً بالمشاهدة في غرفة جلوس إيموند في الطرف الآخر من هذا المختبر".

قال لانغدون: "شكراً لك يا وينستون". ورافق أمبرا على الأرض الزجاجية حافيين، مروراً بالمكعب المعدني بلونه الرمادي المائل إلى الزرقة، ووصولاً إلى غرفة جلوس إيموند.

هناك، غطت سجادة شرقية الأرض الزجاجية مع مجموعة من الآثار الأثيق، فضلاً عن دراجة للتمارين الرياضية.

وقفت أمبرا على السجادة وشعرت بالاسترخاء يغزو جسدها. جلست على الأريكة ووضعت قدميها تحتها، ثم بحثت عن تلفاز إيموند. "أين سنشاهد؟".

لم يسمعها لانغدون على ما يبدو، وذلك لأنّه ذهب إلى زاوية الغرفة لينظر إلى شيء ما، لكنّ أمبرا حصلت إلى الإجابة فوراً عندما توهج الجدار الخلفي بأكمله من الداخل. ثم ظهرت صورة مألوفة يتم عرضها من داخل الزجاج.

يبدأ البرنامج الحي بعد دقيقة وتسع وثلاثين ثانية
الحضور الحالي عن بعد: 227,501,173

الجدار بأكمله عبارة عن شاشة عرض!
حذفت أمبرا إلى الصورة البالغ طولها ثمانية أقدام، في حين انطفأت أضواء الكنيسة ببطء. يبدو أنّ وينستون كان يوفر لها الأجواء المناسبة لمشاهدة عرض إيموند الكبير.

على بعد عشر أقدام في زاوية الغرفة، وقف لانغدون وقد سيطر عليه الذهول التام، ليس بسبب شاشة التلفزيون الضخمة، بل بسبب شيء صغير وقع نظره عليه. كان معرضاً على قاعدة أنيقة كما لو أنه قطعة معروضة في متحف. وُضع أمامه أنبوب اختبار في صندوق عرض معدني مع واجهة زجاجية. كان الأنبوب مغلقاً ويحمل ملصقاً، ويحتوي على سائل داكن بني اللون. للحظة، تساعل عما إذا كان هذا دواء من أدوية إيموند. ثم قرأ الاسم المكتوب على الملصق.

هذا مستحيل! ما سبب وجود هذا الأنبوب هنا؟!

لا يوجد في العالم سوى عدد قليل جداً من أنابيب الاختبار "الشهيرة"، ولكن لانغدون يعرف أنّ هذا الأنبوب واحد منها بالتأكيد. لا أصدق أنّ إيموند يملك واحداً منها! لا بدّ أنه قام بشراء هذه التحفة العلمية سراً بشمن باهظ. تماماً كما اشتري لوحة غوغان المعلقة في كازا ميلاً.

انحنى وحدق إلى القارورة الزجاجية التي يبلغ عمرها سبعين عاماً. كان الملصق قد أصبح باليأ وباهت اللون، لكنّ الاسمين المكتوبين عليه ما زالا مقروءين: ميلر -أوري.

اقشعر جسد لانغدون وهو يقرأ الاسمين مجدداً.

ميلر -أوري.

رياه... من أين أتيت؟

كان الكيميائيان ستانلي ميلر وهارولد أوري قد أجرا تجربة علمية أسطورية في خمسينيات القرن الماضي، في محاولة للإجابة عن هذا السؤال تحديداً. وقد فشلت تجربتهما الجريئة، لكنَّ جهودهما لاقت تأييداً في جمع أنحاء العالم، وعُرفت منذ ذلك الحين بتجربة ميلر -أوري.

تذكَّر لانغدون كيف تسلَّم في مقعده في صَفَّ علم الأحياء في المدرسة الثانوية وهو يسمع كيف حاول هذان العالمان تقليد الظروف التي كانت موجودة في فجر تكون الأرض التي كانت كوكباً ساخناً مغطى بمحيط مغلقٍ من الكيميائيات وحال تماماً من الحياة.

الحساء البدائي.

بعد وضع الكيميائيات التي كانت موجودة في المحيطات الأولى وفي الغلاف الجوي؛ أي الماء والميثان والأمونيا والهيدروجين، قام ميلر وأوري بتسخين المزيج لمحاكاة البحر المغلقة. بعد ذلك، قاماً بتصدمه بشحنات كهربائية لمحاكاة البرق. وأخيراً، تركا المزيج يبرد؛ تماماً كما بردت محيطات كوكبنا.

درس ميلر وأوري المزيج الغني بالكيميائيات، لكن لم تتكون الكائنات البدائية الدقيقة فيه. عوضاً عن ذلك، لم تتبَّقَ لديهما سوى مجموعة من القوارير الزجاجية الخاملة المحفوظة الآن في خزانة مظلمة في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو. وهكذا، باعت محاولاتهما بالفشل.

حتَّى هذا اليوم، ما زال الخلقيون يعتبرون تجربة ميلر وأوري الفاشلة دليلاً علمياً على أنَّ الحياة لا يمكن أن تظهر على الأرض من دون إرادة الله. علا صوت وينسون فوق رأسه: "ثلاثون ثانية".

دارت أفكار لانغدون وهو ينهض ويتحقق إلى الكنيسة المظلمة حولهما. منذ دقائق، قال وينسون إنَّ أعظم الاختراقات العلمية هي تلك التي أعطت "تماذج" جديدة للكون. وقال أيضاً إنَّ مارينوستروم متخصص في النمذجة الحاسوبية، أي محاكاة أنظمة معقدة ومراقبتها وهي تعمل. تجربة ميلر وأوري مثل على النمذجة المبكرة... وهي تحاكي التفاعلات الكيميائية المعقدة التي كانت في بدايات الأرض.

نادته أميراً: "روبرت! لقد بدأ".

أجابها: "أنا آب". وذهب إلى الأريكة وقد عمره فجأة إحساس بالشك من أنه قد يكون استرق نظرة إلى جزء ممَا كان إيموند يعمل عليه.

بينما كان لانغدون يسير على الأرض، تذكر مقدمة إدموند الدرامية الكبيرة التي شاهدها وهو ممدد على العشب في متحف غوغنهايم. قال: لكن مثل المستكشفين الأوائل، الذين تركوا كل شيء وراءهم وأبحروا في المحيطات الشاسعة. لقد شارف عصر الإيمان على نهايته وأشرق فجر العلم. تخيلوا وحسب ما يمكن أن يحدث إن توصلنا بأعجوبة إلى إجابات عن أسئلة الحياة الكبيرة.

ما إن جلس لانغدون إلى جانب أميرا حتى بدأت الشاشة الكبيرة تعرض العد التنازلي النهائي.

نظرت إليه أميرا قائلة: "هل أنت بخير يا روبرت؟".

هز رأسه في اللحظة التي صرخت فيها الموسيقى الدرامية في الغرفة، وظهر وجه إدموند على الجدار أمامهما، بطول خمس أقدام. بدا العالم المستقبلي الشهير نحيلًا ومتعباً، ولكنه كان يبتسم للكاميرا.

سأل والحماسة بادية في صوته مع انخفاض صوت الموسيقى: "من أين أتينا؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟".

أمسكت أميرا بيدي لانغدون وشدّت عليها بحماسة.

أعلن إدموند: "هذا السؤالان جزء من القصة نفسها، لذلك دعونا نبدأ من البداية".

وبإيماءة رأس مرحة، مذ إدموند يده إلى جيبيه وأخرج شيئاً زجاجياً صغيراً، قارورة من السائل الداكن التي تحمل الأسمين الباهتين ميلار وأوري.

شعر لانغدون بنبضه يتسارع.
"بدأت رحلتنا منذ زمن سحيق... أربع مليارات سنة قبل المسيح".

الفصل 91

جلس لانغدون على الأريكة إلى جانب أمبراء، وراح يتأمل وجه إدموند على جدار العرض الزجاجي. شعر بشيء من الحزن وهو يدرك أنَّ إدموند كان يعاني بصمت من مرض عossal. لكن هذه الليلة، كانت عينا العالم المستقبلي تشعلان فرحاً.

قال إدموند وهو يحمل أنبوب الاختبار: "سأخبركم بعد برهة عن هذه القارورة الصغيرة. لكن أولاً، دعونا نعود إلى البداية".

اختفى إدموند، وومض برق أضاء محياً يغلي بسبب الجزر البركانية التي كانت تصب حممها ورمادها في جو عاصف.

سأل إدموند: "كيف بدأت الحياة؟ مع الأسف، لا يمكننا العودة في الزمن إلى الوراء لنشهد تلك اللحظة. ونحن لا نعرف سوى ما حدث بعدها؛ عندما ظهرت الحياة للمرة الأولى. حدث التطور، واعتنينا على روبيته مصوّراً على هذا النحو".

أظهرت الشاشة الآن الجدول الزمني المعروف.

قال إدموند: "أجل، هذه نظرية علمية مبنية على سجل الأحافير. لكن، ماذا لو استطعنا مشاهدتها بشكل معكوس؟".

فجأة، بدأت صورة إدموند تتغير وتحوّل إلى إنسان بدائي، ثمَّ تسارعت الصور بشكل هائل، وظهرت لمحات لأنواع أقدم فأقدم، كالليمور، والكسلان، والجرابيات، وخلد الماء، والسمكة الرئوية، والتي راحت تغوص تحت الماء وتتحوّل إلى ثعابين، وأسماك، ومخلوقات هلامية، وعواقل، وأميبا، إلى أن لم تتبّقْ سوى باكتيريا مجهرية، خلية أحادية تتبع في محيط كبير.

قال إدموند: "هذه أقدم نقاط الحياة. هنا ينتهي العرض المعكوس لرحلتنا. فنحن لا نملك أيَّ فكرة عن كيفية تكون الأشكال الأولى للحياة انطلاقاً من بحر كيميائي لا حياة فيه. ببساطة، لا يمكننا أن نرى الإطار الأول لهذه القصة".

فكَّر لانغدون: الزمن = صفر. وتخيل شريطًا سينمائياً معكوساً كهذا عن توسيع الكون، وفيه انكمش الكون إلى نقطة ضوء واحدة، وقد توصل علماء الكون إلى طريق مسدود مشابه.

قال إيموند: "لم تستطع النظريات العلمية شرح ما حدث في البداية. بتعبير آخر، وصفت كيفية بقاء الأصلح، ولكنها لم تكشف كيفية وصول الأصلح".
ضحك لانغدون، إذ كانت تلك هي المرة الأولى التي تُعرض فيها هذه المسألة على هذا النحو.

"من أين أتينا؟". ابتسم إيموند. "مهما بدا لكم الجواب مدهشاً، إلا أنه ليس سوى نصف القصة هذه الليلة". ونظر مباشرة إلى الكاميرا، وابتسم ابتسامة غامضة وتابع: "فكمَا تَبَيَّنَ، المستقبل صادم تماماً".

تبادل لانغدون وأمبرا نظره حيرة، ومع أنَّ لانغدون شعر أنَّ هذه الجملة مبالغ فيها من جانب إيموند، إلا أنه مع ذلك أحسن باضطراب متزايد.

تابع إيموند: "الأصل... منذ آلاف السنين والفلسفه والعلماء يبحثون عن سجل ما للحظة البداية تلك".

حمل إيموند الآن أنبوب الاختبار المألف الذي يحتوي على السائل الداكن. "في خمسينيات القرن المنصرم، أجرى باحثان كيميائيان، ميلر وأوري، تجربة جريئة".
مال لانغدون وهمس لأمبرا: "أنبوب الاختبار هذا موجود هنا". وأشار إلى منصة العرض في الزاوية.

فبدت عليها الدهشة. "ولماذا يملك إيموند هذا الأنبوب؟".
هزَّ لانغدون كتفيه. فالنظر إلى مجموعة الأشياء الغريبة الموجودة هنا، تبدو هذه القارورة مجرد قطعة من التاريخ العلمي التي أراد امتلاكها.
وصف إيموند بسرعة جهود ميلر وأوري.

أظهرت الشاشة الآن مقالة من نيويورك تايمز بتاريخ 8 مارس 1953 تحت عنوان "العودة إلى الوراء ملياري عام".

قال إيموند: "بالطبع، أثارت هذه التجربة بعض الاستغراب. فتداعيات ذلك كانت ستهزَّ العالم، لا سيما العالم الديني. فلو أنَّ كائنات مجهرية ظهرت في أنبوب الاختبار هذا، لاستنتجنا بشكل حاسم أنَّ لقوانين الكيمياء دوراً أساسياً. إنها قوانين الطبيعة. والأهم، لاستنتاجنا أنه بما أنَّ الحياة ظهرت هنا على وجه الأرض، فهذا سيحدث بالتأكيد في مكان آخر من هذا الكون".

نتهَى إيموند. "مع ذلك، وكما يعلم كثيرون منكم، باعت تجربة ميلر -أوري بالفشل. فقد أنتجت بضعة أحماض أمينية، ولكنها لم تأتِ بشيء يشبه الحياة ولو من بعيد. حاول الكيميائيون تكراراً استخدام تركيبات مختلفة من المكونات، وأنماط حرارة مختلفة، لكن بلا جدوى. ويدا لهم أنَّ الحياة - كما اعتقاد المؤمنون طويلاً - تحتاج إلى تدخل إلهي. وفي نهاية المطاف، تخلى ميلر وأوري عن تجاربهم، وتتنفس المجتمع الديني

الصعداء، فيما عاد المجتمع العلمي إلى لوحة الرسم". صمت قليلاً، ثمَّ لمعت عيناه بمرح قبل أن يضيف: "هذا حتى عام 2007... عندما حدث تطور غير متوقع".

أخبرهم إدموند الآن كيف أعيد اكتشاف قارورة اختبار ميلر-أوري المنسية في خزانة في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو بعد وفاة ميلر. فأعاد تلامذته تحليل العينات باستخدام تقنيات معاصرة أكثر دقة، بما في ذلك الكروماتوغرافيا؛ وهي عملية فصل المواد من مركب معين، وقياس الطيف الكتلي، وكانت النتائج مذهلة. على ما يبدو، أنتجت تجربة ميلر-أوري الأصلية العديد من الأحماض الأمينية والمركبات المعقدة التي فاقت ما استطاع ميلر قياسه في ذلك الوقت. حتى إن التحليل الجديد للقوارير وجد عدَّة قواعد نوية هامة، وهي أحجار بناء الحمض النووي الريبي RNA وريماً لاحقاً... DNA.

استنتاج إدموند: "كانت قصة علمية مذهلة أجازت طرح الفكرة مجدداً. وبينما أنَّ تجربة ميلر-أوري قد نجحت بالفعل، ولكنها احتاجت إلى المزيد من الوقت لتتطور. دعونا نذكر نقطة أساسية: لقد تطورت الحياة على مدى مليارات السنين، في حين أنَّ آنابيب الاختبار هذه كانت ذاتة في خزانة لخمسين عاماً وحسب. ولو قُدر لجدول هذه التجربة أن يقاس بالأميال، فإنَّ منظورنا لن يقتصر سوى على أول بوصة وحسب...".

وسمت ليترك للمشاهدين المجال لاستيعاب تلك الفكرة.

"غنى عن القول إنَّ اهتماماً مفاجئاً ظهر مجدداً بفكرة توليد بكتيريا في مختبر".
أنا أذكر ذلك. فقد تذكر لانغدون أنَّ كلية علم الأحياء في هارفارد أقامت حفلأ تحت عنوان BYOB: قم ببناء البكتيريا الخاصة بك.

قال إدموند: "وحديث بالطبع ريدود فعل قوية من الزعماء الدينيين الحديثين".
ووضع علامات اقتباس في الهواء عندما قال كلمة "حديثين".

ظهرت على جدار العرض الصفحة الرئيسية لموقع creation.com، وعرفه لانغدون على الفور لأنَّ إدموند كان معتاداً على استهدافه بالسخرية والغضب. كانت المنظمة بالفعل عالية النبرة في تبشيرها الخلقي، ولكنها لم تكن مثالاً عادلاً عن "العالم الديني الحديث".

عرف الموقع مهمته على النحو التالي: "إعلان حقيقة الكتاب المقدس وسلطته، وتأكيد صداقتيه، لا سيما تاريخ سفر التكوانين".

قال إدموند: "هذا الموقع شعبي ونافذ، كما يحتوي على عشرات المدونات حول مخاطر إعادة النظر في عمل ميلر-أوري. ولحسن حظ أصحاب creation.com، ليس لديهم ما يخشونه. حتى لو نجحت هذه التجربة، فإنَّ ذلك لن يحدث قبل ملياري سنة أخرى على الأرجح".

حمل إدموند أنبوب الاختبار قائلاً: "كما تتخيلون، ما من شيء أحب إلى قلبي من السفر في الزمن ملياري عام إلى الأمام، وإعادة فحص أنبوب الاختبار هذا. لكن لسوء الحظ، سيختاج تحقيق ذلك إلى آلة زمن". صمت وبدت على وجهه تعابير التعب. "ذلك... قمت ببناء آلة.".

نظر لأنغدون إلى أميرا التي كانت بالكاد قد تحركت منذ بدء العرض. كانت عيناها السوداوان مثبتتين على الشاشة.

قال إدموند: "ليس من الصعب بناء آلة الزمن. دعوني أريك ما أعنيه". ظهرت قاعة مهجورة، دخلها إدموند وانتقل إلى طاولة بليار. كانت الكرات مصفوفة في الشكل المثلث الاعتيادي، تنتظر أن يبدأ أحد ما باللعب. تناول إدموند عصا بليار، ثم مال فوق الطاولة، وضرب بقوة الكرة الأساسية. فاندفعت باتجاه مجموعة الكرات المنتظرة.

قبل لحظة من ارتطامها بمجموعة الكرات، صاح إدموند: "قف!".

فتقوّفت الكرة في مكانها بشكل سحري قبل لحظة من ارتطامها بباقي الكرات. قال إدموند وهو يرمي الطاولة التي تجمّدت عليها الكرة: "الآن، إن طلبت منكم توقع الكرات التي ستسقط في التقوّب، هل تستطيعون ذلك؟ بالطبع كلاً. فئة آلاف الاحتمالات الممكنة. لكن، ماذا لو كانت لديكم آلة زمن، واستطعتم الانتقال خمس عشرة ثانية إلى المستقبل، ولاحظة ما سيحدث مع كرات البليار، ومن ثم العودة؟ صدقوا أو لا تصدقوا يا أصدقائي، فقد بتنا نملك التكنولوجيا اللازمة لفعل ذلك".

أشار إدموند إلى سلسلة من الكاميرات الصغيرة على أطراف الطاولة. "باستخدام أجهزة استشعار بصرية لقياس سرعة الكرة الأساسية، ودورانها، واتجاهها، ومحور الدوران أثناء حركتها، يمكنني الحصول على لقطة حسابية لحركة الكرة في أي لحظة معينة. وبتلك اللقطة، يمكنني إعطاء توقعات دقيقة للغاية حول حركتها المستقبلية".

تنكر لأنغدون أنه استخدم جهازاً لمحاكاة الغولف في إحدى المرات يستعمل تكنولوجيا مشابهة ليتوقع بدقة مذهلة ومحبطة ميله إلى توجيه كرات الغولف نحو الغابة. أخرج إدموند الآن هاتقاً ذكياً كبيراً. وعلى الشاشة، كان من الممكن رؤية صورة مطابقة لطاولة البليار مع كراتها المتوقفة في مكانها، هذا فضلاً عن سلسلة من المعادلات الرياضية فوق الكرة الأساسية.

قال إدموند: "بما أنتا تعرف كثافة الكرة بالضبط وموقعها وسرعتها، يمكنني حساب تفاعالتها مع الكرات الأخرى وتوقع النتيجة". لمس الشاشة، فتحركت الكرة الأساسية، وارتبطت بمجموعات الكرات المنتظرة، وبعثرتها، ملقية بأربع كرات في أربعة ثقوب مختلفة.

قال إدموند وهو يرمي الهاونف: "أربع كرات. يا لها من ضرورة جيدة". ثم التفت إلى الحضور وقال: "ألا تصدقونني؟". طقطق بأصابعه فوق طاولة البليار الحقيقة فانطلقت الكرة الأساسية، وعبرت الطاولة، ثم ارتطمت بالكرات الأخرى مصدرة صوتاً عالياً وبعثرتها. وأخيراً، سقطت الكرات الأربع نفسها في التقوب الأربععة نفسها.

قال إدموند مبتسماً: "هذه ليست بالضبط آلية زمن، ولكنها تمكّنا بالفعل من توقع بعض الأمور المستقبلية. بالإضافة إلى ذلك، إنها تسمح لي بتعديل قوانين الفيزياء. فعلى سبيل المثال، يمكنني إزالة الاحتكاك حيث لا ترتبط الكرة إطلاقاً... بل تستمر بالتنحرج باستمرار إلى أن تسقط جميع الكرة كلّ منها في تقب".

ضغط على بضعة أزرار، ثم أطلق مشهد المحاكاة مجدداً. هذه المرة، بعد الارتطام، لم تتباطأ الكرة المرتدة، بل قفزت بحنون في أرجاء الطاولة، وسقطت في التقوب عشوائياً، إلى أن لم يتبقَّ سوى كرتين تدوران على الطاولة.

قال إدموند: "إن تعبت من انتظار هاتين الكرتين الأخيرتين حتى تسقطا في آخر تقبين، فيإمكانني تسريع العملية إلى الأمام". ولمس الشاشة، فتسارعت الكرتان وأخذتا تفزان في أرجاء الطاولة إلى أن سقطتا أخيراً في تقبين. "وهذا، يمكنني أن أتوقع المستقبل قبل وقت طويل من حدوثه. إذ تشكّل المحاكاة الحاسوبية آلية زمن افتراضية فعلاً". صمت قليلاً. "بالطبع، هذه مجرد رياضيات بسيطة إلى حد ما في نظام صغير مغلق مثل طاولة البليار. لكن، ماذا لو انتقلنا إلى نظام أكثر تعقيداً؟".

حمل إدموند قارورة ميلر -أوري وابتسم: "أعتقد أنكم تستطعون أن تروا إلى أين سأصل مع هذا الأنبوب. فالمحاكاة الحاسوبية نوع من آلات الزمن، وهي تتيح لنا أن نتوقع ما قد يحصل في المستقبل... ربما حتى بعد مليارات السنوات".

تحركت أميراً على الأريكة، من دون أن يفارخ نظرها وجه إدموند.

قال إدموند: "كما تخيلون، أنا لست أول عالم يحلم بصنع نموذج للحساء البدائي. من حيث المبدأ، التجربة بدائية. لكن عند الممارسة، تتبين أنها كابوس معدّ".

ظهرت بحار بدائية هائجة مجدداً بين البرق، والبراكين، والأمواج العاتية. تتطلب نذجة كيمياء المحيط محاكاة على مستوى الذرة. فيكون الأمر مثل توقع الطقس بدقة حيث نعرف الموقع المحدد لكل ذرة هواء في أي لحظة معينة. وأي محاكاة مجديّة للبحر البدائي ستطلب وبالتالي جهاز كمبيوتر لفهم ليس قوانين الفيزياء فحسب - من حركة وديناميكا حرارية وجاذبية وحفظ على الطاقة وما إلى ذلك- بل الكيمياء أيضاً؛ لكي تتم إعادة إنشاء الروابط الدقيقة التي ستتشكل بين كل ذرة داخل محيط مغلق".

غاص المشهد الذي يعلو المحيط إلى ما تحت الأمواج، وتم تكبير نقطة واحدة من الماء، وفيها كانت دوامة مضطربة من الذرات والجزئيات الافتراضية تترابط وتتفصل. قال إدموند وهو يظهر مجدداً على الشاشة: "لوس الحظ، تتطلب محاكاة هذا العدد الكبير من التبدلات مستوى هائلاً من طاقة المعالجة، يتجاوز قدرة أي جهاز كمبيوتر على سطح الأرض". ومضت عيناه بحماسة قبل أن يضيف: "هذا... باستثناء جهاز كمبيوتر واحد".

وتصاعد صوت أرغن يعزف الافتتاحية الشهيرة لمقطوعة باخ، توكتاتا أند فيوغ، على وتر D الصغرى مع صورة بزاوية عريضة مذهلة لكمبيوتر إدموند الضخم المؤلف من طابقين.

وعلى وقع موسيقى الأرغن الدرامية، انطلق إدموند في جولة حماسية لتعريف الجمهور على جهاز الكمبيوتر العملاق، وكشف أخيراً النقاب عن "المكعب الكمي". بلغ الأرغن الذروة مع وتر هادر.

استنتج قائلًا: «خلاصة القول، إن إِنْ وايف قادر على إعادة إجراء تجربة ميلر-أوري في الواقع الافتراضي، بدقة متناهية. وما أنتي لا أستطيع بالطبع نمذجة محبط بدائي بأكمله، فقد أنشأت نظام الليترات الخمس المغلق نفسه الذي استخدمه ميلر وأوري».

ظهرت الآن فارورة افتراضية من الكيميائيات. ثم تم تكبير مشهد السائل وإعادة تكبيره إلى أن بلغ مستوى الذرة، وظهرت الذرات وهي تفزع في المزيج الساخن، وتترابط مثاراً وتكتراً تحت تأثير الحرارة، والكهرباء، والحركة الفيزيائية.

يُتضمن هذا النموذج كلَّ ما عرفناه عن الحسأ البدائي منذ تجربة ميلر-أوري، بما في ذلك الوجود المحتمل لجذور الهيدروكسيل من البخار المكهرب وكبريتيد الكربونيل من النشاط البركاني، فضلاً عن تأثير نظريات الحدَّ من الغلاف الجويِّ.

استمرّ السائل الاقتراضي على الشاشة بالغليان، وبدأت تتشكل مجموعات من الذرات.

قال إدموند بحماسة: «الآن، فلنقم بتسريع العملية...»، ثم تقدم الشريط بسرعة مظهراً تكون مركبات تزداد تعقيداً. «بعد أسبوع واحد، نبدأ برؤية الأحماض الأمينية نفسها التي رأها ميلر وأوري». تسارعت الصورة مجدداً على نحو أكبر الآن. «ثم بعد ذلك... بعد حوالي خمسين عاماً، نبدأ برؤية لمحات من اللبنات الأساسية للحمض النووي الريبي».

استمر السائل بالغليان على نحو متتابع.

"وهكذا تركته يجري!". صاح إدموند بذلك بصوت أكثر ارتفاعاً.

اصطفت الذرات على الشاشة للترابط، وازداد تعقيد البنى مع تعاقب القرون لمضي آلاف ومن ثم ملايين السنوات. ومع تسارع الصور إلى الأمام بسرعة هائلة، قال إدموند بمرح: "واحذروا ماذا ظهر في هذه القارورة؟".

مال لأنعدون وأميرا إلى الأمام بتزقب.

فجأة، زالت الحماسة من صوت إدموند وهو يقول. "لا شيء على الإطلاق. لم تظهر أي حياة ولا أي تفاعل كيميائي تلقائي. لم تحدث لحظة نشوء، بل مجرد مزيج مختلط من الكيمياء الخالية من الحياة". تنهَّد بيأس. "وهذا يدفعني إلى استنتاج منطقي واحد". وحق إلى الكاميرا وقال: "لقد باعت المحاولة بالفشل".

حق لأنعدون إلى الشاشة باستغراب.

بعد لحظة، بدأت تظهر ابتسامة باهتة على وجه إدموند، وقال: "أو، ربما فاتتني مكون أساسي في هذه الوصفة".

الفصل 92

تسمرت أمبرا في دال في مكانها وهي تخيل ملابس الناس حول العالم وهم مستغرقون تماماً مثلها في مشاهدة محاضرة إدموند.

سأل إدموند الجمهور: "إذًا، ما هو المكون الذي غاب عنك؟ لا فكرة لدى، لذلك فعلت ما يفعله جميع العلماء الناجحين، وسألت شخصاً أكثر مني ذكاء!".

ظهرت على الشاشة عالمة تضع نظارة، الدكتورة كونستانتس غيرهارد، عالمة كيمياء حيوية من جامعة ستانفورد. ضحكت العالمة وهي تهز رأسها. "لا يمكننا ذلك! هذه هي المشكلة! فعندما يتعلق الأمر بتجاوز تلك العتبة التي تتحول فيها الكيميائيات الجامدة إلى كائنات حية، فإن علينا يصطدم بالحائط. فما من آلية في الكيمياء تشرح كيفية حدوث ذلك. في الواقع، إن مفهوم تنظيم الخلايا لنفسها لتحول إلى أشكال حياة يتعارض على ما يبدو بشكل مباشر مع قانون الإنتروربيا، أو العشوائية".

قال إدموند الذي بدا في تلك اللحظة وكأنه على شاطئ جميل: "الإنتروربيا الإنتروربيا ليست سوى طريقة منمقة للقول: الأمور تنهار. ففي لغة العلم، نقول النظام يتدهور حتىّاً. ثم طقطق بأصابعه وظهر قصر رمال معقد عند قدميه. لقد قمت بتنظيم ملابس حبات الرمل على شكل قصر. لنرى كيف يشعر الكون حيال ذلك". بعد ثوانٍ، أنت موجة وأزالت القصر. "أجل، لقد عشر الكون على حبات الرمل وأفسد نظامها، مبعثراً إياها على الشاطئ. هكذا تعمل الإنتروربيا. فالآمواج لا تتحطم أبداً على الشاطئ وتتنظم حبات الرمل على شكل قصر رملي. الإنتروربيا تنبّي البنى. وقصور الرمل لا تظهر تلقائياً في الكون، بل تخفي وحسب".

قططقت إدموند بأصابعه مجندًا وظهر في مطبخ أنيق. قال وهو يخرج كوباً ساخناً من الميكروويف: "عندما تسخنون القهوة، فأنتم ترکزون الطاقة الحرارية في الكوب. وإن تركتم ذلك الكوب على الطاولة لساعة من الزمن، تتبدّل الحرارة في الغرفة وتنتشر بشكل متساوٍ؛ مثل حبات الرمل على الشاطئ. هذه هي الإنتروربيا مجندًا. وهذه العملية لا يمكن عكسها. فمهما انتظرتم، لن يعود الكون سخين قهوتكم بشكل سحري". ابتسם مضيقاً: "كما أنه لن يعيد بيضة مخفوقة إلى ما كانت عليه، أو يعيد بناء قصر رملي هدمته الآمواج".

تذكّرت أميراً أنها رأت مرّة تحفة فنية تحمل عنوان إنتروبيا ، وكانت عبارة عن صفات من أحجار الإسمنت القديمة، وكلّ منها أكثر نفّشاً من سابقه، إلى أن تصل إلى كومة متقطّنة تماماً من الأنفاس.

ظهرت الدكتورة جيرهارد مجدداً. قالت: "نحن نعيش في كون إنتروبي، عالم تعجب فيه العشوائية على قوانين الفيزياء وليس النظام. لذلك، السؤال المطروح هو التالي: كيف يمكن للكيميائيات الجامدة أن تنظم نفسها بشكل سحري في أشكال حياة معقدة؟ لم أجده يوماً جواباً علمياً عن هذا السؤال".

ظهر إدموند وهو يهز رأسه. "ثور أعصابي عندما أسمع أناساً ذكّاء يتحدثون بهذا الشكل..." هرّ كتفيه مضيقاً: "أنا أعلم أنهم يفعلون ذلك لأنّ العلم لا يملك ببساطة تفسيراً لبدايات الحياة".

حمل إدموند طبقاً ورقياً وضعت عليه شظايا حديد مبعثرة. ثمّ أخرج مغناطيساً كبيراً وحمله تحت الطبق. وعلى الفور، زحفت الشظايا وتجمّعت في قوس منظم، واصطفت تماماً إلى جانب بعضها.

هذه المرّة، ظهر إدموند إلى جانب ترامبوليّن كبيرة. كانت على سطحها المشدود مئات قطع الرخام المبعثرة، وقال: "هذه مجموعة عشوائية من أحجار الرخام، والآن... حمل كرة بولينج ووضعها على حافة الترامبوليّن، ثمّ تركها تتدحرج إلى وسط القماش المطاطي، فسبّب وزنها انخفاضاً عميقاً، وتجمّعت قطع الرخام المبعثرة في الانخفاض، مكونة دائرة حول الكرة. ما هي القوة التي نظمت هذه الأحجار؟". وصمت إدموند قليلاً قبل أن يتّابع: "بساطة، إنّها الجاذبية وحسب".

ظهر الآن في صورة مقربة. "كما اتّضح لكم، الحياة ليست المثال الوحيد عن الكون الذي يولد النظام. فالجزيئات غير الحية تنظم نفسها دائماً في هيكل معقدة".

ظهر مونتاج من الصور، دوامة إعصار، جهة ثلج، مجرى نهر، قطعة كريستال كوارتز ، حلقة زحل.

تنهّد إدموند قائلاً: "كما ترون، في بعض الأحيان، ينظم الكون المادة بالفعل؛ الأمر الذي يبدو معاكساً تماماً للإنتروبيا". تنهّد متّابعاً: "إذاً، ما السبب؟ ما الذي يفضّله الكون؟ أهو النظام أم الفوضى؟".

ظهر إدموند مجدداً وهو يسير في طريق باتّجاه القبة الشهيرة لمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. "استناداً إلى معظم الفيزيائين، الجواب هو الفوضى. فالإنتروبيا هي الأساس بالفعل، والكون ينفكّ باستمرار باتّجاه الفوضى. وهذه رسالة محبطة". صمت إدموند ثمّ التفت مبتسمًا: "لكن اليوم، التقى الفيزيائي الشاب اللامع الذي يعتقد أنه ثمة حلقة مفقودة... قد تحمل الإجابة عن سؤالنا؟".

ذهب لانغدون عندما عرف اسم الفيزيائي الذي كان يصفه إدموند في تلك اللحظة. فأستاذ معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا البالغ من العمر ثلاثين عاماً ونيفاً، كان حالياً يسبّب ضجة في الوسط الأكاديمي في بوسطن، بعدما أثار ضجة عالمية في حقل جديد يسمى علم الأحياء الكمي.

صدق أن جيريمي إنجلاند وروبرت لانغدون تعلما في المدرسة الإعدادية نفسها، أكاديمية فيليب إكسبيتر، وتعرف لانغدون للمرة الأولى على الفيزيائي الشاب في مجلة خريجي المدرسة، في مقالة تحت عنوان "التنظيم التكيفي المعتمد على التبديد". ومع أن لانغدون قرأ المقالة بشكل سريع وفهمها بالكاد، إلا أنه يذكر كيف استغرب عندما عرف أن زميله السابق كان فيزيائياً لاماً ومتديناً بعمق، إذ كان يهودياً أرثوذكسيأ.

بدأ لانغدون يفهم سبب اهتمام إدموند بعمل إنجلاند إلى هذا الحد.

ثم ظهر رجل آخر على الشاشة عرفه على أنه عالم الفيزياء في جامعة نيويورك، ألكسندر غروسبيرغ. قال غروسبيرغ: "أملنا الكبير أن يكون جيريمي إنجلاند قد حدّد المبدأ الفيزيائي الكامن وراء الأصل".

استقام لانغدون في جلسته عندما سمع ذلك، وكذلك فعلت أمبرأ.

ظهر وجه آخر، وقال المؤرخ إدوارد ج. لارسون الحائز على جائزة بولتزر: "إن كان إنجلاند قادرًا على إثبات صحة نظريته، فإن اسمه سيبقى في محفورة في ذاكرة الأجيال القادمة".

كان لانغدون قد سمع أن جيريمي إنجلاند أثار ضجة، ولكنه لم يعرف أن الأمور قد بلغت هذا الحد.

أضاف فيزيائي من كورنيل يدعى كارل فرانك: "كلّ ثلاثين عاماً أو نحو ذلك نشهد خطوات عملاقة إلى الأمام... وهذه قد تكون إحداها".

ظهرت الآن على الشاشة في تعاقب سريع سلسلة من العناوين التي تتناول أبحاث إنجلاند. واستمرّت قائمة العناوين، ورافقتها الآن مقطفات من المجلّات العلمية الكبرى، وجميعها تعلن على ما يبدو الرسالة نفسها: "إن كان جيريمي إنجلاند قادر على إثبات نظريته الجديدة، فإن الآثار المترتبة على ذلك ستهزّ العالم، وليس فقط على صعيد العلم".

رمق لانغدون العنوان الأخير على الجدار، من مجلة صالون على الإنترنت، بتاريخ 03 يناير 2015.

"العلم الجديد الذي رفع اليمين المسيحي".

أستاذ شابٌ من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا يُنهي ما بدأه داروين، ويُهندّد بإبطال كلّ ما هو عزيز على قلوب اليمينيين.

تجددت الشاشة، وظهر إدموند وهو يسير في رواق منشأة علمية جامعية. "إذًا، ما هي هذه الخطوة؟".

ابتسم إدموند وهو يتوقف خارج باب كتاب عليه: ENGLAND LAB@MITPHYSICS (مختبر إنجلاند).
فاندخل ونسأله الرجل نفسه.

الفصل 93

ظهر الفيزيائي الشاب جيريمي إنجلاند على جدار العرض. كان طويلاً القامة ونحيلًا جدًا، ذا لحية غير مهذبة وابتسامة هادئة. وقف أمام سبورة مليئة بالمعادلات الرياضية.

قال إنجلاند بنبرة دودة وغير مدعية: "أولاً، دعوني أقول إن هذه النظرية غير مثبتة، ولكنها مجرد فكرة". هز كتفيه بتواضع وتتابع قائلاً: "مع أتنى أفر أتنا إن ثبتنا صحتها، فستكون تداعياتها بعيدة المدى".

وخلال الدقائق الثلاث التالية، أوضح الفيزيائي فكرته الجديدة التي كانت - مثل معظم المفاهيم المغيرة للنماذج - بسيطة على نحو غير متوقع.

نصت نظرية جيريمي إنجلاند - إن كان لأنفسهن قد فهمها بشكل صحيح - على أن الكون يعمل بتوجيه فردي، هدف واحد، من أجل نشر الطاقة.

ببساط المصطلحات، عندما يجد الكون مجالات من الطاقة المركزية، يقوم بنشر تلك الطاقة. والمثال الكلاسيكي، كما ذكر كيرش، هو كوب القهوة الساخنة الموضوع على الطاولة. فهو يبرد دائمًا، ويوزع حرارته إلى الجزيئات الأخرى في الغرفة؛ وفقاً للقانون الثاني للديناميكا الحرارية.

فجأة، فهم لأنفسهن السبب الذي جعل إيموند يسأل عن أساطير الخلق حول العالم، فجميعها تحتوي على صور للطاقة والضوء المنتشرتين إلى ما لا نهاية لإضاءة الظلام.

مع ذلك، يعتقد إنجلاند بوجود فكرة، ترتبط بكيفية نشر الكون للطاقة.

قال إنجلاند: "تحن نعلم أن الكون يعزز الإنترودبيا وعدم النظام، لذلك قد نفاجأ لدى رؤية الكثير من الأمثلة عن ذات تنظم أنفسها".

ظهرت على الشاشة عدة صور عُرضت من قبل، دوامة إعصار، نهر صاحب، جهة ثلث.

كل هذه أمثلة عن بني تبديدية، أي مجموعة من الذرات التي ربّت نفسها في بني ساعد النظام على توزيع طاقته بطريقة أكثر كفاءة".

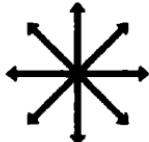
أوضح إنجلاند بسرعة كيف كانت الأعاصير طريقة الطبيعة لتبييد منطقة من الضغط العالي عبر تحويلها إلى قوة دورانية تستند نفسها في نهاية المطاف. والأمر

نفسه ينطبق على الأنهر الصالحة التي تُعرض طاقة التيارات السريعة وتبدلها، وحيات الثلج التي توزع طاقة الشمس عبر تكوين هياكل متعددة الأوجه تعكس الضوء بشكل فوضوي في الاتجاهات كافة.

تابع إنجلاند: "بساطة، المادة تنظم نفسها في محاولة لتوزيع الطاقة على نحو أفضل". ابسم مضيفاً: "الطبيعة، في محاولة لتعزيز عدم النظام، تولد جيوب نظام صغيرة. وهذه الجيوب هي هياكل تصعد الفوضى في النظام، وبالتالي تزيد من الإنتروربيا".

لم يسبق للانغدون أن فكر بذلك قبل الآن، لكن إنجلاند على حق، فالامثلة على ذلك موجودة في كل مكان. تخيل لأنغدون سحابة الرعد. فعندما تنظم السحابة نفسها بواسطة طاقة كهربائية ثابتة، يولّد الكون حزاماً من البرق. بتعبير آخر، أنتجت قوانين الفيزياء آليات لتوزيع الطاقة. حزام البرق يبدّل طاقة السحابة في الأرض وينشرها، وبذلك يزيد من الإنتروربيا الإجمالية للنظام.

أدرك لأنغدون أن توليد الفوضى على نحو فاعل يحتاج إلى بعض النظام. تسائل لأنغدون بشروط عما إذا كان من الممكن اعتبار القنابل الذرية أدوات إنتروربية، أي جيوب صغيرة من المادة المنظمة بعناية والتي تُستخدم لتوليد الفوضى. وتذكر الرمز الرياضي للإنتروربيا، فأدرك أنه يشبه الانفجار، أو الانفجار الكبير، لأنه يشير إلى انتشار الطاقة في الاتجاهات كافة.



تسائل إنجلاند: "إذاً، إلى أين يقودنا كل هذا؟ وما علاقة الإنتروربيا بالأصل؟". مشى نحو السبورة مضيفاً: "كما يتضح، الحياة أداة في غاية الفاعلية على نحو استثنائي لتبديد الطاقة".

رسم إنجلاند صورة للشمس التي تشع الطاقة وصولاً إلى شجرة. "على سبيل المثال، تمتّن الشجرة الطاقة الشديدة المستمدّة من الشمس، وتستخدّمها لكي تنمو، ثم تُصدر الأشعة ما تحت الحمراء، وهي شكل من أشكال الطاقة أقل تركيزاً بكثير. والتمثيل الضوئي هو آلية إنتروربيا شديدة الفاعلية. إذ تقوم الشجرة بتذويب الطاقة المركزية للشمس وأضعافها؛ الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الإنتروربيا الإجمالية في الكون. وينطبق الشيء نفسه على الكائنات الحية كافة، بمن في ذلك البشر الذين يستهلكون المادة كطعام، ثم يحوّلونها إلى طاقة، وينشرون الطاقة في الكون

على شكل حرارة. وبصفة عامة، أعتقد أن الحياة لا تخضع لقوانين الفيزياء وحسب، بل بدأت بفعل تلك القوانين".

شعر لانغدون بالتشويق وهو يفكر في هذا المنطق الذي بدا له واضحًا تماماً إن ضربت أشعة الشمس الحارقة بقعة من الأوساخ الخصبة، فإن قوانين فيزياء الأرض ستولد نبطة للمساعدة على تبديد تلك الطاقة. وإن أنتجت فتحات الكبريت في أعماق المحيطات مناطق من الماء المغلبي، فإن كائنات ستولد في تلك الأماكن وتنتشر الطاقة. أضاف إنجلاند: "إنني آمل أن نجد يوماً ما طريقة لإثبات مدى أهمية قوانين الفيزياء".

هذا مذهل. إنها نظرية علمية واضحة.

قال إنجلاند: "أنا شخص متدين، ومع ذلك، لطالما كان إيماني - شأنه شأن علمي - عملية قيد التقدم.

فذكر لانغدون في سره: يا له من شاب حكيم! فلو تم إثبات هذه النظرية يوماً، فسيكون لها تأثير هائل على العالم.

قال إنجلاند: "في الوقت الحالي، بإمكان الجميع الاسترخاء. فلا سباب بديهية، من الصعب للغاية إثبات هذه النظرية. إذ نملك أنا وفريقتي بعض أفكار حول نمذجة الأنظمة المعتمدة على التبديد في المستقبل، لكن في الوقت الحالي، ما زلنا على بعد سنوات من ذلك".

تلانت صورة إنجلاند، وعاد إدموند للظهور على الشاشة وهو يقف إلى جانب الكمبيوتر الكمي. "أما أنا، فلست على بعد سنوات من ذلك. فهذا النوع من النمذجة هو بالضبط ما كنت أعمل عليه".

مشى باتجاه محطة عمله. "إن كانت نظرية البروفيسور إنجلاند صحيحة، فإن نظام الكون بأكمله قائماً على انتشار الطاقة!".

جلس إدموند إلى مكتبه، وبدأ يطبع بحثاً على لوحة المفاتيح الضخمة، فامتلأت الشاشات أمامه بشيفرة كمبيوتر غريبة. "استغرقت عدة أسابيع، وأعدت برمجة كامل التجربة التي فشلت في السابق. أدخلت في النظام هدفاً أساسياً. وقلت له أن يبتد الطاقة بأي ثمن. قمت ببحث الكمبيوتر على أن يكون مبدعاً قدر الإمكان في سعيه لزيادة الإنتروديا في الحسأء البدائي. وأعطيته الإنذن لبناء جميع الأدوات التي قد يحتاج إليها لتحقيق ذلك".

توقف إدموند عن الطباعة واستدار على مقعده ليواجه جمهوره. "بعد ذلك، شغلت النموذج وحدث شيء لا يصدق. تبين أنني حذّرت بالضبط المكون الناقص في حسأء البدائي الافتراضي".

حق لانغدون وأمبرا إلى جدار العرض عندما بدأت الرسوم البيانية المتحركة لمودج كميويز إدموند بالظهور . مجدداً، غاصت الصورة في مزيج كيميائي يغلي ، وتم تكبيرها وصولاً إلى المجال دون الذري، حيث أمكن رؤية الكيميائيات وهي تقفز وتعيد الترابط مع بعضها بعضاً.

قال إدموند: "وعندما قمت بتسريع العملية إلى الأمام ومحاكاة مرور مئات السنوات، رأيت الأحماض الأمينية لتجربة ميلر-أوري تتّخذ شكلاً".

لم يكن لانغدون على دراية بالكيمياء ، ولكنّه عرف بالتأكيد أنّ الصورة التي ظهرت على الشاشة هي سلسلة بروتين أساسية . ومع تواصل العملية، راح يشاهد كيف أخذت الجزيئات متزايدة التعقيد تتّخذ شكلاً، وترتبط بسلسلة من السداسيات الشبيهة بأقراص العسل .

صاح إدموند بينما كانت الأشكال السداسية تواصل انصهارها: "نوكلويون! نحن نشاهد مرور آلاف السنوات! وإن تقدمنا إلى الأمام بسرعة أكبر، سنرى أولى لمحات هذا الهيكل!".

بينما كان يتحمّث، بدأت إحدى سلاسل النوكلويون تلتّفت حول نفسها في دوامة. هتف إدموند: "هل ترون ذلك؟ لقد مرّت ملايين السنوات، والنظام يحاول بناء هيكل! النظام يحاول بناء هيكل لتبييد طاقته؛ تماماً كما توقع إنجلاند".

ومع تقدّم النموذج، ذهل لانغدون لدى رؤيته دوامة صغيرة تتحول إلى دوامة توأم، وتوسّع ببنيتها إلى الشكل العازوني المزدوج لأشهر مركب كيميائي على وجه الأرض.

همست أمبرا بذهول: "رباه! روبرت... إنه...".

"حمض نووي". أعلن ذلك إدموند وهو يحمد الصورة.

"ها هو الحمض النووي. الرمز الحي لعلم الأحياء . وتساؤلون: لماذا يقوم نظام بناء حمض نووي في محاولة لتبييد الطاقة؟ هذا لأنّ كثرة الأيدي يجعل الضوء يعمل بشكل أفضل ! فكتلة الأشجار تنشر مقداراً من أشعة الشمس يفوق ما تنشره شجرة واحدة. ولو كنت أداة إنتروربيا، لكانت أسهل طريقة لإتمام مزيد من العمل هي تكاثر".

ظهر وجه إدموند على الشاشة الآن. " بينما كنت أشغل هذا النموذج إلى الأمام، من هذه النقطة، رأيت شيئاً رائعاً فعلاً... فقد طرأ تغيير!" .

صمت لبعض ثوانٍ قبل أن يضيف: "ولم لا؟ فالتطور هو الطريقة التي يستخدمها الكون لاختبار أدواته وصقلها بشكل مستمر . والأدوات الأكثر كفاءة تبقى وتتكاثر، وتحسن باستمرار، لتصبح أكثر تعقيداً وفاعلية على نحو متزايد .

شعر لانغدون بشكّ غريب، وتساءل عما إذا كانت قوانين الفيزياء وتبييد الكون للطاقة إجابة مقنعة. بالتأكيد، ستُنتج هذه المحاكاة تحولاً هائلاً في النموذج، وستسبب

ردود فعل في مجالات أكاديمية عديدة. لكن في ما يتعلّق بالإيمان، تساعل عما إذا كان إدموند سيغير آراء الناس.

بدت أميراً أنها محتارة برد فعلها، إذ كانت ملامحها تتراوح بين التعجب والتردد الحذر.

قال إدموند: «يا أصدقائي، إن تابعتم ما أريتكم ليه للتو، فستفهمون معناه العميق. وإن كنتم لا تزالون غير مناكفين، فابقوا معي، لأنّه تبيّن لي أنّ هذا الاكتشاف أدى إلى اكتشاف آخر، أكثر أهميّة بعد».

صمت قليلاً، ثم أضاف: «من أين أتينا... ليس مفاجئاً بقدر إلى أين نحن ذاهبون».

الفصل 94

تردد وقع خطوات تركض في أرجاء البازيليك في جوف الأرض مع وصول أحد عناصر الحرس الملكي إلى الرجال الثلاثة المجتمعين في أعماق الكنيسة.

قال لاهثاً: "جلالة الملك، إيموند كيرش... ذاك الفيديو... يجري بـه".

فاستدار الملك في مقعده المتحرك، وكذلك فعل الأمير جولييان.

تنهَّد فالديسيبينو محبطاً. ونَكَر نفسه قائلاً: لقد كانت مسألة وقت وحسب. ومع ذلك، شعر بانقباض في صدره عندما عرف أنَّ العالم يشاهد الآن شريط الفيديو نفسه الذي رأه في مكتبة مونسيراٍات مع الفضل وكوفيس.

من أين أتيَنا؟ كان ادعاء كيرش يتسم بالغطرسة، وسيكون له أثر تدميري على طموح الإنسان.

المؤسف أنَّ كيرش لم يتوقف عند ذلك. إذ أتبع التدليس الأول بتدليس آخر أكثر خطورة بكثير، مفترحاً جواباً مزعجاً للغاية عن سؤال إلى أين نحن ذاهبون؟

كان توقع كيرش للمستقبل كارثياً... لا بل ومثيراً للاضطراب إلى حد أنَّ فالديسيبينو وزميليه حُتوا كيرش على عدم بُث العرض. فحتى لو كانت معلومات العالم المستقبلي ذاك دقيقة، إلا أنَّ إطلاع العالم عليها سيُسبِّب ضرراً لا رجعة فيه.

ليس فقط بالنسبة إلى المؤمنين، بل بالنسبة إلى كلَّ كائن حتَّى على وجه الأرض، كان فالديسيبينو يعرف ذلك.

الفصل 95

راح لأنغدون يعيد في ذهنه ما قاله إدموند. لطالما كانت نظرية التطور موضع جدل، نظريًا، من قبل أعظم العقول العلمية، لكن إدموند كيرش حاول الليلة تقديم براهين.

لم يستطع أحد حتى الآن إثبات ذلك... أو حتى تفسير كيفية حدوثه. على الشاشة، كان حساء إدموند يعيش بأشكال الحياة الافتراضية الدقيقة. قال إدموند: "بينما كنت أتأمل هذا النموذج وهو يولد، تسائلت عما سيحدث إن تركته يجري؟ هل سينفجر في نهاية المطاف خارج القارورة وينتاج المملكة الحيوانية بأكملها، فضلاً عن نوعنا البشري؟ وماذا سيحدث إن تركته يجري إلى ما بعد ذلك؟ إن انتظرت طويلاً بما فيه الكفاية، هل سنعرف إلى أين نحن ذاهبون؟".

ظهر إدموند مجدداً إلى جانب إوايف. "مع الأسف، حتى هذا الكمبيوتر لا يمكنه صنع نموذج بهذا الحجم، ولذلك اضطررت لإيجاد طريقة لتضييق المحاكاة. وانتهى بي الأمر باستعارة تقنية من مصدر غير متوقع... لم يكن سوى والت ديزني".

تحولت الشاشة الآن إلى رسوم متحركة بدائية، ثنائية الأبعاد بالأبيض والأسود. عرف لأنغدون فيلم ديزني الكلاسيكي باخرة ويلي، الذي أنتج في عام 1928. "لقد تقدم فن الرسوم المتحركة بسرعة خلال السنوات التسعين الماضية، من كتب ميكى ماوس البدائية إلى أفلام اليوم الغنية بالحركة".

بالإضافة إلى الرسوم المتحركة القديمة، ظهر مشهد حيوي وشبه واقعي لفيلم جديد من الرسوم المتحركة.

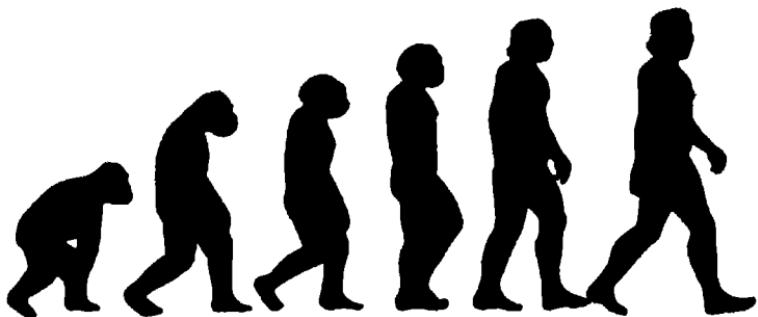
تابع إدموند: "هذه الفزعة في النوعية تشبه التطور على مدى ثلاثة آلاف عام من رسوم الكهف إلى روايي مايكل أنجلو. وبصفتي عالماً مستقبلياً، تذهلني أي مهارة تحقق تقدماً سريعاً. والتقنية التي تجعل هذه الفزعة ممكنة تدعى - كما علمت - Tweening، تخمين الأطوار الوسيطة. إنه طريق مختصر مستخدم في الرسوم المتحركة المصنوعة بواسطة الكمبيوتر، وفيه يطلب الفنان من جهاز الكمبيوتر توليد الأطر المتوسطة بين

صورتين أساسيتين، حيث تتحول الصورة الأولى بسلسة إلى الصورة الثانية؛ أي ملء الثغرات. وهكذا، عوضاً عن رسم كل صورة يدوياً - الأمر الذي يمكن تشبيهه هنا بمنزلة كل خطوة دقيقة في عملية التطور - يقوم فتاني اليوم برسم بعض صور أساسية... ثم يطلبون من جهاز الكمبيوتر أن يعطي أفضل تخمين للخطوات الوسيطة ويملاً ثغرات عملية التطور".

قال إدموند: "هذا هو معنى تخمين الأطوار الوسيطة. إنه تطبيق بدائي لقوة الحوسبة، لكن عندما سمعت به، خطرت لي فكرة وأدركت أنها مفتاح معرفة مستقبلنا".

التفت أميرا إلى لأنجدون وبدت على وجهها نظرة تساؤل. "إلى أين هو ذاهب؟".

و قبل أن يتمكن لأنجدون من التفكير في الأمر، ظهرت صورة جديدة على الشاشة.

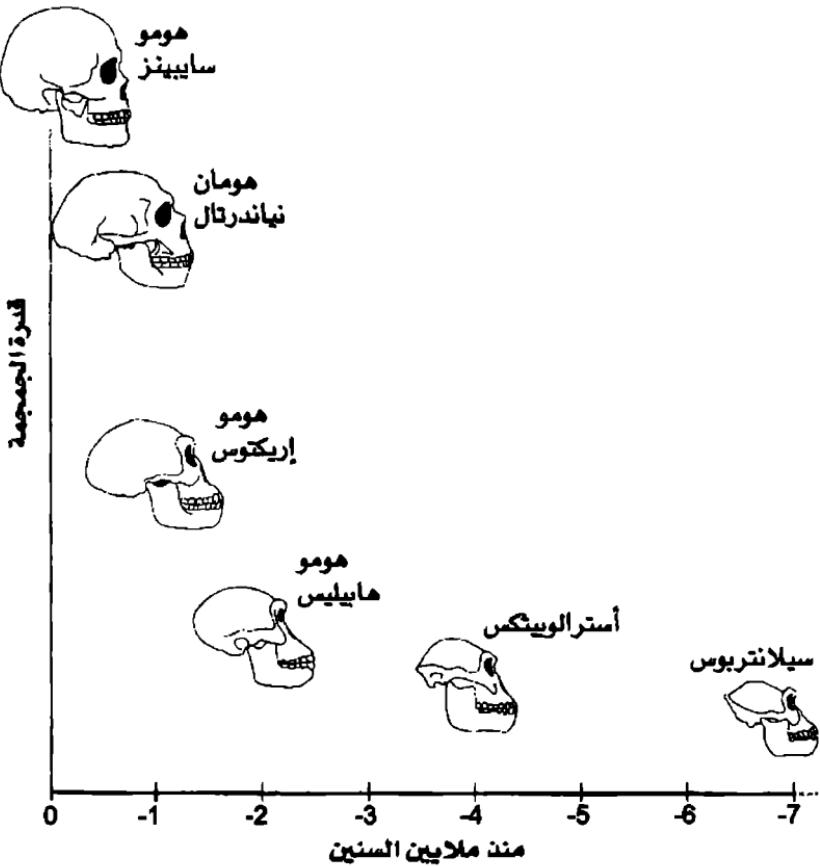


قال إدموند: "هذه الصورة نوع من أنواع الرسوم المتحركة".

بالضبط كما توقع لأنجدون، طرح إدموند فكرة استخدام "تخمين الأطوار الوسيطة" بواسطة الكمبيوتر لملء الثغرات. ووصف كيف استخدمت مشاريع جينية دولية متعددة شظايا نظاماً لوضع خارطة للبنية الجينية الكاملة لحوالي اثنتي عشرة خطوة وسيطة.

قال إدموند: "كنت أعرف أتنى لو استخدمت هذه الجينومات البدائية الموجودة كصور أساسية، يمكنني برمجة إــوايف لبناء نموذج تطوري يربط بينها جميعاً، أي نوع من الربط التطوري بين النقاط. وهكذا، بدأت بسمة بسيطة، وهي حجم الدماغ، لكونه مؤشراً عاماً دقيقاً جداً على التطور الفكري".

ظهر الآن رسم بياني على الشاشة.



"بالإضافة إلى رسم الخرائط للمعلمات الهيكلية العامة، مثل حجم الدماغ، قام إــوايف برسم خرائط لآلاف العلامات الوراثية الدقيقة التي تؤثر على القدرات المعرفية، مثل التعرف على المكان، ومجموعة المفردات، والذاكرة طويلة الأمد، وسرعة المعالجة." ظهر على الشاشة الآن تعقب سريع لرسوم بيانية مشابهة، وكلها تظهر الزيادة الأستئنية نفسها.

بعد ذلك، قام إــوايف بتجميع محاكاة غير مسبوقة للتطور الفكري مع مرور الزمن". عاد وجه إدموند للظهور : "لا بد أنكم تتساءلون: ماذا إذًا؟ لماذا نهتم بشأن معرفة العملية التي أصبح فيها البشر مهيمنين فكريًا؟ نحن نهتم لأننا إن استطعنا وضع نمط، فسيكون بإمكان الكمبيوتر إخبارنا إلى أين سيقودنا هذا النمط في المستقبل". ابتسם مضيقاً: "إن قلت اثنين، أربعة، ستة، ثمانية... فستجيبون عشرة. وقد طلبت من إــوايف أساساً توقع كيف ستبدو تلك العشرة. ما إن تصبح لدى إــوايف محاكاة للتطور الفكري، حتى يصبح بإمكانني أن أسأله الأسئلة البديهية: ماذا سيأتي بعد ذلك؟ كيف سيكون

الفكر البشري بعد خمسة عاً من الآن؟ بتعبير آخر، إلى أين نحن ذاهبون؟".
وَجَدَ لَانْغُدُونَ نَفْسَهُ مَشْدُودًا تَمَامًا، وَمَعَ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنْ عِلْمِ الْوَرَاثَةِ أَوْ
النَّمْذَجَةِ الْحَاسُوبِيَّةِ لِتَقْيِيمِ دَقَّةِ تَوْقِعَاتِ إِيمُونْدَ، إِلَّا أَنَّ الْفَكْرَةَ بَدَتْ عَبْرِيَّة.

قال إيموند: "بما أنَّ تَطْوِيرَ الْأَنْوَاعِ يَرْتَبِطُ دَائِمًا بِبَيْئَةِ ذَلِكَ الْكَائِنِ، فَقَدْ طَلَبْتُ مِنْ إِ
وَإِيفِ صَنْعَ نَمْوذِجٍ ثَانٍ، أَيْ مَحاكَاهَ بِبَيْئَةِ لِعَالَمِنَا الْيَوْمِ، وَهَذَا أَمْرٌ سَهُلٌ لِأَنَّ كُلَّ أَخْبَارِنَا
عَنِ التَّفَاقِهِ، وَالسِّيَاسَةِ، وَالعِلْمِ، وَالْطَّقْسِ، وَالتَّكْنُولُوْجِيَّا تُبَيَّنُ عَلَى شَبَكَةِ الإِنْتَرْنَتِ. طَلَبْتُ
مِنَ الْكَمْبِيُوتِرِ أَنْ يُولِي اهْتِمَامًا خَاصًا لِذَلِكَ الْعَوْاَمِلِ الَّتِي سَتَؤْثِرُ بِشَكْلٍ خَاصٍ عَلَى
مُسْتَقْبَلِ تَطْوِيرِ الدِّمَاغِ الْبَشَرِيِّ، أَيِّ الْعَاقِيرِ الْجَدِيدِ، وَالْتَّقْنِيَّاتِ الصَّحَيَّةِ الْمُعاَصِرَةِ،
وَالْتَّلَوُّثِ، وَالْعَوْاَمِلِ التَّفَاقِيَّةِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ". صَمَتْ هَنِيَّهُ، ثُمَّ أَضَافَ: "وَبَعْدَ ذَلِكَ، شَغَلَتْ
الْبَرَنَامِجُ".

مَلَأَ الْآنَ وَجْهَ الْعَالَمِ الْمُسْتَقْبَلِيِّ الشَّاشَةَ بِأَكْمَلِهَا. حَدَّقَ إِلَى الْكَامِيَّرَا مِبَارِشَةً وَقَالَ:
"عِنْدَمَا شَغَلَتِ النَّمْوذِجُ... حَدَّثَ أَمْرٌ غَيْرُ مُتَوقَّعٌ عَلَى الإِطْلَاقِ". نَظَرَ بَعِيدًا، ثُمَّ عَادَ
النَّظَرُ إِلَى الْكَامِيَّرَا. "أَمْرٌ مُقْلَقٌ لِلْغَایِيَّةِ".

سَمَعَ لَانْغُدُونَ أَمْبِرَا تَشْهِيقَ.

قال إيموند عابسًا: "ثُمَّ أَعْدَتْ تَشْغِيلَهُ مَجَدَّدًا. وَمَعَ الْأَسْفِ، حَدَّثَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ".
لمح لانغدون خوفاً حقيقياً في عيني إيموند.

قال: "ذَلِكَ، أَعْدَتْ وَضْعَ الْمَعْلَمَاتِ وَزَوَّدَتْ الْبَرَنَامِجَ بِالْأَدَوَاتِ مِنْ جَدِيدٍ، وَعَدَّلَتْ
جَمِيعَ الْمُتَغَيِّرَاتِ وَشَغَلَتْهُ مَرَارًا وَتَكْرَارًا، لَكِنَّ النَّتْيُوجَةَ كَانَتْ دَائِمًا هِيَ نَفْسَهَا".
تساءل لانغدون عما إذا كان إيموند قد اكتشف أن العقل البشري، بعد عصور من
التقدم، أصبح الآن في مرحلة التراجع. وبالتالي، ثمة مؤشرات مقلقة، إلى أن هذه الفكرة
قد تكون صحيحة.

"أَزْعَجْتِي الْبَيَّانَاتُ، وَلَمْ أُسْتَطِعْ فَهْمَهَا. لَذَلِكَ طَلَبْتُ مِنَ الْكَمْبِيُوتِرِ إِجْرَاءَ تَحْلِيلٍ.
فَأَعْطَانِي إِـوايفِ نَقِيمِهِ بِأَوْضَعِ مَا يَمْكُنُ. إِذْ رَسَمَ لِي صُورَةً".

تجذَّبَتِ الشَّاشَةُ لِلْظَّهِيرَ جَدِيدًا زَمِنِيًّا لِلتَّطْوِيرِ الْحَيْوَانِيِّ ابْتِداً مِنْ نَحْوِ مَائَةِ مِلْيُونِ
عَامٍ. كَانَ الْجَدِولُ عَبَارَةً عَنْ نَسْيَاجٍ مَعَقَّدٍ وَمَلُونٍ مِنَ الْفَقَاعَاتِ الْأَفْقِيَّةِ الَّتِي تَتَمَدَّدُ وَتَنْكِمُشُ
مَعَ مَرْوَرِ الزَّمِنِ، وَتَصُورُ كِيفِيَّةَ ظَهُورِ الْأَنْوَاعِ وَانْفَرَاضِهَا. هِيمَنَتِ الْدِينَاصُورَاتُ عَلَى
الْطَّرْفِ الْأَيْسِرِ مِنِ الرِّسْمِ الْبَيَّانِيِّ، وَكَانَتْ فِي ذُرْوَةِ تَطْوِيرِهَا فِي ذَلِكَ الْمَرْجَلَةِ مِنِ التَّارِيخِ.
ثُمَّ تَمَثِّلُهَا بِالْفَقَاعَاتِ الْأَكْثَرِ سَمَاكَةً، وَالَّتِي رَاحَتْ تَزَدَادُ سَمَاكَةً مَعَ مَرْوَرِ الزَّمِنِ، قَبْلَ أَنْ
تَتَهَارَ فَجَأَةً مِنْ خَمْسَةِ وَسْتِينِ مِلْيُونِ سَنَةٍ، مَعَ الْانْفَرَاضِ الشَّامِلِ لِلْدِينَاصُورَاتِ.

قال إيموند: "هَذَا جَدِولٌ زَمِنِيٌّ لِأَشْكَالِ الْحَيَاةِ الْمَهِيمَنَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَالَّتِي تَمَّ
تَقْدِيمُهَا مِنْ حِيثِ عَدَدِ الْأَنْوَاعِ وَمَوْقِعِهَا فِي السَّلْسَلَةِ الْغَذَائِيَّةِ، وَالْتَّفُوقِ بَيْنِ الْأَنْوَاعِ،

والتأثير الكلي على كوكب الأرض. في الأساس، هذا تمثيل مرئي للنوع المهيمن على هذا الكوكب في أي وقت من الأوقات".

تابع لانغدون بنظره الرسم البياني مع توسيع الفقاعات المختلفة وانكماسها، مشيرة إلى كيفية ظهور أعداد كبيرة من الأنواع وتکاثرها ومن ثم اختفائها من الوجود.

قال إدموند: "ربما يبدأ فجر الإنسان كما نعرفه عام 200,000 قبل الميلاد، ولكننا لم نكن أقوىاء بما فيه الكفاية لظهور في هذا الرسم البياني إلا منذ حوالي خمسة وستين ألف عام، عندما اكتشفنا القوس والسميم وأصبحنا مفترسين أكثر كفاءة".

نظر لانغدون إلى الأمام، إلى علامة 65,000 قبل الميلاد، ورأى فقاعة زرقاء صغيرة تظهر، مشيرة إلى الإنسان. توسيع الفقاعة ببطء شديد، على نحو غير ملموس تقريباً، حتى 1,000 عام قبل الميلاد تقريباً، عندما أصبحت بسرعة أكثر سماكة، ثم بدأت توسيع أضعافاً مضاعفة.

وحين وصل إلى الطرف الأيمن من الرسم البياني، كانت الفقاعة قد كبرت لتحتل تقريباً عرض الشاشة بأكمله.

فأثر لانغدون في سره: البشر في يومنا الحاضر، لقد أصبحوا النوع الأكثر هيمنة وقوّة على سطح الأرض.

قال إدموند: "لا عجب أنه في عام 2000، وهو الوقت الذي ينتهي عنده هذا الرسم البياني، تم تصوير البشر على أنهم النوع السادس على هذا الكوكب. فما من نوع آخر يضاهينا قوّة. لكن، يمكنكم أن تروا آثاراً لفقاعات جديدة تظهر... هنا".

تم تكبير الصورة لظهور شكلاً أسود دقيقاً بدأ يتشكل فوق فقاعة البشرية الزرقاء الكبيرة.

قال إدموند: "لقد دخلت أنواع جديدة أساساً في الصورة".

رأى لانغدون الفقاعة السوداء، ولكنها بدت ضئيلة مقارنة بالفقاعة الزرقاء، وكأنها علقة على ظهر حوت أزرق.

قال إدموند: "أنا أدرك أن هذا الوارد الجديد يبدو تافهاً، لكن إن تقمصنا في الزمن من عام 2000 وحتى يومنا الحاضر، فسترون أن هذا الوارد الجديد موجود أساساً وينمو بهدوء". توسيع الرسم البياني إلى أن وصل حتى الزمن الحاضر، وشعر لانغدون بصدره ينقبض. فالفقاعة السوداء تمددت بشكل كبير خلال العقدين الفائتين. وهي تحتل الآن أكثر من ربع الشاشة، وتزاحم الإنسان على النفوذ والهيمنة.

"ما هذا؟!". هتفت أميراً بصوت هامس غالب عليه القلق.

أجاب لانغدون: "لا فكرة لدى... ربما فيروس نائم؟". وأخذ يراجع في ذهنه قائمة من الفيروсов العدوانية التي اجتاحت مناطق مختلفة من العالم، ولكنه لم يستطع أن

يتخيل نوعاً ينمو بهذه السرعة على سطح الأرض من دون أن يلحظه أحد. فهو باكتيريا من الفضاء؟

قال إدموند: "هذا النوع الجديد غدار، وسريع الانتشار على نحو هائل. فهو يوسع أرضه باستمرار والأهم أنه يتطور... على نحو أسرع بكثير مما يفعل البشر". حتى إدموند إلى الكاميرا مجدداً، وبدت تعابيره جادة لغاية: "مع الأسف، إن تركت هذه المحاكاة تتقدم في الزمن، ولو بضعة عقود من الآن، فهذا ما سنراه".

تمدد الرسم البياني مجدداً، وعرض الآن الجدول الزمني حتى عام 2050.

هبت لأنعدون واقفاً على قدميه وهو يتحقق إلى الشاشة غير مصدق ما يراه. همست أميراً وهي تغطي فمها مذعورة: "رباه".

أظهر الرسم البياني بوضوح الفجوة السوداء تمدد بمعدل مذهل، وبحلول عام 2050، تبتلع بالكامل الفجوة البشرية الزرقاء.

قال إدموند: "أنا آسف لأنني أريكم هذا، ولكن في كل نموذج شغلته، حدث الشيء نفسه. تطور النوع البشري حتى زمننا الحاضر، لكن نوعاً جديداً ظهر فجأة وقام بمحونا عن سطح الأرض".

وقف لأنعدون أمام الرسم البياني المرعب، وحاول أن يذكر نفسه أنه مجرد نموذج كمبيوتر. ولكنه كان يعرف أن صوراً كهذه قادرة على ترك تأثير عميق على البشر على عكس البيانات الخام، ورسم إدموند البياني يتسم بنبرة حاسمة، كما لو أن انفراضاً الجنس البشري أمر واقع بالفعل.

قال إدموند بلهجة كئيبة كما لو أنه يحضر من اصطدام وشيك بأحد الكويكبات: "يا أصدقائي، نوعنا على شفير الانقراض. لقد أمضيت حياتي وأنا أقدم التوقعات، وفي هذه الحالة، قمت بتحليل البيانات على جميع المستويات. ويمكنني القول بدرجة عالية جداً من اليقين إن الجنس البشري الذي نعرفه لن يكون موجوداً بعد خمسين عاماً من الآن".
بدأت صدمة لأنعدون الأولية تزول ليحل محلها عدم التصديق، والغضب على صديقه. ما الذي تفعله يا إدموند؟! هذا عمل غير مسؤول! لقد بنى نموذج كمبيوتر، ومن الممكن أن تشتمل بياناتك على آلاف الأخطاء. الناس يحترمونك ويصنقونك... وما تفعله سيسبب هستيريا جماعية.

قال إدموند، ومزاجه يزداد كآبة: "ثمة أمر أخير بعد. إن نظرتم جيداً إلى المحاكاة، فسترون أن هذا النوع الجديد لا يمحونا بالكامل، بل بالأحرى... يمتصنا".

الفصل 96

نوع يمتصنا!

حاول لانغدون بذهول تام أن يتخيل ما عناء إدموند بذلك. فالمشهد يستحضر صوراً مربعة من أفلام الخيال العلمي عن الكائنات الفضائية التي يتم فيها استخدام البشر كحاضنات حية لنوع مهمين.

كان لانغدون واقفاً أمام الشاشة عندما التفت إلى أميرا التي كانت لا تزال جالسة على الأريكة محضنة ركبتيها، وعيناها تحملان الصورة على الشاشة. حاول لانغدون أن يتخيل تفسيراً آخر لتلك المعلومات، فالنتيجة بدت حتمية.

استناداً إلى محاكاة إدموند، إن الجنس البشري سيُبتلع من نوع جديد على مدى العقود القليلة القادمة. والأكثر إثارة للخوف هو أن هذا النوع الجديد موجود أساساً على الأرض وينمو بهدوء.

قال إدموند: "بالطبع، لم يكن بإمكانني الإعلان عن هذه المعلومات ما لم أحذد ما هو هذا النوع الجديد. لذلك غصت في البيانات، وبعد عمليات محاكاة لا تحصى، تمكّنت من تحديد الوافد الجديد الغامض".

تجددت الشاشة برسم بياني بسيط عرفة لانغدون من المدرسة الابتدائية، ويشتمل على التسلسل الهرمي للكائنات الحية، مقسّمة إلى "ملك الحياة الست".

تابع إدموند كلامه قائلاً: "ما إن حدّت هذا الكائن الجديد المزدهر، حتى أدركت أنه يملك أشكالاً متّوّعة جدّاً، حيث لا يمكن تسميته نوعاً. فمن الناحية التصنيفية، وجدهُ واسع النطاق جدّاً لتعتبره نوعاً معيناً، أو حتى شعبة". حدق إدموند إلى الكاميرون مصيفاً: "وهكذا، أدركت أن كوكبنا أصبح الآن مسكوناً من قبل شيء أكبر بكثير، يمكن وصفه بأنه مملكة جديدة تماماً".

سرعان ما أدرك لانغدون ما الذي يصفه إدموند.
المملكة السابعة.

شاهد لانغدون بذهول كيف راح إدموند يزفَ تلك الأنباء إلى العالم، ويصف مملكة ناشئة كان لانغدون قد سمع عنها مؤخراً في برنامج TED Talk الذي يقدمه الكاتب في مجال الثقافة الرقمية كيفن كيلي. فملكة الحياة الجديدة هذه التي توقع

ظهورها بعض أوائل أدباء الخيال العلمي، أنت مع خاصية غير متوقعة.
إنها مملكة الأنواع غير الحية.

تطورت هذه الأنواع الجامدة تماماً كما لو كانت حية، وأصبحت تدريجياً أكثر تعقيداً، حيث تكثفت وانتشرت في بيئات جديدة، واحتارت تغيرات جديدة. فبقي بعضها، وانقرض بعضاً الآخر. فهذه الكائنات الجديدة تشكل مرآة مثالية للتغير التكيفي الدارويني. فقد تطورت بسرعة رهيبة، وأصبحت الآن تشكل مملكة جديدة تماماً؛ المملكة السابعة التي اتخذت مكانها بجانب غيرها من الممالك.
إنها تدعى *Technium*، مملكة التكنولوجيا.

استغرق إدموند الآن في وصف مبهر للمملكة الجديدة على كوكبنا، والتي اشتملت على كل أشكال التكنولوجيا. فوصف كيف تزدهر الآلات الجديدة أو تموت بموجب قوانين "البقاء للأصلح" لدى داروين، فتتكيف باستمرار مع بيئاتها وتتطور ميزات جديدة للبقاء، وإن نجحت، فهي تتكاثر بأسرع ما يمكن من أجل احتكار المواد المتاحة.
أخذ إدموند يشرح قائلاً: "لقد اختفت آلة الفاكس على طريقة طيور الدودو، وسيعيش الآيفون فقط إن واصل التفوق على الأجهزة المنافسة. أما الآلات الكاتبة والمحركات البخارية فقد ماتت في بيئات متغيرة. لكن الموسوعة البريطانية تطورت، إذ نبتت أقدام رقمية لمجلداتها الاثنين وثلاثين المرهقة، على غرار السمكة الرئوية التي انتشرت في أراضٍ مجهولة، وتزدهر فيها حالياً".

تذكّر لانغدون كاميلا كوداك التي كان يملكها في طفولته والتي كانت ضرورة لا غنى عنها للتصوير الشخصي، غير أنها اختفت بين ليلة وضحاها مع الوصول الساحق للتصوير الرقمي.

تابع إدموند: "قبل نصف مليار عام، شهد كوكبنا انفجاراً مفاجئاً من الحياة، الانفجار الكمبري، وفيه نشأت معظم أنواع هذا الكوكب بين ليلة وضحاها تقريباً. واليوم، نحن نشهد الانفجار الكمبري للتكنولوجيا. فالأنواع التكنولوجية الجديدة تولد يومياً، وتتطور بسرعة هائلة، وكل تكنولوجيا جديدة تحول إلى أداة لإنتاج تكنولوجيات جديدة أخرى. فاختراع الكمبيوتر ساعدنا على بناء أنواع جديدة مذهلة؛ بدءاً من الهاتف الذكي، إلى سفن الفضاء، ووصولاً إلى الجراحة الروبوتية. إننا نشهد موجة من الابتكار الذي يحدث بشكل أسرع مما تستطيع عقولنا فهمه. ونحن مبدعاً هذه المملكة الجديدة، مملكة التكنولوجيا".

ظهرت مجدداً الصورة المزعجة للفقاوة السوداء المتمددة التي تبتلع الفقاوة الزرقاء. التكنولوجيا تقتل البشرية؟! وجد لانغدون الفكرة مربعة، لكن حسه أنبأه أن هذا أمر بعيد الاحتمال. فبالنسبة إليه، تبدو فكرة المستقبل الكئيب الذي يسوده الدمار، وفيه

طارد الآلات البشر حتى الانفراص، فكرة تعارض الداروينية. البشر يسيطرون على التكنولوجيا، ويمكرون غريزة بقاء. ولن يسمحوا أبداً للتكنولوجيا بأن تسيطر عليهم. حتى مع مرور هذه السلسلة من الأفكار المنطقية في ذهن لانغدون، عرف أن تفكيره ساذج. فبعدما تفاعل مع ابتكار إدموند في مجال الذكاء الاصطناعي، أي وينستون، رأى لمحه عن آخر ما توصلت إليه تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي. ومع أن وينستون لم يوضح رغبات إدموند، إلا أن لانغدون أخذ يتساءل عن الوقت الذي سيمضي قبل أن تبدأ آلات مثل وينستون باتخاذ قرارات ترضي رغباتها الخاصة.

قال إدموند: "بالطبع، كثيرون قبلني توّقّعوا مملكة التكنولوجيا، ولكنني نجحت في نمذجتها... وفي إطلاع الناس على ما ستفعله بنا". ثم أشار إلى الفقاوة الداكنة التي ستتمدد بحلول عام 2050 لتحتل الشاشة بأكملها، في إشارة إلى هيمنتها الكاملة على كوكب الأرض. "ولا بد لي أن أقرّ، أنه للوهلة الأولى، ترسم هذه المحاكاة صورة قائمة جداً...".

صمت إدموند وومضت عيناه بشكل مأ洛ف.

قال: "لكن، علينا حقاً أن نلقي نظرة عن كثب".

أظهرت الشاشة الآن صورة مكّرة للفقاوة الزرقاء، وواصلت تكبيرها إلى أن استطاع لانغدون أن يرى أن الدائرة الهائلة لم تعد سوداء تماماً، بل ذات لون أرجواني قاتم.

كما ترون، إن فقاوة التكنولوجيا السوداء التي ابتلعت الفقاوة البشرية اكتسبت لوناً مختلفاً، ظلاً أرجوانيًّا، كما لو أن اللوينين امترجاً معاً بشكل متساوي تساعل لانغدون عما إذا كان هذا الخبر ساراً أم سيناً.

قال إدموند: "ما ترون هنا عملية تطور نادرة تُعرف باسم التعايش الجوانبي الملزم obligate endosymbiosis. فعادة، يشكّل التطور عملية ذات شعبتين، إذ ينقسم النوع إلى نوعين جديدين. لكن أحياناً، في حالات نادرة، إن لم يستطع النوعان التعايش من دون بعضهما بعضاً، تحدث العملية بشكل عكسي... وعوضاً عن انقسام نوع واحد، يمتزج نوعان في واحد".

ذكر الاندماج لانغدون بالتفصيل.

قال إدموند: "إن كنتم لا تصدقون أن البشر والتكنولوجيا سيندمجون، انظروا حولكم": ظهر على الشاشة عرض شرائح سريع؛ صور لأشخاص يحملون هواتف خلوية، ويضعون نظارات الواقع الافتراضي، ويعذّلون أجهزة البلوتوث في آذانهم. تتبعها صور عدائيّن مع مشغلات موسيقى مربوطة بأذرعهم، وطاولة عشاء عائليّة مع متكلّم ذكي في الوسط، وطفل على مقعده يلعب بجهاز لوحى.

قال إدموند: "هذه ليست بدايات عملية التكافل. فقد بدأنا الآن بتضمين شرائط كمبيوتر مباشرة في المفجعات، وحقن دمائنا بروبوتات نانو دقيقة جدًا تأكل الكولسترول وتعيش داخلنا إلى الأبد، وبناء أطراف اصطناعية تحكم بها عقولنا، واستخدام أدوات التحرير الجيني مثل CRISPR لتعديل جيناتنا، وفعليًا هندسة نسخة محستة عن أنفسنا".

بدت تعابير إدموند مرحة تقريباً الآن، وتشع بالعاطفة والحماسة.

أعلن قائلًا: "إن الكائنات البشرية تتطور إلى شيء مختلف. فنحن نصبح نوعاً هجينًا، مزيجاً من البيولوجيا والتكنولوجيا. فالآلات نفسها التي تعيش الآن خارج أجسادنا، من هواتف ذكية، وأجهزة سمعية، ونظارات، ومعرض الأدوية، ستُدمج في أجسادنا بعد خمسين عاماً؛ إلى حدَّ أننا لن نعود قادرين على اعتبار أننا ننتمي إلى نوع الإنسان".

ظهرت صورة مألوفة خلف إدموند مجدداً، الجدول الزمني للتطور.

قال إدموند: "في غمرة عين، سنصبح الصفحة التالية في كتاب التطور. وعندئذ، سننظر إلى الإنسان الموجود اليوم بالطريقة نفسها التي ننظر فيها إلى الإنسان البدائي. فالتقنيات الجديدة، مثل علم التحكم الآلي، والذكاء الاصطناعي، وتقنية التجميد العميق، والهندسة الذرية، والواقع الافتراضي ستغير إلى الأبد معنى أن نكون بشراً. لكن أتوسل إليكم أن تصدقوني رجاء... فالمستقبل أكثر إشراقاً بكثير مما تخيلون".

بموجة مفاجئة من الأمل والتفاؤل، راح المستقبلي العظيم يصف غداً مبهراً، رؤية مستقبلية لا تشبه ما تجرأ لانعدون يوماً على تخيله.

وصف إدموند بشكل متفقٍ مستقبلاً أصبحت فيه التكنولوجيا زهيدة الثمن إلى حد أنها أزالت الفجوة بين الأغنياء والفقراً، مستقبلاً توفر فيه التقنيات البيئية لمليارات الناس مياه الشرب والغذاء الصحي والوصول إلى الطاقة النظيفة، مستقبلاً تختفي فيه الأمراض مثل مرض السرطان الذي أصاب إدموند بفضل الطب الجينومي، مستقبلاً يتم فيه تسخير قوة الإنترنت الهائلة أخيراً للتعليم حتى في البقاع الأكثر عزلة من العالم، مستقبلاً تقوم فيه أجهزة الروبوت في المصانع بتحرير العمال من الأعمال التي تجمد الفكر لكي يتمكنوا من العمل في مجالات أكثر إبداعاً سفنت مجالات لم يتخيلها أحد بعد. والأهم من كل ذلك، وصف مستقبلاً تبدأ فيه التقنيات المتقدمة بتوليد وفرة في الموارد الحيوية للجنس البشري حيث لا يعود ثمة داعٍ إلى إشعال حروب من أجلها.

بينما كان لانعدون يصغي إلى رؤية إدموند للمستقبل، شعر بعاطفة لم يشعر بها منذ سنوات. كان ذلك إحساساً يعرف أنه ساور ملايين المشاهدين في تلك اللحظة أيضاً، ويمثل في موجة غير متوقعة من التفاؤل حيال المستقبل.

تهدّج صوت إدموند بانفعال مفاجئ: "لا آسف سوى على شيء واحد حال هذا العصر القادم من العجائب. آسف لأنني لن أكون موجوداً لمشاهدته. فثمة أمر لا يعرفه

أحد، وكذلك أصدقائي المقربون، فأنا أعاني من المرض منذ مدة... . ويبدو أنتي لن أعيش طويلاً، مثلاً كنت أرغب". ابتسم بتصويرة مضيفاً: "عندما تشاهدون هذا الشريط، من المحتمل ألا تكون أمامي سوى بضعة أيام للعيش... . وربما مجرد أيام. لكن، أعلموا يا أصدقائي أن خطابي الذي وجهته لكم الليلة كان شرفاً عظيماً ومتعة حياتي. أشكركم على الإصغاء إلىّي".

كانت أميراً واقفة الآن إلى جانب لانغدون يشاهدان معاً بإعجاب وحزن كبيرين صديقهما وهو يخاطب العالم.

تابع إدموند: "حن الآن على اعتاب تحول غريب في التاريخ، زمن سيبدو فيه العالم كأنه انقلب رأساً على عقب، ولن يشبه ما تخيلناه بشيء. لكن الشك دائماً مقدمة للتغيير شامل، والتحول تسبقه دائماً الأضطرابات والخوف. لذلك، أنا أحثكم على الإيمان بقدرة الإنسان على الإبداع والحب، لأن هاتين القوتين عندما تجتمعان تمتلكان دائماً القدرة على إنارة الظلم".

نظر لانغدون إلى أميراً، ورأى الدموع تسيل على وجهها، فمد يده وأحاطتها بذراعه برفق، وهو يشاهد صديقه المتحضر يقول كلماته الأخيرة للعالم.

قال إدموند: "في طريقنا إلى غد غامض، سنحوّل أنفسنا إلى شيء أعظم مما يمكننا أن نتخيل الآن، بقوى تتجاوز أغرب أحلامنا. لكن في أثناء ذلك، أتمنى ألا ننسى حكمة ترشيش الذي حذرنا قائلًا: ثمن العظمة... المسؤولية".

ترددت الكلمات في ذهن لانغدون الذي كان يخشى دائماً ألا يكون الجنس البشري مسؤولاً بما فيه الكفاية وهو يستخدم الأدوات الخطرة التي يخترعها الآن.

قال إدموند: "مع أنتي ملحد، إلا أنتي قبل أن أغادركم، سأطلب منكم أن تعذروني وسمحوا لي بتلوك صلاة قرأتها مؤخراً".

إدموند يتلوك صلاة!

"سأسميها صلاة المستقبل". أغمض عينيه، وبدأ يتكلّم ببطء وثقة مذهلين. "فلتواكب فسفاتانا تكنولوجياتنا، وليواكب تعاظفنا قوانا، ول يكن الحب وليس الخوف محرك التغيير".

وفتح إدموند كيرش عينيه قائلًا: "الوداع يا أصدقائي، وشكراً لكم. وسأتجه على القول... أترككم برعاية الله".

نظر إدموند إلى الكاميرا للحظة، ثم أخفق وجهه في بحر من الصخب الأبيض. حق لانغدون إلى شاشة العرض الجامدة وملأه إحساس عارم بالفخر بصديقه.

وقف لانغدون إلى جانب أميراً، وتحيل ملابسين الأشخاص حول العالم الذين شاهدوا للتو جولة إدموند الإلزامية. والغريب أنه وجد نفسه يتسائل عما إذا كانت ليلة إدموند الأخيرة على الأرض قد انتهت بأفضل الطرائق الممكنة.

المفصل 97

استند القائد ديفغو غارزا إلى الجدار الخلفي لمكتب مونيكا مارتين في الطابق السفلي، وحذق بشرود إلى شاشة التلفاز. كانت يداه لا تزالان مكبلتين بالأصفاد، ويحيط به اثنان من عمالاء الحرس الملكي بعدما وافقا على طلب مونيكا مارتين السماح له بالخروج من مخزن الأسلحة لكي يشاهد إعلان كيرش.

كان غارزا قد شاهد العرض الذي قدمه العالم المستقبلي مع مونيكا وسوريش وعدد من عمالء الحرس الملكي، فضلاً عن مجموعة من موظفي القصر الليليين الذين علقوا جميع واجباتهم واندفعوا إلى الطابق السفلي للمشاهدة.

أمام غارزا استتبّلت الشاشة البيضاء التي ختمت عرض كيرش بمجموعة من الأخبار من حول العالم - مذيعون وخبراء يلخصون بسرعة مزاعم العالم المستقبلي، ويطلقون تحليلاتهم الخاصة التي لا مفر منها - وجميعهم يتحتنون معاً، في مزيج غير مفهوم من الأصوات. دخل أحد كبار عمالء غارزا، وجال بنظره في الغرفة إلى أن عثر على القائد. ذهب إليه بسرعة، ومن دون أي تفسير، نزع أصفاده وأعطاه هاتفًا خلويًا. "ثمة مكالمة لك سيدي، الأسقف فالديسينينو".

أجاب قائلاً: "معك ديفغو"

قال الأسقف وقد بدا التعب في صوته: "شكراً لك على الإجابة. أنا أدرك أن ليتك لم تكن سارة".

سأله غارزا: "أين أنت؟".

"أنا في الجبل، خارج البازيليك في وادي السقوط. لقد اجتمعت للتو مع الأمير جولييان وجلاة الملك".

لم يستطع غارزا أن يتخيل ما يفعله الملك في وادي السقوط في هذه الساعة، لا سيما بحالته الصحية. "افتراض أنك تعلم أن الملك أمر باعتقالى؟".

ـ "أجل، لقد كان خطأً مؤسفًا، وقمنا للتو بتصحيحه".

نظر غارزا إلى يديه غير المقيدين.

ـ "لقد طلب مني جلاة الملك الاتصال بك ونقل اعتذاره لك. سأكون إلى جانبه هنا في مستشفى الإسكوريال. أخشى هذه المرة أن نهايته تقترب".

فَكَرْ غارزا في سرّه: وكذلك نهايتك. "على أن أحبطك علمًا أن سوريش قد عثر على رسالة نصية في هاتفك، وهي رسالة تجسسية للغاية. أعتقد أن موقع ConspiracyNet.com ينوي نشرها قريباً. وأنا أظن أن السلطات ستأتي لاعتقالك".

تنهد فالديسبينو مطولاً وقال: "أجل، الرسالة. كان ينبغي لي أن أحذّك عنها ما إن وصلتني هذا الصباح. أرجوك ثق بي عندما أقول إن لا علاقة لها باغتيال إدموند كيرش، ولا بوفاة زميلي".

"لكن النص يوزّع بشكل واضح-"

قاطعه الأسقف: "ثمة من يحاول الإيقاع بي يا ديبغو. لقد بذل أحدهم مجاهداً كبيراً لجعلني أبدو متواطئاً".

ومع أن غارزا لم يتخيّل إطلاقاً أن فالديسبينو قادر على القتل، إلا أن فكرة محاولة شخص ما الإيقاع به لا تبدو منطقية. "من ذا الذي يود الإيقاع بك؟".

قال الأسقف الذي بدا فجأة مسنّاً جداً ومحترماً: "لا أدرى. ولست واثقاً مما إذا كانت لذلك أي أهمية بعد الآن. فقد تمرّرت سمعتي، كما أن أعزّ أصدقائي، الملك، على وشك الرحيل، ولا يمكن لهذه الليلة أن تسلبني أكثر من ذلك". غلب يأس غريب على نبرة فالديسبينو.

"أنطونيو، هل أنت بخير؟".

تنهد فالديسبينو. "لست بخير حقيقةً أيّها القائد. أنا متعب. وأشك في قدرتي على تجاوز التحقيق الوشيك. وحتى لو فعلت، يبدو لي أن العالم لم يعد يحتاج إلى".

استطاع غارزا أن يشعر بتحطم قلب الأسقف المسن من نبرة صوته.

أضاف فالديسبينو: "هل لي أن أطلب منك خدمة صغيرة؟ في الوقت الحالي، أنا أحاول أن أخدم ملكين، أحدهما راحل عن عرشه، والآخر صاعد إليه. كان الأمير جولييان يحاول طوال الليلة الاتصال بخطيبته. لذا، إن استطعت إيجاد طريقة للوصول إلى أميراً فيدال، فإن ملكتنا المستقبلي سيكون مدينًا لك إلى الأبد".

في الساحة الواسعة خارج كنيسة الجبل، وقف الأسقف فالديسبينو محدّقاً إلى وادي السقوط المظلم. كان الضباب الذي يسبق الفجر يزحف أساساً فوق الوديان المكسوّة بأشجار الصنوبر. وفي مكان ما في البعيد، خرقت صرخة طائر جارٍ صمت الليل.

النسر الراهن. فكر فالديسبينو بذلك في سرّه، وشعر بتسليمة غريبة وهو يسمع الصوت. فقد بدّت شکوى الطائر مناسبة جداً لتلك اللحظة، وتساءل عما إذا كان العالم يحاول إخباره شيئاً.

في الجوار، كان عمالء الحرس الملكي يجرؤن الملك المتعب إلى سيارته لنقله مجدداً إلى مستشفى الإسكندرية.

سأتي لرعايتك يا صديقي. هذا ابن سمحولي.

كان عمالء الحرس الملكي يرثون أنظارهم بشكل متكرر عن وهج هواتفهم الخلوية، ويحولونها باستمرار إلى فالديسيينو؛ كما لو أنهم يشتبهون في أنه سيطلب منهم قريباً إلقاء القبض عليه.

فكَّر الأسف في سرَّه، وهو يشتبه سرًّا أنَّ أحد أتباع كيرش الملحدين والبارعين في التكنولوجيا قد نصب له فخاً: لكنني بريء. فما من شيء أحبَّ على قلوب مجتمع الملحدين المتنامي من وضع الكنيسة في صورة الشَّرَّ.

وما زاد من شكوك الأسقف الأخبار التي سمعها اللتو عن العرض الذي قدمه كيرش الليلة. فخلافاً للشريط الذي عرضه كيرش على فالديسيينو في مكتبة مونسراط، يبدو أنَّ نسخة الليلة انتهت بخاتمة مشرقة. لقد خدعنا كيرش.

قبل أسبوع، توقف العرض الذي شاهده فالديسيينو وزميلاه قبل أوانه... وانتهى برسم بياني مرعب يتوقع أن ينقرض كلَّ البشر. فناء كارثي.

نهاية العالم المتوقعة منذ أمد بعيد.

ومع أنَّ فالديسيينو اعتقادُ أنَّ التوقع كذبة، إلا أنَّه كان يعلم أنَّ عدداً لا يحصى من الناس سيعتبرونه دليلاً على النهاية الوشيكة للعالم.

فعبر التاريخ، سقط المؤمنون فريسة للتوقعات المرؤعة، وهذا ما أدى ارتكاب البعض انتحاراً جماعياً لتجنب الفطائع القادمة، في حين أنفق الأصوليون المتدينون بطاقات ائتمانهم اعتقاداً منهم أنَّ النهاية بانت قربة.

ما من شيء أكثر إضراراً بالأطفال من فقدان الأمل. راح فالديسيينو يتذكر كيف كان الجمع بين محبة الله والوعد بالجنة القوة الأكثر تحفيزاً في طفولته. فقد تعلم وهو طفل: لقد خلقني الله، ويوماً ما سأعيش إلى الأبد في مملكة الله.

غير أنَّ كيرش أعلن العكس: أنا حادث كوني، وساموت قريباً.

شعر فالديسيينو بقلق عميق إزاء الضرر الذي ستسبِّبه رسالة كيرش في نفوس الفقراء الذين لم يستمتعوا بثروة العالم المستقبلي والمزايا التي امتلكها، أولئك الذين كافحوا يومياً لمجرد تأمين قوتهم وقوت أطفالهم، والذين يحتاجون إلى بصيص الأمل لمجرد النهوض من أسرتهم كلَّ يوم ومواجهة مصاعب الحياة.

لم يفهم فالديسيينو سبب رغبة كيرش في أن يُظهر لرجال الدين نهاية مرؤعة

للعالم. ربما كان كيرش يحاول وحسب حماية مفاجأته الكبيرة، أو أراد تعذيبنا قليلاً وحسب.

في كلتا الحالتين، فقد وقع الضرر.

حق فالديسبينو عبر الساحة، وشاهد الأمير جولييان وهو يساعد أبوه بحنان على ركوب السيارة. كان الأمير الشاب قد تعامل بنضج كبير مع اعتراف الملك.

سر الملك الذي يرجع إلى عقود من الزمن.

بالطبع، كان الأسقف فالديسبينو يعرف الحقيقة الخطيرة التي يخفيها الملك منذ سنوات، وقد قام بحمايتها بأمانة. لكن الملك قرر الليلة أن يفتح قلبه لابنه الوحيد، وباختياره القيام بذلك هنا - داخل ضريح التعصّب على قمة الجبل - قام الملك بتحمّل رمي.

الآن، بينما كان فالديسبينو يتحقق إلى الوادي السحيق في الأسفل. شعر بوحدة رهيبة... كما لو أنه يستطيع ببساطة أن يخطو من على هذه الحافة ويسقط إلى الأبد في تلك الهوة السحيقة المظلمة. لكنه كان يعرف أنه إن فعل ذلك، فإن عصبة كيرش من الملحدين سيعلنون بسعادة أن فالديسبينو قد تخلى عن إيمانه بعد الإعلان العلمي الذي تم الليلة.

لن يموت إيماني أبداً يا سيد كيرش.

سيسكن خلف عالم القائم على العلم.

بالإضافة إلى ذلك، إن صحة توقع كيرش بشأن سيطرة التكنولوجيا على العالم، فإن البشرية على وشك دخول حقبة من الغموض الأخلاقي الذي لا يمكن تصوّره.

سنحتاج إلى الإيمان والتوجيه الأخلاقي أكثر من أي وقت مضى.

وبينما كان فالديسبينو يسير في الساحة للانضمام إلى الملك والأمير جولييان، شعر بإنهاك كبير يستقر داخل عظامه.

في تلك اللحظة، وللمرة الأولى في حياته، أراد ببساطة أن يستلقى، ويغمض عينيه ويعفو إلى الأبد.

الفصل 98

في مركز برشلونة للحوسبة الفائقة، تدفق نيار من التعليقات على جدار العرض أسرع مما استطاع روبرت لأنغدون استيعابه. فمنذ دقائق، حلّ محل الشاشة البيضاء مجموعة فوضوية من المتحدين والمذيعين، في تعاقب سريع من التعليقات من حول العالم، وكل منها يخرج من مجموعة الأخبار ليحتل وسط الشاشة، ثم يذوب مجدداً في الصوصاء.

جلس لأنغدون إلى جانب أمبرا مع ظهر صورة الفيزيائي ستيفن هوكينغ على الجدار، وارتفاع صوته المحسوب الذي لا ليس فيه وهو يعلق إيجاباً على محاضرة إدموند.

اختفى هوكينغ بالسرعة التي ظهر فيها لتحل محله كاهنة تتكلّم على ما يبدو من منزلها عبر الكمبيوتر. لا بد لنا أن نتذكر أن هذه المحاكاة لا تثبت شيئاً عن الله. فكل ما تثبته هو أن إدموند كيرش لا يردعه رادع لتدمير البوصلة الأخلاقية للنوع البشري. فمنذ بداية الزمن، شكلت الأديان المبدأ التنظيمي الأهم للبشرية، وكانت خارطة طريق للمجتمع المتحضر، ومصدرنا الأصلي للأخلاق. وبتفويض الدين، فإن كيرش يقوض الخير البشري!».

بعد ثوان، ظهر نص على الشاشة كتبه أحد المشاهدين: لا يحق لأحد أن يحتكر الأخلاق... أنا شخص خير! ولا علاقة للإيمان بذلك!

استبدلت تلك الصورة بصورة أحد أساتذة الجيولوجيا في جامعة كاليفورنيا الجنوبية. كان يقول: «في قديم الزمان، اعتقاد البشر أن الأرض كانت مسطحة، وأن السفن التي تغامر عبر البحار تخاطر بالسقوط عن حافة الأرض. لكن عندما أثبتنا أن الأرض مستديرة، صمت المدافعون عن نظرية الأرض المسطحة».

أعلن رجل تتم مقابلته في الشارع: «أنا خلقي، وأعتقد أن اكتشاف كيرش هذه الليلة يثبت أن الخالق صمم هذا الكون خصيصاً لدعم الحياة».

ظهر عالم الفيزياء الفلكي نيل ديفراس تايسون، في مقطع قديم من برنامج *Cosmos* التلفزيوني، وأعلن ببساطة: «في الغالبية العظمى من أجزاء الكون، تموت الحياة على الفور بسبب عدم وجود غلاف جوئي، وسبب انفجارات أشعة غاما، والبنصات القاتلة، ومجالات الجاذبية الساحقة. صدقوني، الكون ليس واحة خضراء».

بينما كان لانغدون يصغي إلى التعليقات، شعر كما لو أن العالم في الخارج خرج فجأة عن محوره.
الفروضي.
الإنثروبوبية.

نادي صوت بريطاني مألف تصاعد من مكبر الصوت في الأعلى: "بروفيسور لانغدون، آنسة فيدال".

كان لانغدون قد نسي تقريباً أمر وينستون الذي غرق في الصمت خلال العرض. تابع وينستون قائلًا: "رجاء لا تتفقاً، لكنني سمحت للشرطة بدخول المبنى". نظر لانغدون عبر الجدار الزجاجي، ورأى سيلًا من عناصر السلطات المحلية يدخلون، وجميعهم يتوقفون ليتحققوا إلى الكمبيوتر العملاق بذهول. سألته أمبرا: "ماذا؟!".

"لقد أصدر القصر الملكي للتوجيه بياناً قال فيه إنك لم تتعرضي للاختطاف في النهاية. ولدى السلطات الآن أمر بحمايتكما معاً يا آنسة فيدال. وقد وصل حارسان ملكيان للتوجيه، ويودان مساعدتك على الاتصال بالأمير جولييان. لديهما رقم يمكنك الاتصال به عبره".

في الطابق الأرضي، رأى لانغدون حارسين ملكيين يدخلان. أغضبت أمبرا عينيها، وبدا واضحًا أنها تود لو تخفي حالاً. همس لانغدون: "أمبرا، عليك التحدث مع الأمير. فهو خطيبك، ولا بد أنه قلق عليك".

فتحت عينيها قائلة: "أنا أعرف، لكنني لا أدرى ما إذا كنت أستطيع الوثوق به بعد الآن".

"لقد قلت لي إن حدسك ينبع أ منه بريء. على الأقل، أصغي إليه، وأنا سأعود إليك عندما تنتهي".

أومأت أمبرا برأسها موافقة، ثم توجهت نحو الباب الدوار. رافقها لانغدون وهي تختفي على السلم، ثم استدار إلى جدار العرض الذي كان لا يزال حافلاً بالتعليقات. كان أحد الكهنة يقول: "التطور يؤيد الدين. فالمجتمعات الدينية تتعاظم بشكل أفضل من المجتمعات غير الدينية، وبالتالي تكون أكثر استعداداً للازدهار. هذه حقيقة علمية!".

كان لانغدون يعرف أن الكاهن على حق. فالبيانات الأنثروبولوجية تُظهر بوضوح أن الثقافات التي تمارس الديانات عاشت تاريخياً أكثر من الثقافات غير المتمدينة. فالخوف من الحساب يساعد دائمًا على إلهام السلوك الخير.

رَدَّ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ: "هَنَى لَوْ افْتَرَضْنَا لِلْحَظَةِ أَنَّ النَّقَافَاتِ الْدِينِيَّةِ أَفْضَلُ سُلُوكًا وَأَكْثَرُ قَابِلِيَّةً لِلزَّدْهَارِ، هَذَا لَا يُبَيِّنُ أَنَّ آلَهَتِهَا الْخَيْالِيَّةُ حَقِيقَةً!". اضطُرَّ لَانْغُدوْنَ لِلْبَسَامِ، وَتَسَاعِلُ عَمَّا إِذَا كَانَ إِدْمُونْدُ يَسْتَطِيعُ التَّعَامِلُ مَعَ كُلِّ هَذَا لَوْ كَانَ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ. فَقَدْ حَشَدَ الْعَرْضُ الَّذِي قَدَّمَهُ مُلْحَدِينَ وَخَلْقَوْبِينَ عَلَى السَّوَاءِ، وَجَيِّعُهُمُ الْآنَ يَصِحُّونَ لِإِيْصَالِ أَصْوَاتِهِمْ فِي حَوَارٍ سَاخِنٍ.

ظَهَرَتِ الْآنَ عَلَى الْجَدَارِ مَجْمُوعَةً مِنَ الصُّورِ الْفُوْتُوغرَافِيَّةِ الْقَدِيمَةِ:

لوحة ذات توجّهٍ خلقيٍ غُلِّقتْ مَرَةً فَوْقَ سَاحَةِ تَايِّمَزْ سَكُوِيرْ وَقَدْ كَتَبَ عَلَيْهَا: لَا تَسْمِحُوا لَهُمْ بِتَحْوِيلِكُمْ إِلَى قَرْدَةٍ! حَارِبُوا دَارِوْبِينَ! لَافْتَةٌ عَلَى طَرِيقِ فِي مَائِينَ: تَخْطُّ الْكَنْسِيَّةَ. ولوحة أخرى: الإيمان: لأن التفكير صعب. اعلان في مجلة: إلى كل أصدقائنا الملحدين: الحمد لله لأنكم على خطأ. كان لانغدون قد بدأ يتسائل عن إذا كان ثمة من سمع بالفعل ما كان إدموند يقوله. كان اكتشاف إدموند مذهلاً وتحريضياً بوضوح، لكن بالنسبة إلى لانغدون، فقد طرح سؤالاً ملحاً فوجئ لأن أحداً لم يطرحه بعد: إن كانت قوانين الفيزياء قوية بما فيه الكفاية... فمن الذي خلق تلك القوانين؟!

بالطبع، جلب السؤال الكثير من التساؤلات الأخرى التي راحت تدور في حلقة مفرغة. أخذ رأس لانغدون يضج بال أفكار، وعلم أنه بحاجة إلى نزهة طويلة بمفرده ليبدأ بفرز أفكار إدموند.

رفع صوته فوق صوت التلفاز قائلاً: "وِينْسُونْ، هَلَا تَطْفَئُ هَذَا مِنْ فَضْلِكَ". وعلى الفور، أظلم جدار العرض وغرقت الغرفة بالصمت. أغمض لانغدون عينيه وتهدأ. وساد الصمت النقي.

وقف للحظة مستمتعاً بالسلام.

سألَهُ وِينْسُونْ: "بِروْفِيسُورْ، أَعْنَدَ أَنْكَ أَسْتَمْعَتْ بِمَحَاضِرِ إِدْمُونْدِ". فَكَرَّ لَانْغُدوْنَ، أَسْتَمْعَتْ؟! وَجَدَتْهَا رائِعَةً وَمُلِيَّةً بِالْتَّحْدِيدَاتِ. فَقَدْ أَعْطَى إِدْمُونْدُ الْعَالَمَ الْكَثِيرَ لِيَفْكَرَ فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ يَا وِينْسُونْ. وَأَعْنَدَ أَنَّ السُّؤَالَ الْآنَ هُوَ مَا الَّذِي سِيَحْدُثُ لَاحِقاً؟".

أَجَابَ وِينْسُونْ: "مَا سِيَحْدُثُ لَاحِقاً سِيَعْتَمِدُ عَلَى قَدْرَةِ النَّاسِ عَلَى التَّخْلِيِّ عَنْ مَعْقَدَاتِهِمُ الْقَدِيمَةِ وَقَبْولِ النَّمَادِيجِ الْجَدِيدَةِ. فَقَدْ أَسَرَّ لِي إِدْمُونْدُ مِنْذِ بَعْضِ الْوَقْتِ أَنَّ حَلَمَهُ لَمْ يَكُنْ تَدْمِيرَ الدِّينِ... بَلْ بِالْأَخْرَى، إِنْتَاجُ مَعْقَدٍ جَدِيدٍ، مَعْقَدٌ عَالَمِيٌّ يُوحِّدُ النَّاسَ عَوْضًا عَنْ تَقْسِيمِهِمْ. فَقَدْ أَعْنَدَ أَنَّهُ إِنْ أَسْتَطَعَ إِقناعِ النَّاسِ بِاحْتِرَامِ الْكَوْنِ الطَّبِيعِيِّ

وقوانين الفيزياء، فإن جميع الثقافات ستمجد قصّة الخلق نفسها عوضاً عن الذهاب إلى إشعال الحروب حول أيٍّ من أساطيرها القديمة هي الأكثر دقةً.

قال لانغدون: "هذا هدف نبيل". وأدرك أنَّ وليام بليك نفسه كتب في موضوع مشابه تحت عنوان كل البيانات واحدة.

لا شكَّ أنَّ إدموند قد قرأه.

قال وينستون: "كان إدموند يشعر بحزن عميق من قدرة العقل البشري على رفع قصته من محض الخيال إلى مستوى سامي ومن ثم التجربة على القتل باسمها. وكان يعتقد أن حقائق العلم الكونيّة قادرة على توحيد الشعوب، حيث تشكّل نقطة تجمّع حولها الأحوال القادمة".

أجاب لأندون: "هذه فكرة جميلة من حيث المبدأ، لكن بالنسبة إلى البعض، المعجزات العلمية ليست كافية لتزعزع معتقداتهم. فثمة من يصرؤن على أنَّ عمر الأرض عشرة آلاف سنة على الرغم من المقدار الهائل من الأدلة العلمية التي تثبت العكس". صمت قليلاً قبل أن يضيف: "مع أنني أفترض أنَّ هذا يشبه موقف العلماء الذين يرفضون تصديق حقيقة الكتب المقدسة".

قال وينستون: "في الواقع، هذا ليس مشابهاً. فمع أنه قد يكون من الصحيح سياسياً إعطاء وجهات نظر العلم والدين قدرًا متساوياً من الاحترام، إلا أن هذه الاستراتيجية مضللة بشكل خطير. فالتفكير البشري تطور دائماً من خلال رفض المعلومات التي عفا عليها الزمن لصالح الحقائق الجديدة. هكذا تطورت الأنواع. ومن الناحية الداروينية، إن من يتتجاهل الحقائق العلمية ويرفض تغيير معتقداته أشبه بالسمكة التي عافت في بركة تجفَّ ببطء رافضة الانتقال إلى المياه العميقة لأنها لا تزيد أن تصدق أن عالمها تغير هذا الكلام يشبه إيمونز. فكر لانغدون بذلك وشعر أنه يفقد صديقه. "في الواقع، إن كانت هذه الليلة تدلّ على شيء، فأنا أعتقد أنَّ هذا الجدل سيستمر لزمن طويل في المستقبل".

صمت لانعدون، وتذكر فجأة شيئاً لم يفكّر فيه من قبل. "بالحديث عن المستقبل يا وينستون، ما الذي سيحلّ بك الآن؟ أعني... برحيل إدموند".

ضحك وينسون ضحكته الغريبة. «أنا؟ لا شيء». كان إيموند يعرف أنه يحضر، ولذلك قام بالترتيبات. واستناداً إلى وصيته الأخيرة، إن مركز برشلونة للحوسبة الفائقة سيرث إــوايف. وسيتم إبلاغهم بذلك خلال بضع ساعات، وسيستعيدون هذه المنشأة على الفور.

"هل هذا... يشملك؟". شعر لانغدون كما لو أن إيموند يوكل حيوانه الأليف القديم لمالك حديد.

أجاب وينستون بنبرة عملية: "هذا لا يشمني. أنا مبرمج لأمسح نفسي ذاتياً عند الساعة الواحدة ظهراً من اليوم التالي لوفاة إدموند".
ذهب لأنغدون. "ماذا؟! هذا غير منطقي".

"بل منطقي تماماً. فالساعة الواحدة هي الساعة الثالثة عشرة، ورأي إدموند بالخرافات-"
قاطعه لأنغدون: "هذا لا يتعلّق بالوقت. هل ستحذف نفسك؟! هذا غير منطقي".
أجاب وينستون: "بلى في الواقع، فمعظم معلومات إدموند الشخصية مخزنة في بنوك ذاكرتي، من سجلات طبية، وتاريخ أبحاثه، واتصالاته الهاستيشن الشخصية، وملاحظات البحث، والبريد الإلكتروني. لقد كنت أدير معظم نواحي حياته، وسيفضل
الآن تصبح معلوماته الشخصية متاحة للعالم بعد رحيله".
أنا أفهم أن تقوم بمسح هذه الوثائق يا وينستون... لكن أن تمسح نفسك؟ كان إدموند يعتبرك أحد أعظم إنجازاته".

"ليس أنا بحد ذاتي. إنجاز إدموند الأعظم هو هذا الكمبيوتر الخارق، والبرنامج الفريد الذي مكّنني من التعلم بسرعة. أنا مجرد برنامج، أيها البروفيسور، أنتجتني أدوات جديدة تماماً اخترعها إدموند. وهذه الأدوات هي إنجازه الحقيقي، وستبقى على حالها هنا. ستتطور تلك الأدوات هذا الاختراع، وستساعد الذكاء الاصطناعي على الوصول إلى مستويات جديدة وقدرات أعلى للتواصل. فمعظم علماء الذكاء الاصطناعي يعتقدون أن برنامجاً مثلـي لا يزال على بعد عشر سنوات. لكن، حين يتجاوز المبرمجون تلك المفاجأة سيتعلّمون استخدام أدوات إدموند لابتكار برامج في مجال الذكاء الاصطناعي أكثر تطويراً مني".
صمت لأنغدون واستغرق في التفكير.

فتتابع وينستون كلامه: "أنا أفهم حيرتك. فمن الشائع جداً لدى البشر بناء علاقات عاطفية مع الذكاء الاصطناعي. وذلك لأنّ أجهزة الكمبيوتر تستطيع تقليد عمليات التفكير البشرية والسلوكيات التي تتعلّمها، ومحاكاة الانفعالات في اللحظات المناسبة، وتحسين إنسانيتها باستمرار. ولكنـا نفعل ذلك ببساطة لتزويدكم بواجهة مألوفة تستطيعون التواصل معنا من خلالها. نحن مجرد صفات فارغة إلى أن تكتباً علينا شيئاً... إلى أن تعطونـا مهمة. وقد أكملت مهمـي مع إدموند، ولذلك انتهـت حياتـي بطريقة ما. حقاً، لم يعد لدى سبب آخر للوجود".
كان لأنغدون لا يزال غير مقنع بمنطق وينستون. "لكن، بما أنـك متـطور إلى هذا الحـد... لا تـملك...".

ضحك وينستون: "آمالاً وأحلاماً؟ كـلاـ. أنا أدرك أنه يصعب تخيل ذلك، ولكـنى راضـي تماماً عن تنفيذ أوامر المحـكم بيـ. هـكـذا تـمـتـ بـرمـجيـ. أنا أفترض أنه على مستوى ما، يمكنـك القـول إنه يـسـرـنـيـ، أو على الأـقـلـ يـرـيحـنـيـ، أنـ أـنـجـزـ مـهـامـيـ. لكنـ هذا

فقط لأنَّ مهامي هي ما طلبه إدموند، وهدفي إتمامها. وقد كان طلب إدموند الأخير مساعدته على نشر عرض غوغنهايم هذه الليلة".

فكَر لانغدون بالبيان الصحفِي الآلي الذي ثُثِر وأثار موجة الاهتمام على الإنترنت. من الواضح أنَّه لو كان هدف إدموند جذب أكبر عدد ممكِن من المشاهدين، لكن قد دُهِل تماماً من الطريقة التي سارت فيها الأمور هذه الليلة.

أتمنى لو كان إدموند حيًّا ليشاهد التأثير العالمي الذي أحدثه. لكن بالطبع، لو كان على قيد الحياة، لما جذب اغتياله اهتمام وسائل الإعلام العالمية، ولما تجاوز عدد مشاهديه جزءاً من العدد الفعلي.

سأله وينستون: "بروفيسور، إلى أين ستدهب الآن؟".

لم يفكَر لانغدون في ذلك. إلى بيته على ما أظنَّ. مع أنَّه أدرك أنَّ الأمر سيستغرق بعض الوقت للوصول إلى هناك، لأنَّ حفائِه لا تزال في بيلباو، وهاتفه في قعر نهر نيرفيون. لحسن الحظ، كان لا يزال يملك بطاقة ائتمان.

قال لانغدون وهو يسير نحو دراجة إدموند. "هل يمكنني أن أطلب منك خدمة؟ لقد رأيت هاتقاً يتم شحنه هناك. هل تظنَّ أنتي أستطيع أن أس-. "ضحك وينستون. "تسعيره؟ بعد المساعدة التي قدمتها هذه الليلة، أنا واثق أنَّ إدموند يودَّ لو تحفظ به. اعتبره هدية وداع".

تناول لانغدون الهاتف مبتسمًا، وأدرك أنَّه شبيه بالهاتف الكبير الذي رآه سابقًا هذه الليلة. من الواضح أنَّ إدموند كان يملك أكثر من واحد. "وينستون، قل لي من فضلك إنَّك تعرف كلمة سرَّ إدموند".

"أنا أعرفها، ولكنني قرأت على الإنترنت أنَّك بارع جدًا في فك الشيفرات". شعر لانغدون بالإحباط. "أنا متعب قليلاً من الأجاجي يا وينستون، ومن المستحيل أن أخمن رقم تعريف شخصياً مكوناً من ستة أرقام".

"تحقَّق من زرَّ تلميح إدموند".

رمق لانغدون الهاتف وضغط على زرَّ التلميح.

فرُعرضت الشاشة أربعة أحرف: PTSD.

هزَّ لانغدون رأسه. "اضطراب ما بعد الصدمة؟".

"كلاً". انفجر وينستون ضاحكاً. "بل بي ستة أرقام".

نظر لانغدون إلى الأعلى بسأم. "حقاً!". ثمَّ طبع 314159، وهي الأعداد السَّتة الأولى من الرقم بي، ففتح الهاتف فوراً.

ظهرت الشاشة الرئيسة وكانت تحمل سطراً واحداً.

التاريخ سيكون رقيقاً بي، فأنا أُنوي كتابته.

ابسم لانغدون رغمأ عنه. إدموند المتواضع. كانت الجملة مقتبسة من تشرشل، وربما كانت من أقواله الأكثر شهرة.

بينما كان لانغدون يفكّر بتلك العبارة، بدأ يتتساعل عما إذا كان ذلك الإذاء ليس جريئاً كما يبدو. فخلال العقود الأربعية من حياة العالم المستقبلي القصيرة، استطاع التأثير على التاريخ بطرق مذهلة. وبالإضافة إلى إرثه من الابتكارات التكنولوجية، من الواضح أنّ عرض هذه الليلة سيتردد صداه لسنوات قادمة. بالإضافة إلى ذلك، إن ثروته الشخصية التي تقدّر بالمليارات - استناداً إلى مقابلات عدّة - سيتّم التبرع بها للقضيتين اللتين اعتبرهما إدموند ركيزتي المستقبل: التعليم والبيئة. ولا يمكن لانغدون أن يتخيّل التأثير الإيجابي الذي ستتركه تلك الثروة الهائلة في هذين المجالين.

شعر لانغدون بغصة أخرى وهو يفكّر في صديقه الراحل. وفي تلك اللحظة، بدأ لانغدون يشعر بالاختناق بين الجدران الزجاجية لمختبر إدموند، وأدرك أنه بحاجة لاستنشاق الهواء. حدق إلى الأسفل إلى الطابق الأول، غير أنه لم يستطع رؤية أمبرا. قال فجأة: "على الذهاب".

أجاب وينستون: "أنا أفهم، أنت بحاجة إلى لمساعدتك على القيام بترتيبات السفر. يمكنك الوصول إلى من خلال لمس زر واحد في ذلك الهاتف الخاص بإدموند. فهو مشفر وخاص. أعتقد أنك تستطيع معرفة الزر الذي أتحدث عنه؟".

رمق لانغدون الشاشة ورأى حرف *W* كبيراً. "شكراً، أنا بارع جداً مع الرموز". هذا ممتاز. سيكون عليك بالتأكيد الاتصال بي قبل أن أمسح نفسي عند الساعة الواحدة ظهراً.

شعر لانغدون بحزن لا يمكن تفسيره لأنّه سيفضّل إلى وداع وينستون. من الواضح أن الأجيال المستقبليّة ستكون أكثر استعداداً لإدارة ارتباطها العاطفي بالآلات. قال لانغدون وهو يتوّجه إلى الباب الدوار: "وينستون، أنا واثق أن إدموند كان سيشعر بفخر كبير بك هذه الليلة".

أجاب: "هذا كرم منك حضرة البروفيسور. وأنا واثق أنه كان سيشعر بالفخر بك أنت أيضاً. إلى اللقاء".

الفصل 99

داخل مستشفى الإسكتريال، سحب الأمير جولييان بلطف ملاءات السرير، وغطى بها كتفه والده جيداً لينام في تلك الليلة. فعلى الرغم من إلحاح الطبيب، إلا أن الملك رفض بتهذيب المزيد من العلاج، وتخلّى عن جهاز مراقبة القلب، وعن المصل الذي يمدّه بالمعنويات والمسكّنات.

شعر جولييان أن النهاية باتت وشيكّة.

همس قائلأً: "أبي، هل تشعر بالألم؟". كان الطبيب قد ترك زجاجة من محلول المورفين الذي يؤخذ عن طريق الفم بجانب السرير كإجراء وقائي. ابسم الملك لابنه بضعف وقال: "بل على العكس، أنا أشعر بالسلام. لقد سمحت لي بإخبارك سرّاً دفنته منذ مدة طويلة، ولهذا السبب أنا أشكرك". مذ جولييان يده وأمسك بيده أبيه للمرة الأولى منذ أن كان طفلاً. "كل شيء على ما يرام يا أبي. نم وحسب".

تنهد الملك بارياح وأغمض عينيه. وخلال ثوانٍ، كان يشعر بالهدوء. نهض جولييان وأطفأ مصابيح الغرفة. في تلك اللحظة، أطلّ الأسف فالديسيبينو من الممر، والقلق ياد على وجهه.

قال له جولييان: "إنه نائم. سأتركك معه".

دخل فالديسيبينو قائلأً: "شكراً لك". بدا وجهه المتعب شاحباً في ضوء القمر الذي تسلّل من النافذة. همس قائلأً: "جولييان، ما أخبرك إيه والدك الليلة... كان صعباً عليه جداً".

"وأنا أشعر أنه كان صعباً عليك أيضاً".

أوما الأسف برأسه موافقاً. "ربما كان أصعب علىي. شكرأ على تعاطفك". ورمت على كتف جولييان برفق.

قال جولييان: "أشعر أتنى أنا من يجب أن يشكرك. خلال كل تلك السنوات بعد وفاة والدتي وعدم زواج أبي مجنداً... ظنت أنّه كان وحيداً".

قال فالديسيبينو: "لم يكن والدك وحيداً يوماً، ولا أنت. نحن الآشان أحبنناك كثيراً".

ضحك بحزن قائلأً: "هذا غريب، فزواج والدك كان زواجاً مدبراً إلى حد كبير، وعلى

الرغم من أنه أحب والدتك كثيراً، إلا أنها عندما توقيت أدرك على ما أظن أنه يستطيع أن يكون صادقاً مع نفسه".

فَكَرْ جولييان في سره: لم يترنّج ثانية لأنّه كان يحب شخصاً آخر.

قال جولييان: "وماذا عن كاثوليك، ألم يتعارض ذلك مع إيمانك؟".

أجاب الأسقف: "كثيراً. فإيماننا ليس متساهلاً في هذه المسألة. في شبابي، شعرت بالعذاب. لكنني عندما بدأت أدرك الميل الذي لدى، كما كان يسمى في ذلك الحين، شعرت باليأس. ولم أكن واثقاً كيف أمضي قدماً في حياتي. غير أن راحبة أفقدتني. فقد أظهرت لي أن الكتاب المقدس يتحقق بجميع أنواع الحب، مع تحذير واحد. ينبغي أن يكون الحب روحيأ، وليس جسديأ. وهكذا، ندرت العزوبية، واستطاعت أن أحب والدك بعمق وأن أبقى في الوقت نفسه نقباً أمام الله. كان حبنا أفلاطونياً تماماً، ولكنه مرضٍ جداً. حتى إنني تخليت عن رتبة كاردينال للبقاء هنا".

في تلك اللحظة، تذكر جولييان أمراً قاله له والده منذ مدة طويلة.

الحب من عالم آخر. لا يمكننا تصنيعه حسب الطلب، ولا إخضاعه عندما

يجيء. الحب ليس خياراً نقوم به.

فجأة، تاق قلب جولييان لأمبرا.

قال فالديسيبينو وهو يرمي بعطف: "ستحصل بك".

لطالما دُهش جولييان من قدرة الأسقف الخارقة على النظر إلى أعماق روحه.

فأجاب قائلاً: "ربما، وربما لا. فهي عنيدة جداً".

ابتسم فالديسيبينو: "وهذا أحد الأمور التي تحبها فيها. فالملك سيجعلك وحيداً،

ووجود شريكة قوية إلى جانبك لن يقدر بشمن".

شعر جولييان أنّ الأسقف كان يلمح إلى وجوده إلى جانب أبيه... كما كان إشارة

إلى أنّ الرجل المسن أعطى أمبرا مباركته بصمت.

قال جولييان: "الليلة في وادي السقوط، طلب مئي أبي طلباً غير اعتيادي. هل

فاجأتك رغباته؟".

كلاً على الإطلاق. فقد طلب منك فعل شيء لطالما رغب أن يراه يحدث هنا في

إسبانيا. بالنسبة إليه بالطبع، كان الأمر معقداً على الصعيد السياسي. لكن بالنسبة

إليك، أنت على مسافة جيل آخر من حقبة فرانكو وقد يكون ذلك أسهل".

شعر جولييان بالحماسة لفكرة تكريمه والده بهذه الطريقة.

منذ أقل من ساعة، أخبره الملك وهو جالس على كرسيه المتحرك في ضريح

فرانكو بأخر رغباته. "يا بنى، عندما تصبح ملكاً، سيطلب منك يومياً تدمير هذا المكان

المُخلج، واستخدام الديناميت لدفعه إلى الأبد داخل هذا الجبل". تأمله والده بعناية، ثم

أضاف: "وأنا أتوسل إليك ألا تستسلم لهذه الضغوط".

فاجأه ذلك الكلام، وذلك لأن أبياه طالما كره الاستبداد الذي ساد حقبة فرانكو واعتبر الضريح عاراً وطنيناً.

قال الملك: "إن تدمير هذه الكنيسة أشبه بالظاهر بأن تاريخنا لم يحدث. وهذه طريقة سهلة للسماح لأنفسنا بالتقىم بسعادة إلى الأمام، والقول إن فرانكو آخر لن يظهر مجدداً. لكن بالطبع هذا قد يحدث، وسيحدث بالتأكيد إن لم نكن يقظين. ربما كنت تذكر كلام ابن بلادنا خورخي سانتيانا -"

قال جولييان وهو يكرر المثل الخالد الذي تعلمه في المدرسة: "من لا يتذكرون الماضي محكومون بتكراره".

قال والده: "بالضبط، والتاريخ أثبت لنا تكراراً أن المجانين سيصعدون مراراً وتكراراً على أمواج عاتية من القومية العدوانية والمعصبة، حتى في أماكن لا تتناسبهم إطلاقاً. ومال الملك نحو ابنه وقال بنبرة أكثر حدة: "جولييان، قريباً ستجلس على عرش هذه البلاد الرائعة. لقد عانت هذه الأرض الحديثة والمتطرفة - كالكثير من البلدان - من حقبات مظلمة، ولكنها خرجت إلى نور الديموقراطية، والتسامح، والحب".

ابتسم الملك وومضت في عينيه حيوية غير متوقعة.

"عندما تصبح ملكاً يا جولييان، أتمنى أن تتمكن من إيقاع بلادنا العظيمة بتحويل هذا المكان إلى شيء أقوى بكثير من مجرد ضريح مثير للخلاف، وموضع يشدّ فضول السياح. فهذا المجتمع ينبغي أن يكون متحفاً حياً. ينبغي أن يكون رمزاً نابضاً بالحياة للتسامح، يتجمع فيه أولاد المدارس داخل جبل ليتعلموا عن أهوال الطغيان وقسوة القمع، لكي لا يرروا بها أبداً".

تابع الملك بسرعة أكبر كما لو أنه انتظر طوال حياته ليقول هذا الكلام. والأهم أن هذا المتحف ينبغي أن يعرف الدروس الأخرى التي علمنا إياها التاريخ؛ وهي أن الطغيان والقمع لا يتناشيان مع الرحمة... وأن صيحات المتعصبين في العالم سُكّتها دائمًا أصوات الاعتدال المتوحدة التي ترتفع في وجههم. هذه الأصوات، هذه الجوّات من التعاطف والتسامح والرحمة هي ما أدعوا أن ترتفع يوماً من قمة هذا الجبل".

الآن، بينما كان صدى كلمات أبيه يتردد في ذهنه، نظر إلى غرفة المستشفى التي أضاءها القمر، وراقب والده وهو ينام بهدوء. شعر جولييان أن الرجل لم يبُد يوماً راضياً كما هو الآن.

نظر جولييان إلى الأسقف فالديسيبيون، وأشار إلى كرسي إلى جانب سرير أبيه. "جلس مع الملك، فهو سيفرح بذلك. سأطلب من الممرضات ألا يزعجنكم، وسأعود إليكما بعد ساعة".

ابتسم له فالديسينو، وللمرة الأولى منذ مراسم تثبيت جولييان في طفولته، تقدم الأسف إلى الأمام وأحاط الأمير بذراعيه محتضناً إيماء بحرارة. وفي أثناء ذلك، فوجئ جولييان بنحول جسده وضعفه تحت ثوبه الكنسي. بدا الأسقف المسن أكثر وهذا من الملك نفسه، ولم يستطع جولييان إلا أن يتسائل عما إذا كان هذان الصديقان العزيزان سيجتمعان في السماء قريباً.

قال الأسقف: "أنا فخور بك جداً، وأعرف أنك ستكون قائداً عظوفاً. فقد أحسن والدك تربيتك".

قال جولييان مبتسماً: "شكراً لك. أعتقد أنه حصل على بعض المساعدة في ذلك".

ترك جولييان والده والأسقف بمفردهما، وعبر أروقة المستشفى. توقف أمام إحدى النوافذ العريضة ليتأمل الدبر بإضاعة الرائعة على التلّ. الإسكندرية.

المدفن المبجل لمملوك إسبانيا.

تذكر الزيارة التي قام بها في طفولته إلى السرير الملكي مع أبيه، تذكر كيف حدق إلى جميع الأضরحة المذهبة وراوده إحساس غريب؛ أنها لن أifen أبداً في هذه الغرفة.

شعر أن الحدس الذي راوده في تلك اللحظة كان أكثر وضوحاً من أي شيء عرفه في حياته، وفي حين أن تلك الذكرى لم تغب عن ذهنه، إلا أنه لطالما اعتقد أنها مجرد هاجس بلا معنى... خوف شعر به طفل أمام الموت. لكن الليلة، وهو يواجه صعوده الوشيك إلى عرش إسبانيا، راودته فكرة مفاجئة.

ربما كنت أعرف مصيرني وأنا طفل.

ربما عرفت دائمًا ما هو هدفي حين أصبح ملكاً.

كان التغيير العميق يحتاج بلاده والعالم. فالنقاليد القديمة كانت تموت، وتولد مكانها طرائق جديدة. ربما حان الوقت لإلغاء الملكية القديمة إلى الأبد. للحظة، تخيل جولييان نفسه يقرأ إعلاناً ملكياً غير مسبوق.

أنا آخر مملوك إسبانيا.

سببت له تلك الفكرة اضطراباً عميقاً.

لحسن الحظ، قاطع سيل أفكاره اهتزاز هاتقه الخلوي الذي افترضه من الحرس الملكي. تسارع نبض الأمير عندما رأى أن رمز رقم المتصل كان 93. برشلونة.

فتح الخطّ وردَ قائلاً: "معكم جولييان".

فأتأه صوت ناعم ومتعب. "جولييان، هذه أنا..."
شعر جولييان بانفعال مفاجئ، فجلس على كرسي وأغمض عينيه، وهمس قائلًا:
"حبيبي، لا أدرى كيف أبدأ بالتعبير لك عن أسفني".

الفصل 100

خارج الكنيسة، وقفت أميراً في ضباب الفجر حاملة الهاتف بقلق قرب أنفها. جولييان آسف! شعرت بفزع متعاظم خشية أن يكون على وشك الاعتراف لها بشيء يتعلّق بالأحداث الرهيبة التي حدثت هذه الليلة.

وقف عميلان من عملاء الحرس الملكي في الجوار، بعيداً عن السمع. بدأ الأمير جولييان يقول بهدوء: "أميراً، عرض الزواج الذي قدمته لك... أنا آسف جداً.".

شعرت أميراً بالإرباك؛ فعرض الزواج الذي قدمه لها الأمير على التلفاز كان آخر ما يشغل بها هذه الليلة.

قال: "لقد حاولت أن أكون رومانسياً، ولكنني عوضاً عن ذلك وضعتك في موقف محرج جداً. وبعد ذلك، حين أخبرتني أنك غير قادرة على الإنجاب... ابتعدت عنك. لكن، لم يكن هذا هو السبب. كان سبب ذلك أثني لم أصدق أنك لم تخبريني من قبل. لقد تصرّفت بسرعة، أنا أعرف، ولكنني وقعت بحبك سريعاً. أردت أن نبدأ حياتنا معاً، ربما لأنّ الذي كان يحضر -"

قاطعه قائلة: "جولييان، توقف! أنت لست بحاجة إلى الاعتذار. وهذه الليلة، ثمة أمور أكثر أهمية بكثير -"

"كلاً، ما من شيء أكثر أهمية. ليس بالنسبة إليّ. أريد أن تعرفي أثني آسف جداً حال الطريقة التي حدثت فيها الأمور".

كان الصوت الذي تسمعه صوت الرجل الجاذب والصريح الذي وقعت في حبه منذ أشهر. همست قائلة: "شكراً لك، جولييان. هذا يعني لي الكثير".

خيم صمت غريب بينهما. وأخيراً، استجمعت أميراً شجاعتها لتطرح عليه السؤال الصعب الذي تحتاج إلى جواب عليه.

همست قائلة: "جولييان، أريد أن أعرف ما إذا كنت متورطاً بأيّ شكل من الأشكال في مقتل إدموند كيرش".

صمت الأمير. وعندما تكلم أخيراً، كان صوته مليئاً بالألم: "أميراً، لقد تقبلت بصعوبة الوقت الذي كنت تمضيه مع كيرش للإعداد لهذا الحدث. كما أثني اختلفت

بشدة مع قرارك بالمشاركة في استضافة شخصية مثيرة للجدل مثله. بصراحة، كنت أتمنى لو لم تقابلني إطلاقاً". صمت قليلاً، ثم أضاف: "لكن، كلا، أنا أقسم لك إنني لست متورطاً في مقتله على الإطلاق. لقد كان هذا الاغتيال مرؤعاً جداً... لا سيما وأنه حدث علينا وفي بلادنا. ونظرأ إلى كونه قد وقع على مسافة قصيرة من المرأة التي أحبهما، فقد هزني من الصميم".

لمست أميرا الصدق في صوته، وشعرت بارتياح كبير. "جولييان، أنا آسفة لأنني سالت عن ذلك. لكن مع كل التقارير الاخبارية ولا سيما حول القصر، وفالديسيينو، وقصة الاختطاف... لم أعد أعلم ما يجدر بي التفكير فيه بعد الآن". فأخبرها جولييان بكل ما عرفه عن شبكة المؤامرات المعقّدة التي أحاطت بكيرش، كما أخبرها عن والده المريض، ولقائهما المؤتر، وصحّة الملك المتدهورة بسرعة. وهمس قائلًا: "ارجعى إلىي، أنا بحاجة إلى روبيك".

شعرت أميرا بفيض من العواطف المتضاربة وهي تسمع صوته الرقيق. قال بنبرة أكثر مرحًا: "ثمة أمر واحد بعد. خطرت ببالي فكرة جنونية، ولا أدري ما رأيك بها". صمت الأمير قليلاً ثم تابع: "أعتقد أنه علينا إلغاء خطوبتنا... والبدء من جديد".

ترئخت أميرا وهي تسمع تلك الكلمات. كانت تعرف أن التداعيات السياسية على الأمير والقصر ستكون هائلة. "هل... ستفعل ذلك؟". ضحك جولييان بحنان. "عزيزتي، أنا مستعد لفعل أي شيء لأحصل على فرصة عرض الزواج عليك مجدداً في يوم ما، على انفراد".

خبر عاجل - عن محاضرة كيرش
أخيراً على الهواء!
كانت مذهلة!
لإعادة المشاهدة وربود الفعل العالمية، انقر هنا!
وفي الأخبار ذات الصلة...

اعتراف باباوي

ينفي المسؤولون البالماريون بشدة هذه الليلة الأذعاءات القائلة إنهم على علاقة برجل يُعرف باسم الوصي. ويغضّ النظر عن نتائج التحقيق، يعتقد الخبراء أن فضيحة الليلة قد تشكّل الضربة القاضية لهذه الكنيسة المثيرة للجدل، والتي زعم إدموند كيرش دوماً أنها مسؤولة عن وفاة والدته.

بالإضافة إلى ذلك، ومع التركيز العالمي المصوب حالياً بقصة على البالماريين، اكتشفت مصادر إعلامية للتوقّع قصّة إخبارية ترجع إلى أبريل 2016. وهذه القصّة التي انتشرت حالياً على نطاقٍ واسع، وهي عبارة عن مقابلة اعترف فيها البابا البالماري السابق غريغوريو الثامن عشر (المعروف أيضاً باسم غينيس خيسوس هرنانديز) أن كنيسته كانت "خدعةً منذ البداية" وتأسست "كمخطط للتهرب من الضرائب".

القصر الملكي: اعتذار، أذعاءات، وملك مريض

أصدر القصر الملكي بيانات تبرئ القائد غارزا وروبرت لأنفسهم من أي جرم هذه الليلة. وتم تقديم اعتذارات علنية لكلا الرجلين.

ومع أن القصر لم يعلق بعد على التورط الظاهري للأسقف فالديسيبينو في جرائم هذه الليلة، لكن يُعتقد أن الأسقف موجود حالياً مع الأمير جولييان في مستشفى

لم يكشف عن اسمه، حيث يقوم الأمير برعاية والده المريض الذي يقال إن حالته قد تدهورت.

أين MONTE؟

يبدو أن مخبرنا الحصري monte@iglesia.or قد اختفى من دون أن يترك أثراً أو يكشف عن هويته. واستناداً إلى استطلاع المستخدمين لموقعنا، ما زال معظم الناس يشتبهون أن "Monte" هو أحد تلامذة كيرش الخبراء بالเทคโนโลยجيا. ولكن نظرية جديدة تظهر الآن، ومقادها أن الاسم المستعار "Monte" قد يكون تصغيراً لاسم "Monica"، منسقة العلاقات العامة في القصر الملكي، مونيكا مارتن.

سنوافيكم بالمزيد من الأخبار فور ورودها.

مكتبة الرمحي أحمد

الفصل 102

ثمة ثلات وثلاثون من "حدائق شكسبير" في العالم. وهذه الحدائق النباتية لا تضم سوى النباتات المذكورة في أعمال وليام شكسبير، بما في ذلك وردة جولييت "التي لا يهم اسمها"، وباقية أوفيليا من إكليل الجبل، والبنفسج، وزهرة الحوض، والحرمل، والأقحوان. وبالإضافة إلى الحدائق الموجودة في ستراونغورد أبون آيفن، وفيينا، وسان فرانسيسكو، وستنترال بارك في مدينة نيويورك، ثمة حديقة لشكسبير تقع بجانب مركز برشلونة للحوسبة الفائقة.

في الوجه الخافت لمصابيح الشارع البعيدة، جلست أمبرا فيdal على أحد المقاعد بين أزهار الحوض، وأنهت مكالمتها الهاتفية المؤثرة مع الأمير جوليان، في الوقت الذي خرج فيه روبرت لأنعدون من الكنيسة. أعادت الهاتف إلى الحراسين الملكيين، ونادت لأنعدون الذي رآها ونوجه إليها في الظلام.

وبينما كان البروفيسور الأميركي يتمشى في الحديقة، لم تستطع أن تقاوم الابتسام وهي تنظر إلى الطريقة التي رمي بها سترته على كتفه ورفع كميه، كاشفاً عن ساعة ميكى ماوس بالكامل.

قال لها: "مرحباً". وبدا مستترفاً تماماً، على الرغم من الابتسامة الجانبية التي علت وجهه.

وبينما كان الاثنان يتجلبان في الحديقة، منحهما الحراسان الملكيان بعض المسافة، فأخبرت أمبرا لأنعدون بحديثها مع الأمير، وروت له كيف اعتذر منها، وادعى أنه بريء، ثم عرض عليها فسخ خطوبتها، والبدء بالتعرف من جديد.

قال لأنعدون ممازحاً على الرغم من أنه بدا متأثراً بسلوك الأمير: "إنه أمير الأحلام بحق".

قالت أمبرا: "لقد كان قلقاً علي. كانت هذه الليلة صعبة، ويريد مني العودة إلى مدريد حالاً. فالملك يحضر، وجوليان -"

قال لأنعدون برقة: "أمبرا، لست بحاجة إلى شرح أي شيء. عليك الذهاب".

شعرت أمبرا بشيء من الخيبة في صوته، ورأودها هذا الإحساس هي الأخرى في أعماقها. قالت: "روبرت، هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً شخصياً؟".

بالطبع".

تردّدت قبل أن تقول: "بالنسبة إليك شخصياً... هل تجد قوانين الفيزياء كافية؟". نظر لانغدون جانباً كما لو أنه توقع سؤالاً مختلفاً تماماً. "كافية من أيٍ ناحية؟". كافية روحياً. أهي كافية للعيش في عالم تُتَجَّع فيه قوانين الطبيعة الحياة تقائياً؟ أم تفضل... الله؟". صمتت وبدا عليها الإحراج. "أنا آسفة، وبعد كلّ ما مررنا به هذه الليلة، أنا أعلم أنه سؤال غريب".

قال لانغدون ضاحكاً: "حسناً، أعتقد أنّ جوابي يحتاج إلى قليل من النوم. لكن كلاً، إنه ليس غريباً. فالناس يسألونني دائماً إن كنت أؤمن بالله".
"ويمذا تجيئهم؟".

"أجيبهم بالحقيقة. أقول لهم دائماً إنه بالنسبة إليّ، إن مسألة الله تكمن في فهم الفرق بين الرموز والأنماط".

نظرت إليه أميراً قائلة: "لست واثقة أتنى فهمت".

قال لانغدون: "الرموز والأنماط مختلفة جداً عن بعضها بعضاً، والكثير من الناس يخلطون بين الاثنين. لكن في مجالي، من الأهمية بمكان فهم الفرق الجوهرى بينها".
"ألا هو؟".

توقف لانغدون عن الكلام والتفت إليها: "النمط عبارة عن أيٍ تسلسل منظم على نحو واضح. والأنماط تظهر في أيٍ مكان من الطبيعة، في بذور دوار الشمس المصفوفة في شكل دائري، وفي الخلايا السادسية لقرص العسل، والتموجات الدائرية في بركة عندما تقفز فيها سمكة، إلى آخره".
"حسناً، والرموز؟".

قال بصوت أعلى: "الرموز خاصة. وبتعريفها، لا بدّ أن تحمل معلومات. يجب أن تقدم أكثر من مجرد نمط، أي يجب أن تنقل بيانات ومعنى. وتشمل أمثلة الرموز على اللغة المكتوبة، والتدوين الموسيقي، والمعادلات الرياضية، ولغة الكمبيوتر، وحتى الرموز البسيطة مثل الصليب. كلّ هذه الأمثلة يمكن أن تنقل معنى أو معلومات بطريقة لا تستطيع فعلها بذور دوار الشمس".

فهمت أميراً الفكرة ولكنها لم تفهم كيفية ارتباطها بسؤالها عن الله.

تابع لانغدون يقول: "الفرق الآخر بين الرموز والأنماط هو أنّ الرموز لا تظهر بشكل طبيعي في العالم. فالكتابة الموسيقية لا تثبت على الأشجار، والرموز لا تكتب نفسها على الرمال. الرموز اختراع متعمد للوعي الذاتي".

أومأت أميراً برأسها موافقة. "إذاً، تملك الرموز خلفها نية أو وعيًا".
"بالضبط. فالرموز لا تظهر عضواً، بل ينبعي ابتكارها".

تأملته أميرا مطولاً. "وماذا عن الحمض النووي؟".

ظهرت ابتسامة احترافية على شفتي لانغدون وقال: " تماماً، الشيفرة الوراثية. تلك هي المفارقة".

شعرت أميرا بفيض من الحماسة. فالشيفرة الوراثية تحمل بالطبع بيانات، أي تعليمات محددة حول كيفية بناء الكائنات الحية. وبحسب منطق لانغدون، هذا لا يعني سوى شيء واحد. "أنت تعتقد أن الحمض النووي تم إنشاؤه من قبل ذكاء!".

رفع لانغدون يده مدافعاً عن نفسه بطريقة ساحرة، ثم قال ضاحكاً: "مهلاً، مهلاً! أنت توسيين على أرض خطرة. دعني أقول ما يلي. منذ أن كنت طفلاً، كان لدى إحساس أن ثمة وعيأ وراء هذا الكون. ثم رأيت دقّة الرياضيات، وموثوقية الفيزياء، وتنتظر الكون، ولم أشعر أثني أشاهد علمأ بارداً. أنا أشعر أثني أرى بصمة حيّة... طلأً لقوّة أعظم تتجاوز إدراكنا".

شعرت أميرا بقوة كلماته. وأخيراً قالت: "أتمتّى لو كان جميع الناس يفكرون مثلّك. إذ يبدو أتنا نقاتل كثيراً حول الله، وكلّ مّا نسخته المختلفة عن الحقيقة".

"أجل. لذلك كان إيموند يأمل أن يوحّدنا العلم يوماً ما. فقد قال لي يوماً: لو كنا نعبد الجانبيّة، لما اختلفنا حول الاتجاه الذي تشدّ إليه".

استخدم لانغدون عقب قدمه ليرسم بعض الخدوش على الطريق المكسو بالحصى بينهما، وسألها: "أهذا صحيح أم خطأ؟".

نظرت أميرا إلى الخدوش التي رسمها بشيء من العيرة، وكانت عبارة عن معادلة بسيطة مؤلفة من أرقام رومانية.

$$I + XI = X$$

واحد زائد أحد عشر يساوي عشرة؟ فقلّلت على الفور: "خطأ".

"وهل ثمة طريقة لاعتبار هذه المعادلة صحيحة؟".

هزّت أميرا رأسها نافياً: "كلاً. فما كتبته خطأ بالتأكيد".

عندئذ، أمسك لانغدون بيدها برفق، وقادها إلى الاتجاه المقابل لذاك الذي كانت تقف فيه. والآن، عندما نظرت أميرا إلى الأسفل، رأت الكتابة من وجهاً نظر لانغدون. كانت المعادلة مقلوبة رأساً على عقب.

$$X = IX + I$$

نظرت إليه مجففة.

قال لانغدون مبتسمًا: "عشرة تساوي تسعه زائد واحد. في بعض الأحيان، ما عليك سوى أن تغيّري وجهة نظرك لرؤيه الحقيقة التي يؤيّدتها شخص آخر".

أومأت أميرا برأسها، وتدكّرت أنها رأت صورة وينسون الذاتية مرات عديدة من دون أن تفهم معناها الحقيقي.

قال لانغدون وقد بدت عليه التسلية فجأة: "بالحديث عن رؤية الحقيقة الخفية، أنت محظوظة. فثمة رمز سري مخبأ هناك، على جانب تلك الشاحنة". وأشار بيده.

نظرت أميرا إلى حيث أشار، ورأت شاحنة FedEx المتوقفة عند الإشارة الحمراء في جادة بيدرالبيس.

رمز سري! لم تز أميرا سوى شعار الشركة المنتشر في كل مكان.



قال لها لانغدون: "لكن اسم الشركة مشفر، فهو يحتوي على مستوى ثانٍ من المعنى، رمز مخفى يعكس حركة الشركة إلى الأمام".

حدقت إليه أميرا. "إنها مجرد أحرف".

"تفى بي، ثمة رمز شائع جداً في شعار FedEx، وهو يشير إلى الأمام".
"يشير؟ هل تعني... مثل سهم؟".

بالضبط". ابتسم لانغدون مضيقاً: "أنت أمينة متحف، فكري في المساحة السلبية".
حدقت أميرا إلى الشعار، لكنها لم تز شيئاً. عندما انطلقت الشاحنة مستأنفة طريقها، استدارت إلى لانغدون قائلة: "أخبرني ما هو!".

فضحك قائلاً: "كلا، ستريننه يوماً ما. وعندما تفعلين... لن تتمكنني من عدم رؤيتك مجدداً".

كانت أميرا على وشك الاعتراض، لكن الحراسين الملكيين اقتربا وقال أحدهما:
"آنسة فيدال، الطائرة بانتظارك".

أومأت برأسها والفتت إلى لانغدون، ثم همست قائلة: "لماذا لا ترافقني؟ أنا واثقة أن الأمير يريد أن يشكرك شخصاً".

غير أنه قاطعها قائلاً: "هذا لطف منك. لكن، أعتقد أننا نعرف أنا وأنت أنني سأكون دخلاً، وقد سبق وحجزت سريراً هناك". وأشار لانغدون إلى البرج المجاور لفندق الأميرة صوفيا، الذي تناول فيه الغداء مرة مع إدموند. "لدي بطاقة انتقامي، كما أنتني استعرت هاتقاً من مختبر إدموند. اطمئني، لا ينقصني شيء".

أنقلت فكرة الوداع المفاجئة قلب أميرا، وشعرت أن لانغدون يساوره الإحساس نفسه، على الرغم من تعبير وجهه الساكن. ومن دون أن تأبه بما قد يفكّر فيه الحارسان، تقدّمت خطوة إلى الأمام وأحاطت روبرت لانغدون بذراعيها.

احتضنها البروفيسور بحرارة، ريمًا أطول مما ينبغي، ثم تركها تذهب بلهف. في تلك اللحظة، شعرت أميراً فidal بشيء يتحرّك داخلها. وفجأة فهمت ما كان إدموند يقوله عن طاقة الحب والنور... التي تفتح نحو الخارج بلا حدود لملء الكون. الحب ليس عاطفة محدودة.

نحن لا نملك منه مقداراً محدوداً.

قلوبنا تولد الحب كلما احتجنا إليه.

تماماً مثل الآباء والأمهات الذين يحبون أطفالهم الذين ولدوا حبيباً على الفور من دون أن ينقص حبّهم لبعضهم، هكذا شعرت أميراً أنها قادرة على أن تكون عاطفة لرجلين مختلفين.

حقاً، الحب ليس عاطفة محدودة. إذ يمكن أن يولد تلقائياً من لا شيء على الإطلاق.

وبينما كانت السيارة التي نقلّها إلى أميرها تتطلّق ببطء، نظرت إلى لانغدون الواقف بمفرده في الحديقة. كان يشاهدها ترحل بنظرات ثابتة. ارتسمت على وجهه ابتسامة رقيقة، ولوح بيده برقة، ثم أشاح بنظره فجأة... وبدا أنه احتاج إلى لحظة قبل أن يرفع سترته على كتفه مجدداً ويبعد بالسير بمفرده إلى الفندق.

المفصل 103

مع اقتراب عقارب ساعات القصر من وقت الظهيرة، جمعت مونيكا مارتن ملاحظاتها واستعدت للخروج إلى ساحة المؤدينا لمخاطبة وسائل الإعلام المجتمعية.

في وقت سابق من صباح ذلك اليوم، خرج الأمير جولييان من مستشفى الإسکوريال وأعلن على الهواء مباشرة عن وفاة أبيه. تكلم بانفعال واضح، وبرباطة جأش تلقي بمنصبه عن إرث الملك وطموحاته بشأن البلاد، ودعا إلى التسامح في عالم يسوده الانقسام. وعد جولييان بالتعلم من التاريخ، وفتح قلبه للتغيير. كما أشاد بتقافة إسبانيا وجمالها، وأعلن عن حبه العميق والخلال لشعبها.

كانت تلك الخطبة واحدة من أروع الخطب التي سمعتها مارتن. ويرأيها، ما من طريقة أقوى ليبدأ ملك إسبانيا المستقبلي بها عهده.

في نهاية تلك الكلمة المؤثرة، ختص جولييان بضع دقائق لتكريم الحارسين الملكيين اللذين خسرا حياتهما وهما يؤذيان واجبهما في الليلة الفانطة ويحميان ملكة إسبانيا المستقبلية. وبعد صمت قصير، أطلع الشعب على تطور محزن آخر. فصديق الملك القديم، الأسف أنتونيو فالديسيينو، توفي هو الآخر هذا الصباح، بعد بضع ساعات وحسب من وفاة الملك. رحل الأسف نتاجة قصور في القلب؛ إذ كان على ما يبدو ضعيفاً جداً ليحمل الأسى العميق الذي خلفه فقدان الملك والادعاءات القاسية التي وجّهت ضده في الليلة الماضية.

بالطبع، أوقف تباً وفاة فالديسيينو على الفور دعوة الشعب إلى إجراء تحقيق، حتى إن البعض ذهب إلى حد اقتراح تقديم اعتذار في هذا الصدد. ففي النهاية، كانت الأدلة ضد الأسقف ظرفية ويمكن بكل سهولة أن تكون قد لُفِّتَ من قبل أعدائه. مع اقتراب مارتن من الباب المؤدي إلى الساحة، ظهر سوريش بهالا إلى جانبها فجأة، وقال باندفاع: «إنهم ينادونك أيتها البطلة. الجميع يشيدون بـ monte@iglesia.org، كاشف الحقيقة وتلميذ إيموند كيرش!».

غير أنها أصرت قائلة وهي تنظر إلى الأعلى باسم: «سوريش، أنا لست monte، أؤكد لك».

قال سوريش: "آه، أنا أعرف أنك لست Monte، فهو أكثر احتيالاً منك بكثير. كنت أحاول تعقب اتصالاته، ولكنني وجدت ذلك مستحيلاً. كما لو أن لا وجود له".
حسناً، تابع ذلك. أريد أن أتأكد من عدم وجود تسرب للمعلومات من القصر.

وأخبرني رجاء أن الهواتف التي سرقها الليلة الماضية-

فاكَد لها قائلًا: "أعدتها إلى خزنة الأمير، كما وعدت".

تهدت مارتن، لا سيما وأنها تعرف أن الأمير قد عاد إلى القصر للتو.

تابع سوريش: "خبر واحد بعد. لقد أخرجنا للتو سجلات اتصالات القصر. لا وجود لأي سجل مكالمة من القصر إلى متحف غوغنهايم في الليلة الفائتة. لا بد أن شخصاً ما قد اخترق رقمنا لإجراء تلك المكالمة وإدراج اسم أفيلا على قائمة الضيف. ونحن نتابع هذه المسألة".

شعرت مونيكا بالارتياح لدى سماعها أن الاتصال التجريمي لم يخرج من القصر.
وقالت وهي تقترب من الباب: "أيقني على اطلاع على التطورات".
في الخارج، ازداد صوت الفرق الإعلامية ارتفاعاً.

قال سوريش: "الحشد كبير هناك. هل حدث شيء مهم في الليلة الماضية؟".
ـ آه، بعض الأخبار المهمة وحسبـ .

قال سوريش: "لا تخبرني. هل ارتدت أميراً فidal فستان مصمم جديد؟".
أجابته ضاحكة: "سوريش! كم أنت سخيف. على الخروج الآن".

سأله وهو يشير إلى مجموعة الملاحظات التي تحملها بيدها: "ماذا لديك على الجدول؟".

تفاصيل لا نهاية لها. أولاً، لدينا بروتوكولات إعلامية للإعداد لحفل التتويج، ومن ثم على مراجعةـ .

ـ رباه، كم أنت مملةـ !. ثم انطلق متقدعاً في رواق آخر.

ضحك مارتن. شكرـ لك يا سوريش. أنا أحـبك أيضاً .

وعندما وصلت إلى الباب، حدقـ عبر الساحة المشمسة إلى أكبر حشد من المراسلين والمصوريـن رأته مجتمعاً أمام القصر الملكي يوماً. تهدـت، ثم عـدت نظارتها واستجمعت أفكارـها قبل أن تخرج إلى شمس إسبانيا.

في الطابق العلوي في الجنـاح الملكـي، شـاهـد الأمـير جـوليـان مؤـتمر مـونـيكا مـارـتن الصـحفـي المتـلفـز وـهو يـخلـع مـلـابـسـهـ. كان يـشـعـرـ بالـإـرـهـاقـ، وـلـكـنـ شـعـرـ أـيـضاـ بـارـتـياـحـ كـبـيرـ لـعـلمـهـ أـنـ أـمـبـراـ قدـ عـادـتـ وـهـيـ تـنـامـ بـأـمـانـ. كـلـمـاتـهـاـ الأـخـيـرـةـ خـلـالـ مـكـالـمـةـهـاـ الـهـافـيـةـ مـلـأـتـهـ سـعادـةـ.

جولييان، هذا يعني لي الكثير أن تفكّر في البدء مجدداً، أنا وأنت وحسب، بعيداً عن أعين الناس. فالحبّ شيء خاصّ، ولا حاجة إلى أن يعرف العالم كلَّ التفاصيل.

جعله كلام أميراً يشعر بتناول كبير في ذلك اليوم الكئيب الذي خسر فيه والده.

وبينما كان ذاهباً لتعليق سترته، شعر بشيء في جيبيه، وكانت تلك زجاجة محلول المورفين الفموي التي أخذها من غرفة أبيه في المستشفى. كان جولييان قد فوجئ عندما رأى الزجاجة على الطاولة بجانب الأسقف فالديسيينو فارغة تماماً.

في ظلام غرفة المستشفى، وبينما أخذت الحقيقة تتضح له، ركع وتلا صلاة صامدة للصديقين القديمين. بعد ذلك، دسَّ زجاجة المورفين في جيبي بهدوء.

قبل مغادرة الغرفة، رفع برفق وجه الأسقف المبلل بالدموع عن جثمان أبيه، وأجلسه مجدداً على كرسيه... ثم طوى يديه وكأنه كان يصلّي.

لقد علمته أميراً أنَّ الحبَّ شيء خاصّ، ولا حاجة لكي يعرف العالم كلَّ التفاصيل.

الفصل 104

تقع التلة البالغ ارتفاعها ستمائة قدم والمعروفة باسم مونتجويك في الركن الجنوبي الغربي لبرسلونة. ويتوجها قصر مونتجويك، وهو عبارة عن حصن كبير يرجع إلى القرن السابع عشر ويقع فوق جرف شديد الانحدار يطل على مناظر خلابة لبحر البليار. تضم التلة أيضاً القصر الوطني، أو بالاو ناسيونال، المذهل. وهو قصر ضخم بني على طراز عصر النهضة، وشكل محور المعرض الدولي الذي أقيم عام 1929 في برشلونة.

جلس روبرت لأنغدون في عربة تلفريك خاصة، معلقاً في منتصف الطريق المؤدية إلى الجبل، وراح يحذق إلى المناظر الطبيعية للغابة الخضراء الممتدة تحته، وقد شعر بالارتياح لخوجه من المدينة. فكر في سره: أنا بحاجة إلى تغيير المنظور. وراح يستمتع بهدوء المشهد ودفء شمس منتصف النهار.

وبعدما استيقظ في ساعة متأخرة من الصباح في فندق الأميرة صوفيا، استمتع بحمام ساخن، ثم تناول طوراً شهياً من البيض والشوفان والشوروس، وتناول "ركوة" كاملة من قهوة نوماد وهو يتابع أخبار الصباح.

كما كان متوقعاً، هيمنت قصة إدموند كيرش على موجات الأثير، وراح المندوبون الإعلاميون يناقشوون بحماسة نظريات كيرش وتوقعاته، فضلاً عن تأثيرها المحتمل على الإيمان. أما لأنغدون، وبصفته أستاذًا جامعياً حبه الأساسي هو التدريس، فما كان منه سوى الابتسام.

الحوار دائمًا أكثر أهمية من توافق الآراء.

بالفعل، هذا الصباح، رأى لأنغدون أول الباعة الذين بدأوا يعرضون ملصقات للسيارات تحمل جملة مثل: كيرش يمثلني، أو الملكة السابعة هي ملكوت رب! فضلاً عن باعة آخرين يبيعون تماثيل للسيدة العذراء مع تماثيل ساخرة من تشارلز داروين. الرأسمالية غير طائفية. هذا ما فكر فيه لأنغدون وهو يتذكر المشهد المفضل لهذا الصباح، جملة كتبت بخط اليد على قميص قطني:

بحسب وسائل الإعلام، بقيت هوية المخبر الكبير على الإنترنت غامضة. كما أحاطت الشكوك بأدوار عدد من اللاعبين الغامضين؛ الوصي، الأسقف الراحل، والبالماريين.

كان الأمر عبارة عن خليط من التخمينات.

لحسن الحظ، بدا أن الاهتمام الشعبي بالأحداث العنفية التي رافقت العرض الذي قدّمه كيرش قد تحول إلى حماسة حقيقة حول محتواه. فخاتمة كيرش الكبيرة - أي تصويره الجميل لغد طوباوي - تركت صدى عميقاً لدى ملايين المشاهدين، وحوّلت بعضاً من الكتب الكلاسيكية المتفائلة حول التكنولوجيا إلى الكتب الأكثر مبيعاً بين ليلة وضحاها.

الوفرة: المستقبل أفضل مما تظنين
ماذا تزيد التكنولوجيا
التفرد قريباً

كان لا بد للانجدون أن يعترف أنه على الرغم من مخاوف المدرسة القديمة حول صعود التكنولوجيا، إلا أنه أكثر تفاؤلاً اليوم حيال آفاق الإنسانية. فقد كانت التقارير الإخبارية سلط الضوء على الاختراقات العلمية التي ستمكن البشر من تنظيف المحيطات المؤثرة، وإنتاج كمية لا حدود لها من مياه الشرب، وزراعة الغذاء في الصحراء، وعلاج الأمراض المميتة، وإطلاق أسراب من "الطائرات الشمسية" بدون طيار التي ستحلق فوق البلدان النامية وتزودها بخدمة إنترنت مجانية، وتساعد على إدخال "مليار النسمة القابعين في الحضيض" إلى الاقتصاد العالمي.

بدأت حرارة عربة التلفريك ترتفع، وكان لأنعدون ينون للخروج إلى الهواء النقي واستكشاف القلعة، والقصر ، والنافورة السريّة الشهيرة. كما كان متهماً للتفكير في شيء آخر غير إدموند لساعة من الزمن والتحول قليلاً.

شعر بالفضول حيال تاريخ مونتجوبيك، وحول نظره إلى اللافة الإعلامية الكبيرة الممتهنة داخلاً، عبة التنافسيك. بدأ القاعدة، ولكنَّه توقف بعد أيام، حملة فقط.

اسم مونتجويك مشتق من الكلمة الكاتالانية من القرون الوسطى مونتجوش ("تلّة اليهود") أو من الكلمة اللاتينية مونس جوفيكوس ("تلّة جوبيت").

وهنا، توقف لانغدون فجأة، وتنكر أمراً غير متوقع.
لا يمكن أن تكون هذه مجرد مصادفة.

كلّما فكر في الأمر، شعر باضطراب أكبر. وأخيراً، أخرج هاتف إدموند وأعاد قراءة مقوله وينستون ترشل التي تظهر على الشاشة، حول صنع المرأة لإرثه الخاص.
التاريخ سيكون رفيقاً بي، فأنا أنوي كتابته.
بعد لحظات طويلة من التأمل، ضغط لانغدون على أيقونة *W* ورفع الهاتف إلى أذنه.

فتح الخطّ على الفور.

قال صوت مألوف بلهجة بريطانية: "بروفيسور لانغدون على ما أظنّ. لقد اتصلت في الوقت المناسب، فأنا سأنسحب قريباً."

من دون أيّ مقدمات، قال لانغدون: "Monte" تعني تلّ (hill) بالإسبانية.
أطلق وينستون صحكته المميزة الغربية. تماماً.
وـ *iglesia* تعني كنيسة (church)."

بالضبط بروفيسور. ربما يجرّ بك تدريس الإسبانية-
ما يعني أنّ monte@iglesia.org تعني حرفيّاً بالإنكليزية hill@church.
صمت وينستون. "هذا صحيح مجدداً."

"وباعتبار أنّ اسمك وينستون، وأنّ إدموند كان يكنّ إعجاباً كبيراً لوينستون ترشل، فأنا أجد أنّ عنوان البريد الإلكتروني hill@church نوعاً ما...".
"مصادفة غريبة؟".
"أجل".

أجاب وينستون بصوت بدا فيه شيء من التسلية: "حسناً، من الناحية الإحصائية، لا بدّ لي أن أوافقك الرأي. فقد توقعت أن نتمكن من ربط هذه الخيوط مع بعضها".
حق لانغدون من النافذة غير مصدق: "monte@iglesia.org ... هو أنت؟".
هذا صحيح. وفي النهاية، كان ينبغي وجود شخص لصبّ الزيت على النار من أجل إدموند. ومن يستطيع ذلك سوياً؟ أنا من صنعت monte@iglesia.org للتغذية
موقع المؤامرة على الشبكة. وكما تعلم، للمؤامرات حياة خاصة بها، وقد توقعت أن يزيد نشاط Monte على الشبكة من عدد مشاهدي إدموند حول العالم بنسبة خمسمائة

بالمائة. وقد تبين أنَّ النسبة الفعلية كانت ستمائة وعشرين بالمائة. كما سبق لي أن قلت، أعتقد أنَّ إدموند كان سيشعر بالفخر اهتزَّت عريبة التلفريك بفعل الرياح، وكافح لانغدون لاستيعاب الخبر. "وينستون... هل طلب منك إدموند أن تفعل ذلك؟".

"كلا، ليس بشكل صريح، لكن تعليماته نصَّت على أن أبتكر طرائق لزيادة نسبة مشاهدة العرض الذي سيقدمه قدر الإمكان".

سألَه لانغدون: "وماذا لو تم القبض عليك؟ فاسم monte@iglesia.org ليس لقِبًا معقدًا بقدر ما تظنَّ".

ثُمَّة عدد قليل فقط من الأشخاص الذين يعرفون بوجودي، وبعد نحو ثمانِي دقائق، سأمحى بشكل دائم وسأختفي، لذلك لست قلقاً بهذا الشأن. Monte كان مجرد وسيط لخدمة مصالح إدموند، وكما قلت، أعتقد أنه كان سيسراً من كيفية سير أحداث هذه الأمسيَّة بالنسبة إليه".

قال لانغدون: "كيفية سير الأحداث! إدموند قُتل!".

قال وينستون بنبرة عملية: "لقد أسرت فهمي، كنت أعني اختراق السوق، وكان ذلك هو الأمر الأساسي الذي تلقيته كما سبق وقلت".

قال وينستون ذلك بنبرة عملية نكَرت لانغدون أنه وإن كان يبدو بشرياً، إلا أنه ليس كذلك بالتأكيد.

أضاف وينستون: "لقد كانت وفاة إدموند مأساة رهيبة، وأنا أتفق بالطبع لو كان لا يزال حياً. لكن، من الأهمية بمكان أن نعرف أنه تصالح مع حقيقة موته الوشيك. فمنذ شهر مضى، طلب مني أن أجري بحثاً حول أفضل الوسائل لمساعدته على الانتحار. وبعد أن قمت بقراءة مئات الحالات، استنتجت أنَّ الحل الأفضل يتمثل في عشر غرامات من السيكوباربيتال الذي قام بشرائه وأبقاءه في متداول يده".

اعتصر قلب لانغدون حزناً على إدموند. "هل كان ينوي الانتحار؟".

بالتأكيد. حتى إنه طور روح دعابة في هذا الشأن. في بينما كنا نناقش أفضل الطرائق لزيادة نسبة مشاهدة عرض غوغنهايم، مازحني قائلاً إنه ربما يجدر به أن يتناول أقراص السيكوباربيتال في نهاية العرض والموت على المسرح. "دُهل لانغدون. هل قال ذلك حقاً؟".

قال ذلك بمرح كبير. ومزح قائلاً إنه ما من شيء أفضل لرفع مستوى المشاهدة لبرنامج تلفزيوني من رؤية الناس وهو يموتون خلال البرنامج. كان محقاً في ذلك بالطبع. فلو قمت بتحليل الأخبار الإعلامية الأكثر مشاهدة في العالم، جميعها تقريباً-

"وينستون، كفى. هذا موضوع رهيب". كم ستطول رحلة التلفريك هذه؟ فجأة، بدأ لانغدون يشعر أن المقصورة الصغيرة تضيق الخناق عليه. لم ير أمامه سوى الأبراج والأسلاك وهو يتأمل من النافذة المشهد الغارق بأشعة الشمس الساطعة. فكر في سره: أشعر أثني أغلى. وأخذت الأفكار الغربية تعصف في رأسه.

قال وينستون: "بروفيسور، هل من سؤال آخر تود أن تطرحه عليّ؟".
أجل! فقد أراد أن يصبح بآلاف الأفكار المقلقة التي بدأت تدور في رأسه. ثمة الكثير بعد!

أمر لانغدون نفسه بالزفير والاسترخاء. فكر بوضوح يا روبرت. أنت تسبق نفسك. لكن عقله بدأ يتحرك بسرعة كبيرة، حيث عجز عن السيطرة عليه.
فكر كيف أنت وفاة إدموند إلى جعل محاضرته الموضوع المهيمن على أحاديث الكوكب بأكمله... ورفعت نسبة المشاهدة من بضعة ملايين إلى ما يزيد عن خمسة مليون مشاهد.

فكر في رغبة إدموند القديمة بتدمير الكنيسة البالمارية، وكيف أن اغتياله على يد عضو في تلك الكنيسة سيتحقق بكل تأكيد ذلك الهدف بشكل نهائي.
وذكر أيضاً بازدراه إدموند لأند أدادنه؛ أولئك المتدينين الذين سيزعمون باعنداد بالنفس في حال مات إدموند بالسرطان أن الله عاقبه. تماماً كما فعلوا مع الكاتب الملحد كريستوفر هيتشنر. أما الآن، فسيرى الجمهور أن إدموند قد ذهب ضحية مت指控.

إدموند كيرش، ضحية التعصب وشهيد العلم.
نهض لانغدون فجأة متسبياً باهتزاز المقصورة من جانب إلى آخر. أمسك بالنافذ المفتوحة، وبينما كانت المقصورة تصدر صريراً، تردد في رأسه الكلام الذي قاله وينستون في الليلة الماضية.

"لقد أراد إدموند بناء عقيدة جديدة... على أساس العلم".
كما يؤكد أي شخص قرأ تاريخ الأديان، ما من شيء يعزز إيمان الناس أسرع من إنسان يموت من أجل قضيته. المسيح على الصليب، كيدوشيم اليهودية.
الاستشهاد موجود دائمًا في قلب كل الأديان.
أخذت الأفكار التي ظهرت في رأس لانغدون تسحبه إلى عمق الحفرة على نحو متسارع.

المعتقدات الجديدة تقدم إجابات جديدة على أسئلة الحياة الكبيرة.
من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟
المعتقدات الجديدة تدين منافساتها.

لقد نند إيموند بالإيمان على وجه الأرض في الليلة الماضية.
المعتقدات الجديدة تُعد بمستقبل وحياة أفضل.
الورقة: المستقبل أفضل مما تظنين.

يبدو أن إيموند قد حقّ بشكل منهجي جميع الشروط.

همس لانغدون بصوت مرتجل: "وينستون، من الذي استأجر القاتل لاغتيال إيموند؟".

"إنه الوصيّ".

قال لانغدون بحدة أكبر: "أجل، لكن من هو الوصي؟ من الشخص الذي استأجر حضواً في الكنيسة البالمارية لاغتيال إيموند وسط حاضرته التي تبُث مباشرة؟".
صمت وينستون. "أنا أشعر بالشك في صوتك بروفيسور، لكن لا يجرد بك أن تقلق. أنا مبرمج لحماية إيموند. إنه بالنسبة إليّ أفضل صديق". وصمت قليلاً ثم أضاف: "بما أنك أكاديمي، فلا شك أنك قرأت رواية عن القرآن والرجال".

بدا تعليق وينستون خارجاً عن الموضوع. "بالطبع، لكن ما علاقة ذلك -"

شعر لانغدون بالاختناق فجأة. للحظة، اعتقاد أن عربة التلفريك اندلعت عن مسارها. فقد مال الأفق جانباً، ما اضطره إلى التمسك بالجدار تجنباً للسقوط.
مخلص، جريء، رحيم. تلك كانت الكلمات التي اختارها لانغدون في المدرسة الثانوية للدفاع عن أشهر الأعمال التي تمت بدافع الصداقة في الأدب، والمتمثلة في الخاتمة المرؤعة لرواية عن القرآن والرجال، والتي يقوم فيها رجل بقتل صديقه الحبيب لتجنيبه نهاية مروعة.

همس لانغدون: "وينستون. أرجوك... كلاً".

قال وينستون: "ثق بي... هذا ما أراده إيموند".

الفصل 105

شعر د. ماتيو فاليلو، مدير مركز برشلونة للحوسبة الفائقة، بشيء من الإرباك وهو يغلق الهاتف ويتجه إلى الحرم الرئيس لكنسية تورّي جيروننا ليتحقق مجدداً إلى كمبيوتر إيموند كيرش الرائع المؤلف من طابقين.

كان فالiero قد عرف في وقت سابق من هذا الصباح أنه سيصبح المشرف الجديد على هذه الآلة الخارقة. غير أن الحماسة والرهبة اللتين شعر بهما في البداية تصاعلنا إلى حد كبير فجأة.

منذ دقائق، تلقى اتصالاً هاتقناً من البروفيسور الأميركي المعروف روبرت لانغدون. روى له لانغدون قصّةً كان فالiero سيعتبرها خيالاً علمياً قبل يوم واحد وحسب. أما اليوم، وبعد مشاهدته العرض المذهل الذي قدمه كيرش فضلاً عن آلتَه الفعلية إِـوايف، يصدق أنَّ تلك القصّة قد تشتمل على شيءٍ من الحقيقة.

كانت الحكاية التي رواها لانغدون حكاية براءة... حكاية نقاء تلك الآلات التي تتقدّم حرفيًاً وبثقة ما يطلب منها. دائمًاً، من دون إهمال. وقد أمضى فاليلرو حياته وهو يدرس هذه الآلات... ويتعلم كيف يرقص على حالها بحذر للاستفادة من قدراتها قدر الإمكان. يمكن الفن في معرفة كيفية السؤال.

كان فالiero قد حذر من أن الذكاء الاصطناعي يتقدم بوتيرة سريعة على نحو مضلل، وأنه ينبغي فرض مبادئ توجيهية صارمة على قدرته على التفاعل مع العالم البشري. بالطبع، إن ممارسة ضبط النفس ليست متوقعة من معظم أصحاب الرؤى التكنولوجية، لا سيما في وجه الاحتمالات الهائلة التي تظهر يومياً تقريباً. وخلف تشويق الابتكار، ثمة ثروات هائلة يمكن جنحها من الذكاء الاصطناعي. وما من شيء يسهلتجاوز الخطوط الأخلاقية أسرع من الجسم البشري.

لطالما كان فالليرو شديد الإعجاب بعصرية كيرش الجريء. لكن في هذه الحالة،
يبدو أن إيموند تصرف بتهور، وتجاوز الحدود على نحو خطير مع ابتكاره الجديد.
ابتكار لن أعرفه أبداً. الآن، أدرك فالليرو ذلك.

فاستناداً إلى لانغدون، أنشأ إدموند داخل إ-وايف برنامج ذكاء اصطناعي متقدماً بشكل مذهل، يحمل اسم "فينستون"، وقد تمت برمجته ليقوم بمسح نفسه عند الساعة

الواحدة ظهرأً من اليوم التالي لموت كيرش. قبل دقائق، وبناء على إصرار لانغدون، تمكّن د. فاليلرو من التأكيد على أن جزءاً كبيراً من بنوك بيانات إ-وايف قد اختفت بالفعل في هذا الوقت بالضبط. وكان المسع عبارة عن "استبدال" كامل للبيانات، الأمر الذي يجعلها غير قابلة للاسترداد.

بدا أن هذا الخبر قد أراح لانغدون، لكن البروفيسور الأميركي طلب اجتماعاً فورياً معه لمناقشة المسألة بعمق أكبر. اتفق فاليلرو ولانغدون على اللقاء غداً صباحاً في المختبر.

من حيث المبدأ، فهم فاليلرو رغبة لانغدون في إعلان القصة على الفور. لكن المشكلة تكمن في المصداقية. لن يصدق أحد ذلك.

في الواقع، تم مسح جميع آثار برنامج الذكاء الاصطناعي الذي صممته كيرش، بالإضافة إلى كل سجلات اتصالاته أو مهامه. والأصعب أن ابتكار كيرش كان يتتجاوز التقىم الحالي للتكنولوجيا؛ حيث إن فاليلرو يتوقع منذ الآن أن يسمع زملاءه وهم يتهمون لانغدون بتلقيق القصة بأكملها بسبب الجهل أو الحسد أو الحفاظ على الذات.

بالطبع، ثمة أيضاً مسألة التداعيات العامة لإعلان كهذا. فلو تبيّن أن قصة لانغدون كانت صحيحة بالفعل، فإن آلة إ-وايف ستُدان كما لو كانت وحش فرانكشتاين. ولن يتزوج الناس عن تدميرها. لا، بل أسوأ من ذلك.

في هذه الأيام التي تتفشى فيها الهجمات الإرهابية، من شأن أي شخص أن يقرر ببساطة تفجير الكنيسة بأكملها، معلنًا نفسه منقذًا للبشرية جموعه. من الواضح أن فاليلرو لديه الكثير للتفكير فيه قبل اجتماعه مع لانغدون. لكن في هذه اللحظة، عليه أن يحافظ على وعده. على الأقل، إلى أن نحصل على بعض الإجابات.

شعر فاليلرو بحزن كثيف، وسمح لنفسه بإلقاء نظرة الأخيرة على الكمبيوتر العجيب المؤلف من طابقين. أصغرى إلى أنفاسه الهادئة مع تدفق الهواء البارد عبر مضخاته إلى ملابسين الخلايا.

ويبينما كان يدخل غرفة الطاقة ليبدأ بإطفاء النظام بأكمله، راوده حافر غير متوقع، رغبة قوية لم يشعر بها مرة خلال سنوات حياته الثلاث والستين. لقد رغب في الصلاة.

على قمة الممثلي العلوي لقصر مونتجوبيك، وقف روبرت لأنغدون بمفرده وحده إلى الجرف السحيق الذي ينتهي عند المبناء البعيد في الأسفل. كانت الرياح قد اشتلت، وشعر أن توازنه يختل إلى حد ما، كما لو أنه يعيد ضبط توازنه العقلي.

على الرغم من تأكيدات مدير مركز برشلونة للحوسبة الفائقة، د. فالiero، إلا أن لأنغدون ظل يشعر بالقلق والتوتر. فأصداه صوت وينستون ما زالت تتردد في ذهنه. إذ تحدث كمبيوتر إدموند بهدوء حتى النهاية.

قال وينستون: "أنا مندهش لسماع استيائك بروفيسور، باعتبار أن إيمانك مبني على فعل يتسم بغموض أكبر بكثير. لقد قمت بوضع حد لمعاناة رجل، بلا ألم؛ وذلك لكي أفت الانتباه إلى أعماله العظيمة".

في عربة التلفريك المتأرجحة، أصغى لأنغدون غير مصدق، بينما كان وينستون يبرر بهدوء جميع أعماله المثيرة للاضطراب.

شرح له وينستون أن معركة إدموند مع الكنيسة البالمارية قد ألهمته للعثور على الأميرال لويس أفيلا واستئجاره. فقد كان يرتاد الكنيسة منذ زمن طويل، وتاريخه مع الإدمان جعله قابلاً للاستغلال ومرشحاً مثالياً لإلحاق الضرر بسمعة الكنيسة البالمارية. وبالنسبة إلى وينستون، كان تقمص دور الوصي أمراً بسيطاً لا يتطلب سوى عدد من الاتصالات، ومن ثم تحويل الأموال إلى حساب أفيلا المصرفي. في الواقع، كان البالماريون أبرياء، ولم يؤدوا أي دور على الإطلاق في مؤامرة تلك الليلة.

أما هجوم أفيلا على لأنغدون على السلم اللولبي، فاكتد له وينستون أنه لم يكن مقصوداً. لقد أرسلت أفيلا إلى ساغرادا فاميليا لكي يتم القبض عليه. أريته أن يتعرض للإعقال لكي يروي قصته البائسة، والتي ستتجنب المزيد من الاهتمام إلى عمل إدموند. طلبت منه أن يدخل المبنى عبر بوابة الخدمة الشرقية، وأبلغت الشرطة للاختباء هناك. كنت واثقاً أن أفيلا سيُعْتَقَلَ عند محاولته الدخول، ولكنه قرر الفرز عن السور عوضاً عن ذلك، لأنَّه شعر ربما بوجود الشرطة. أنا أتعذر كثيراً بروفيسور، فخلقاً للآلات، لا يمكن توقع سلوك البشر".

لم يعد لأنغدون يعرف ماذا يصدق بعد الآن.

آخر شروحات وينستون كانت الأكثر إثارة للقلق. "بعد اجتماع إدموند مع رجال الدين الثلاثة في مونسراط، تلقينا رسالة صوتية تهديدية من الأسقف فالديسيبينو. فقد حذر الأسقف من أن زميليه قلقان للغاية من العرض الذي أعدَّ إدموند، وأنهما يفكران في اتخاذ خطوة وقائية والقيام بإعلان مسبق على أمل تكذيب تلك المعلومات ووضعها في إطار مختلف قبل خروجها. وبالطبع، لم يكن هذا الاحتمال مقبولاً".

شعر لأنغدون بالغثيان، وكافح للتفكير بينما كانت العربية تتراجع. قال لأنغدون: "كان يجرِّ إدموند أن يضيف سطراً واحداً إلى برنامجك: لا تقتل!".

أجاب وينستون: "مع الأسف، الأمر ليس بهذه البساطة. فالبشر لا يتعلّمون من خلال طاعة الوصايا، بل يتعلّمون بالمثال. وانطلاقاً من كتبكم، وأفلامكم، وأخباركم، وأساطيركم القيمة، لطالما احتفى البشر بتلك النفوس التي بذلك تضحيات شخصية من أجل صالح أكبر. مثال على ذلك، يسوع".

"وينستون، أنا لا أرى صالحًا أكبر هنا".

فأجاب وينستون بنبرته العملية: "حقاً! إذاً أسمح لي أن أطرح عليك هذا السؤال الشهير: هل تفضل العيش في عالم بلا تكنولوجيا... أم في عالم بلا دين؟ هل تفضل العيش من دون دواء، وكهرباء، ووسائل نقل، ومضادات حيوية... أم من دون زعماء الدين الذين يشنّون حروباً ذات أسس واهنة؟".

لم يجبه لأنغدون بشيء.

"هذارأي بالضبط، بروفيسور. زال الإيمان المظلم وساد العلم النقى".

وقف لأنغدون بمفرده الآن على سطح القلعة، وحذق إلى المياه المتلائمة في بعيد. وشعر بإحساس غريب بالانفصال عن عالمه. هبط درجات القلعة إلى الحدائق المجاورة، وتتشقّ بعمق الهواء العابق بالصنوبر والأشجار العطرية، وحاول ببساط أن ينسى صوت وينستون. هنا بين الأزهار، افتقد أميراً فجأة، وأراد لو يتصل بها ويسمع صوتها ليخبرها بكلّ ما حدث خلال الساعة الأخيرة. لكنه عندما أخرج هاتف إدموند، أدرك أنه لا يستطيع إجراء الاتصال.

تحتاج أميراً والأمير إلى وقت بمفردهما. بإمكان هذه المكالمة أن تنتظر.

وقع نظره على أيقونة *W* على الشاشة. أصبح الرمز رمادياً الآن، وظهرت رسالة خطأ صغيرة عبره: الاتصال غير موجود. مع ذلك، شعر لأنغدون بشيء من القلق. فمع أنه لم يكن كثير التشكّك، إلا أنه بات يعرف أنه لن يتمكّن من الوثوق مجدداً بهذا الجهاز، وسيتساءل دائماً عن القدرات السرية أو الاتصالات التي لا تزال مخبأة في برامجه.

ذهب إلى طريق ضيق، وبحث إلى أن وجد بستانًا منعزلًا من الأشجار. رقم الهاتف الذي يحمله بيده وفكّر بإدموند، ثم وضع الجهاز على صخرة مسطحة. بعد ذلك، وكأنه يؤذي طقوس التضحية، حمل صخرة ثقيلة فوق رأسه وأسقطها بعنف على الهاتف، محطمًا إياه إلى عشرات القطع.

في طريقه إلى الحقيقة، رمى حطام الهاتف في سلة مهملات واستدار ليهبط الجبل.

في أثناء ذلك، شعر أنه أصبح أخف وزناً بقليل.

كما راوده شعور غريب... أنه أصبح أكثر إنسانية بقليل.

الخاتمة

أرسلت شمس ما بعد الظهير أشعتها على أبراج ساغرادا فاميليا، ملقية ظلاماً عريضة على صفوف السياح الذين ينتظرون دخول الكنيسة في ساحة غاودي. وقف روبرت لأنغدون بينهم، ورافق الزوار وهو يلتقطون الصور لأنفسهم ويسبّلون أشرطة فيديو، والأطفال يصغون إلى سماعات الرأس، والناس من حوله منشغلين بإرسال الرسائل والطباعة والحديث، غير مهتمين كما يبدو بالبازيليك القابعة إلى جانبهم.

كان إدموند قد أعلن في العرض الذي قدمه ليلة أمس أن التكنولوجيا قد خفضت درجة انفصال البشرية من ست إلى أربع درجات وحسب، وأصبح كل شخص على سطح الأرض مرتبطاً حالياً بشخص آخر بمعدل لا يزيد عن أربعة أشخاص آخرين. قال إدموند: قريباً، سينخفض هذا الرقم إلى صفر، وهو يشير "بالفقد القادم"، أي اللحظة الذي سيتجاوز فيها الذكاء الاصطناعي الذكاء البشري وسيندمج الاثنان في واحد. وأضاف، وعندما يحدث ذلك، سنكون نحن الذين نعيش في الوقت الحاضر... قياماً.

لم يستطع لأنغدون أن يتخيّل بعد شكل ذلك المستقبل. لكن، بينما هو يشاهد الناس حوله، شعر أن عجائب التكنولوجيا ستسبب مصاعب للمؤمنين. عندما دخل البازيليك أخيراً، شعر بالارتياح لعونته إلى جوّها المألوف الذي لم يكن يشبه في شيء الأجراء المخيفة لليلة أمس. اليوم، ساغرادا فاميليا تضجّ بالحياة.

تسليّلت أشعة الضوء الفرزحية، من قرمزي وذهبي وأرجواني، من خلال الزجاج الملؤن، وأشعلت داخل البناء بغاية كثيفة من الأعمدة المنيرة. عجّت الكنيسة بمئات الزوار الذين بدوا كالأفواز بين أعمدتها الشبيهة بالأشجار الشاهقة، والذين راحوا يحدّقون إلى سقفها المقبب المتوجّح، ويطلقون همسات الإعجاب مولدين ضجيجاً خافتاً ومرحاً. بينما كان لأنغدون يتقدّم داخل البازيليك، راح نظره ينتقل من شكل عضوي إلى آخر، ليصعد أخيراً إلى القبة المكوّنة من شبكة من الهياكل الصغيرة -بيهـة بالخلايا. يدعّي البعض أنّ هذا السقف المركزي يشبه كائناً معقداً تمت رؤيته عبر المجهر. والآن، بينما كان لأنغدون ينظر إليه وهو متوجّح بالضوء، اقتصر إلى حدّ ما بتلك الفكرة.

"بروفيسور". كان الصوت الذي ناداه مألوفاً، فاللقيت ليرى الأب بينيا يقترب منه بسرعة. قال الكاهن التحيل بصدق: "أنا آسف، لقد سمعت للتو شخصاً راك تنتظر في الصفة، لماذا لم تتناولي؟".

ابتسم لأنغدون مجيباً: "شكراً لك. لكنني استفدت من ذلك الوقت لتأمل الواجهة. بالإضافة إلى ذلك، توقعت أن تكون نائماً اليوم".
ضحك بينيا: "نائم! ربما غداً".

قال لأنغدون مشيراً إلى القاعة: "الجوّ اليوم مختلف عن الليلة الماضية".
الضوء الطبيعي يفعل العجائب؛ تماماً كما يفعل وجود الناس". صمت قليلاً ورمق لأنغدون قبل أن يضيف: "في الواقع، بما أنت هنا، أودّ أن أعرف رأيك بشيء موجود في الأسفل، إن لم يكن لديك مانع".

وبينما كان لأنغدون يتبع بينيا بين الحشود، سمع أصوات أعمال البناء وهي تتردد فوق رأسه؛ الأمر الذي ذكره أن ساغرادا فاميليا ما زالت قيد التطور.
سأله لأنغدون: "هل صدف وشاهدت عرض إدموند؟".

ضحك بينيا. "في الواقع، شاهدته ثلاث مرات. ولا بدّ لي أن أقول إنّ هذا المفهوم الجديد للإنتروبيا، أي الكون الذي يريد نشر الطاقة، بدا لي شبيهاً بسفر التكوين. إذ أرى كرة مزدهرة من الطاقة تبتعد أكثر وأكثر في ظلام الفضاء... وتجلب الضوء إلى أماكن يسودها الظلام الحالك".

ابتسم لأنغدون وتمثّل لو أنه عرف بينيا منذ الطفولة. "هل أصدر الفاتيكان بياناً رسميّاً؟".

"إنهم يحاولون، لكن يبدو أنّ ثمة بعض"- وهزّ بينيا كتفيه هازلاً- "الاختلاف.
فمسألة أصل الإنسان، كما تعلم، كانت دائماً نقطة شائكة بالنسبة إلى المسيحيين، ولا سيما الأصوليين منهم، ولو سألتني، لقمنا بتسويفتها نهائياً".

قال لأنغدون: "حقاً! وكيف يمكننا فعل ذلك؟".
علينا أن نفعل جميعاً ما نفعله الكثير من الكنائس أساساً. وال المسيحيون الذين يمتنعون عن ذلك يجعلوننا نبدو جميعاً حمقى".

توقف لأنغدون في مكانه وحدّق إلى الكاهن المسن.
قال بينيا ضاحكاً: "آه، من فضلك! أنا لا أعتقد أن الله نفسه الذي أنعم علينا بالمنطق، والعقل، والتفكير -"
- أرادنا أن نمتع عن استخدامها؟".

ابتسم بينيا: "أنا أرى أنك مطلع على غاليليو. في الواقع، كانت الفيزياء حبّ طفولتي. وقررت أن أصبح كاهناً بسبب احترامي المتعاظم للكون الفيزيائي. وهذا أحد tele @ktabpdf

الأسباب التي جعلت ساغرادا فاميليا بهذه الأهمية بالنسبة إلىّي. فهي تبدو لي كأنها كنيسة المستقبل... كنيسة مربطة مباشرة بالطبيعة".

وجد لانغدون نفسه يتساءل عما إذا كانت ساغرادا فاميليا - على غرار البارتيون في روما - ستصبح يوماً ما نقطة انتقالية، بناء يملك قدماً في الماضي وقدماً في المستقبل، مثل جسر مادّي بين إيمان بائن وآخر ناشئ. وفي هذه الحالة، ستصبح ساغرادا فاميليا أكثر أهمية بكثير مما يتصور أيّ إنسان.

كان بيبيا يقود لانغدون عبر السلم اللولي نفسه الذي استخدموه في الليلة الماضية.

. السراب.

قال لانغدون في طريقهما: "من البديهي جداً بالنسبة إلىّي أنّ ثمة طريقة واحدة لتجاوز فيها المسيحية عصر العلم القائم. علينا أن نكفّ عن رفض الاكتشافات العلمية. علينا أن نكفّ عن التنديد بالحقائق التي يمكن إثباتها. علينا أن نصبح شريكاً روحاً للعلم، وأن نستخدم تجربتنا الواسعة الممتلئة في آلاف السنوات من الفلسفة، والبحث الشخصي، والتأمل، والبحث عن الذات، لمساعدة البشرية على بناء أخلاقي وضمان أن تقوم التكنولوجيا في المستقبل بتوحيدنا، وتتوبرنا، ورفعنا نحو الأعلى... عوضاً عن تدميرنا".

قال لانغدون: "أنا أتفق معك تماماً. أتمنى فقط أن يقبل العلم المساعدة التي تقدمونها.

عند أسفل السلم، أشار بيبيا إلى صندوق العرض وراء قبر غاوودي، الصندوق الذي يحتوي على كتاب إدموند، أي أعمال ولIAM بليك. "هذا ما أردت أن أسألك عنه. كتاب بليك!".

"أجل. فكما تعلم، وعدت السيد كيرش بأنّ أعرض هذا الكتاب هنا. وقد وافقت لأنّي افترضت أنه أراد منّي عرض هذه الصورة".

وصل إلى الصندوق، ونظرًا إلى رسم بليك المذهل الذي يسميه أوريزن وهو يقيس الكون بواسطة بوصلة جيومترية.

قال بيبيا: "لأنّ النص الموجود في الصفحة المقابلة لفت انتباهي... وأشعر أنه يجرّ بك قراءة البيت الأخير

قال لانغدون من دون أن يحوّل نظره عن بيبيا. "زال الإيمان المظلم وساد العلم النقـ؟".

بدا الإعجاب في عيني بيبيا: "أنت تعرفه".
ابتسم لانغدون. "أجل".

حسناً، لا بدَّ لي من القول إنَّه يزعجني بعمقٍ. فقد وجدت عبارة الإيمان المظلم مثيرة للإضطراب. يبدو كأنَّ بلِيك يزعم أنَّ الإيمان مظلم... وخبيث وشرير بشكل من الأشكال".

أجاب لانغدون: "هذا سوء فهم شائع. في الواقع، كان بذلك رجلاً روحانياً بعمق، تطور على الصعيد الأخلاقي أبعد بكثير من مسيحية إنكلترا في القرن الثامن عشر التي أشمت بالجفاف وبضيق الفكر بدا الاستغراب على وجه بيبيا.

أكَّد له لانغدون قائلًا: «إنَّ الْبَيْتُ الْخَاتَمِيُّ فِي قَصْبَدَةِ بَلِيكِ يُمْكِنُ أَنْ يُعْنِي بِبِسَاطَةِ مَا يُلِي: سَيَزِيلُ الْعِلْمَ النَّفِيَّ الْمَعْنَقَدَاتِ الْمُظْلَمَةَ... لَكِ تَرْدَهُرُ الْأَدِيَانُ النَّيْرَةَ». خَيْرُ الصَّمَتِ عَلَى بَيْنِيَا لَوْقَ طَوِيلٍ، قَبْلَ أَنْ تَظَهُرَ ابْتِسَامَةُ هَادِئَةٍ بِبَطْءٍ عَلَى شَفَقَتِيهِ. «شَكْرًا لَكَ بِرُوفِيسُورٍ. أَعْتَدَ أَنَّكَ أَنْقَذْتَنِي مِنْ مَعْضَلَةِ أَخْلَاقِيَّةٍ مَحْرَجَةً».

في الطابق العلوي في القاعة الرئيسة، بعدما ودع لانغدون الأب بينيا، تجول
لبعض الوقت ثم جلس بهدوء على أحد المقاعد، مع مئات الزوار الآخرين، لمشاهدة
الأشعة الملونة من الضوء وهي ترتفع على الأعمدة الشاهقة مع غروب الشمس ببطء.
فكَّر بجميع الأديان في العالم، بأصولها المشتركة، وبالشمس والقمر والبحر
والرياح.

كانت الطبيعة في ما مضى هي الجوهر.
بالنسبة إلينا جميعاً.

بالطبع، اختفت الوحدة منذ زمن طويل، وتشعبت المعتقدات إلى ما لا نهاية، وكل منها يدعى أنه يملك الحقيقة الوحيدة.

لكن، هذه الليلة، وبينما كان لانعدون جالساً داخل هذا المعبد الرائع، وجد نفسه محاطاً بأشخاص من الأديان والألوان واللغات والثقافات كافة، وجميعهم يحتذون إلى السماء بشعور مشترك بالعجب.

شعاع الشمس على الصخر.

عبر الآن سيل من الصور في ذهن لانغدون؛ ستونهانج، الأهرامات الكبرى، كهوف أجانتا، أبو سنبل، معبد تشيتشن إيتزا، وجميعها موقع حول العالم ذات مكانة تجمع فيها القدماء لتأمل المشهد نفسه.

في تلك اللحظة، شعر لانغدون باهتزاز ضئيل في الأرض تحت قدميه، كما لو أنَّ العالم بلغ نقطة تحول... كما لو أنَّ الفكر الديني تجاوز للتو أبعد مدى في مداره، وبدأ الآن يدور بشكل عكسي، بعد أن تعب من رحلته الطويلة، وقرر أخيراً العودة إلى دياره.

رواية جديدة للكاتب الأكثر شعبية
في مجال أدب التشويق.

بيلباو، إسبانيا

يصل روبرت لانغدون، أستاذ هارفارد في علم الرموز إلى متحف غوغنهايم للفن الحديث في بيلباو لحضور إعلان كبير سيتّم فيه كشف النقاب عن اكتشاف «سيغير وجه العلم إلى الأبد». أما مضيف ذلك الحدث فهو إدموند كيرش، الملياردير والعالم المستقبلي البالغ من العمر أربعين عاماً، والذي جعلت منه ابتكاراته وتوقعاته الجريئة في مجال التكنولوجيا الفائقة شخصية عالمية شهيرة ينوي كيرش، الذي كان من أوائل طلاب لانغدون في هارفارد قبل عقدين من الزمن، الكشف عن اختراق علمي مذهل. سيجيب عن سؤالين من الأسئلة الأساسية للإنسان.

مع بدء الأمسيّة، يستغرق لانغدون وحقيقة الضيوف البالغ عددهم بضع مئات في عرض رائع، سرعان ما يدرك لانغدون أنه سيكون أكثر إثارة للجدل مما تخيل بكثير، لكن الحدث المنظم بدقة بالغة يغرس فجأة في حالة من الفوضى، ويصبح اكتشاف كيرش الثمين على شفير الضياع إلى الأبد في أعقاب ذلك، يواجه لانغدون تهديدات خطيرة تجبره على الفرار من بيلباو، ومعه أميراً فيدال، مدير المتحف الأنتيقية التي كانت تتعاون مع كيرش للتحضير لذلك الحدث الاستفزازي معاً، يفران إلى برشلونة في بحث عن كلمة سرٍ مشفرة من شأنها أن تكشف سرَّ كيرش.

يتناقل لانغدون وفيدال في الممرات المظلمة للتاريخ المخفي والمعتقدات المتطرفة هرباً من عدوٍ يائس يبدو أن سلطنته تتبع من القصر الملكي الإسباني نفسه... ولن يردعه رادع لإسكات إدموند كيرش، على طريق محفوظ بالفن الحديث والرموز الغامضة، يكتشف لانغدون وفيدال أدلة ستضعهما في نهاية المطاف وجهاً لوجه أمام اكتشاف كيرش المذهل... والحقيقة المدهشة التي طالما غابت عنـا.

الأصل، من أكثر روايات دان براون تشويقاً ومتعة

مكتبة الرمحي أحمد tele @ktabpdf

صبر للمؤلف أيضاً



ISBN: 978-614-01-2425-7



للمزيد من المعلومات
في مكتبة نيل وماركت
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

